

موسوعة
خزائن العلوم الإسلامية
في ضوء القرآن والسنة

الفقيه إلى مولاه
محمد بن إبراهيم بن عبد الله التتويجي

الجزء الخامس

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع
الرياض - جدة

مؤسستہ کتب

خزائن العلوم الإسلامية

في ضوء القرآن والسنة

للقدير إلى عفو ربه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله الثوبجري

الطبعة الأولى

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

الجزء الخامس

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع
القاهرة - مصر

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

رقم الإيداع: ٣٠٨٥٢ / ٢٠٢١م
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٩٧-٢٧١٨

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

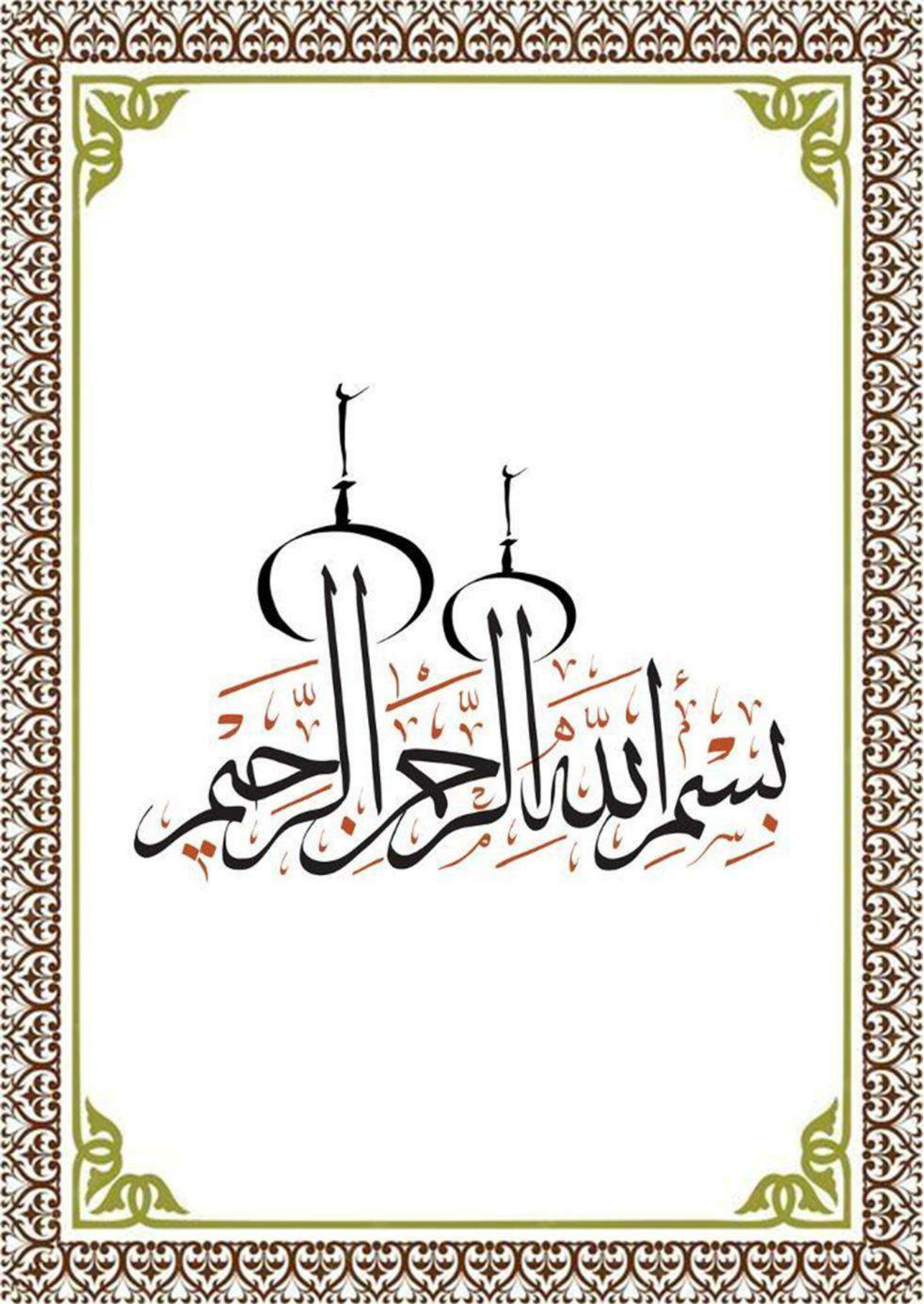
المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

موسوعة

خزائن العلوم الإسلامية
في ضوء القرآن والسنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

الجزء الخامس

ويشتمل على المباحث التالية:

٢٧ - خزائن القرآن الكريم

٢٨ - خزائن السنة النبوية

٢٩ - خزائن الأعمال الصالحة

٣٠ - خزائن الأحكام العامة

قال النبي ﷺ: "الذي يقرأ القرآن وهو
ماهرٌ به مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَّةِ، والذي
يَقْرُؤُهُ وهو يَشْتَدُّ عليه فله أَجْرَانِ"

متفق عليه

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٧- خزائن القرآن الكريم

القسم الأول :

ويشتمل على ما يلي :

- | | |
|--------------------|---------------------|
| ١- الخزانة الأولى | ٦- الخزانة السادسة |
| ٢- الخزانة الثانية | ٧- الخزانة السابعة |
| ٣- الخزانة الثالثة | ٨- الخزانة الثامنة |
| ٤- الخزانة الرابعة | ٩- الخزانة التاسعة |
| ٥- الخزانة الخامسة | ١٠- الخزانة العاشرة |

٢٧- خزائن القرآن الكريم

القسم الأول

١ - الخزانة الأولى

• حكمة إنزال القرآن الكريم :

أنزل الله القرآن الكريم لحكم عظيمة كثيرة ومن تلك الحكم :

أولاً : من حكم إنزال القرآن أن يتدبر الناس آياته ليفهموا ما فيها من أنواع الهدى ، وأن يتذكر به أولوا الألباب، كما قال سبحانه : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُكُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد: ١٩] .

ثانياً : الإنذار والتبشير كما قال سبحانه : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ [مريم: ٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ۝١ قِيمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ ﴾ [الكهف: ١-٤] .

ثالثاً : بيان النبي ﷺ لما فيه ليزول الخلاف ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] .
 وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤] .

رابعاً : تثبيت قلوب المؤمنين وهدايتهم وبشارتهم بكل خير، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨] .

خامساً : الحكم به بين الناس ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَقْتُنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩] .

سادساً : إخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما قال سبحانه : ﴿ الرَّءِ كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾
﴿المائدة: ١٥-١٦﴾ .

سابعًا : التذكرة لمن يخشى ، كما قال سبحانه : ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ ﴿طه: ١-٣﴾ .

ثامنًا : الذكرى وحصول التقوى ، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ ﴿طه: ١١٣﴾ .

والقرآن العظيم نور يهدي به الله من اتبع رضوانه ، يهدي الله به من اتبع
رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، كما قال سبحانه :
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ
مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ ﴿المائدة: ١٥-١٦﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾
﴿التغابن: ٨﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا
مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ ﴿النساء: ١٧٤﴾ .

والقرآن العظيم إنما يلاءم البصائر النيرة والأرواح الكريمة كنور الشمس
إنما ينتفع به أصحاب البصر والذي يذهب عنه للقرآن إلى ظلام الجهل
فهؤلاء الخفاش لا ينتفع بنور الشمس لأنه لا يلائمه إلا الظلام فيطير ويفرح
بالظلمات ونور الشمس يعميه .

وهكذا أصحاب الأرواح الخسيصة والقلوب البهيمية الخنزيرية هم خفافيش البصائر لا يلائمهم إلا الظلام والتن كما أن الجعل لا يلائمهم إلا التن وكما أن الخفاش لا يلائمه إلا الظلام : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور: ٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] .
عظمة القرآن :

الله عز وجل : هو العظيم ، وكتابه العظيم ورسوله كريم ، وثوابه عظيم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وقال سبحانه : عن القرآن : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

وقال سبحانه : عن ثوابه العظيم فإن الله عظيم وكتابه عظيم والعظيم لا يعطي إلا العظيم : ﴿ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

والقرآن الكريم كلام الله عز وجل منزل غير مخلوق وكلام الله صفة من صفاته ، وصفات الكامل كاملة ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] .

والاختلاف ثلاثة أنواع :

- ١- اختلاف تناقض .
- ٢- اختلاف تفاوت .
- ٣- اختلاف تلاوة .

فالأول : ممنوع لأنه من التناقض ولأن التناقض لا يوجد في أحكام الحكيم جل جلاله : ﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمْتُ أَيْنَهُ ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ﴿١﴾ . [هود:١] .

وقد وصف الله القرآن الكريم بصفات كثيرة ، وصف الله القرآن بالحكيم ؛ لأنه حاكم في الاعتقادات يميز حقها من باطلها ، وحاكم في الأفعال يميز صوابها من خطأها ، وحاكم في الأخلاق يميز حسنها من سيئها ، وحاكم في المعاملات يبين حلالها من حرامها ، وحاكم على أن محمداً صادق في دعوى النبوة : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ . [الزمر:٣٣] .

ومن أعظم ما بين الله في القرآن العظيم بيان أسماء الله وصفاته ، فقد بين الله في القرآن الكريم أسمائه الحسنی وصفاته العلی وأفعاله الجميلة والمثل الأعلى ، والله سبحانه له الأسماء الحسنی والصفات العلی والأفعال الحميدة والمثل الأعلى المنزه عن المثل وعن صفات النقص وعن صفات البشر : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى:١١] .

فهو الغني عن كل ما سواه وكل ما سواه محتاج إليه ولهذا استحق الحمد كله والتكبير كله : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيراً﴾ ﴿١١١﴾ [الإسراء: ١١١] .

لهذا كان الله عز وجل : هو العظيم المستحق لأعظم أنواع الحمد ، والحمد يجب أن يكون مقروناً بالإجلال والتكبير لعظيم نعمه وإحسانه ولجلاله وجماله .

• وتكبير الله أنواع :

الأول : تكبير الله في ذاته فهو الكبير وحده الغني عن كل ما سواه وحده : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢] .

الثاني : تكبير الله في صفاته ، وذلك من ثلاثة أوجه .

فجميع صفات الله صفات جلال وجمال وكمال ، فهو منزه عن صفات النقص وصفات الخلق ، وكما لا نهاية لذاته فكذلك لا نهاية لصفاته ، وكما ينزه العبد ربه في ذاته عن الحدوث والتغير والزوال فكذلك ينزه في صفاته ، فصفاته سبحانه ذاتية أزلية منزهة عن التغير والحدوث .

الثالث : تكبير الله في أفعاله ، فنحمد الله ونكبره على أنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يجري في ملكه إلا ما يشاء : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١] .

وقال سبحانه : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [البجائية: ٣٦-٣٧] .

الرابع : تكبير الله في أحكامه ، بأن يعتقد المسلم بأن الله وحده هو الملك الحق الذي له الملك والخلق والأمر وله الحكم كله يأمر بما يشاء وينهى عما يشاء : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ .
[الأنعام: ٥٧] .

وهو الملك الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء ويفعل ما يشاء : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ
مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ
تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦] .

الخامس: تكبير الله في أسمائه ، وهو ألا يذكر إلا بأسمائه الحسنی ولا
يوصف إلا بصفاته العلی، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ -
٢٤] .

السادس : إذا كبر العبد ربه وعظمه وقده ونزهه على معرفته وطاقته
اعترف أن عقله وعلمه لا يفی بمعرفة جلال الله وعظمته ، ولسانه لا يفی
بشكره وجوارحه لا تفی بحق عبادته فكبر الله على أن يكون تكبيره ، وافياً
بما يستحقه الرب من المجد والتعظيم والإجلال : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا
الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ
ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾ [الإسراء: ١١٠-١١١] .

٢ - الخزانة الثانية

• عظمة القرآن :

القرآن العظيم كله هدى وشفاء ورحمة للمؤمنين ، فهو شفاء من الأمراض الروحية من الكفر والشرك والبدع والتكذيب للكتب والأنبياء ، وشفاء من الأخلاق السيئة بالتحذير منها والترغيب في الأخلاق الحسنة : ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿٨٢﴾ . [الإسراء:٨٢] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾ . [النحل:٩٠] .

والقرآن شفاء من الأمراض البدنية لما فيه من بيان الحلال والطيبات وإباحة أكلها ، وما فيه من بيان الطيبات من الخبائث : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿١٧٢﴾ . [البقرة:١٧٢] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ . [الأعراف:٣٢] .

وقراءة القرآن على المرضى تدفع بإذن الله أمراض الأجسام ، لما في القرآن من البركة ، ولاشتماله على ذكر جلال الله وتعلق القلوب به وما فيه من تحقير الشياطين والسحرة : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٨﴾ . [آل عمران:١٣٨] .

والقرآن كذلك رحمة للمؤمنين لما فيه من بيان الحق من الباطل وكشف الشبهات والترغيب في الحق والعمل به والأخلاق الحسنة وغيرها ، مما يكون سبباً لوصول الإنسان إلى جوار رب العالمين : ﴿ إِنَّ الْتَّائِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥] .

وكما أن القرآن شفاءً ورحمة للمؤمنين ، فكذلك هو سبب للخسار والضلال في حق الظالمين ؛ لأن سماع القرآن يزيدهم طغياناً وكفراً وتكذيباً وحسدًا وعدواناً وهذه الأخلاق الذميمة تزيدهم إصراراً واستكباراً عن الحق وتدعوهم إلى الأعمال الباطلة ، والأعمال الباطلة تجرهم إلى الأعمال الفاسدة تفسد نفوسهم ويفسدون غيرهم فلا أشد من خسارتهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

والقرآن العظيم فيه تبيان كل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .
وقد تحدى الله الإنس والجن بهذا القرآن العظيم على درجات فتحداهم أن يأتوا بمثله ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] .

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور منه ، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ [هود: ١٣] .

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة ، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَتُوا بِسُوْرَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] .

ثم تحداهم أن يأتوا بحديث من مثله ، كما قال سبحانه : ﴿ فَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤] .

والقرآن العظيم كتاب الله ، وكتاب الله كتاب عظيم وكريم وحكيم ومجيد بالغ في الكمال والصحة والحسن والنفع ما لم يبلغه كتاب سواه : ﴿ قُلْ لَنْ يَجْتَمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

فالقرآن العظيم كتاب عظيم كامل في ذاته : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١] .

وهو كتاب كريم مكمل لغيره مقيم له لأن القيم هو القائم بمصالح غيره : ﴿ قِيمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ [الكهف: ٢-٣] .

والقرآن العظيم سبب لهداية الخلق وإكمال أحوالهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢] .

فهو الحق : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] .

يهداهم إلى الحق والأجر والثواب الحسن ، والقرآن العظيم مستقيم كله حق لا عوج فيه والعوج في المعاني كالعوج في الأشياء والله عز وجل : نفى العوج عن كتابه ، فقال سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١] .

وذلك من وجوه :

أحدها : نفي التناقض عن القرآن : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

الثاني : أن كل ما ذكر الله في القرآن من التوحيد والأحكام والأخبار والتكاليف فكله حق وصدق لا خلل فيه : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ [٤١] لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

الثالث : أنه يخرج الإنسان من معرفة الخلق إلى معرفة الخالق ومن معرفة الصور إلى معرفة المصور سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويخرج الإنسان من معرفة الدنيا إلى معرفة الآخرة ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب وهو أعظم سبب لهداية الخلق : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [١٦] [المائدة: ١٥-١٦].

• نعمة إنزال القرآن العظيم :

الله عز وجل : هو العظيم وكتابه عظيم ، وأعظم سور القرآن هي فاتحة الكتاب ، وأعظم آيات القرآن هي : آية الكرسي : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والله عز وجل أنزل الكتاب على الرسول ﷺ وتلك نعمة عليه ونعمة علينا ،
 أما كونه نعمة عليه ﷺ؛ فلأن الله عز وجل أطلع نبيه ﷺ بواسطة هذا الكتاب
 الكريم على أسرار علوم التوحيد والتنزيه وصفات الجلال والجمال
 والإكرام لله عز وجل وأحوال الملائكة والأنبياء والرسل .

وأحوال القضاء والقدر وأسرار تعلق أحوال العالم السفلي بالعالم العلوي،
 وتعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب،
 وذلك من أعظم النعم عليه ﷺ: ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
 وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ
 تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
 وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]
 أما كون هذا الكتاب نعمةً علينا ، فلأن القرآن العظيم مشتمل على أحسن
 الأحكام والأوامر والأخبار والوعد والوعيد والثواب والعقاب ، فلما كان
 كذلك وجب على كل واحد أن يتنفع به بمقدار طاقته ، ووجب على
 الرسول ﷺ وأمته أن يحمدوا الله على ما خصهم به من هذا الكتاب
 الكريم ، وقد علمهم الله ذلك بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ
 يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴾ [الكهف: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الرحمن: ٢] مَلِكِ
 يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ٢-٧]

وقال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ
ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ﴿١﴾ [الأنعام: ١].

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾
﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٠﴾
﴾ [الأنبياء: ١٠].

وقال الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾
﴾ [المائدة: ٣].

والقرآن الكريم كله عظيم في سورة وآياته وأخباره وأحكامه .

وقد أنزل الله في القرآن الكريم سورة العصر، وهي إحدى ثلاث سور قصيرة
في القرآن وهي الكوثر والنصر والعصر .

وسورة العصر سورة عظيمة شاملة لمعاني الكمال الإنساني العلمي
والعملي في النفس وفي الغير ومؤسسة للعلاقة مع الله بين الإنسان وأخيه ،
كما قال سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣].

ولم يذكر الله تعالى في هذه السورة سبب الخسارة ، وذكر سبب الربح لأن
طريق الربح واحد هو الإيمان بالله عز وجل .

لكن طرق الخسارة كثيرة متنوعة لا تنتهي، منها :

○ ترك الأوامر

○ وفعل النواهي .

وقد ذكر الله عز وجل في هذه السورة أنواع الكمال الإنساني العلمي والعملية ، الكمال اللازم والمتعدي .

فالكمال العلمي للإنسان، كما قال سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [العصر: ١-٣].

والكمال العلمي : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [العصر: ٣].

والكمال اللازم من الإنسان يتم بأمرين :

○ آمنوا .. وعملوا الصالحات .

فهذا جهد على النفس .

○ والكمال المتعدي ما يفيض من الإنسان إلى غيره

كما قال سبحانه : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ٣].

. وهذا جهد على الغير .

● والنجاة من الخسار لا تحصل إلا بهذه الأربعة :

○ الكمال العلمي .. والعملية

○ والكمال اللازم .. والمتعدي .

والتواصي بالحق والصبر يشمل التواصي بهما والتواصي بالتواصي بهما فيوصي بعضنا بعضاً فتقول أوصيك أن توصي الناس بالحق والصبر .

والله هو الحق وعبادته هي الحق وهذا مقصود الله من خلقه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ

الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

والصبر من الحق وهو رأس الفضائل فلا دين ولا دنيا إلا بالصبر والإيمان
نصفه صبر ونصفه شكر فالإيمان والعمل الصالح يحتاجوا إلى صبر
فالإنسان يستقيم لكن إذا لم يكن عنده صبر انقطع .

والتواصي بالحق يحتاج إلى صبر فمن لم يكن عنده صبر توقف ، والإنسان
قد يصبر سنة أو أكثر فإذا لم يكن عنده صبر على الصبر انقطع ، والصبر
يكون على فعل الطاعات والصبر عن المحرمات والصبر على الأقدار
والصبر على التواصي بالحق ، ولا يمكن أن توجد صحبة بين اثنين إلا بصبرٍ
وتسامح: ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾

[الروم: ٦٠]

وقال سبحانه: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي
ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾
﴿ [النحل: ١٢٧-١٢٨] .

٣- الخزانة الثالثة

• فضائل السور :

الله عز وجل : هو الحق وكتبه حق ورسله حق ووعدته حق ووعيدته حق ، والإيمان الحق هو الذي يزرع في قلب العبد هيبة الجبار جل جلاله لما يراه من كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وعظمة ملكه وسلطانه ، ويملاً قلب العبد بحب الرحمن الرحيم لما يراه من إنعامه وإحسانه إلى عباده .

ويتواطأ على ذلك القلب واللسان والجوارح ويظهر ذلك على اللسان قولاً وذكرًا وعلى الجوارح عملاً وأخلاقاً : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

فالله عظيم وكتابه عظيم وسور القرآن عظيمة وآيات القرآن عظيمة .

• وكلمات الله نوعان :

١- كلمات قدرية وهي :

الكلمات التي بها يخلق ويرزق ويرفع ويخسف ويعز ويذل ويحي ويميت : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨٢] .

٢- كلمات شرعية وهي :

ما أنزل الله على رسله من الكتب والأوامر والنواهي كما قال سبحانه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿١١٥﴾

[الأنعام: ١١٥] .

صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام والكلمات الشرعية كلها صدق في
 الأخبار وعدل في الأحكام ، فهي خير محض : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
 وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥] .

أما الكلمات القدرية فهي خير في ذاتها لأن الذي فعلها حكيم عليم خبير ،
 والشرع معها يتعلق بالمخلوقات لا بها ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
 الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ
 النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ [الفلق: ١-٥] .

فالشر ليس إلى الله عز وجل ففعله ذاته كله خير ورحمة وحكمة وإحسان لا
 شر فيه أبدًا، وإنما الشر في المخلوقات التي خلقها سبحانه في غاية الحكمة
 • وما خلق الله سبحانه قسمان :

١ - مخلوقات لا شر فيها كالملائكة والأنبياء والرسل والجنة .

٢ - ومخلوقات فيها شر وضرر كالهوام والسباع والجن والإنس والشياطين
 والنار والرياح وغيرها هذه المخلوقات التي فيها خير وشر نستعيد بالله من
 شرها .

• أما فقه سورة الإخلاص :

فقد خاطب الله نبيه ﷺ بلفظ قل ثلاثمائة وعشرين مرة في القرآن الكريم ،
 وفي هذا إشارة إلى أن العقيدة والأخبار والأحكام تتلقى من عند الله عز
 وجل . ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ
 وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ ۚ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾
 صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣] .

فالأنبياء والرسل وأتباعهم يعرفون الناس بربهم وشرعه بواسطة الوحي المنزل من ربهم: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] .

والإنسان بفطرته يحتاج إلى كل شيء يحتاج إلى الوالد وإلى الولد وإلى الشبيه وإلى الطعام وإلى الشراب وإلى الهواء: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] .

فالله هو الغني عن جميع الخلق كلهم وهو الواحد الأحد القادر على كل أحد الغني عن كل أحد السميع لكل أحد البصير بكل أحد العليم بكل أحد الذي يحتاج إليه كل أحد وهو الغني عن كل أحد: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤ ﴾ [الإخلاص: ١-٤] .

فقه المعوذتين :

في سورة الفلق استعاذةً بالرب من الشر الخارجي ، وهو أربعة أنواع من الشرور ، ولم يذكر الله من أسمائه إلا اسم الرب، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ٥ ﴾ [الفلق: ١-٥] .

وفي سورة الناس استعاذة بثلاث أسماء لله عز وجل هي:

(الرب - الملك - الإله) .

من شر واحد هو الشيطان الذي هو الشر الداخلي، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ ١ مَلِكِ النَّاسِ ۝ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ ٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ ٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝ ٦ ﴾ [الناس: ١-٦] .

﴿ [الناس: ١-٦] ﴾

وفي هذا بيان أن الشيطان أخطر عدو فمن آمن بالله فلا يخاف ما سواه : ﴿ ١٧٥ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فله رب بيده ملكوت كل شيء وله ملك يحميه من كل عدو وله إله يحبه ويسأله ما يريد وقد ذكر الله عز وجل في سورة الناس من أسمائه ثلاثة الرب والملك والإله وكرر سبحانه كلمة الناس ثلاث مرات احتفاءً بالناس بذكرهم في آخر سورة في المصحف ويكرر ذكرهم في نهاية كل آية من هذه السورة خمس مرات، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾ [الناس: ١-٦].

ويشرفهم بإعلامهم أنه ربهم وملكهم وإلههم فليعبدوه وحده لا شريك له وليفروا إليه : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (٥١) [الذاريات: ٥٠-٥١].

الله يشرف الناس بإعلامهم أنه ربهم وملكهم وإلههم ورب كل شيء وملك كل شيء وإله كل شيء فليطيعوه ويعبدوه ؛ لأنهم هم المتعبدون بالأمر والنهي والطاعة الاختيارية وكل ما سواهم من المخلوقات عدا الجن فإنها مسخرة بأمر ربها .

وكم أشاد الله عز وجل بالناس خلقاً وتكريماً، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠) [الإسراء: ٧٠].

ورفع شأنهم بأن خاطبهم ربهم خطاباً مباشراً في نص قرآني يتلى إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]

وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨].

وقال سبحانه: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِيشًا وَلِبَاسٍ أَلْتَقَوِيْ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦].
وغير ذلك من الآيات التي فيها تكريم وتشريف لهذا الإنسان .

• نزول القرآن :

القرآن نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١]. هذا النزول الأول .

أما النزول الثاني : فهو نزول القرآن مفزقاً في ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث ، من القرآن الذي نزل إلى السماء الدنيا : ﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦]

أما الكتب السابقة فنزلت جملة واحدة كالتوراة والإنجيل، كما نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وأول ما نزل من القرآن على رسولنا محمد ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان نزل به الروح الأمين جبريل ﷺ على محمد ﷺ وعمره أربعون سنة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١].

وقال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] .

والقرآن الكريم كلام الله تعالى الذي أنزله على خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ المبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس ، وعدد سور القرآن الكريم مائة وأربعة عشر سورة ، وقد تكفل الله عز وجل :

بحفظ القرآن الكريم فسلم من التغيير والتبديل ومن الزيادة والنقصان : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] .

وما حاول أحد قديماً وحديثاً الإساءة إلى القرآن إلا هتك الله تعالى ستره وفضح أمره تحقيقاً، لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الحجر: ٩] .

وأول ما نزل من القرآن الآيات الخمس الأول من سورة العلق، كما قال سبحانه : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١-٥] .

ثم فتر الوحي مدة ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر، كما قال سبحانه : ﴿ يَتَاءْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ [المدثر: ١-٥] .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَحْدُثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ " بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَيَّ كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِئْتُ مِنْهُ رُعبًا فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمُّونِي زَمُّونِي .

فَدَثَّرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّتُّرُ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْزِرُ ﴿٢﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ فَحَمِي الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ ، متفق عليه ^(١) .

والوحي : هو الإعلام بخفاء والوحي من الله يكون إلى الملائكة كما قال سبحانه : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [الأنفال: ١٢] .

ويكون الوحي للرسول ، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢] .

ويكون الوحي كذلك للناس ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا مِّنْ أَن أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧] .

ويكون الوحي للجماد ، كما قال سبحانه : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ [الزلزلة: ١-٥] .

فالموحي هو الله ، والموحي إليه هو خلقه ، وقد يكون الوحي من غير الله كما يوحي الشياطين إلى أوليائهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ وَاِنِ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣١] .

أحوال نزول القرآن :

وصف الله القرآن بالكريم في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٣٨) .

فهو كريم لحسنه وبهائه وجماله : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا﴾ [الزمر: ٢٣] .

ولأنه كريم في ثوابه فالحرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [١٦٠] ﴿[الأنعام: ١٦٠] .

وهو كريم في آثاره على القلوب وصلاحها ، فهو ملينٌ للقلوب وسبب للخشوع والطمأنينة : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [٢٨] ﴿[الرعد: ٢٨] .

وهو كريم في آثاره بدعوة الناس إلى شريعة الله التي يسعد بها الإنسان في الدنيا والآخرة : ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩] ﴿[الحديد: ٩] .

أما أحوال نزول القرآن فينقسم نزول القرآن إلى قسمين :

الأول : ابتدائي وهو ما لم يتقدم نزوله سبب يقتضيه ، وهو غالب آيات القرآن الكريم .

الثاني : سببي وهو ما تقدم نزوله سبب يقتضيه .

• وهو على النحو التالي :

أولاً : إما سؤال يجيب الله عنه، وقد سأل الصحابة في القرآن أربعة عشر سؤالاً .

منها قوله عز وجل : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلِّ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [٨٥] ﴿ [الإسراء: ٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ [١٠٥] ﴿ [طه: ١٠٥] .
وغير ذلك من الأسئلة الواردة في القرآن والتي أجاب الله عنها إجابةً شافية كافية .

ثانيًا : أو حادثة وقعت تحتاج إلى بيان وتحذير مثل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [٦٥] ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [٦٦] ﴿ [التوبة: ٦٥-٦٦] .

نزلت في رجل من المنافقين في غزوة تبوك .

ثالثًا : أو فعل واقع يحتاج إلى معرفة حكمه مثل : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [١] ﴿ [المجادلة: ١] .

• القرآن مكي ومدني :

فالقرآن المكي ما نزل على النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة والقرآن المدني ما نزل على النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة ، وقد نزل القرآن على النبي ﷺ مفرقًا في خلال ثلاث وعشرين سنة ، ثلاثة عشر سنة بمكة وعشر سنين بالمدينة : ﴿ وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ

نَزِيلًا ﴾ [١٠٦] ﴿ [الإسراء: ١٠٦] .

والفرق بين المكي والمدني :

أولاً : أن القرآن المكي يتميز عن المدني من حيث الأسلوب والموضوع ، فمن حيث الأسلوب الغالب في المكي : قوة الأسلوب وشدة الخطاب وقصر الآيات وقوة المحاجة ، لأن المخاطبين معارضون مستكبرون معاندون ، كما في سور المفصل كالطور والمدثر والقمر وغيرها من السور التي هي آخر القرآن .

ثانياً : الغالب في المدني لين الأسلوب وسهولة الخطاب وطول الآيات وذكر الأحكام مرسلة بدون محاجة ؛ لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون ، كما في المائدة وآية الدين في البقرة .

ثالثاً : من حيث الموضوع الغالب في القرآن المكي تقرير التوحيد والإيمان والأخلاق وأحوال اليوم الآخر لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك .

رابعاً : الغالب في المدني تفصيل العبادات والمعاملات والأحكام لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم الإيمان وهم بحاجة لتفصيل الأحكام ليعملون بها ، وفي القسم المدني أفاض القرآن في ذكر أحكام الجهاد وأحكام المنافقين لاقتضاء الحال ذلك بخلاف المكي حيث لم يشرع الجهاد ولم يظهر النفاق في مكة .

• أما ترتيب القرآن ، فترتيب القرآن ثلاثة أنواع :

الأول : ترتيب الكلمات بحيث تكون كل كلمة في موضعها في الآية ، وهذا ثابتٌ بالنص والإجماع .

الثاني : ترتيب الآيات بحيث تكون كل آية في موضعها من السورة ، وهو ثابت كذلك بالنص والإجماع .

الثالث : ترتيب السور بحيث تكون كل سورة في موضعها في المصحف ، وهذا ثابتٌ بالاجتهاد فلا يكون واجباً لكن الصحابة اتفقوا في زمن عثمان على ترتيب سور المصحف فيكون مما سنّه الخلفاء الراشدون الذين لهم سنةٌ يجب إتباعها كما قال الرسول ﷺ « فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ » (١).

• كتابة القرآن وجمعه :

لكتابة القرآن وجمعه ثلاث مراحل :

الأولى : في عهد النبي ﷺ وكان الاعتماد في هذه المرحلة على الحفظ أكثر من الكتابة لقوة الذاكرة وقلة الكتاب ، ولذلك لم يجمع في مصحف واحد بل من سمع آية حفظها أو كتبها في ما ييسر له من عسب النخل ورقاع الجلود ، وكان القراء عدداً كبيراً .

فعن أنس أن النبي ﷺ : « أَتَاهُ رِعْلٌ وَذَكَوَانٌ وَعُصَيَّةٌ وَبَنُو لِحْيَانَ ، فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا ، وَاسْتَمَدُّوهُ عَلَى قَوْمِهِمْ ، فَأَمَدَّهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَاءَ ، يَحْطُبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ ، فَاَنْطَلَقُوا بِهِمْ حَتَّى بَلَغُوا بَيْتْرَ مَعُونَةَ غَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُمْ ، فَقَنَّتْ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكَوَانَ وَبَنِي لِحْيَانَ » ، متفق عليه (٢).

المرحلة الثانية : في عهد أبي بكر الصديق ؓ في السنة الثانية عشر من الهجرة لما قتل في وقعة اليمامة عدد كبير من القراء ، فأمر أبو بكر ؓ بجمع القرآن لثلاثين يضيع بمشورة من عمر ؓ ، فقام بجمعه زيد بن ثابت من

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (٢٨٧١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٦٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٧٧).

العصب واللخاف وصدور الرجال ، وكانت الصحف عند أبي بكر رضي الله عنه حتى مات ثم عن عمر رضي الله عنه حتى توفاه الله عز وجل ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها .

الثالثة : في عهد عثمان رضي الله عنه في السنة الخامسة والعشرين ، وسببه اختلاف الناس في القراءة بحسب اختلاف الصحف التي مع الصحابة ، فخاف عثمان الفتنة فأمر أن تجمع الصحف في مصحف واحد لئلا يختلف الناس في كتاب الله عز وجل فأرسل عثمان رضي الله عنه إلى حفصة رضي الله عنها فأرسلت إليه الصحف فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في مصحف واحد وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوه وأمر بكل نسخة مما سواها أن تحرق وذلك بمشورة الصحابة .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان حدثه أنه « قَدِمَ عَلَيَّ عُثْمَانُ وَكَانَ يُغَارِزِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيَجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُدَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُدَيْفَةُ لِعُثْمَانَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكُ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَيَّ حَفْصَةَ أَنْ أُرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسُخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكَ فَأَرْسَلْتُ بِهَا حَفْصَةَ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْتَبِعُوا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَيَّ كُلَّ أُفُقٍ

بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ « . أخرجه البخاري (١) .

والفرق بين جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجمع عثمان رضي الله عنه أن الغرض من جمعه في عهد أبي بكر تقييد القرآن كله مجموعاً في مصحف واحد حتى لا يضيع منه شيء دون حمل الناس على مصحف واحد وأما في عهد عثمان رضي الله عنه فجمعه في مصحف واحد وحمل الناس عليه لظهور الأثر المخيف في اختلاف القراءات وهو الباقي بين أيدينا حتى الآن : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

والقرآن العظيم متعبد بتلاوته ومتعبد بفهمه وتدبره ومتعبد بجهدته والعمل به والتعبد لله بجهد الدعوة أعظم العبادات فالتعبد بتلاوة القرآن أجوره محدودة تنتهي بمجرد القراءة وقراءة الحرف من بعشر حسنات والحسنة بعشر أمثالها فالتعبد بتلاوته أجوره محدودة وأهم منها التعبد بفهمه وتدبره لأنه يزيد الإيمان والعمل لمن قرأه : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .

وأهم منه التعبد بجهدته والعمل به ، كما قال سبحانه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسُجِدُوا وَعَابَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] .

وقال عز وجل : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَغْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

(١) أخرجه البخاري رقم: (٤٩٨٧) .

وقال عز وجل : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥) .

وقال عز وجل : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ
فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ ﴾ (الحج: ٧٨) .

ومن رزقه الله هذه الجهود كلها فقد نال خيرا كثيرا وطابقت حياته حياة نبيه
ﷺ على قدر علمه وفقهه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ
يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١) .

٤ - الخزانة الرابعة

• تلاوة القرآن :

القرآن مكتوب في ثلاثة مواضع في اللوح المحفوظ ، وفي الصحف التي بأيدي الملائكة ، وفي المصاحف التي بأيدي الناس : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩] .

والقرآن الكريم مشتمل على ثلاثة أصول هي :

١- التوحيد .

٢- الإيمان .

٣- الأحكام والقصص .

• وقصص القرآن تتميز بأمور :

أولاً : تتميز قصص القرآن بأنها أحسن القصص ، كما قال سبحانه : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف:٣] .

ثانياً : أنها أصدق القصص ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء:٨٧] .

ثالثاً : أنها أنفع القصص؛ لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف:١١١] .

• وقصص القرآن ثلاثة أقسام :

الأول : قسم على الأنبياء والرسل ، وما جرى لهم مع المؤمنين بهم والكفار
الثاني : قسم عن أفراد وطوائف ، جرى لهم ما فيه عبرة ، كقصة مريم
ولقمان والذي مر على قرية خاوية على عروشها ، وذو القرنين وقارون
وأصحاب الكهف وأصحاب الفيل والأخدود وغيرهم .

الثالث : قسم عن حوادث وأقوام في عهد النبي ﷺ كقصة بدر وأحد
والأحزاب وقريظة والنضير وغيرها .

• وقد قسم الله عز وجل الناس في سورة البقرة إلى ثلاثة أقسام :

١- المؤمنون الخالص .

٢- ثم الكافرون الخالص .

٣- ثم المؤمنون بألسنتهم دون قلوبهم وهم المنافقون .

فبدأ سبحانه بذكر الطيب ثم الخبيث ثم الأخبث .

١- فالطيب هم المتقون المؤمنون ولهم ست صفات، كما قال سبحانه : ﴿
الْمَرْ ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥﴾ ﴿
[البقرة: ١-٥] .

٢- والخبيث هم الكفار ، كما قال سبحانه : ﴿
عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦﴾ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ٧﴾ وَعَلَىٰ
أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧﴾ ﴿ [البقرة: ٦-٧] .

٣- والأخبث هم المنافقون فقلوبهم مختومٌ عليها لا يصدر منها خير ولا يصل إليها خير ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨) يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ٨-١٠] .

إلى آخر الآيات .

والذين يتلون كتاب الله حق تلاوته هم الذين يؤمنون به وهو شامل لكل ما آتاهم الله الكتاب فيشمل القرآن والتوراة والإنجيل والزيور ، وغيرها من كتب الله .

• والتلاوة نوعان :

الأول : تلاوة حق وهي أن يكون الإنسان تالياً للفظه ، ومعناه عاملاً بأحكامه مصداقاً لأخباره .

الثانية : تلاوة ناقصة وضد ذلك ، فمن استكبر أو جحد فإنه لم يتله حق تلاوته ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ءَأُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ؕ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ؕ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٢١) ﴾ [البقرة: ١٢١] .

• والتلاوة تشمل ثلاثة أمور الأول :

الأولى : التلاوة اللفظية وهي قراءة الكتاب باللفظ الذي جاء به وتجويده .

الثانية : التلاوة المعنوية بأن يفسره على ما أراد الله عز وجل .

الثالثة : تلاوة حكمية وهي تصديق أخباره وامثال أوامره واجتناب نواهي :

﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ءَأُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ؕ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ؕ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٢١) ﴾ [البقرة: ١٢١] .

• عظمة القرآن :

القرآن العظيم شفاء من جميع الأمراض البدنية والروحية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

فهو شفاء من الأمراض الروحية ؛ لأن الأمراض الروحية نوعان :

١- الاعتقادات الباطلة .

٢- الأخلاق السيئة .

الاعتقادات الباطلة أشدها فسادًا الاعتقادات الفاسدة في الربوبية والألوهية والنبوة والمعاد والقضاء والقدر وغير ذلك مما لا يعلم إلا بالوحي ، والقرآن مشتمل على بيان المذهب الحق وإبطال ما سواه . ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] .

وأما الأخلاق السيئة من الظلم والكذب والفجور فالقرآن كشف ما فيها من المفاسد وأرشد إلى الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] .

فثبت بذلك أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحية ، وأما كون القرآن شفاءً من الأمراض البدنية فسماعه تدفع كثيرًا من الأمراض الجسمية بما فيه من ذكر جلال الرب وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين .

وأما كون القرآن رحمة للمؤمنين ، فالنفوس البشرية مريضة بسبب العقائد الباطلة والأخلاق الفاسدة ، والقرآن يخلصها من شبهات الضالين وشهوات

المبتلين وهذا هو الشفاء ويرغبها في اكتساب العلوم العالية والأخلاق
 الفاضلة التي يصل بها الإنسان إلى جوار رب العالمين والملائكة المقربين
 وهذا هو الرحمة: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
 ١٥٥ ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ
 لَغَافِلِينَ ١٥٦ ﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ
 بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا
 سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ١٥٧ ﴾ [الأنعام:

[١٥٥-١٥٧]

ولما كانت إزالة المرض مقدمة على السعي في موجبات الصحة بدأ في
 الآية بذكر الشفاء قبل الرحمة فقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
 لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ٨٢ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فالقرآن شفاءٌ ورحمة للمؤمنين وسبب للخسارة والضلال في حق الظالمين
 وهم المشركون لأن سماع القرآن يزيدهم غيظًا وغضبًا وحسدًا وذلك
 يدعوهم إلى الأعمال الباطلة والاستكثار منها والدعوة إليها .
 وبهذا يكون القرآن سببًا لتزايد هؤلاء المشركين في درجات الخزي
 والضلال وذلك لشدة تعلقهم بحب الدنيا وشهواتها ، كما قال سبحانه .

• فصاحة القرآن :

القرآن الكريم كتاب الدعوة وكتاب الهداية وكتاب الشريعة وكتاب الفضائل
 وكتاب التوحيد وكتاب الإيمان وكتاب العلم: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
 تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩ ﴾ [النحل: ٨٩].

وفي الترغيب يقول عز وجل : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] .

قال عز وجل : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١] .

وقال في الترهيب : ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [١٦] ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: ١٦-١٧] .

وقال عز وجل : ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ١٥] .

وقال في الزجر عن الكفر والمعاصي : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤] .

وقال في الوعظ فيما لا مزيد عليه : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

قال عز وجل : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٨] .

وقال في التوحيد : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١-٤] .

وقال في الأخلاق : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٣٦ ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٦] .

وقال عز وجل : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۝١١٩ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠] .

فالقرآن فيه تبيان كل شيء من أمور التوحيد والإيمان ، وأمور الدنيا والآخرة ، وسمي القرآن قرآنا لأنه يقرأ ليكون محفوظ في الصدور .

وسمي كتابا لأنه يكتب في الصدور والسطور .

وسمي فرقانا لأنه حكم يفرق بين الحق والباطل .

وسمي عزيزا لأنه أحسن الكلام فلا شيء مثله .

وسمي حكيما لأنه يحكم بالحق والعدل .

وسمي كريما لأنه كثير الخيرات والبركات .

وسمي حكما لأنه محكم الأخبار والأحكام .

وسمي عظيما لأنه أعظم الكتب السماوية وأفضلها وأحسنها

• وقد تحدى الله العرب بالقرآن من وجوه :

أحدها : كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ ﴿ ٤٩ ﴾ [القصص: ٤٩] . فلم يستطيعوا .

ثانياً : ثم تحدى الإنس والجن معاً أن يأتوا بمثله فقال سبحانه : ﴿ قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿ ٨٨ ﴾ [الإسراء: ٨٨] .

ثالثاً : ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴿ [هود: ١٣] . ولم يستطيعوا .

رابعاً : ثم تحداهم أن يأتون بسورة من مثله كما قال سبحانه : ﴿ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴿ [البقرة: ٢٣] . فلم يستطيعوا .

خامساً : عندما تحداهم أن يأتوا بحديث مثله ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ ٣٤ ﴾ [الطور: ٣٤] . فلم يستطيعوا .

فالله عز وجل هو الحق وكتابه هو الحق ودينه هو الحق .

• وقد بين الله في سورة الفاتحة الناس ثلاث طوائف :

الأولى : المؤمنون الخالص المنعم عليهم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لأجل العمل به وعملوا بموجب تلك المعرفة ، كما قال سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴿ [الفاتحة : ٢-٧] .

والثانية : الذين أدخلوا بالأعمال الصالحة وهم الفسقة الذين خرجوا من الأعمال الصالحة إلى الأعمال الفاسدة فغضب الله عليهم ، وفي مقدمتهم اليهود ومن سار على طريقهم ، فقال سبحانه : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاحة : ٧] .

الثالثة : الذين أدخلوا بالاعتقادات الصحيحة وهم أهل الكفر والبدع وفي مقدمتهم النصارى ومن تابعهم وإيهم إشارة بقوله سبحانه : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاحة : ٧] .

وأهم المهمات لكل عبد أن يستنير قلبه بمعرفة عزة الربوبية ، ثم بمعرفة واجب وذلة العبودية ؛ لأن الله خلق الخلق لعبادته ورعاية هذا العهد ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ ٥٧ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ٥٨ ﴿ [الذاريات: ٥٦-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٠٢ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ١٠٣ ﴿ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

٥ - الخزانة الخامسة

• القرآن محكم ومتشابه :

فالقرآن العظيم محكم ومتشابه فقد دل القرآن أنه كله محكم ودل على أنه كله متشابه ، ودل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه ، فالقرآن كله محكم الألفاظ والمعاني والفصاحة والأحكام والأخبار : ﴿الرَّكَنُ أَهْمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [يونس: ١] .

فالقرآن الكريم أفضل الكلام وأحسنه فلا يمكن لأحد الإتيان بمثله أو بسورة من مثله : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] .

ثانياً : والقرآن كله متشابه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والكمال والأحكام والأخبار يصدق بعضه بعضاً ويفسر بعضه بعضاً ، كما قال سبحانه : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣] .

وقال عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] .

ثالثاً : والقرآن بعضه محكم وبعضه متشابه ، فالحكيم هو الذي يمنع عما لا ينبغي ، والمتشابه أن يكون أحد الشئيين مشابهاً للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ، فكل ما يهتدي الإنسان إلى معرفته فهو محكم وكل ما لا يهتدي إليه الإنسان فهو مشكل ومتشابه .

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧] .

وكل ما أمكن تحصيل العلم به كالتوحيد والإيمان وطاعة الله ورسوله ونحو ذلك فهو من المحكم ، وكل ما لا سبيل إلى معرفته فهو من المتشابه كأعداد الصلوات ومعرفة الروح والعلم بوقت قيام الساعة والألفاظ المحتملة لأكثر من وجه كلفظ القرء والعلم بمقادير الثواب والعقاب ، ونحو ذلك فأهل الزيغ يتمسكون بالمتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ويحتجون لباطلهم بهذا المتشابه وكل ما فيه لبس واشتباه ، وذلك لما في قلوبهم من الزيغ عن الحق وطلب تقرير الباطل وأما أهل الحق فهم الراسخون في العلم الذين يعملون بمحكم القرآن ويؤمنون بمتشابهة ويردون المتشابه إلى المحكم والكل من عند الله .

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧] .

وتفسير القرآن على أربعة أوجه :

- تفسير لا يعلمه إلا الله
- وتفسير لا يسع أحدًا جهله
- وتفسير تعرفه العرب بألسنتها
- وتفسير يعلمه العلماء

وأهل الزيغ هم الذين يتبعون متشابه القرآن لتقرير مذهبهم الباطل وصرف الناس عن الحق بنقضه وتشكيك الناس به وقصدهم من ذلك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل القرآن فالفتنة أنهم يثيرون المتشابهات في الدين ليسيروا الناس بعضهم مخالف لبعض وذلك يفضي إلى الهرج والمرج والقتل والتناحر وذلك أعظم فتنة .

والتمسك بالمتشابه والإعراض عن المحكم يزرع الباطل مكان الحق والبدعة مكان السنة فيصير الإنسان مفتونًا بذلك الباطل والفتنة في الدين هي الضلال عن الهدى ولا فتنة أعظم من الفتنة في الدين : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: ٦٣] .

وأما غرضهم الثاني : فهو تأويل القرآن حسب هوائهم مما ليس في القرآن والسنة دليل عليه : ﴿ فآما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشبه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ [آل عمران: ٧] .

أما الراسخون في العلم فهم الذين يعملون بمحكم القرآن ويؤمنون بمتشابهة ويردون المتشابه إلى المحكم ويقولون : ﴿ والراسخون في العلم يقولون أمتنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [آل عمران: ٧-٨] وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴿ [آل عمران: ٧-٨] .

• السبع المثاني :

القرآن العظيم نور أضاء الله به كل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥]

وقال الله تعالى : ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: ٨].

وقال الله تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وكل من لا يعلم أن القرآن نور وأنه حق فإن ذلك إنما جاءه من قبل عماه لأن لأنه خفاش أعمى والأعمى لا يرى الشمس لعماه، كما قال سبحانه : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذِرُكُمُ أُولَآءِ الْآلِبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].

والكفار جاهدون لإطفاء هذا النور العظيم بأفواههم بتكذيبهم وقولهم إنه شعر أو سحر أو كهانة أو أساطير الأولين : ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتَمَّ نُورُهُ. وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

لأنه نور عظيم لا يطفئه نفخ مخلوق ضعيف، كما قال سبحانه : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتَمَّ نُورُهُ. وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ
الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

فهم جاهدون لإطفاء نور القرآن والله متم نوره : ﴿ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ
أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٥].

ولا يعرض عن النور إلى الظلام وعن الحق إلى الباطل إلا من أعمى الله
بصره وبصيرته ومن أعمى الله بصيرته فلا حيلة له : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا
لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور: ٤٠].

والسبع المثاني والقرآن العظيم هي فاتحة الكتاب ، كما قال سبحانه : ﴿
وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧].

وليس المقصود بها السبع الطوال لأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة
وآية الحجر التي نصت عليها مكية وهو قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ
الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧].

والنبي ﷺ نص على ذلك عن أبي سعيد رافع بن المعلی ؓ قال : « قُلْتُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ قُلْتَ : أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ » . أخرجه
البخاري (١)

والقرآن العظيم أعظم النبا فالنبا هو الخبر الذي له خطب وشأن فالنبا أخص
من مطلق الخبر فكل نبا خبر وليس كل خبر نبا وأعظم النبا هو القرآن
العظيم الذي نبا به محمد صلى الله عليه وسلم هذه الأمة بما أنزل عليه من
ربه عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [ص: ٦٧-٦٨].

(١) أخرجه البخاري رقم: (٤٤٧٤).

والقرآن العظيم بين الله فيه أخبار الأمم الماضية والأخبار الحاضرة والأخبار المستقبلية: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

والله عز وجل عالم الغيب والشهادة: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢].

وعلم الغيب مختص بالله وحده، يطلع من شاء من خلقه على ما شاء من وحيه: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

• أنواع الوحي وحي الله إلى خلقه أنواع:

الأول: وحي الرسالة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [النساء: ١٦٣].

الثاني: وحي إلهام بأن يلقي الله الأمر في روع الإنسان، كما قال سبحانه عن أم موسى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي

أَيِّمٌ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

[القصص: ٧].

الثالث : وحي الغريزة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ [النحل: ٦٨].

الرابع : وحي أمر كما قال سبحانه : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ [الزلزلة: ١-٥].

وقد امتن الله عز وجل على هذه الأمة بأن أرسل إليها أفضل رسول وأنزل عليها أحسن كتاب : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

والقرآن العظيم كله محكمٌ في غاية الإحكام والإتقان في ألفاظه ومعانيه أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل، كما قال سبحانه : ﴿ الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ﴿١﴾ [هود: ١].

والقرآن كله متشابه يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق والإعجاز ، كما قال سبحانه : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّتَانِي نَقَّشَ عُرْمَانَهُ جَلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ لِقَوْمٍ يُهْتَدَىٰ بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ ﴿٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

ومعنى كونه بعضه محكمًا وبعضه متشابهًا ، أن المحكم منه ما هو واضح
 المعنى لكل الناس، كقوله سبحانه : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
 وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء: ٣٦] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] .

والمتشابه ما خفي ددعلمه على غير الراسخين في العلم أو هو ما استأثر الله
 بعلمه كالحروف المقطعة في أوائل السور (الم - الر - الم ص - كهيعص)
 ونحوها .

فمحكم القرآن هو النص الواضح الصريح الذي لا تختلف فيه الأفهام
 والمتشابه هو النص المحتمل الذي تختلف فيه الأفهام ، فالمتشابه يرد إلى
 المحكم والمحكم يرد في الأوامر التكليفية كقطع يد السارق ووجوب
 الصلاة والزكاة وتحريم الربا والزنا ، ونحو ذلك مما هو مطلوب من الخلق
 الفعل والترك الذي يترتب عليه الثواب أو العقاب .

والمتشابه ما اشتبه على الإنسان فلم يعرفه والعقل كالبصر يرى أشياء ولا
 يرى أشياء ، وكالسمع يسمع أشياء ولا يسمع أشياء ، وكذلك العقل يدرك
 أشياء وهي المحكم ولا يدرك أشياء وهي المتشابه ؛ ليعلم عجزه وضعفه
 عن إدراك كل شيء وليلزم الإنسان الأدب مع ربه ويحرك عقله فيما يفهم
 ويرد كل متشابه إلى المحكم مثل الحروف المقطعة في أوائل السور ، ومثل
 استواء الله على العرش ونزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا ، فالمحكم نعمل به
 والمتشابه نؤمن به ونرده إلى المحكم : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ
 مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ

أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧] .

والقرآن العظيم يضل الله به كثيراً ويهدي به كثيراً : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧] .

فالقرآن العظيم سمعه أبو بكر الصديق فصار صديق هذه الأمة، وسمعه عمر بن الخطاب فصار فاروق هذه الأمة، وسمعه أبو عبيدة بن الجراح فصار أمين هذه الأمة، وسمعه أبو جهل المخزومي فصار فرعون هذه الأمة، وسمعه أبو لهب الهاشمي فصار ضد هذه الأمة وعدو هذه الأمة، وسمعه مسيلمة فصار كذاب هذه الأمة وسمعه بن أبي فصار سيد منافقي هذه الأمة ، والمعول عل أطعنا لا على سمعنا ، فالكفار قالوا سمعنا وعصينا والمؤمنون قالوا سمعنا وأطعنا: ﴿ ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ۗ وَكُتُبِهِ ۗ وَرُسُلِهِ ۗ لَا تَفِرُّ بَيْنَ أَيْدِي مَنْ رُسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ [النور: ٤٦] .

فهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ [البقرة: ٢٦] .

٦ - الخزانة السادسة

• معجزات القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو المعجزة العظمى الباقية على مر الدهور إلى قيام الساعة .
عن أبي هريرة رضي الله عنها ن رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَمَّنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْ حَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . متفق عليه (١) .

والقرآن العظيم كتاب عظيم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

والقرآن العظيم معجز من وجوه :

الأول : الإعجاز البياني والبلاغي .

فقد تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو عشر سور مثله أو سورة من مثله أو حديث من مثله ، فلم يستطيعوا في الماضي ولن يستطيعوا في المستقبل ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٢٣] فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤] .

(١) أخرجه البخاري رقم: (٤٩٨١) .

الثاني : الإخبار بالغيوب .

فقد أخبر الله في القرآن الكريم عن غيوب كثيرة في الماضي والحاضر والمستقبل وكلها وقعت وستقع ولا يعلم ذلك إلا علام الغيوب وحده لا شريك له : ﴿ ذَلِكْ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ٦ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة: ٦-٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ٥٩ [الأنعام: ٥٩] .

الثالث : الإعجاز التشريعي .

فقد جاء القرآن العظيم بأعظم الأحكام التي يسعد بها الناس في الدنيا والآخرة مما يجلب المصالح ويدرأ المفسد والترغيب في مكارم الأخلاق ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ ٩ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ [الإسراء: ٩-١٠] .

الرابع : الإعجاز العلمي .

فقد اكتشف العلم الحديث كثيرًا من الآيات في الأنفس والأفاق مما يدل على أن القرآن كلام الله حقًا ، كما قال سبحانه : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ٥٣ [فصلت: ٥٣] .

والقرآن العظيم كتاب التوحيد والإيمان وكتاب الدعوة إلى الله وكتاب الهداية إلى الحق وكتاب العلم والأحكام وكتاب الأجر والثواب ، وأكثر الخلق يقرؤونه لتحصيل الأجر ويغفلون عن أعظم مقاصده .

والقرآن الكريم متعبد بتلاوته ومتعبد بتدبره ومتعبد بالعمل به ، فيجب على كل مسلم الإيمان به والعمل بأحكامه والتأدب بآدابه ولا يقبل الله العمل بغيره بعد نزوله تكفل الله بحفظه فسلم من التحريف والتبديل ومن الزيادة والنقصان : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] . ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الأنعام: ١١٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿ ١٩٤ ﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿ ١٩٥ ﴾ .

• ودلالة آيات القرآن الكريم آيات القرآن فيها تبيان لكل شيء وهي :

إما خبر .. أو طلب .

• والخبر قسمان :

١- إما خبر عن الخالق سبحانه : وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله وهو الله عز وجل .

٢- وإما خبر عن المخلوق السماوات والأرض والعرش والكرسي والإنسان والحيوان والجماد والنبات والجنة والنار وأخبار الأنبياء والرسل وأتباعهم وأعدائهم وجزاء كل فريق ونحو ذلك من أخبار القرآن . وهذه الأخبار تزيد الإيمان في القلب وتدفع المسلم لحب الله عز وجل وتعظيمه والعمل بشرعه .

• والطلب قسمان :

١- إما أمر بعبادة الله وحده وطاعة الله ورسوله وفعل ما أمر الله به كالصلاة والصيام ونحوهما .

٢- وإما نهى عن الشرك بالله وتحرير مما حرم الله، كالربا والزنا والفواحش وغير ذلك مما نهى الله عنه فأعظم الأخبار معرفة الله عز وجل وأعظم الأوامر العلم بلا إله إلا الله وأعظم المناهي النهي عن الكفر والشرك وأعظم الأدعية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

فله الحمد والشكر وله المنة والفضل حيث أرسل إلينا أفضل رسله وأنزل علينا أحسن كتبه وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَّشَهُ مِنْهُ جُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

فضائل القرآن الكريم :

فضل القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٩-١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣] .

فضل تعلم القرآن وتعليمه

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وعن عثمان رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري ^(١) .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧) .

فضل قارئ القرآن العامل به :

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠] .

وقال عز وجل : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنْتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَةِ ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » . متفق عليه (١) .

• فضل الماهر بالقرآن :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَعَّ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » . متفق عليه (٢) .

• وجوب تعاهد القرآن :

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا » . متفق عليه (٣) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٧)، ومسلم برقم: (٧٩٨)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٣٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩١).

• فضل الاستماع على تلاوة القرآن :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَخَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » . أخرجه مسلم (١) .

• فضل سماع القرآن :

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٧- ١٨] .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود قَالَ : قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : « اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتَ اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ قَالَ فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي . فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا قَالَ : أَمْسِكْ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرَفَانِ » . متفق عليه (٢) .

• فضل من يقوم بالقرآن :

عَنْ ابْنِ عمر رضي الله عنه ما النبي ﷺ : « قَالَ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » . متفق عليه (٣) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٩٩) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٨٣) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٠٠) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٢٨) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨١٥) .

• فضل تحسين الصوت بالقرآن :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « سَمِعْتُهُ ، يَقُولُ : مَا أَدِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَدِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ » . متفق عليه ^(١) .

• فضل سورة الفاتحة :

عن أبي سعيد بن المعلی رضي الله عنه قال قلت : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ قُلْتَ : لِأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ » . أخرجه البخاري ^(٢) .

• فضل سورة الإخلاص :

عن أبي سعيد رضي الله عنه « أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » . أخرجه البخاري ^(٣) .

• فضل المعوذات :

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » . أخرجه مسلم ^(٤) .

• فضل سورة البقرة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » . أخرجه مسلم ^(٥) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٨٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٤٧٠٣).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٥٠١٣).

(٤) أخرجه مسلم رقم: (٨١٤).

(٥) أخرجه مسلم رقم: (٧٨٠).

• فضل الوصية بالقرآن :

« حَدَّثَنَا طَلْحَةُ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى : أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَقُلْتُ : كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةُ أَمْرُوا بِهَا وَلَمْ يُوصِ ؟ قَالَ : « أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ » . متفق عليه (١) .

• فضل قراءة القرآن :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ۚ ﴿٣٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۚ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ۚ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۗ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۖ يُؤْتِنُ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۗ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٢] .

عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة ، كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيابتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة » . أخرجه مسلم (٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٤٠)، ومسلم برقم: (٥٠٢٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٠٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ ؟ ! قُلْنَا : نَعَمْ ! قَالَ : فَثَلَاثُ آيَاتٍ ، يَقْرَأُوهُنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ » أخرجه أحمد (١)

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ ، كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنَزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح (٢)

• فضل من تعلم القرآن وعلمه :

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩) [آل عمران: ٧٩] .

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَانْتَبَتِ الْكَلَاءُ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَفَعَّعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تَمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَهُ وَعَلَّمَهُ ، وَ مَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » . متفق عليه (٣)

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم: (٩١٥٢).

(٢) صحيح / أخرجه أبي داود برقم: (١٤٦٤)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٩٤١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٨٢).

هـ ع: معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . متفق عليه (١)

هـ ع: عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري (٢)

• عقوبة من كتم العلم :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَأَلَ عَنِّي فَعَلِمَهُ الْجَنَّةُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح (٣)

• عقوبة من طلب العلم لغير الله :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٢١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

(٣) صحيح / أخرجه أبي داود برقم: (٣٦٥٨)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٦٤٩).

قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ » . أخرجه مسلم (١) .

• أما وقت قراءة القرآن :

فقراءة القرآن الكريم مستحبة في كل وقت ، وهي عبادة من العبادات ، وعلى كل حال فهي مستحبة في كل وقت وعلى كل حال إلا إذا كان الإنسان على حاجة من بول أو غاية أو جماع فلا يقرأ القرآن لأن القرآن كما قال النبي ﷺ : « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » أخرجه مسلم (٢) .

والقرآن الكريم تعبدنا الله بتلاوته وبتدبره وبالعمل به : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] .
والمقصود من قراءة القرآن العمل به : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .
وقراءة القرآن سبب عظيم لحصول الأجر العظيم من الله .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٩٠٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٠٤) .

عن بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » . أخرجه الترمذي بسند صحيح ^(١) .

• وتنقسم سور القرآن إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : السبع الطوال : وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعم والأعراف ويونس .

القسم الثاني : المين : وهي السور التي عدد آياتها مائة آية أو أزيد أو أنقص .

القسم الثالث : المفصل : وأوله الحجرات سمي بذلك لكثرة الفصل بين آياته .

القسم الرابع : المثاني : وهو ما عدا ذلك .

• أما عن شرف حامل القرآن فقارئ القرآن على قسمين :

١- إما أن يكون ماهرًا به فهذا مع السفارة الكرام البررة

٢- وإما أن يتعتع به وهو عليه شاق فهو ممن يكتب له أجران أجر على قراءته وأجر على مشقته الماهر بالقرآن أفضل لجودة حفظه وإتقانه .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » . متفق عليه ^(٢) .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي رقم: (٢٩١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٧)، ومسلم برقم: (٧٩٨)، واللفظ له.

٧- الخزانة السابعة

• افتتاح سور القرآن الكريم :

افتتح الله بعض سور القرآن الكريم بحروف معجم، وهي أربعة عشر حرفاً نصف حروف المعجم الثمانية والعشرين، وجاءت هذه الفواتح مختلفة الأعداد .

فوردت بعض السور على حرف مثل سورة ﴿صَّ﴾ ﴿قَ﴾ ﴿تَ﴾ .

ووردت على حرفين مثل سور ﴿طه﴾ ﴿طسَّ﴾ ﴿يسَّ﴾ ﴿حمَّ﴾ ﴿١﴾ .

ووردت على ثلاثة أحرف مثل سور ﴿آل﴾ ﴿الرَّ﴾ ﴿طسَمَ﴾ ﴿١﴾ .

ووردت على أربعة أحرف مثل سور ﴿المصَّ﴾ ﴿المَرَّ﴾ .

والحروف المقطعة في أوائل السور المراد بها إظهار إعجاز القرآن وأنه مركب من تلك الحروف وهو يقول للعرب أنتم تعرفون هذه الحروف ولا تقدرون على تأليف كلام منها مثل القرآن .

وجميع سور القرآن المبدوءة بالحروف المقطعة يكون بعد تلك الحروف مباشرة التنويه بشأن القرآن .

ففي البقرة : ﴿آل﴾ ﴿١﴾ [البقرة: ١] .

ثم قال : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢﴾ [البقرة: ٢] .

في آل عمران : ﴿آل﴾ ﴿١﴾ [آل عمران: ١] .

ثم قال : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ﴿٢﴾ [آل عمران: ٢] .

وفي الأعراف : ﴿المصَّ﴾ ﴿١﴾ [الأعراف: ١] .

ثم قال بعدها : ﴿كِنْتَبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى

لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾ [الأعراف: ٢] .

وفي يونس : ﴿الرَّ﴾ [يونس: ١] .

ثم قال : ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] .

وفي سورة يوسف : ﴿الرَّ﴾ [يوسف: ١] .

ثم قال : ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١] .

وفي سورة ص قال : ﴿ص﴾ [ص: ١] .

ثم قال : ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١] .

وفي سورة ق قال : ﴿قَّ﴾ [ق: ١] .

ثم قال : ﴿قَّ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] .

وفي سورة طه قال : ﴿طه﴾ [طه: ١] .

ثم قال : ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشَفَى﴾ [طه: ٢] .

وفي سورة يس قال : ﴿يس﴾ [يس: ١] .

ثم قال : ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ٢] .

وغير ذلك مما ورد في القرآن ، ولم يخلوا من هذا النسق إلا سورتان هم

سورة مريم والقلم ففي مريم قال عز وجل : ﴿كَهَيْعَصَ﴾ [مريم: ١] .

ثم قال : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢] .

وقال في سورة القلم : ﴿تَّ﴾ [القلم: ١] .

ثم قال : ﴿تَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] .

وقد وصف الله عز وجل القرآن الكريم بعدة صفات :

الأولى : كونه قرآناً يتلى في المحاريب والمجالس والمدارس إلى يوم

القيامة فهو محفوظٌ يتلى في كل مكان وفي كل زمان : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] .

وسمي القرآن قرآناً لأنه يجمع السور ويضمها ويجمع الأخبار والأحكام ،
ولأن آياته تصدق بعضها بعضاً ، ولأن سوره وآياته يقترن بعضها ببعض ،
ولأن القارئ يقرئه وقتاً بعد وقت : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ
اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

الثانية : كون القرآن عربياً عجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته : ﴿ قُلْ لَئِنْ
اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].
الثالثة : كونه قيماً غير ذي عوج فلا اختلاف فيه ولا تناقض : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ ﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِ ۗ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨].

فمن تذكر وتدبر القرآن فهم معانيه ثم أناب إلى ربه واتقاه .

الرابعة : كونه عظيماً بين الله فيه الأخبار العظيمة والأحكام العظيمة والحياة
العظيمة والثواب العظيم والعذاب العظيم : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ
وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].

الخامسة : كون القرآن تبياناً لكل شيء من الأخبار والأحكام والأخلاق والآداب والحق والباطل والفضائل والردائل والوعد والوعيد والثواب والعقاب ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

السادسة : كونه كريماً فالقرآن كريم بحسنه وبهائه كريم في ثوابه فالحرف منه بحسنة والحسنة بعشر أمثالها ، وهو كريم في آثاره على القلوب والجوارح يلين القلوب ويسبب الخشوع والطمأنينة حب الله وحسن عبادته وهو كريم في آثاره بدعوة الناس إلى أحسن شريعة .

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأَمْطَهُرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩] .

• الأسئلة في القرآن :

أنزل الله عز وجل القرآن الكريم تبياناً لكل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

بين الله في القرآن أحكام التوحيد والإيمان وأحكام العبادات والمعاملات وأحكام الحلال والحرام وفصل فيه الوعد والوعيد والثواب والعقاب .
وأصحاب النبي ﷺ كانوا أعقل الناس فما كان قومٌ أقل سؤلاً من أصحاب محمد ﷺ

ففي القرآن أنهم سألوا النبي ﷺ أربعة عشر سؤالاً فقط منها ثمانية في سورة البقرة وهي :

الأول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

الثاني: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾
[البقرة: ١٨٩].

الثالث: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾
[البقرة: ٢١٥].

الرابع: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَكُفْرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

الخامس: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ
لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

السادس: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ
لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَنْفَكُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

السابع: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

الثامن: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْرَضُوا النِّسَاءَ فِي
الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فهذه الأسئلة الثمانية جاءت في سورة البقرة .

التاسع: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤].

العاشر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾
[الأعراف: ١٨٧].

الحادي عشر : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنفال: ١] .

الثاني عشر : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

الثالث عشر : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلِ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [الكهف: ٨٣] .

الرابع عشر : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [طه: ١٠٥] .

ولهذه الأسئلة ترتيبٌ عجيبٌ في شرح المبدأ والمعاد وغير ذلك مما بينه الله عز وجل للناس ، وكذا ورد في القرآن الكريم افتتاح سورتين من سور القرآن بجملة يا أيها الناس ، في النصف الأول من القرآن في السورة الرابعة وهي سورة النساء ، كما قال الله سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]

والثانية في النصف الثاني في السورة الرابعة منه وهي سورة الحج ، كما قال سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحج: ١] .

فسبحان العظيم الذي له في كتابه العظيم أسرار خفية وحكم مطوية لا يعرفها أكثر الخلق ولا يعرفها إلا الخواص من عبيده : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣] .

وأحوال المسلمين مع كتاب ربهم

إن المسلمين مع كتاب الله ﷻ: ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الذي أعرض عن كتاب الله لا يقرؤه ولا يتدبره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ ﴿٣٠﴾ . [الفرقان: ٣٠] .

الثاني : قسم يقرأ كتاب الله للتلاوة فقط بلا تدبر وفهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ البقرة: [البقرة: ٧٨] .

الثالث : قسم يقرأ القرآن يحسن تلاوته ويتدبر معانيه ويصدق أحكامه ويصدق أخباره ويطبق أحكامه : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر: ١٧- ١٨] .

فهؤلاء هم ورثة الرسل وخيار هذه الأمة وسادة الناس في الدنيا والآخرة : ﴿ وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ بِالْكَتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ ﴿١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠] .

فهؤلاء هم أولوا الأبصار والبصائر والألباب : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذِرُكَ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١٩﴾ [الرعد: ١٩] .

وهؤلاء خير الأقسام الذين يتلون كتاب ربهم ويصدقون أخباره ويطبقون أحكامه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقد دعا الله القسم الأول والثاني للقراءة والتدبر لكتاب الله ، فقال : ﴿ أَفَلَا
يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٨٢﴾
[النساء: ٨٢].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ﴿٢٤﴾
[محمد: ٢٤].

وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا
بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ
وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

٨- الخزانة الثامنة

• أنواع قراءة القرآن :

الله عز وجل امتن على آدم بنعم كثيرة ، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] .

فالله عز وجل خلق الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم فطرة وامتن على الرسول ﷺ بقوله : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] .

فالله خلق الإنسان وأمره أن يتعلم عن طريق القراءة ، فقال سبحانه في أول آيات نزلت على نبينا محمد ﷺ : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١-٥] .
وقراءة الإنسان أربعة أنواع :

القراءة الأولى : قراءة البحث والإيمان

اقرأ أيها الإنسان الآيات القرآنية والآيات الكونية من أجل أن تؤمن بالله وتعلم ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال الحميدة والمثل الأعلى ، وأول ما تبدأ به نفسك منذ كنت علقة إلى أن أصبحت إنساناً كاملاً سويًا : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾ [العلق: ١-٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١] .
وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٦- ٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢]

فهذه القراءة تملأ القلب بالإيمان وتحرك اللسان بالتعظيم والتكبير لله والحمد والشكر له وحسن التعبد بالجوارح : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

فهذه القراءة الأولى .

الثانية : قراءة الشكر والعرفان

اقرأ أيها الإنسان لتعرف ربك الكريم ، الرزاق المنعم بكل نعمة لتعرف نعمه الكبرى عليك وعلى غيرك ، وهي نعمة الخلق والإيجاد ونعمة القوت والإمداد ونعمة الهداية والرشاد ، وإذا عرفت الكريم الرحمن الرحيم الرزاق وجب عليك أن تحبه وأن تشكره : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق: ٣- ٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤]

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَا يَكُفُّكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

فهذه القراءة الثانية تعرفك بربك الكريم الغني الذي كل نعمة منه في الدنيا والآخرة والذي شملت وعمت نعمه ورحمته كل مخلوق: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر: ٧].

فمن قرأ هذه القراءة عرف ربه الكريم وعرف عظيم نعمه وإحسانه إليه ، في خلقه وفي تدبيره وفي نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [٤] ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ [التين: ٤-٦].

القراءة الثالثة : قراءة الوحي والإذعان

فكل شيء عجز العقل عن إدراكه من أمور الغيب علمنا الله به فعلمنا عن ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وكما قدرته وعظمة ملكه وسلطانه وأخبرنا عن الجنة وما فيها من النعيم وعن النار وما فيها من العذاب: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال الله عز وجل: ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [٦] الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة: ٦-٧].

فعلى الإنسان أن يذعن للوحي ويسلم لما جاء فيه ويصدق به ، فعلم الإنسان محدود موهوب ، وعلم الله ذاتي مطلق فهو سبحانه العليم الذي علم الإنسان ما لم يعلم ﴿الرَّحْمَنُ ۝١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ [الرحمن: ١-٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ [طه: ١١٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا فَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥] .

فهذه القراءة تزيد الإنسان علماً لأنه يضيف إلى عالم الشهادة من عالم الغيب ما أعلمه الله به في كتابه وسنة رسوله ﷺ من أمور الغيب التي لا يعلمها ، فهذه القراءات الثلاث قراءة البحث والإيمان وقراءة الشكر والعرفان وقراءة الوحي والإذعان ، كلها محمودة وكلها مأمور بها وكلها تزيد الإيمان وكلها تحرك اللسان بالذكر والدعاء والحمد والشكر وتحرك الجوارح بأنواع العبادة والطاعة : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

القراءة الرابعة : قراءة العدوان والطغيان

وهي كل قراءة تسبب الفساد والخسران ، كما قال سبحانه : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿٦﴾ أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦-٧] .

وهذه قراءة مذمومة منهي عنها فكل قراءة فيما يفسد البشرية ويدمر الحياة والأحياء ويشيع الفساد والعري ويبيح أكل أموال الناس بالباطل كل ذلك من العدوان والطغيان بالعلم الذي يهلك الحرث والنسل وهذه طريقة الكفار الذين ينشرون محاسن الدنيا وشهواتها ويحاربون الحق ويأكل القوي منهم الضعيف ويستعبد الكبير منهم الصغير: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٦-٧].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ نَارٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧-٨].

وقال الله عز وجل: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال الله عز وجل: ﴿لَا يَعْرَتَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

• صفات تدبر القرآن الكريم

لا بد لقارئ القرآن الكريم ليزيد إيمانه ، وينتفع بقراءته من صفات يتلقى كلام ربه ، وهذه الصفات هي :

الأولى : أن يتيقن على كتاب الله الكريم أنه حق لا شك فيه

فيتلقى أخباره بالتصديق الكامل ، ويقبل على العمل بها بقلبه ، ولسانه ، وجوارحه : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢].

الثانية : أن يتيقن أنه كتاب عظيمٌ باقٍ محفوظٌ إلى يوم القيامة

فلا يزداد فيه حرف ، ولا ينقص منه حرف ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٩) ﴿ [الحجر: ٩] .

وقال عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِنْدَبٌ عَزِيزٌ ﴾ (٤١) ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤٢) ﴿ [فصلت: ٤١-٤٢] .

الثالثة : أن يتيقن المسلم قبل قراءة القرآن أنه بدون القرآن لا قيمة ، وأنه متعرض بتركه للشقاء في الدنيا والآخرة : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٠) ﴿ [الأنبياء: ١٠] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٨) ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣٩) ﴿ [البقرة: ٣٨-٣٩] .

رابعاً : أن يتيقن العبد أنه مع القرآن حي ، وبدونه ميت ، وأنه بالقرآن مبصر ، وبدونه أعمى ، وأنه بالقرآن مهتدي ، وبدونه ضال ، فمن أراد أن يستفيد وينتفع بالقرآن العظيم ؛ فليكن عنده هذا اليقين على كتاب ربه قبل قراءة آياته وسوره : ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (١٢٣) ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤) ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ (١٢٥) ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (١٢٦) ﴿ [طه: ١٢٣-١٢٦] .

فالقرآن العظيم هو الروح ، وبدونه الإنسان ميت : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢) ﴿ [الشورى: ٥٢] .

وقال الله تعالى: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والقرآن الكريم هو النور ، والإنسان بدونه أعمى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَوَلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ [الرعد: ١٩].

وقال الله عز وجل : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

والقرآن الحكيم هو الهدى ، والإنسان بدونه ضال : ﴿قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ [يونس: ١٠٨].

ولهذا وصف الله المعرضين عن القرآن بالذم والنقص والجهل ، فقال سبحانه : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُرْمٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

فشبه المعرض عن القرآن بالحمير الهائجة الخائفة المدعورة ممن يخيفها ، وأنكر عليهم عدم الإيمان به : ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ [الانشقاق: ٢٠-٢١].

الخامسة : أن يتيقن قارئ القرآن أنه هو المخاطب بالقرآن ، فيصدق أخباره ، ويطبق أحكامه ، ويمثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ، ويتخلق بأخلاقه ، ويعبد ربه بموجب ذلك إلى أن يلقي ربه : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ فَأَنَّ الْيَلَّيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١) ﴿ [الزمر: ٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٧) ﴿ [الحشر: ٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١١٢) ﴿ [هود: ١١٢] .

السادسة : أن يتيقن قارئ القرآن أن خطاب القرآن كله موجه إلى القلب ، فالقلب هو الأصل ، والجوارح كلها فرع عليه : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١١٣) ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ ﴿ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] .

وقال النبي ﷺ : « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

فالقلوب أوعية إذا امتلأت بنور الإيمان واليقين ؛ أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح ، وإذا امتلأت بظلمة الباطل والكفر ؛ أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

فالقلب هو المخاطب بالقرآن ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّمَا لَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ [البقرة: ٩٧] .

٩- الخزانة التاسعة

وأصل الدين : هو الأمور الباطنة من الإيمان ، ومن العلوم والأعمال ، والأعمال الظاهرة تبع له ، ولا تنفع بدونه : ﴿ مِّنْ عَمَلٍ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةًۢ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

القلب هو المخاطب بالقرآن ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١١٣] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ ١١٣ ﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿ ١١٤ ﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿ ١١٥ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] .

فأصل الإيمان والتوحيد في القلب والأعمال الظاهرة تبع له ولا تنفع بدونه ، ولهذا نرى كثرة تكرار لفظ القلب في القرآن الكريم ، وأسند الله إليه في آيات كثيرة ما لم يسند إلى غيره من الجوارح ، أكثر من أربعين وصفاً أسندها القرآن إلى القلب ، المقصود حياة القلب ، وحياة القلب بالقرآن فقط وموت القلب بالأعراض عن القرآن ، ومن مات قلبه ماتت جوارحه فخرس دنياه وآخرته ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيٓتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

وأهم الصفات التي يحبها الله ، ويحب امتلاء القلوب بها وأسندها الله في القرآن إلى القلب هي :

أولاً : الهداية : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١١﴾ .
[التغابن: ١١] .

ثانياً : التقوى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ﴿٣٢﴾ .
[الحج: ٣٢] .

ثالثاً : الخشوع : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ أَلْحَقٍ ﴾ [الحديد: ١٦] .

رابعاً : الألفة : ﴿ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٦٣﴾ [الأنفال: ٦٣] .
خامساً : الرأفة والرحمة : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد: ٢٧] .

سادساً : الوجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ [الأنفال: ٢] .

سابعاً : الإخبات : ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٥٤﴾ [الحج: ٥٤] .

ثامناً : الطمأنينة : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨] .

تاسعاً : الانسراح : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٢٢] .

عاشراً : الربط ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [الأَنْفَال: ١١] .

الحادي عشر : السكينة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤] .

الثاني عشر : تزيين الإيمان : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧] .

الثالث عشر : الإنابة : ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق: ٣٣] .
الرابع عشر : الكسب : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥] .

الخامس عشر : الذكرى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] .

السادس عشر : العقل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الحج: ٤٦] .

السابع عشر : السلامة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٩] .

فهذه أهم الصفات التي يحبها الله ويحب امتلاء قلوب عباده بها
أما الصفات التي يتصف بها القلب الجاحد القاسي ، والتي يكرهها الله
ويحذر عباده منها ، فمنها :

أولاً : العمى ، كما قال سبحانه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦] .

ثانياً : الختم ، كما قال سبحانه ، ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٧]

ثالثاً : الران ، كما قال سبحانه ، ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] .

رابعاً : الغفلة : ﴿ وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]

خامساً : القلب : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَتِهِمْ وَأَبْصَرَتِهِمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ۗ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٠] .

سادساً : الزبيغ : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥] .

سابعاً : الرعب : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ [آل عمران: ١٥١] .

ثامناً : المرض ، كما قال سبحانه : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠] .

تاسعاً : الاشتمزاز ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥]

عاشراً : ضعف الإيمان : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤] .

الحادي عشر : القفل ، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] .

الثاني عشر : الكبر : ﴿ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ [غافر: ٥٦] .

الثالث عشر : الكفر : ﴿ وَلَٰكِن مِّن شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦] .

الرابع عشر : الغل : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] .

الخامس عشر : اللهو : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنبياء: ٣] .

السادس عشر : القسوة ، كما قال الله سبحانه : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤] .

السابع عشر : النفاق : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧] .

الثامن عشر : الغيظ ، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَذْهَبُ غِيظٌ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٥] .

التاسع عشر : الريب : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَعْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٥] .

العشرون : الطبع ، كما قال سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥] .

الحادي والعشرون : الوسوسة ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ

﴿ ١ ﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿ ٢ ﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿ ٣ ﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿ ٤ ﴾

الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿ ٥ ﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿ ٦ ﴾ ﴾

[الناس: ١ - ٦]

الثاني والعشرون : الحسرة ، كما قال سبحانه : ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي

قُلُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٦] .

الثالث والعشرون : عدم الفقه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

فهذه أربعون صفة للقلوب منها ما هو ممدوحٌ محمود ، ومنها ما هو مذموم .

نسأل الله عز وجل أن يملأ قلوبنا بما يحب من تلك الصفات العظيمة ، وأن يطهرها من الأخلاق والصفات الذميمة .

• مفاتيح تدبر القرآن الكريم :

من قرأ القرآن وتدبره علم أن سعادته في الدنيا والآخرة بتصديق أخباره وتطبيق أحكامه ، بامثال أوامره واجتناب نواهيه : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٩٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٠] .

• والقرآن له ظاهر وباطن :

فظاهره : يراه كل الناس من مسلم وكافر ، وهو صور الحروف والكلمات والآيات والسور : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ٧٨] .

أما باطن القرآن : فلا يراه إلا من امن به وأمن بالذي أنزله وامن بأنه حق أنزله الحق لهداية الناس وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، فأمسك به

وتدبر معانيه واستفاد من كنوزه ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

والقرآن العظيم مثل البحر العظيم ، له ظاهرٌ سطح البحر وله باطن مملوء بالأرزاق والخيرات والبركات العظيمة ، فمن سبح على ظهر البحر ممن المحيط إلى المحيط يبغي التجارة ، فلن يجدها ولو أمضى العمر كله حتى يغوص في باطن البحر ، ويستخرج منه اللؤلؤ والمرجان وأنواع الأسماك وأنواع الخيرات ، فهذه سنة الله في بحر مخلوق ، فكم من النعم والخير والبركات في كلام الخالق إذا تدبرناه وعقلناه ! ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

وفهم القرآن وتدبره والعمل بما به هبة من الكريم الوهاب يكرم بها من صدق الله في طلبها ، وسلك الأسباب الموصلة إليها بجد واجتهاد ابتغاء مرضات الله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٦٣] .

فإن أردت أن تدخل في رحمة الله ، وتسلك الصراط المستقيم فجاهد نفسك وتحمل المشاق واصبر على ما أصابك في سبيل تدبر القرآن الكريم ؛ لتنال ما يسعدك في الدنيا والآخرة ، فالقرآن حبل الله المتين طرفه بيد الله وطرفه الآخر بيدك : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥]

إن المكارم لا تنال إلا بالمكاره ، والجنة حفت بالمكاره ، والنار حفت بالشهوات ، فلا بد من المجاهدة والجهد لتحصيل تلك البركات والخيرات من كتاب ربنا العظيم : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣]

ولا ريب أن إصلاح النفوس وتزكية القلوب والسلامة من الأضرار والفتن ، لا يكون أبداً إلا بالعلم الإلهي ، ووسيلة ذلك القراءة للوحي من الكتاب والسنة ، ولهذا لما أراد الله هداية عباده وإخراجهم من الظلمات إلى النور أنزل عليهم كتاباً يقرأ ، فأول سورة نزلت منه تأمر بالقراءة ، التي هي مفتاح العلم والصلاح والإصلاح إلى يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١-٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧-١٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩] .

ولكي نهتدي لا بد أن نجلس في مجالس الهداية والذكر والإيمان ، ولكلي نستقيم على أمر الله لا بد أن ننقطع عن مجالس الغفلة : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨]

وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨] .

١٠ - الخزانة العاشرة

• وتدبر القرآن الكريم نعلم أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما وقع في المعصية لأمرين :
الأول : النسيان .

والثاني : ضعف العزيمة .

وعلاج النسيان بالإكثار من ذكر الله الذي يزيد الإيمان ، ويرغب الإنسان في الطاعة ، ويعزه عن المعصية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ ﴿١١٥﴾ [طه: ١١٥] .

فعلاج ضعف العزيمة يكون بلزوم بيئة الإيمان والعبادة والدعوة التي بها يقوى إيمان العبد : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿١١٩﴾ [التوبة: ١١٩] .

ومدارسة القرآن تزيد من إيمان العبد وترفع مقامة عند ربه ، ولهذا كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل ليدارس النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ القرآن في رمضان كل ليله .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجُودَ النَّاسِ وَكَانَ أَجُودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجُودَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ » . أخرجه البخاري (١) .

• فقه تدبر القرآن :

إذا تدبرنا القرآن العظيم علمنا يقيناً أنه كتابٌ عظيم وكتابٌ كريم وكتابٌ حكيم ، فهو مفتاح العلوم العلمية والعملية الدينية والدنيوية ، وهو سبيل

(١) أخرجه البخاري رقم: (١٩٠٢) .

السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠] .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَهُمِنَ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣] .

وقال سبحانه : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١] .

• وكل إنسان يتأثر إذا تمت له ثلاثة أمور :

المؤثر .. والمتأثر .. والموصل .

فالمؤثر هو القرآن الكريم ، فأثره ثابت لا شك فيه ، والموصل هو القراءة والتدبر ، والمتأثر هو قلب القارئ المتلقي ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] .

وتدبر القرآن وفهمه أسباب أمرنا الله بها ، والنتائج بيد الله يعطيها من يشاء ويمنعها من يشاء وهو الحكيم العليم : ﴿ قُلْ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُبَدِّلُوا فِئْتًا وَمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران: ٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٤] .

ومفاتيح تدبر القرآن كثيرة وأحسنها وأقواها أثرًا في صلاة الليل ، كما قال سبحانه : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨) ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩) ﴿ [الإسراء: ٧٨-٧٩] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿ ١٥ ﴾ ﴿ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ ١٧ ﴾ ﴿ [السجدة: ١٥-١٧] .

والقرآن العظيم نعمة لا يعلوها نعمة ، كل نعمة يتبعها نعيم وتنعم لمن عرفها حقًا ، فما أعظم السعادة واللذة بتلاوة القرآن وسماعه : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ ﴿ ٢٩ ﴾ ﴿ [الطور: ٢٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ ﴿ ٢ ﴾ ﴿ [القلم: ٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ﴿ [المائدة: ٣] .

والقلوب بيد الله يقربها كيف يشاء ، إن شاء فتحها وإن شاء أقفلها ، وهو العليم الحكيم : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿ ٢ ﴾ ﴿ [فاطر: ٢] .

وفتح القلب له أسباب أعظمها :

١- دوام التضرع إلى الله .

٢- ومعرفة عظمة القرآن .

٣- ومعرفة الأهداف من قراءة القرآن .

• والمقاصد الأساسية الكبرى لتدبر القرآن خمسة :

الأول : العلم بالله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وأفعاله الكبرى ، ومثله الأعلى ، والعلم بدينه وشرعه ، والعلم بشوابه وعقابه : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوْنَكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [١٣] ﴿ الطلاق: ١٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [٧٢] ﴿ التوبة: ٧٢] .

الثاني : العمل لتصديق أخبار القرآن ، وتطبيق أحكامه في كل حال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [٣] ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [٤] ﴿ الأنفال: ٢-٤] .

الثالث : حسن عبادة الله ، ومناجاته ، والإكثار من ذكره ، وحمده ، واستغفاره ، والانكسار بين يديه ، ولزوم طاعته ، والافتقار إليه في كل حال : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١١١] ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١١٢] ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [١١٣] ﴿ [الأنعام: ١٦١-١٦٣] .

وقال الله عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

رابعًا : طلب السعادة والشفاء من الأمراض البدنية والقلبية ، ومعرفة سبل الهداية والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ [المؤمنون: ١-٢].

وقال الله عز وجل : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وقال الله عز وجل : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٨٢﴾ [الإسراء: ٨٢].

خامسًا : الحصول على عظيم الثواب بقراءة القرآن ، وتدبره ، والعمل به ، وإبلاغه : ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَّبَ رُؤُوسًا لِلَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢٦٩﴾ [ص: ٢٩].

فالله عز وجل عظيم كريم ، والعظيم لا يعطى إلا العظيم ، والله يعطي على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة إلى أضعاف مضاعفة ، حتى يقول جل جلاله : ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ [الزمر: ١٠].

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال الله عز وجل : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٦١﴾ [البقرة: ٢٦١].

قال عز وجل: ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

المقصود من تدبر القرآن الكريم العمل به اعتقادًا وأقوالًا وأعمالًا وأخلاقًا .
مفاتيح تدبر القرآن الكريم يجمعها عشرة أصول من استكملها حصل له الفهم والفقہ والعلم والعمل ، فزاد إيمانه وحسنت أقواله وصلحت أعماله وزانت أخلاقه وعظم ثواب : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر: ٩].

وقال الله عز وجل : ﴿أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٩﴾ [الرعد: ١٩].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

• وهذه هي مفاتيح تدبر القرآن الكريم ، رزقنا الله وإياكم إياها ، وحسن التبعيد لله بها :

الأول : حضور القلب

فالقلب هو آلة فهم القرآن ، والعمل به وحب القرآن هو المفتاح الأول للتدبر ، والقلب بيد الله ، فالقلب إذا أحب الله أحب كتابه وأفتقر إلى ربه وسأله أن يفتح قلبه للقرآن ليطلع على أسراره وخزائنه وكنوزه وبركاته : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٣٧﴾ [ق: ٣٧] .

الثاني : استحضار أهداف قراءة القرآن

فالقرآن بحر العلوم جمع الله فيه كل ما يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة .

الثالث : ترتيل القرآن والترسل في القراءة وعدم العجلة

لأن المقصود التدبر والفهم لا الكم والكثرة: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ﴿٤﴾ [المزمل: ٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿١١٤﴾ [طه: ١١٤] .

الرابع : الجهر بقراءة القرآن

ليكون التأثير هو التوصيل من جهتين الصوت باللسان والسمع بالأذن: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .

الخامس : التكرار للآيات وترديدها ، لأن القلب يتأثر كلما سمع ، وكلما تكرر تقرر .

السادس : أن تكون القراءة حفظاً ، ليحصل التركيز والتدبر وخشوع القلب .

السابع : أن يكرر ما يقرأه من القرآن كل أسبوع ، ولو لجزء منه لئلا ينساه .

الثامن : أن تكون القراءة في صلاة ، فمن أحب أن يكلم الله فليدخل في الصلاة ، ومن أحب أن يكلمه الله فليقرأ القرآن .

التاسع : أن تكون القراءة والصلاة في الليل خاصة في جوف الليل ، لأنه وقت الصفاء والتركيز: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] .

العاشر : ربط الآيات بما يجري في الحياة من تقلبات وأحداث ، فالقرآن أخبر بما كان ، وما يكون ، وما سيكون .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ٤٩ ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ ٥٠ ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ٥١ ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ ٥٢ ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴾ ٥٣ ﴿ [القمر: ٤٩ - ٥٣]

ومن فتح الله له هذه الأبواب العظيمة فقد أدخله الله جنة المعرفة في الدنيا ، ومن أدخله الله جنة المعرفة في الدنيا أدخله جنة الآخرة يوم القيامة : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ ١٣ ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ ١٤ ﴿ [الانفطار: ١٣-١٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ١٢ ﴿ [الملك: ١٢] .

وتدبر القرآن هو التفكير والتأمل في آيات القرآن من أجل فهمه وأدراك معانيه للوصول إلى معرفة مقاصده وأحكامه من أجل العمل به والتعبد به قلبًا وقالبًا ، وإنما جمع القرآن من سمع له وأطاع : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .

وتدبر القرآن أعظم عبادة والعمل به عبادة أعظم ، وتدبره أيسر شيء ،
القرآن العظيم كتاب هدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، وكتاب تربية
وتعليم ، وكتاب هداية وبصائر ، يسر الله فهمه وتدبره لكل الناس ، والناس
درجات من الفهم والتدبر والعلم والعمل : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ
مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]

وقال الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشَعِرُهُ مِنْ
جُلُودٍ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ
يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣] .

والله عز وجل أخبر في القرآن أن الشيطان للإنسان عدو مبین ، فقال
سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ
الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ
أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢١] .

ومن أعظم مكائد الشيطان ومصائده ، تخويفه وتنفيره عباد الله من تدبر
القرآن لعمله إن الهدى والاستقامة واقع عند التدبر ، فيكف أكثر الناس عن
تدبر القرآن تورعاً ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ، فَلَا
تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

ولقد أطاعه أكثر الخلق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ،
فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠] .

فالقرآن كله ميسر للفهم والتدبر والعمل ، ومعظمه بين واضح ظاهر
المعنى ، وإغلاق العقول عن فهمه وتدبره بحجة عدم معرفة تفسيره
والاكتفاء بقراءة ألفاظه ، كل ذلك من أعظم مكائد الشيطان على العبد

ليصرفه عن الاهتداء به ، والتصديق لأخباره والتطبيق لأحكامه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] .

والخطاب عامٌ لعموم المسلمين رجالاً ونساءً علماء وعامة: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

والقرآن كله تعريفٌ بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعدده ، ووعيده ، وترغيبٌ ، وترهيبٌ ، وتبشيرٌ ، وإنذارٌ ، وبيانٌ للحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، وهو كذلك إخبار عن الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين .

فالقرآن العظيم إذا تدبرناه وجدنا أنه ستة آلاف ومائتين وثلاثين آية ، وآيات الأحكام منها خمسمائة آية تقريباً يعلمها أكثر الناس .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " التفسيرُ على أربعة أوجهٍ : وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها ، وتفسير لا يُعذر أحدٌ بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره " .

ومعظم القرآن من القسمين الأولين ولهذا كرر الله في القرآن في سورة القمر: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ١٧]

• علامات وثمرات تدبر القرآن :

ذكر الله عز وجل صفات من تدبر القرآن في كتابه العظيم ، وأنها
تثمر للعبد ثمرات عظيمة نافعة ، ومن ذلك :

أولاً : اجتماع القلب والفكر أثناء قراءة القرآن وسماعه ، كما قال
سبحانه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا يُنذَرُ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ؕ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن
قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ [٥٣] أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [٥٥] [القصص: ٥٣-٥٥] .

ثانياً : البكاء من خشية الله ، كما قال سبحانه : ﴿ سَجِدًا ﴾ [١٠٧] وَيَقُولُونَ
سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]

ثالثاً : زيادة البكاء والخشوع والوجل ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾
أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾
[الأنفال: ٢-٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣] .

رابعًا : زيادة الإيمان : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ۚ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥] .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأففال: ٢] .

خامسًا : حصول القشعريرة خوفاً من الله وحباً لله ، ثم غلبة الرجاء والسكينة التي على القلب : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣] .

سادسًا : السجود تعظيماً لله ، ولكلامه ، كما قال سبحانه : ﴿ إِذَا نُنُتِي عَلَيْهِم ءَايَةُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٨] .

سابعًا : الفرح والاستبشار بقراءة القرآن أو سماعه : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ۚ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤] .

فمن شعر بوحدة من هذه الصفات العظيمة ، أو كلها فقد وصل إلى حالة التدبر ، ومن أوتي من العلم ما لا يبكيه ، لخليق ألا يكون قد أوتي علماً : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

والله سبحانه شرف رمضان ، بنزول القرآن فيه ، فقال سبحانه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

وشرف ليلة القدر بنزول القرآن فيها ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [القدر: ١-٣] .

وأقسم الله بعظمة القرآن ، قال : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوْعِدِ الْجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٩] .

ومن قرأ القرآن وحفظه وتدبره ، وفهمه وعمل بموجبه ، ودعا إلى ما فيه ، فقد أدرجت النبوة جنبيه وإن لم يكن نبياً : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩] .
والنبي ﷺ ، كان خلقه القرآن ، وكان أحسن الناس خلقاً ، وخلقاً ، وكان خلقه القرآن ، يتأدب بأدابه ، ويتخلق بأخلاقه ، ويعمل بمحكمه ، ويؤمن بمتشابهة ، ويصدق أخباره ، ويمثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ، إنك لعلی خلق عظیم .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٧- خزائن القرآن الكريم

القسم الثاني :

ويشتمل على ما يلي :

- | | |
|--------------------|---------------------|
| ١- الخزانة الأولى | ٦- الخزانة السادسة |
| ٢- الخزانة الثانية | ٧- الخزانة السابعة |
| ٣- الخزانة الثالثة | ٨- الخزانة الثامنة |
| ٤- الخزانة الرابعة | ٩- الخزانة التاسعة |
| ٥- الخزانة الخامسة | ١٠- الخزانة العاشرة |

٢٧- خزائن القرآن الكريم

القسم الثاني

١ - الخزانة الأولى

مفاتيح تدبر القرآن الكريم :

مفاتيح تدبر القرآن كثيرة يجمعها عشرة مفاتيح :

المفتاح الأول : حب القرآن الكريم

فاللسان آلة الكلام ، والرجل آلة المشي ، والقلب آلة الفهم والعقل والإدراك ، فمن عرف الله آمن به وأحبه وكبره وحمده وشكره وأحب كتابه العظيم وامثل أمره العظيم ونال ثوابه العظيم ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] .

والقلوب بيد الله وحده يقلبها كيف يشاء يفتح قلب العبد إذا شاء ، ويغلقه إذا شاء وهو الحكيم العليم الخبير بمن يستحق هذا وهذا ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

فالقلوب كلها بيد الله والفتح من الله وحده والتدبر وسيلة مأمور بها ، وما يحصل من الفهم والتدبر فهو نعمة من الله وحده تستوجب من العبد الشكر لا الفخر للذي فتح لك معان القرآن : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْشَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

وبيد الله وحده العطاء والمنع ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَنَىٰ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

والقلوب محل الإيمان والكفر ومحل الحب والكره ، والقلب إذا أحب شيء تعلق به واشتاق إليه وشغف به وانقطعت عما سواه : ﴿ فَرِحُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته وسهل عليه فهم معانيه وزادت رغبته في امتثال أوامره واجتناب نواهيه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٣٧﴾ [ق: ٣٧].

وقال الله عز وجل: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

• وحب القلب للقرآن له علامات منها :

الفرح بلاقائه وقراءته وسماعه والجلوس معه للقراءة التدبر أوقاتاً طويلة دون ملل: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [السجدة: ١٥-١٦].

ثانياً: الشوق إليه: متى بعد العهد به وتمني لقاءه وزالت الموانع التي حالت دونه والبكاء عند سماعه: ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ﴿١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [السجدة: ١٥].

وقال الله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ﴿٥٨﴾ [مريم: ٥٨].

ثالثًا : الفرح والتصديق بكل أخباره والمسارة إلى تطبيق أحكامه أمرًا ونهيًا : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣] .

رابعًا : البحث عن حلول المشاكل من خلاله وكثرة مشاوراته والثقة بتوجيهاته : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٤٣] .

هذه أهم أمارات وعلامات حب القرآن فمن وجدها فليحمد الله ، ومن فقدتها فليسال ربه أن يرزقه وإياها ويفعل الأسباب التي أمر الشرع بها ويتوب من ذنوبه : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦] .

وحب القرآن علامة حب الله ورسوله ودينه ، فما هي وسائل حب القرآن وكيف نحصل عليها ؟ .

• ذلك يحصل بأمور :

الأول : العلم بأن القرآن الكريم كلام رب العالمين وأرحم الراحمين ، كلام الملك الحق المبين الذي فيه سعادة الخلق أجمعين في الدنيا والآخرة : ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [١٢٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤] .

فمن أحب الله أحب كتابه وأحب رسله وأحب دينه وقضى أوقاته في مناجاة ربه بتلاوة كتابه وتدبر آياته : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ءَأُوتِيكَ يَوْمُنَا بِهِ ءَ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١] .

الثاني : القرآن روح ونور ، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ رُوْحًا مِّنْ اَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتٰبُ وَلَا الْاٰيْمٰنُ وَلٰكِن جَعَلْنٰهُ نُوْرًا نَّهْدٰى بِهِ ءَ مَن شَآءَ مِّنْ عِبَادِنَا وَاِنَّكَ لَتَهْدٰى اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢] .

فنسأل الله عز وجل أن يرزقنا حب القرآن والإكثار من تلاوته وحسن تدبره والعمل بأحكامه ، ومن رزقه الله حب القرآن فقد رزقه الإيمان وفتح له أبواب الهداية إلى الصراط المستقيم ، وفتح له أبواب كتابه ورحمته .

فنستعيد بالله أولاً من الشيطان الرجيم عند تلاوة القرآن لأن الشيطان من أعظم مقاصده أن يقطع طريق الوصول إلى القرآن الذي هو صراط الله المستقيم ، لعلمه بأنه من أعظم أسباب الهداية والثبات : ﴿ ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ ﴾ [البقرة: ٢] .

لهذا أمرنا عز وجل أن نستعيد بالله من الشيطان الرجيم في كل مرة نقرأ فيها القرآن بقوله : ﴿ فَاِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيْمِ ﴾ [٩٨] إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ ﴾ [النحل: ٩٨-٩٩] .

ثم نستعين بالله ليمدنا بالعون والبركة عند تلاوة كتابه فنقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم نبدأ بسورة الفاتحة التي تضمنت حمد الله والثناء الله وتمجيده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

ومن أعظمها نعمة الهداية التي أنزل بها كتابه العظيم : ﴿ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ [٢] الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴾ [٣] مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ﴾ [٤] اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴿الفاتحة: ٢-٧﴾ .

ونكثر من الدعاء بحب القرآن :

عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، وَابْنُ عَبْدِكَ ، وَابْنُ أُمَّتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجَلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ؟ قَالَ : « أَجَلٌ ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ » .
 أخرجه أحمد وابن حبان بسند صحيح (١) .

فما أعظم هذا الدعاء وما أحوجنا إليه في كل وقت ، ومن علامات قبول هذا الدعاء انشراح الصدر لقراءة القرآن وكثرة القيام به في الليل والنهار ، وكثرة الحمد على هذه النعمة العظيمة .

الثالث : القراءة عن قضاء القرآن قراءةً وتدبراً وعملاً والإكثار من تلاوته بقلب حاضر ، وذلك طريق ميسر لحب القرآن وتعظيمه والمفتاح الرئيسي لتدبر القرآن وفهمه ، وعدم حب القرآن وتعظيمه سببه الجهل بقيمته فمن لا يعرف قيمة القرآن زهد فيه وهجره وبخل عليه بالوقت واشتغل بما هو

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم: (٤٣١٨)، وابن حبان برقم: (٩٧٢) .

دونه ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ ﴿٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ﴿٨٧﴾ [الحجر: ٨٧].

وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ [الأنبياء: ١٠].

المفتاح الثاني : استحضار أهداف قراءة القرآن الكريم

فبعض المسلمين يقرأ القرآن بقصد تحصيل الأجر والثواب لكنه غافل عن التدبر والنيات الأخرى ، وبعض المسلمين يقرأ القرآن ويكرره بقصد تثبيت الحفظ وتجويده ، لكنه غافل عن المعاني العظيمة التي تحملها الآيات التي يحفظ من أخبار وأحكام وقصص ، لهذا تجد حافظاً للقرآن غير عامل به وغير متخلقٍ به ، والحقيقة أن كل عمل صالح كلما تعددت فيه النيات وكثرت كلما كان العمل أعظم أجراً وأكثر ثواباً وأكثر تأثيراً على من قام به ، وقراءة القرآن العظيم بالتدبر يجتمع فيها للمسلم نيات ومقاصد عظيمة لا تفوت إلا على محروم .

ويجمعها خمس مقاصد كلها عظيمة نافعة ، وكل واحدة منها كافية لدفع المسلم والمسلمة للمسارعة إلى قراءة القرآن وتدبره وصحبته ومدارسته والاعتبار بما ورد فيه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

وهذه الأهداف المقصودة من قراءة القرآن هي حصول الثواب وحصول العلم وحصول العمل وحصول الشفاء ، ولذة المناجاة والدعاء.

فمن قرأ كتاب ربه الكريم مستحضراً هذه المقاصد العظيمة والنيات الكبيرة كان انتفاعه بالقرآن الكريم أعظم وأجره أكبر ، فالنيات تجارة العلماء يربحون بها على الله أكثر من غيرهم : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال النبي ﷺ « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه ^(١) .
 فمن قرأ القرآن يريد العلم رزقه الله العلم بأنواعه ، العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والعلم بآياته ومخلوقاته والعلم بأحكامه وأوامره ، والعلم بوعده ووعيده وثوابه وعقابه ، فالقرآن فيه علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون وما سيكون ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩] .

قال تعالى : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٢٩﴾ [ص: ٢٩] .

المقصود الأعظم من إنزال القرآن والأمر بقراءة وترتب الثواب عليه هو العلم وما أنزل الله من آية إلا وهو يحب أن يعلم بها الخلق ويعمل بموجبها تصديقاً للأخبار وتطبيقاً للأحكام : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١٩﴾ [الرعد: ١٩] .

وقراء القرآن ثلاثة أصناف :

الأول : صنف اتخذه بضاعته وتجارته يأكلون به المال .

الثاني : صنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده ، واستكبروا به على غيرهم واستدروا به الولاية ، وقد كثر هذا الصنف من القراء نسأل الله لهم الهداية .

(١) أخرجه البخاري برقم : (١) .

الثالث : صنف قرأ القرآن بألسنتهم وقلوبهم وسمعوا ربهم يتكلم به ويصف عظمة جلاله وجماله وعظمة ملكه وسلطانه وعظمة إنعامه وإحسانه وجمال أخباره وأحكامه وجزيل صوابه وعظيم عقابه ، فهؤلاء خير الناس أنار الله قلوبهم بالإيمان والقرآن ، فكلامهم نور وأعمالهم نور ومجالسهم نور يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

والعلم الذي يريده العبد من القرآن هو العلم الذي يحقق السعادة للعبد في الدنيا والآخرة .

• وهو ثلاثة أقسام :

١- العلم بالله بأسمائه وصفاته وأفعاله .

٢- العلم بأركان الإيمان .

٣- والعلم بأركان الإسلام وأوله العلم المقتضي للاستغفار .

والعلم بالله هو العلم بلا إله إلا الله : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

العلم الذي يورث الاستغفار والخشية : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

فالعلماء حقا هم العلماء الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨] .

فالعالم الحق هو من يخشى الله تعالى ، وإن كان لا يعرف كتابة اسمه ،
الذين رضي الله عنه م ورضوا عنه من الصحابة أكثرهم لا يعرف الكتابة ،
لكنه يخشى الله ويتقيه ويطيع الله ورسوله : ﴿ وَالسَّيْقُوتَ الْأُولَىٰ مَنْ
الْمُهْجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿١٠٠﴾
[التوبة: ١٠٠] .

يجب علينا أن نقرأ القرآن باستمرار قراءة تدبرٍ وتفكيرٍ ، قراءة من يستعد
للاختبار فيه ، والمسلمون منهم الجاد في قراءة القرآن ومنهم المهمل
والمقصر ، فمن أراد الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة ؛ فليمسك بكتاب ربه
ليتعلم منه ويعمل بموجبه ويتخلق بأخلاقه: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ ﴿١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠] .
وقال الله عز وجل : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴾ ﴿٤٣﴾ [الزخرف: ٤٣] .

ومن فعل ذلك نفعه توحيده وكان معه ربه ، وحفظه من كل شر : ﴿ لَا
تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] .
وقال موسى : ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ ﴿٦٢﴾ [الشعراء: ٦٢] .
وقال يوسف معاذ الله : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ [يوسف: ٢٣] .

وكل حدثٍ أو مشكلة في الحياة ففي القرآن حلاً لها وجواباً عليها ، ومن قرأ
القرآن بتدبر أوصله الله إليها ، فقراءة الألفاظ وسيلة لقراءة المعاني التي هي
المقصودة : ﴿ أَلَمْ يَكُن لَّارِيبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٢﴾ [البقرة: ١-٢] .

ومن أراد السعادة البدنية والقلبية فليطلبها بالقرآن الكريم قراءةً وتدبراً وعلمًا وعملاً وأدبًا وخلقًا : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

والقرآن الكريم كتابٌ عظيمٌ جامع ، فهو كتاب الدعوة إلى الله ، والنبي ﷺ كان يكتفي بتلاوة القرآن على الكفار فيحدث ذلك أثرًا في نفوسهم ، ويشدهم إلى المزيد من سماعه لما فيه بيان الحق ويسر العمل به وحسن ثوابه ، وصرف الناس إلى ربهم الذي خلقهم ورزقهم وهداهم بإعلان العبودية له وحده لا شريك له ، وهو بهذا مستجيب لأمر ربه الذي أمره بقوله : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦]

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَن تَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَن أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [النمل: ٩٢] .

فعلينا دعاة وعلماء ومُصلحين ومُربين وعبادًا نهتم بهذا الأمر ونقتدي بالنبي ﷺ في كل ذلك : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

إن انشغال أكثر المسلمين اليوم بمؤلفات البشر وطلبهم للشفا والعافية بها يشبه الاكتفاء بأطعمة ترضي الذوق والمزاج في حين أنها تهدم الجسد وتفسده ، فعلينا أن نستفيد من القرآن الذي كله هدىً وشفاء ورحمة : ﴿ إِنَّ

هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ [الإسراء: ٩] .

والقرآن العظيم يحيي الله به القلوب، كما يحيي الأرض بالماء : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ [الحديد: ١٦] -

الله يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد: ١٧] -

[١٧] .

فحياة القلوب تكون بذكر الله وتلاوة كتابه ، كالأرض الميتة تكون حياتها بالماء : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج: ٥] .

والقرآن ربيع المؤمن يثمر له أنواع الخيرات والبركات ، كما أن الماء ربيع الأرض ينبت فيها أنواع النباتات ، ولهذا نرى من زكاة القلوب ورقتها ولينها وأنسها في رمضان حين يتوالى عليها سماع القرآن وقراءته ويكثر القيام به في لياليه : ﴿ وَمَنْ أَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩] .

وتزكية الإنسان وإصلاح قلبه تكون بأمرين :

الأول : التعلم والتعليم : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩] .

الثاني : العمل والسلوك ، ومن أراد تغيير فكره وعمله وحياته وأخلاقه للأحسن فعليه بقراءة القرآن : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اُرْكَعُوا وَاَسْجُدُوا وَاَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَاَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

استحضار أهداف قراءة القرآن الكريم :

قراءة القرآن بقصد العمل به ، ينبغي لحملة القرآن الكريم العمل بموجبه بتصديق أخباره وتطبيق أحكامه ، فالعالم حقاً من عمل بما علم ووافق علمه عمله وطابق علانيته سريره ، فأولى الناس بالقرآن من اتبعه وإن لم يكن قرأه .

فقارئ القرآن يجب أن يكون أول من يعمل به فيسأل نفسه عند القراءة ، متى أكون من المتقين ، متى أكون من المحسنين ، متى أكون من الصادقين ، من الخاشعين ، من الصابرين ، متى أنهى نفسي عن الهوى ، متى أزهد في الدنيا ، متى أكون مستقيماً ، متى أكون داعياً إلى الله ، متى أكون معلماً لشرع الله ، ومن الناس من يقول قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفاً ، وقد والله أسقطه كله ، ما يرى القرآن له في خلقٍ ولا قولٍ ولا عمل : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

والرسول ﷺ كان خلقه القرآن يتأدب بأدابه ويحل حلاله ويحرم حرامه ويصدق أخباره ويمثل أوامره ويجتنب نواهيه ويغضب لغضبه ويرضى لرضاه ، ولنا فيه أسوة في نيته وأقواله وأعماله وأخلاقه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وإنما جمع القرآن حفظاً وتدبراً من سمع له وأطاعه ، كما قال سبحانه : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

فالقرآن كله تربية وإصلاح وتعليم وتوجيه وإرشاد ، فنقرأ القرآن بنية هذه الأمور العظيمة ، بنية العلم والعمل ، بنية البحث عن العلوم والأعمال والصفات التي تزكو بها النفوس : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨] .

فالقرآن الحكيم فيه تبيان كل شيء ، وإسعاد البشرية في كل شيء ، وحل جميع المشاكل على مستوى الأفراد والشعوب والأمم ، ومن اهتدى بغير القرآن فلن يهتدي؛ لأن القرآن كتاب الهداية وحده ، وتطبيقه في السنة النبوية : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رُسُلًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن نُّوَلُّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧-١٣٨] .

ومن قرأ القرآن لطلب الأجر والثواب ، وبحث عن أسباب السعادة في غيره وعطل القرآن عن العمل بما فيه من أخبارٍ وأحكامٍ وأخلاق ، فقد عطل القرآن عن أعظم مقاصده وهو العمل به وضل ضلالاً بعيداً وخسر خسارنا مبيناً ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ یَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ یُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ یُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَیَتَّبِعْ غَیْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِینَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ ۗ وَسَاءَتْ مَصِیرًا﴾ [النساء: ١١٥].

أما قراءة القرآن بقصد طلب الاستشفاء به ، فالقرآن كله هدی وشفاء ورحمة وموعظة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَیْكَ الْكِتَابَ تَبِیِّنًا لِّكُلِّ شَیْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِینَ﴾ [النحل: ٨٩].

والقرآن العظيم شفاء للقلوب والأبدان من جميع الأمراض والأسقام والعلل والأدواء .

• والشفاء بالقرآن أربعة أنواع :

الأول : شفاء القلوب من أمراض الشبهات ، وأمراض الشك والريب والنفاق: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِینَ﴾ [يونس: ٥٧].

الثاني : شفاء القلوب من أمراض الشهوات الحيوانية التي تمنع من الاستجابة لامثال الأوامر الإلهية: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِینَ وَلَا یَزِیدُ الظَّالِمِینَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال الله عز وجل: ﴿فَلَخَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ یَلْقَوْنَ غَیًّا﴾ [مریم: ٥٩].

والقرآن يبين للناس أن الدنيا دار تکمیل الإیمان والأعمال الصالحة ، مع الأخذ من الطيبات بقدر الحاجة وتكمیل الشهوات يوم القيامة في الجنة: ﴿زُیِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِینَ وَالْقَنَاطِیرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَادِ ﴿١٤﴾ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ
 ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
 وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴿١٥﴾
 الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءِامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ ﴿١٦﴾
 [آل عمران: ١٤-١٦].

الثالث : شفاء الصدور من الهم والحزن والضيق والقلق والخوف والرعب
 والوساوس : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
 الْقُلُوبُ ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ
 إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
 الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿٣٠﴾
 نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ
 وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴿١٥﴾
 يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ﴿١٦﴾ ﴿١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا
 يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٤﴾
 [فصلت: ٤٤].

الرابع : شفاء الأبدان من الأسقام والعلل : ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

وكل إنسان يسعى لشفاء قلبه وبدنه ، ولا يوجد ذلك إلا في القرآن الكريم ، الذي بين الله الهدي من الضلالة والحق من الباطل ، وبين فيه الحلال من الحرام والطيبات من الخبائث ، والشفاء في هذا وهذا فقط .

وإذا استحضر قارئ القرآن هذا الأمر حصل له الشفاء ان العلمي القلبي والمادي البدني بإذن الله ﷻ ، فهو الشافي الذي بيده الشفا وعنده خزائن الشفاء : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠] .
وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا يَكُفُّمِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] .

• والاستشفاء بالقرآن يكون بأمرين :

الأول : قراءة القرآن آناء الليل والنهار خاصة القيام به في جوف الليل الآخر وقت نزول الإله إلى السماء الدنيا ، ولأن النفوس بعد القيام من النوم تكون صافية حاضرة فيحصل لها فهم عميق للقرآن وحسن التدبر لآياته وفقه لأخباره وأحكامه ؛ ليمتلئ القلب بنور الإيمان ويطمئن بذكر الله ويرى ربه ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فيسلم قلبه وجوارحه وأوقاته لربه : ﴿ يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ﴾ ١ ﴿ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ٢ ﴿ نِصْفَهُ ۖ أَوْ أَنْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾ ٣ ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ ٤ ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ ٥ ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ ٦ ﴿ [المزمل: ١-٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ۗ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] .

والمقصود من قراءة القرآن وسماعه توصيل القرآن إلى القلوب لتتهدي به وتستشفى به من جميع الأمراض البدنية والقلبية: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ نَبِيٍِّّ أَمَّا هُوَ فَمَا يُكَلِّمُ الْبَشَرَةَ إِلَّا ذِكْرًا وَمَا يُظَاهِرُهُمْ قُلُوبُهُمْ مِمَّا قَالُوا لَا يُحِبُّونَ يُحِبُّ اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَحِبُّونَ لَئِن رَّزَقْنَا مِنْهُ لَانذَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

الثاني: الرقية بالقرآن ، فالقرآن العظيم شفاءً من كل داء بدني أو نفسي لما فيه من ذكر الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وتمجيد الملائكة الكرام المقربين وتحقير المردة والشياطين ، والريق الناتج من تلاوة آيات القرآن الكريم له أثر عظيم في القوة والنشاط والطمأنينة والراحة والعافية: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فالمسلم يرقى نفسه ، أو يرقى غيره بالسور والآيات القرآنية والأدعية والأذكار القرآنية فيحصل الشفاء بيد الله ، فمن قرأ القرآن أو سمعه بنية حصول الشفا والعافية وتقين على ذلك وتوكل على من بيده خزائن كل شيء ، شفاه الله من عله وأسقامه البدنية والقلبية ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

اللهم رب الناس أذهب الباس أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك ، شفاء لا يغادر سقماً: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

والاستشفاء بالقرآن ميسر لكل أحد آمن بالله ، وصدق بما في كتابه العظيم ولزم تدبره وتلاوة فأرقي نفسه بنفسه بكتاب ربه ، وهذا يغنيه إذا نزل به

مرض أو ضيق عن أن يجوب الآفاق ويطوف في البلاد ليبحث عن القراء
والمعالجين ، والأمر أيسر من ذلك والله الحمد : ﴿ وَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]

فالله سبحانه حين يتلى عباده بالمصائب والأمراض فإنما يريد منهم أن
يتضرعوا إليه ويتذللوا بين يديه ، ولا يذلوا أنفسهم لأحد سواه ، فما ابتلى
سبحانه إلا ليعافي وما منع إلا ليعطي ، وما قبض إلا ليسط .

وقد شرع لنا الدعاء والتوبة والاستغفار ليزول عنا البلاء ويحصل الشفاء ،
والقيام الطويل بالقرآن هو من أهم صور التذلل لله سبحانه والتضرع بين
يديه ، كما يحصل في قرآن الفجر وصلاة الكسوف ، القيام بالقرآن قراءة
وتدبراً من أقوى أسباب العافية والشفاء : ﴿ وَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا
لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٦]

وقال الله عز وجل : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢] .

استحضار أهداف قراءة القرآن الكريم :

قراءة القرآن بقصد مناجاة الله السميع البصير ، فالله عز وجل يحب كلامه
ويحب من ناجاه ويحب من وقف بين يديه تالياً لكتابه : ﴿ وَمَنْ أَلِيلٌ
فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] .

وقال تعالى : وقال تعالى : وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَاقِبًا ﴾ [الفرقان: ٦٤] .

ومن أراد الانتفاع بالقرآن فليجمع قلبه عند تلاوته أو سماعه ويلقي سمعه
ليفهم خطاب ربه ، ويحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه : ﴿
وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .

وتذكر يا قارئ القرآن أنه يجتمع لك في المناجاة بالقرآن خمس معانٍ عظيمة وهي :

١- أن الله يحبك حين تقرأ القرآن

٢- وأنه يسمعك إذا قرأته

٣- وأنه يراك حين تقرأ

٤- وأنه يمدحك ويثني عليك في الملاء الأعلى

٥- وأنه سيعطيك ما تسأل

كما قال النبي ﷺ « مَا أَدِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَدِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ » متفقٌ عليه^(١).

ومعنى أذن أي استمع ، فعلينا حين نقوم بالقرآن نتلوه بين يدي الله في الصلاة وخارجها أن نستحضر هذه المعاني العظيمة ، ونستحضر عظمة من تكلم به ، وعظمة من أنزله ويسر لنا تلاوته ، ومن رزقه الله هذا الفهم شعر بلذة قراءة القرآن ، ولم يشبع من قراءته وتكراره وحلاوة ألفاظه ومعانيه ، خاصة إذا أيقن أن الله يراه ويستمتع لقراءته ويمدحه ويثني عليه بحسن ترتيله وخشوع قلبه ويباهي به ملائكته المقربين ؛ لأنه قائم يناجي ربه بكلامه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ [السجدة: ١٥-١٦] .

وبهذه المناجاة يرى العبد أن ربه يخاطبه مباشرة ، وأنه يستمع له فإذا مر بآية فيها تسبيح سبح ربه ، وإذا مر بآية فيها سؤال سأل ، وإذا مر بآية فيها وعيد

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٤) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٢).

استعاذ بالله، وإذا مر بآية فيها أمر أجاب ، وإذا مر بآية فيها نهي اجتنب، وهكذا تكون المناجاة بالقرآن بقراءة حية يعي فيها القارئ لمن يقرأ ، وماذا يقرأ ، ولماذا يقرأ ، ومن يخاطب بقراءته، وماذا يحتاج منه وما يجب له نحوه من التعظيم والتكبير والحمد والشكر: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الرحمن الرَّحِيمِ ﴿٢﴾] [الفاتحة : ٢-٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١] .

وأما قراءة القرآن بقصد الحصول على الثواب العظيم ، فالقرآن متعبد بتلاوته، ومتعبد بتدبره ، ومتعبد بالعمل به فقراءة الحرف الواحد بحسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، وترتب الأجور العظيم على قراءة القرآن للترغيب في قراءته وتدبره ، ثم العمل به وإبلاغه للناس: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبُوا عَنْ بَيْنِهِ وَيَتَذَكَّرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » . رواه الترمذي بسند صحيح (١) .

قال ﷺ : « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » . متفق عليه (٢) .

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٩١٠) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٧) ، ومسلم برقم: (٧٩٨) ، واللفظ له .

وقال ﷺ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري (١)

وقال ﷺ: « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » . أخرجه مسلم (٢)

وقال ﷺ: « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ » .

أخرجه الترمذي بسند صحيح (٣)

وقال النبي ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ

وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا

وَطَعْمُهَا حُلْوٌ » . متفق عليه (٤)

وقال ﷺ: « وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ

وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ

الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » . أخرجه مسلم (٥)

فهنيئاً لمن تلا كتاب ربه بالنعف عظيم والعلم الكبير والأجر الكريم : ﴿ ذَلِكِ

فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٤] .

وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

وإذا امتلأ القلب بحب القرآن والعلم بما فيه ، والعمل به وحسن مناجاة الله

به ، وطلب الثواب بتدبره وقراءته بكى القلب حباً لله وتعظيماً له وحمداً لله

وأكثر اللسان من ذكره وحمده وشكره والتوبة إليه واستغفاره ، وإذا خلا

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٠٤).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٩١٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٢٧)، ومسلم برقم: (٧٩٧)، واللفظ له.

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٩٩).

القلب من المعاصي بكت العين إجلالاً وتعظيمًا وحبًا للملك الكريم
 الوهاب: ﴿ وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩ ﴾ [الإسراء: ١٠٩]
 وقال الله عز وجل: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣٦ ﴾ وله
 الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣٧ ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

المفتاح الثالث: أن يقرأ المسلم القرآن حفظًا من قلبه ، فالقلب العامر بحفظ
 القرآن لا يقربه شيطان، كما قال سبحانه: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ۝٤٩ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

فالقلوب أوعية الإيمان والقرآن ، وكما أن البيت الخرب مأوى الشياطين ،
 فكذلك القلب الفارغ من القرآن مأوى الشياطين: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
 جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ۝٤٥ ﴾ وجعلنا على قلوبهم أكنة
 أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ نُفُورًا ۝٤٦ ﴾
 [الإسراء: ٤٥-٤٦].

وعن ابن عباس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ
 مِنَ الْقُرْآنِ ، كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ » . أخرجه الترمذي بسند صحيح^(١).

والمؤمن الحافظ لكتاب الله عز وجل أو الحافظ لبعضه جنته وبستانه في
 صدره ، أنى ذهب فهي معه يأخذ منه ما شاء متى شاء ، ويزداد بها ثباتًا
 ويقينًا: ﴿ وَإِنَّمَا لَنزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ ﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
 الْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ ﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝١٩٥ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وقال الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
 تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨ ﴾ [الرعد: ٢٨].

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٩١٣).

ومثل حافظ القرآن وغير الحافظ كاثنين في سفر ، أحدهما زاده التمر ، والثاني زاده الدقيق ، فالأول يأكل متى يشاء وهو على راحلته ، والثاني لا بد له من النزول والعجن وإيقاد النار والخبز : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلِّ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٣- ٧٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

فحفظ القرآن الكريم أحد مفاتيح التدبر ؛ لسهولة استحضاره بشكل سريع ومباشر ، وتدبر معانيه في كل وقت ، والعلاقة بين الحفظ والتدبر لآيات القرآن أن حفظ القرآن وتكرار قراءته وترديده وهو محفوظ أفضل من تكرار قراءة نظراً ؛ لأن التفكير في المحفوظ مستمر .

أما غير المحفوظ فيقف التفكير فيه عند إغلاق المصحف ، وحفظ القرآن الكريم وسيلة لا غاية ، وسيلة لحفظ المعاني والانتفاع بها ، والمقصود الأعظم من حفظ القرآن تدبر معانيه وحفظ ما تضمنه من العلوم والأخبار والأحكام ، وأعظمها العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم العلم بدينه وشرعه والعلم باليوم الآخر ، ثم التبعده لله بمقتضى ذلك : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] .

وحفظ القرآن وتكرار قراءته أعظم وسيلة للثبات أمام الأزمات : ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان: ٣٢] .

٢ - الخزانة الثانية

• مفاتيح تدبر القرآن :

المفتاح الرابع : الجهر بالقرآن والتغني بالقراءة .

الجهر بالقراءة وتزيين الصوت بالقراءة أعون على الفهم والتدبر والانتباه وحضور القلب ، والتغني وتزيين الصوت بالقراءة هو السنة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » ، وَزَادَ غَيْرُهُ : « يَجْهَرُ بِهِ » . رواه وأخرجه البخاري (١)

عن أبي هريرة أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ ، يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ » . متفق عليه (٢)

وعن أم هاني رضي الله عنها قالت : « كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي » . أخرجه النسائي وابن ماجه بسند حسن (٣)

• والجهر بالقراءة درجات :

أدناها أن يسمع المرء نفسه وأعلاها أن يسمع من قرب منه وكلما كان الصوت مشدودًا حيًا كان أعمل على التدبر والفهم وطرده الوسوس والأفكار التي تصرف القلب عن التدبر : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [٣٧] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٥٢٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٢).

(٣) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (١٠١٣)، وأخرجه ابن ماجه. رقم: (١٣٤٩).

وقال الله عز وجل: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠].

• والجهر بالقرآن له فوائد وثمراته :

- ١- منها أنه يساعد على حضور القلب وتدبر المعاني وفهم الخطاب .
- ٢- ومنها استماع الملائكة الموكلة بسماع الذكر وهروب الشياطين ، وفرارهم من القارئ والمكان الذي يقرأ فيه القرآن .
- ٣- ومنها أن الجهر بقراءة القرآن فيه تطهير للبيت و تعطي له بالذكر وحصول الخير والبركة فيه ؛ لأن الملائكة فيه والشياطين خرجت منه ، والنور يملأ أرجائه .

أما كيفية التغني بقراءة القرآن فيكون بتشغيل جميع الجوارح الصوتية من اللسان والشفيتين والحلق بالقراءة ، وكلما كانت القراءة بتغن وحسن صوت كانت أقوى تأثيراً ، وأقوى توصيلاً لمعاني إلى القلب ، وأعظم أثراً في خشوع القلب ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣].

والتغني المطلوب شرعاً هو المرتبط بخشوع القلب وتدبر المعاني وفهم الآيات وحسن الصوت بالقرآن ، أجمل صوت سمعه البشر وحسن الصوت له ارتباط قوي بخشوع القلب ، فقوة التغني بالقراءة تؤدي إلى خشوع القلب ، وخبوع القلب يؤدي إلى قوة التغني بقراءة القرآن ، أما التغني المذموم فهو المنفك عن التدبر والتأمل والخشوع : ﴿ وَيَخْرُونِ لِلْأَذْقَانِ

يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٩]

وقال عز وجل : ﴿ إِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۗ ﴾ [مريم: ٥٨].

المفتاح الخامس : ترتيل القرآن الكريم .

ترتيل القرآن الكريم هو قراءة بترسل وتمهل مع تجويد اللفظ وحسن الصوت ، كما قال سبحانه : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۗ ﴾ [المزمل: ٤].

وقراءة القرآن على تمهل وتأنى عون على فهم القرآن وتدبره .

عَنْ حَفْصَةَ ، أَنَّهَا قَالَتْ : « مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا ، حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِعَامٍ ، فَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا ، وَكَانَ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرْتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا » . أخرجه مسلم (١).

عَنْ حُدَيْفَةَ ، قَالَ : « صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ، ثُمَّ مَضَى ، فَقُلْتُ : يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ ، فَمَضَى ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ بِهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ ، فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ ، فَقَرَأَهَا ، يَقْرَأُ مُتْرَسِّلًا ، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ، ثُمَّ رَكَعَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ » ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ ، فَقَالَ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى » ، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ . قَالَ : وَفِي حَدِيثٍ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ ، فَقَالَ : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ » . أخرجه مسلم (٢).

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٣٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٧٢).

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سألت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت : « كان يقطع قراءته آية آية : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ ﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ ﴾ [الفاتحة: ١ - ٧] »
 أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح^(١).

فترتيل القرآن والترسل في قراءته وحسن الصوت به والتغني به ، زين القرآن وعونٍ على فهم آياته وأحكامه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ١ ﴾ قُرْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ٢ ﴾ يَصْفُهُ ٣ ﴾ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ ﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٤ ﴾ [المزمل: ١-٤].

ومن رتل القرآن وتدبره ، كمل انتفاعه بالقرآن وحقق المقاصد المطلوبة من قراءة القرآن ، واتبع هدي النبي ﷺ وأصحابه في القراءة والترتيل والتدبر ، وربط الترتيل أن يتمكن القارئ من التدبر والتفكير والتأمل حين القراءة ، وهذا يتطلب التمهل والترسل ، بل يتطلب أحيانا التوقف ، وذلك يتفاوت من قارئ إلى آخر : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ٢٩ ﴾ [ص: ٢٩] .

المفتاح السادس : التوقف والتكرار .

التوقف حين قراءة القرآن أو تكرار الآية يزيد في فهم معنى الآيات ، وعمق فهمها والتوقف والتكرار للآيات يحصل تعظيماً لمن تكلم به سبحانه وإعجاباً بقوة معاني القرآن وحسن ألفاظه وحسن أحكامه وأخباره والتكرار لآيات القرآن إنما هو نتيجة وثمرة للفهم والتدبر ووسيلة للفهم التدبر إذا لم توجد .

(١) صحيح / أخرجه أبي داود برقم: (٤٠٠١)، وأخرجه أحمد برقم: (١٩٤٦٤).

عن أبي زر رضي الله عنه : « قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَيَّةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يَرُدُّهَا » ﴿١١٨﴾ [المائدة: ١١٨] .
 أخرجه ابن ماجه وحسنه الألباني في سنن النسائي (١).

وفي كل تكرار وفي كل تدبر فهم جديد وعلم جديد وتعبد جديد : ﴿١١٩﴾ [الإسراء: ١٠٩]

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ ﴿٥٨﴾ [مريم: ٥٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

المفتاح السابع : القيام بالقرآن الكريم في الصلاة

فتلاوة القرآن في الصلاة وتدبره ينتج عنه حياة القلب وقوته وعافيته وطمأنينته وسكونه .

(١) حسن/ أخرجه ابن ماجة برقم: (١٣٥٠)، وأخرجه النسائي برقم: (١٧٧/٢).

فالإكثار من تلاوة القرآن في الصلاة من أهم مفاتيح تدبر القرآن وأعظمها شأنًا خاصة في الليل فالتهجّد والقيام بالقرآن في الصلاة ليلاً طريق للوصول إلى المقامات العالية في الدنيا والآخرة: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] .

والقيام بالقرآن هو السبيل لتحمل الأحمال الثقيلة التي تواجه الإنسان في الحياة سواء كانت دينية أو دنيوية: ﴿ يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَضْفَعُهُ ۖ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾ [المزمل: ١-٦] .

ولهذا من آمن بالله آمن بكتابه ورجع إليه في حل مشاكله ، ولما كان العلماء أعرف الناس بذلك قاموا به بين يدي ربهم ركعًا سجدًا فرجع درجاتهم وأعلى مكانه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنْتِ ۗءَانَاءُ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو ٱلْأَلْبَابِ ﴿١﴾ ﴾ [الزمر: ٩] .

وأكثر الناس علمًا أكملهم إيمانًا وأصدقهم عبادة: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَآبِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ ٱللَّهِ ءَانَاءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٣]

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِءَايَاتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧] .

• والمنافسة والمسابقة مشروعة في أمرين :

١- القيام بالقرآن تلاوة وتصديقاً وتطبيقاً .

٢- وإنفاق المال في سبيل الله وهذان هما الطريق الأفضل لكل الفضائل ومنهما تتفرع الخيرات والبركات والسعادات في الدنيا والآخرة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ » . متفق عليه (١) .

فمن تعلم القرآن وعلمه وعمل به كمثل جراب محشوة مسكاً يفوح ريحه من كل مكان ومن تعلم القرآن ولم يقم به ولم يعمل به بل ركض عنه ، كمثل من اشترى طيباً وتركه مقفلاً في قارورته فلم ينتفع به ولم نفع غيره به .

الطريق إلى حفظ القرآن وتثبيت آياته في القلب وتذكر معانيه والتأثر بما فيه من المواعظ والأخبار والقيام بالقرآن ، وعدم القيام به سبب لنسيانه والحرمان من نوره وبركات . ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ » . أخرجه مسلم (٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨١٥).

(٢) أخرجه مسلم رقم: (٧٨٩).

وحفظ معاني القرآن ورسوخها في القلب وكونها حاضرة في الذهن في كل وقت هذا المقصود من إنزال القرآن والقيام بالقرآن : ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .

فكل من قام بالقرآن يتلوه ويكرره في صلاته آناء الليل وآناء النهار ويتدبر معاني آياته تجده أنور الناس وجهًا وأحسنهم أدبًا وتجد إجاباته إذا سُئِلَ حاضرة وسريعة وقوية لأنه يجيب من كلام ربه الذي حفظه من كثرة تلاوته وتدبره .

وتجده كذلك وقافًا عند حدود الله مسارعًا إلى امتثال أوامر الله : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٥] .

ومن تربي على هذا المفتاح من صغره صار هذا المفتاح بيده في كل أوقاته وسهل عليه الانتفاع بكتاب ربه وصار أسعد الناس : ﴿ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا فَأَمَّا يَا تِينَكُم مِّنِي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩] .

فكثرة الصلاة وتكرار القرآن فيها وتدبر معاني الآيات تحصل بها الحياة للقلب والبدن ومواجهة الصعاب : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣] .

فالقرآن مع الصلاة هما سبيل النجاة وفيهما المفزع إلى الله لدفع الضر وجلب النفع وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة : ﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩].
 وقال الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

والقيام بالقرآن وتدبره أساس السعادات وأساس الأمن والهداية والطمأنينة: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ [١١] إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ [المعارج: ١٩-٢٣].

فهنيئاً لمن وفقه الله بحفظ كتابه والقيام به وتدبر معانيه وتصديق أخباره وتطبيق أحكامه والتأدب بآدابه فهذا هو المقصود من إنزاله والقيام به: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣٠] نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ [٣١] نَزَّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

ولكن قد يوجد من يقوم بالتهجد ليلاً ويقوم في النهار بالغش والكذب والخداع والنفاق ويجزع ويتسخط ويحسد ويأكل الربا ويأكل حقوق الناس ويمشي بالغبية والنميمة ويأكل الربا ويغشى المحرمات فهذا قيامه قيام ليل أجوف فهو يركع ويسجد بقلبه لا بقلبه وقيامه مجرد حركات لا يعقل منها شيئاً وقصده تكثير الركعات والتسليمات وليس القيام بالقرآن الذي هو أصل العلم والإيمان: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

وبعض حفاظ القرآن جعلوا صلاتهم بالليل وسيلة لمراجعة حفظه دون أن يحضر معه قلبه ودون أن يعي من يقف بين يديه في صلاته ودون أن يعي عظيم قدر الصلاة وتطبيق أحكامها قلباً وقالباً ظاهراً وباطناً وكذلك من همه ختم القرآن كما في رمضان فليس هذا ولا ذاك من القائمين بالقرآن كما أمر الله به وكما فعله رسوله ﷺ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وقال الله عز وجل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَيَخْرُجُونَ لِلْآذِقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩ ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وإذا قام العبد يتلوا كتاب ربه في صلاته فإنه يناجي ربه ويزداد قرباً منه فليعبد ربه كأنه يراه وليتأدب بين يديه ويسلم له قلبه وجوارحه: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَفُؤُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝٢٣٨ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ إِنْ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ ». أخرجه البخاري^(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ ، فَلَا يَبْزُقَنَّ أَمَامَهُ ، فَإِنَّهُ مُسْتَقْبَلُ رَبِّهِ » . أخرجه مسلم^(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٠٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٥١).

والمسلم في صلاته يتوجه بقلبه إلى ربه ويتوجه ببدنه إلى معظم بأمر الله وهو الكعبة: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَالإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . متفق عليه (١).

والمقصود من الصلاة القيام بين يدي الله تمجيذاً وتكبيراً له وحمداً وشكراً له وسؤاله واستغفاره وتقديم التحيات المباركات للذي خلقنا وهدانا وأطعمنا وسقانا وبعض المسلمين يقوموا إلى الصلوات المفروضة ويصليها على أنها واجب يؤديه وبعضهم يستكثر من النوافل طمعاً في زيادة الثواب والأجر أو تكفير السيئات ومحو الذنوب أو رفعة الدرجات .

وهذه بعض مقاصد الصلاة وروح الصلاة شيء آخر وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي ما زالت جارية حديثة السن في عهد الرسول ﷺ كانت تنظر إلى الصلاة بهذا الفهم ولهذا تعجبت من كثرة وطول صلاة النبي ﷺ فكانت تظن أن من غفرت ذنوبه لا يحتاج إلى كثرة الاجتهاد في الصلاة فبماذا أجابها زوجها العالم بربه وما يجب له من التحميد والتكبير والحمد والشكر والثناء على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ؟ .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرَ رِجْلَاهُ قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » . متفق عليه (٢).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٣٠)، ومسلم برقم: (٢٨٢٠)، واللفظ له.

ولهذا شرع الله لنا أنواع الصلوات المفروضة والسنن المؤكدة والمستحبة لما فيها من عظيم المنافع : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

المفتاح الثامن : أن تكون قراءة القرآن الكريم في الليل فأفضل الأوقات للتفكير والتدبر للقرآن هو الليل خاصة وقت السحر ، كما قال سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ① قُرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② يَضْفَهُ ③ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ④ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَبُّ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ⑤ إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥ ﴾ [المزمل: ١-٦].

وسبب بركة هذا الوقت أن الإنسان إذا قام للتهجد في الليل يكون بدنه مستريحاً وذنه صافياً مستعداً لفهم المعاني ، وفقه الأسرار : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِئٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ① ﴾ [الزمر: ٩].

ووقت السحر مبارك ؛ لأنه وقت نزول الإله إلى السماء الدنيا حبا لعباده ليعطيهم ما سألوه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » . متفق عليه (١)

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٢١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٥٨).

فلا يثبت القرآن في الصدر ولا يسهل حفظه ولا يتيسر فهمه إلا القيام به في الليل ، فأمر تريد تثبيته في الذاكرة وحفظه فليكن في هذا الوقت : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [المزمل: ٦] .

وقيام الليل سنة الأنبياء والمرسلين ، ودأب الأتقياء والصالحين ، وبه يجتمع لهم خير الدنيا والآخرة : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣]

إن قراءة القرآن في صلاة الليل في التهجد يحصل معها الصفاء والهدوء حسن الفهم وقوة التدبر ، حيث لا أصوات تشغل الأذن ولا صور تشغل العين فيحصل للقارئ والمصلي صفاء التركيز الذي يؤدي إلى وصول معاني القرآن في القلب .

ولهذا كانت مدارس جبريل للنبي ﷺ للقرآن في كل ليلة من رمضان ؛ لأن الليل فيه السكون والهدوء ، أما النهار فهو مظنة الشواغل والملهيات والحاجات والأصوات فلا يصفوا الذهن لتدبر القرآن وفهم معانيه التي هي المقصودة من القيام به .

ولهذا كانت صلاة الليل والوتر من السنن المؤكدة ، لما في ذلك الوقت من الهدوء والنزول الإلهي ، وفتح أبواب السماء والبعد عن الرياء وفراغ الذهن من الشواغل ، وكان النبي ﷺ يقوم الليل بثلاثة عشر ركعة أو إحدى عشرة ركعة ، وهي الأكثر من فعله ﷺ .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » . أخرجه مسلم (١) .

لهذا ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن ينتفع بهذا المفتاح العظيم ، وأن يقوم بتلاوة وتدبر كتاب ربه في هذا الوقت ، وما حرم أحد من القيام في هذا الوقت إلا بذنب أحدثه ، فليتب العبد إلى ربه ويكثر الاستغفار في كل وقت : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] .

والإسراء بالنبي ﷺ كان ليلاً : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] .

والقراءة للقرآن في الليل أنفع للقلب ، كما أن السقي للنبات في النهار أنفع للنمو والثمرة .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٤٧) .

٣- الخزانة الثالثة

• مفاتيح تدبر القرآن :

المفتاح التاسع : التحزيب للقرآن الكريم .

قراءة القرآن غذاء ودواءً للقلوب كالغذاء والعلاج للأبدان ، فلا بد أن تكون بقدر معين لا تزيد عليه ولا تنقص منه حتى يحدث الأثر في القلب من تعظيم الله ومحبته وحمده وشكره وامتناله وأمره واجتناب نهيه ، والله سبحانه أنزل القرآن لنعمل به ووسيلة العمل به العلم به وذلك يحصل بتكرار قراءته وتدبر معانيه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وكلما تقاربت أوقات القراءة وكثرت تكرار القراءة ، كان ذلك أقوى لحفظ القرآن في القلب وفهم معانيه وأسراره ، فما تكرر تقرر ، ولهذا عظمت أجور قارئ القرآن وشرعت أنواع الصلوات من أجل ذلك ، والمدة التي أقرها النبي ﷺ لأُمَّته بقراءة القرآن لمن رغب في الخير والعلم هي سبعة أيام إلى شهر ، ونهى عن قراءته في أقل من ثلاث .

لهذا ورد عن أصحاب النبي ﷺ أقوالٌ وأفعالٌ تؤكد على أهمية تحزيب القرآن ، وأن يكون له أوقات معلومة ليسهل حفظه وتدبره وفهم معانيه : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَنَّابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ [المزمل: ٢٠] .

ولا يمكن للمسلم من إتباع ما جاء في كتاب الله إلا بالمدائمة على قراءته بوقت معين بقدر معين : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١٥٥: الأنعام] .

وحياة القرن الأول أفضل حياة بسبب ملازمة تلاوة كتاب الله وتدبر معانيه والعمل بأحكامه ، وما يوجد في حياتنا اليوم من نقص الإيمان والأعمال واضطراب الأحوال إنما هو بسبب هجر القرآن تدبراً وعملاً وتخلقاً ، وقال الرسول : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يُرَبِّ إِنَّا قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [٣٠: الفرقان] .

إن أول مرحلة وأول خطوة في ميدان طلب العلم هي القيام بقراءة القرآن حفظاً وتدبراً وتلاوةً في كل سبعة أيام وأي استعجال في هذا الأمر حصداً للنتائج قبل نضجها وإتيان للبيوت من ظهورها : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [٤: المزمل] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [٢٤: محمد] .

فحافظ أخي المسلم على قراءة حزبك من القرآن ، فإنه من أعظم العبادات إن تدبرت آياته وفهمت معانيه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢: الأنفال] . ومن اشتغل بفروع العلم الشرعي بجل أوقاته وقصر في القيام بالقرآن وتدبره ، فقد هجر أعظم مصادر الإيمان والعلم والفقه : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [٦٨: المؤمنون] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١٥٥: الأنعام] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ نَامَ عَن حِزْبِهِ أَوْ عَن شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » . أخرجه مسلم (١) .

عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَبْطَأْتُ عَلَيْنَا اللَّيْلَةَ قَالَ إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبِي مِنَ الْقُرْآنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُخْرِجَ حَتَّى أُتِمَّهُ ، قَالَ أَوْسُ بْنُ حَذِيفَةَ فَسَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ تُحِزُّونَ الْقُرْآنَ قَالُوا ثَلَاثٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ وَتِسْعٌ وَإِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَحِزْبُ الْمُفْصَلِ » . أخرجه أحمد ورواه ابن داود بسند صحيح (٢) .

والختم في سبع هو فعل أكثر السلف وهو أوسط الأمور وأحسنها وهو فعل أكثر الصحابة ، والتحزيب قراءة القرآن كل أسبوع من أجل أن يتقارب وقت القراءة التي هي سبب لقوة الحفظ وفهم معانيه هي الأحسن كلما تقاربت أوقات القراءة كل ما قوي الحفظ والضبط .

وكان أكثر السلف يختمون كل سبعة أيام وأحياناً كل ثلاثة أيام لعلمهم أن أكثر من هذه المدة يؤدي إلى نسيان الألفاظ والمعاني ، ومن ثم ينقص الإيمان والعمل الصالح ويذهب الأُنس بالله وتحصل وحشة لفراق القرآن وحفظ الألفاظ ، قد يكفي شهر أو أقل لكن فهم المعاني لا بد له من التقارب ليحصل الفهم والتأثر ، والناس يختلفون في التحزيب حسب قوة الإيمان والأبدان والأفهام لكن فعل الصحابة والسلف أحسن منفعة، كما قال

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٤٧) .

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٦١٦٥)، وأخرجه أبي داود برقم: (١٣٩٣) .

السلف « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ » . متفق عليه (١)

والأولى والأحسن هو السنة في تحزيب القرآن وتقسيمه على السور بأن تقرأ السورة في الليلة الواحدة كاملة وهذا هو السنة وعليه عمل الصحابة والتابعين أن يكون التقسيم موافقاً أو متوافقاً مع نهايات السور .
وعلينا أن ننوي القيام بالقرآن كاملاً في كل أسبوع حفظاً ، وفي ليل مع الجهر والترتيل والترسل والتدبر ليكتب الله لنا أجر النية ، ثم نبدأ الحفظ والتدبر بالتدرج والأسهل والأيسر أن نبدأ بجزء عم ونقسمه إلى سبعة أقسام كل ليلة نقرأ بجزء ، أو تكون البداية بالمفصل نحزبه سبعة أحزاب لكل يوم من أيام الأسبوع حزب كما سبق ، ثم نزيد على هذا المقدار بالتدرج بنفس الطريقة والمقدار بحيث نختم المقدار الجديد كل أسبوع حتى يثبت ويرسخ في الذهن .

• وكم نعطي من الوقت لقراءة القرآن وتدبره كل يوم ؟ .

نعطيه ما يستحقه من الوقت كما ورد في القرآن : ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمِلُ ۝١﴾ فُرِّ الْيَلَّ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ [المزمل: ١-٦] .
وقال الله عز وجل : ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمِلُ ۝١﴾ فُرِّ الْيَلَّ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ [المزمل: ١-٢] .
أي كثيراً .

وما هو حد الكثير ؟

قال الله عز وجل : ﴿نِصْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ [المزمل: ٣-٤] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٣٣).

والليل غالباً اثنتا عشر عشرة ساعة نصفه ست ساعات وثلاثة أربع ساعات .
وأما خطوات تحزيب وتدبر القرآن فتكون بتحديد مقدار الوقت اليومي
وتحديد ما يمكن قراءته مع التدبر من السور أو الأوجه حفظاً أو قراءة في
الصلاة أو غيرها مع القراءة والترتيل وتحديد الختمة كل أسبوع أو أسبوعين
أو شهر حسب الرغبة والقدرة وفسحة الوقت ، وبذلك يهون على الإنسان
ما كان صعباً ويتيسر ما كان عسيراً ويمتلئ القلب بالقرآن وتدبر معانيه وفقه
أحكامه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ١٧]

وقال الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:
٢]

المفتاح العاشر : الربط والذكر

والربط والذكر معناه أن يربط القاري أثناء قراءته وتدبره بين اللفظ والمعنى ،
وبين ما يجد في كتاب ربه ، وبين ما يعيش في حياته من مختلف الأحوال :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾
[الأعراف: ٢٠١] .

والربط أو التذكر أو التداعي الهامات وفتوحات يفتحها الله تعالى على من
يشاء من عباده ، ويحصل عفواً وأحياناً يكون قصداً ، بأن يربط القاري
المعنى باللفظ ثم التكرار حتى يرسخ في الذهن ، ويثبت اللفظ مع المعنى
في القلب : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾
[ق: ٣٧] .

والربط ينقسم إلى قسمين :

الأول : ربط المعنى باللفظ ، بأن يحفظ الآية ومعناها .

الثاني : ربط العلم بالعمل ، بأن يفهم معنى الآيات ويطبق ما فهمه منها على واقع حياته ، بحيث يبقى القرآن حياً في القلب تؤخذ منه الأحكام والتوجيهات والآداب في كل صغيرة وكبيرة : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٦١) ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) ﴿ لَا شَرِيكَ لَهٗ ، وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٦٣) ﴿ [الأنعام: ١٦١-١٦٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ الْم ۝١ ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴿ [البقرة: ١-٢] .

• والتكرار الذي يتحقق به الربط ، ويحصل به النفع ، نوعان :

١- التكرار اليومي .

٢- والتكرار الأسبوعي .

وفي كل تكرار يحصل فهمٌ جديد وعلمٌ جديد وإيمانٌ جديد وتطبيقٌ جديد وعملٌ جديد ، والناس يختلفون في الحفظ وفهم المعاني وحسن التدبر ، كالأرض تختلف في الإنبات إذا نزل عليها ماء السماء : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ﴿ [الحج: ٥] .

هذه هي أهم مفاتيح تدبر القرآن لمن أراد أن يتنفع بهدي القرآن الكريم ، ويسعد بنور القرآن ، ويخشع لربه عند تلاوة كتابه أو سماعه .

وهذه المفاتيح هي حب القرآن الكريم واستحضار الأهداف من قراءة القرآن ، وقراءة القرآن حفظاً من قلبه ، والجهر بالقرآن والتغني بالقراءة ،

وترتيل القرآن الكريم والتوقف والتكرار أثناء القراءة ، والقيام بالقرآن في الصلاة ، وأن تكون القراءة في صلاة الليل ، وأن يحزب القرآن ويقسمه ليسهل حفظه وفهمه وتدبره ، والربط بين ألفاظ القرآن ومعانيه ، وبين العلم والعمل به في كل حال .

فمن فتح القرآن العظيم بهذه المفاتيح العشرة ، فتح الله له أبواب الفهم والعلم والتدبر ، ووجد طعم الإيمان وحلاوة القرآن ، وحسن التعبد لربه بقلبه وقاله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأفال: ٢-٤] .

ومن استعمل هذه المفاتيح العشرة كان كمن استعمل منظار التقريب وتكبير الصور والأشياء ، فرأى الحق حقاً ثم اتبعه ، ورأى الباطل باطلاً ثم اجتنبه ، ووصل من المخلوق إلى الخالق ، وتجاوز الصور إلى المصور ، وتجاوز الدنيا إلى الآخرة .

ومن أراد أن يتدبر القرآن ويتأثر به ويتنفع به ، فعليه أن يهيئ الأسباب التي تعينه على فهمه وتدبره ، ولا يقتصر فقط على حسن نطق الألفاظ وما يحصل له من أجور القراءة من حسنات .

٤ - الخزانة الرابعة

إن من حافظ على قراءة القرآن وواظب على ذلك كما تم بيانه ، فإنه بإذن الله سوف يحيي قلبه وتقوى ذاكرته ويزيد إيمانه وعلمه وعمله وتحسن أخلاقه ويرى نور القرآن في قلبه وعلى لسانه وجوارحه ، ويصبح من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٦٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] .

وأعظم هدية يقدمها والد إلى ولده ، مدرس إلى طلابه ، وأعظم إحسان من إنسان إلى أخيه ، أن يريه على مفاتيح تدبر القرآن خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن ، وانتشر فيه الفساد والقلق والملل والانحراف والشهوات : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٥٣] وقال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١-٣] .
وبإذن الله سوف تنبت الأرض ، وتورق الأشجار ، وتنضج الثمار : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] .
والقرآن العظيم هدى ورحمة ، وذكرى وموعظة ، وبيان وشفاء للقلوب والأبدان : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءً ط﴾ [فصلت: ٤٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٨﴾ [آل عمران: ١٣٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩] .

وأولادنا وبناتنا أماناتٌ في أيدينا ، فعلينا أن نرغبهم بقراءة القرآن ، وتدبره وحفظه بأن نكون قدوة لهم في حسن تدبره والإكثار من تلاوته: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَآقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠] .

وإذا وصلت إلى تدبر القرآن الكريم ، وتدبر السنة النبوية فهذا نورٌ على نور ، يجمع بين العلم والعمل ، ويصلح به الظاهر والباطن ، ويكون به جمال الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿كُنْتُ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّدَّبَرُوا ءِابْتِهٖهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢٩﴾ [ص: ٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وقال الله عز وجل: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿٨﴾ [التغابن: ٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

• لماذا نتدبر القرآن ؟ .

القرآن العظيم كتاب كريم فيه تبيان كل شيء ، وبه أخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى التوحيد ومن الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الهداية : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

لهذا يجب على كل مسلم ومسلمة تدبر القرآن لما فيه من المصالح العظيمة والمنافع الجمة والأجور العظيمة .

فأولاً : نتدبر القرآن الكريم لنعرف الرب المعبود بأسمائه الحسنى وصفاته العلا وأفعاله الجميلة ، ونعرف عظمة خزائنه ونعرف عظمة ملكه وسلطانه ونعرف عظمة أمره وشرعه ونعرف عظمة وعده ووعيده وعظمة ثوابه وعقابه ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

﴿ أولياء الشيطان ﴾: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ﴿٢٤﴾
[محمد: ٢٤].

وقال الله عز وجل: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ
أُولَئِئَا الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١٩﴾ [الرعد: ١٩].

رابعًا: نتدبر القرآن الكريم لنعرف ما هي الواجبات الكبرى التي يجب على كل مسلم ومسلمة القيام بها لنصرة الدين وأركانه وإبلاغ دينه وتعليم شرعه والإحسان إلى خلقه، ونعرف فضائل هذه الأعمال ليسهل علينا القيام بها، ونعرف الأجر العظيمة لمن قام بها، ونعرف الخسائر والعقوبات لمن تركها: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ. وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولَئِئَا الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].
وقال الله عز وجل: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِهِ مُتَشَبِهَاتٌ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ [البقرة: ٢٥].

فتوعد الله لمن كتم هذا العلم العظيم بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠] .

خامساً : نتدبر القرآن العظيم ليزيد إيماننا ويقوى توحيدنا وتحسن أقوالنا
وأعمالنا وأخلاقنا ، وذلك بالنظر والتفكر والتدبر للآيات الكونية والآيات
الشرعية : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾
[آل عمران: ١٩٠- ١٩١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا
مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾
بَصِيرَةً وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦- ٨] .
وقال الله عز وجل : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ
وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .
وقال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾
[الأنبياء: ٣٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾
[محمد: ٢٤] .

ونتدبر القرآن لنعرف حياة الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله .

سادساً : نتدبر القرآن لنعرف حياة الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله هداية إلى عباده إلى الصراط المستقيم ، ونعرف طريقة حياتهم وصدق إيمانهم وجميل صفاتهم وإحسانهم إلى الخلق وكمال تقواهم وصبرهم في جميع الأحوال على من كذبهم وسبهم واستهزأ بهم من أقوامهم .

وكيف جعل الله العاقبة لهم وذلك لنقتدي بهم في الإيمان والتوحيد وأقوالهم الحسنة وأعمالهم الصالحة وأخلاقهم الكريمة والدعوة إلى الله وتعليم شرع الله والإحسان إلى الخلق : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١] .

وقال : ﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١] .

وقال : ﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤] .

وقال : ﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١] .

وقال : ﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦] .

وقال : ﴿ وَأذْكَرُ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [ص: ٤٥-٤٧] .

سابعاً : نتدبر القرآن لنعرف عدو الإنسان الذي لا يغفل عنه أبدا وهو الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والدنيا التي تشغل العبد عن الدين والهوى الذي يصد عن الهدى ، وإذا عرفنا العدو اتقينا وحاربناه : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿۶۰﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿۶۰﴾ وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿۶۱﴾ [يس: ٦٠: ٦١].

وقال الله عز وجل: ﴿۲۰۸﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿۲۰۸﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال الله عز وجل: ﴿۵۳﴾ وَمَا أُبْرِيٓ نَفْسِيٓ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّيٓ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿۵۳﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال الله عز وجل: ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرَتَكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَتَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ [فاطر: ٥].

وقال الله عز وجل: ﴿٥٠﴾ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ [القصص: ٥٠].

ثامناً: نتدبر القرآن الحكيم لنعرف قيمة الدنيا التي نحن فيها ، ونعرف قيمة الآخرة التي سوف نصير إليها ، ونعرف ماذا يجب علينا أن نعمله في هذه الحياة الدنيا ؟ وماذا يجب علينا أن نتركه ؟ وماذا أعد الله في الدنيا والآخرة من النعيم والأمن والسعادة لمن آمن به ؟ وماذا أعد الله في الدنيا والآخرة من العذاب والظنك لمن كفر به وعصاه ؟

ليكون ذلك محرّكاً للقلوب بأنواع العبادات والطاعات وزاجراً عن المعاصي والسيئات: ﴿٦٤﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال الله عز وجل: ﴿٢٠﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ مِّنْ بَيْنِكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَّةٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنَ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

عَرَضَهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ؕ ذَلِكَ فَضْلُ
 اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد: ٢٠-٢١].
 وقال الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا
 يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

فهذه المعارف الكبرى من أعظم أمارات تدبر القرآن والقرآن كله يقرر هذه
 المسائل العظيمة الكبرى .

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم فقه هذه المعارف العظيمة والعمل
 بموجبها ومن تحصل على ذلك بفضل الله فقد دخل جنة المعرفة في الدنيا
 الموصلة إلى جنة الآخرة يوم القيامة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ
 وِرْضُونَ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

٥ - الخزانة الخامسة

• مقاصد الإسلام الكبرى :

من مقاصد الإسلام الكبرى هداية الناس إلى الحق فقد أنزل الله القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] .

وقال عز وجل : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

ومن آمن بذلك وجب عليه أن يهتدي بالقرآن ويحكم بأوامره في حياته ويتأدب بأدابه ويصدق أخباره ويمثل لأوامره : ﴿ كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّيَذَّبَ رُءُوسَ الْيَافِثِينَ وَيُؤْمِنُوا بِآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .

فمن آمن بالقرآن وصدق بأخباره وعمل بأحكامه ، حصلت الهداية له والبركة في عمره وأعماله ، وفي جميع أحواله : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١٧- ١٨] .

ومن مقاصد القرآن تقرير التوحيد ونفي ضده وهو الشرك ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء: ٣٦] .

والقرآن كله دعوة للتوحيد ونهي عن الشرك ، فلا بد لكل عبد من إخلاص العمل لله ، ولا بد له من أدائه على ما جاء به رسول الله ﷺ فلا بد من هذين التوحيدين .

توحيد القصد : وهو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك .

وتوحيد الإتيان : للرسول ﷺ .

إذا تحقق التوحيدان صحت الأعمال ، وإذا اختل أحدهما فإنه يختل من عمل العبد بقدر ما اختل من توحيديه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فأصل الدين كله عبادة الله وحده لا شريك له الرب العظيم المتفرد بالخلق والأمر المتفرد بالأسماء الحسنی والصفات العلی والأفعال الحميدة والمثل الأعلى ، المتفرد بالنعمة الظاهرة والباطنة ، المتفرد بصفات العظمة والمجد وصفات الجلال والجمال ، المتفرد بالحكم والأمر القدري والشرعي والجزائي .

فمن له هذا الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد هو أحق من أخلصت له الأعمال الظاهرة والباطنة : ﴿ وَإِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

فكل خير عاجل أو آجل فإنه من ثمرات التوحيد ، وكل شر عاجل أو آجل فإنه من ثمرات ضده : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

ومن مقاصد الإسلام الكبرى تقرير نبوة محمد ﷺ فقد قرر الله عز وجل نبوة محمد ﷺ بطرق كثيرة متنوعة يعرف بها كمال صدقه ﷺ : ﴿ لَقَدْ

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

فأخبر سبحانه أن رسوله صدق المرسلين ودعا إلى ما دعوا إليه وأن جميع
المحاسن التي في الأنبياء جمعها الله في محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين
وما نزهوا عنه من النواقص والعيوب فمحمد ﷺ أولاهم به .

وبين الله أن كتابه وشريعته اجتمع فيها الكمال والحسن الذي في الكتب
السابقة وفاق عليها وهيمن عليها بمحاسن لم توجد في غيره وبين الله أن
رسوله ﷺ نبي لا يقرأ ولا يكتب ولا جالس أحدًا من علماء الكتب
السابقة وأنه جاء بكتاب عظيم لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله
لم يقدروا كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ
هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] .

وقص الله عز وجل : في القرآن قصص الأنبياء قبله ، وذكر أخبار خمسة
وعشرين نبياً ورسولاً كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وغيرهم مما
هو مذكور في القرآن ، وتارة يقرر نبوة النبي ﷺ بنصره على أعدائه وغلبته
في الأرض وذلك من آيات نبوته بما هو عليه من الأخلاق الجميلة التي
قامت التي فاقت نعوت جميع الخلق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] .

وتارة يقررها بما هو موجود في كتب الأولين من اسمه وصفاته وتارة يقررها
بما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلية ، وتارة يقررها بحفظه رسوله
ﷺ وعصمته من الخلق مع تكالب الأعداء عليه ، كما قال سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

وتارةً يقرر رسالته ﷺ بذكر أعظم ما جاء به ، وهو القرآن العظيم الذي تحدى به الخلق أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة واحدة فعجزوا ، وهذا أكبر الأدلة على صحة رسالته : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].

وتارةً يقرر نبوته بما يظهر على يديه من المعجزات التي تدل على أنه رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وتارةً يقرر رسالته ﷺ بعظيم شفقتة على الخلق ورأفته ورحمته بالمؤمنين ، وأنه لم يوجد ولن يولد أحد أعظم رحمةً ورأفةً وبرًا وإحسانًا إلى الخلق منه ، فصلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى : ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

• ومن أعظم المقاصد للقرآن الكريم :

- ١- أمر التوحيد .
- ٢- وأمر الرسالة .
- ٣- وأمر المعاد .

وفصل ذلك أيما تفصيل وبينه أعظ بيان وقد ذكر الله عز وجل أمر المعاد بطرق متنوعة فبين أن الذي خلق الكون قادر على إعادته : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١].

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

وبين أن الذي خلق الإنسان قادر على إعادته إذا مات ، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقسم على وقوع المعاد في ثلاثة مواضع ، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس: ٥٣] .

وقوله : ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ: ٣] .

وقوله عز وجل : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَفَرُوا وَلَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ شَيْئًا وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٠] .
 ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن: ٨] .
 ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: ٩-٧] .

ومنها إحياءه جل جلاله الأرض بعد موتها فالذي أحيها سيحيي الموتى : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الأنعام: ٥] .
 ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٥-٧] .

وقرر ذلك بكمال علمه وحكمته وأنه لا يليق به أن يخلق الأرض سدى مهملين يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥] .

وكذلك قرر البعث بمجازاة المحسنين ومعاقبة المسيئين من الأمم السابقة وكيف أنجا الله الأنبياء وأهلك المكذبين لهم فهذا جزاء معجل ونموذج من جزاء الآخرة : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿٤٠﴾
 [العنكبوت: ٤٠] .

وكما أظهر الله قدرته في إحياء الأموات في الدنيا ، كما أحيا الله الألوف من بني إسرائيل : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩] .
 فالله بين أحوال البعث وكررها في القرآن لقوة وكثرة المنازع والمكابر والمعاند والمنكر ، فكل ما قوي الإنكار وكثر المعاند كرر الله إثبات المعاد رادعاً له .

وكذا أكثر الله من ذكر اليوم الآخر لأهمية اليوم الآخر لأن من آمن باليوم الآخر آمن وعمل بالطاعات واجتنب المعاصي والسيئات ، ومن لم يؤمن به فلم يعمل ؛ فلهذين السببين أكثر الله من ذكر البعث في القرآن ليقبل الناس على عبادة الله وحده لا شريك له واجتناب عبادة من سوا : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٧﴾
 [النساء: ٨٧] .

ومن مقاصد القرآن الكبرى ترغيب المؤمنين في كل عمل صالح وتحذيرهم من كل عمل سيء ، فطريقة القرآن في أمر المؤمنين وخطابهم بالأحكام الشرعية أحسن طريقة فقد أمر الله المؤمنين بالدعوة إلى سبيله والتي هي أحسن وأكثر ما يدعو الله المؤمنين إلى الخير وينهاهم عن الشر بالوصف الذي من به عليهم وهو الإيمان فيقول : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢٠﴾ [الأنفال: ٢٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

وذلك ليحثهم على القيام بلوازم الإيمان ومكملاته وما يقتضيه الإيمان من وجوب امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه والتخلق بكل خلق حسن .

فالأول : دعوة لهم ليكملة إيمانهم بشرائع الظاهرة والباطنة .

والثاني : دعوة الله إلى شكر النعمة بالإيمان بالانقياد التام لأمر الله ونهيه .

وتارة يدعو المؤمنين إلى الخير وينهاهم عن الشر بذكر آثار الخير وعواقبه الحميدة العاجلة والآجلة ، وبذكر آثار الشر وعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤] .

وتارة يدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح بذكر نعمه المتنوعة ، وأن النعمة تقتضي منهم شكر من أنعم بها وشكرها هو طاعة من أنعم بها : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۖ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ۖ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

وتارة يدعوهم إلى ذلك بالترغيب والترهيب وبذكر ما أعد الله للمؤمنين من الثواب ، وما أعد للكافرين والعصاة من العقاب ، وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴿التوبة: ٧٢﴾ .

قال عز وجل : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة: ٦٨] .

وتارة يدعوهم إلى ذلك بذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله ، وما له من الحق العظيم على عباده الذين خلقهم ورزقهم وهداهم ، وأن حقه أن يقوموا بعبادته وحده لا شريك له فالعبادة بأنواعها كلها مقصودها تعظيم الله وتكبيره وحبه وتوحيده وطاعته وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢] .

وتارة يحثهم على ذلك ويرغبهم في الاقتداء بمن سبقهم من الأنبياء والرسل ، ويحذرهم من التشبه بالكفار وأهل الغفلة والفسق لئلا يلحقهم من اللوم والعذاب ما لحق أولئك ، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٨ - ٢٠] .

ومن أعظم مقاصد القرآن أنه يقرر دعوة الكفار إلى الإسلام على اختلافهم بطرق متنوعة ، فيدعوهم إلى الإسلام بذكر محاسن الدين ، وذكر محاسن النبي ﷺ ، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠] .

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]

ويدعوهم تارة إلى الإسلام بذكر أسماء الله الحسنی وصفاته العلاء وأفعاله الحميدة وذكر آلاءه ونعمه الظاهرة والباطنة ، ويبين لهم إن الملك الحق الخالق لكل شيء هو الذي يجب على العباد طاعته وعبادته وحده لا شريك له بامثال أوامره واجتناب نواهيه: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] .

وتارة يدعوهم بما يخوفهم به من عقوبات الدنيا وعقوبات الآخرة ، ويذكر أخذه الأمم الكافرة بالعذاب المهلك : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] .

وتارة يدعوهم إلى الإسلام ببيان ما في الأديان والمذاهب الباطلة من أنواع الشرور والعواقب الخبيثة ويحذرهم من طاعة رؤساء الشر والفساد ودعاة النار ، ويبين ما في الأديان والمذاهب والمناهج الباطلة من القبح والسوء ليبين الحق من الباطل : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] .

ويدعوهم بالتى هي أحسن فإذا أصروا على العناد والمكابرة الظاهرة
توعدهم بالعقوبات الصوارم ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ
يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وبين الله عز وجل في القرآن أن الكفار لم يعرضوا عن الدين جهلاً وضلالاً
وإنما ذلك جحودٌ وعنادٌ ومكابرة : ﴿ فَاتَّهَمُوا لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ
اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] .

ويبين القرآن الأسباب التي منعت الكفار من إتباع الهدى وأنها دياتات
وشهواتٌ وأغراض نفسية : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ
ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ [آل عمران: ١٤] .

وبين أن الكفار لما آثروا الباطل على الحق طبع الله على قلوبهم وختم عليها
وسد عليهم طرق الهدى عقوبة لهم على أعراضهم عن الدين ، وتوليهم
الشیطان وتخليهم عن ولاية الرحمن ، فولاهم ما تولوا وطبع على قلوبهم
فلا يدخل فيها خير ولا يخرج منها خير : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا
يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ [٦] ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشوةٌ ولهم عذابٌ
عظيمٌ ﴾ [البقرة: ٦-٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠١] .

ومن مقاصد القرآن العظيم إن الله عز وجل بين في القرآن أنواع الدلالات التي هي من أنفع أنواع العلم ، وإن الدلالات ثلاث :

١- دلالة مطابقة .

٢- دلالة تضمن .

٣- دلالة التزام .

فدلالة المطابقة : هي دلالة اللفظ على جميع معناها .

ودلالة التضمن : دلالة اللفظ على جزء من معناه .

ودلالة الالتزام : دلالة اللفظ على لازم معناه .

ومثال ذلك : إذا قلت هذه دار ، أو قلت هذا جبل ، أو هذا بحر ، ونحو ذلك .

فدلالة هذه الكلمة على ما في الدار من الغرف والأبواب والحمامات دلالة مطابقة ، ودلالاتها على كل غرفة بمفردها دلالة تضمن ، ودلالاتها على أن لهذه الدار بانياً دلالة التزام .

وهذه القاعدة العظيمة من أنفع أبواب العلم ، والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع إن يفهم المسلم ما دل عليه اللفظ من المعاني ، ثم يفهم ما يترتب عليها وما يتفرع منها وما يجنى عليها وما يشترط لها وما يتوقف عليها ، فإن القرآن حق ولازم الحق حق ، وما يتوقف على الحق حق ، وما يتفرع على الحق حق ، ومن عرف هذا انفتحت له أبواب العلوم كلها : ﴿

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَلِكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩] .

وقال ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » أخرجه البخاري (١).
 فمثلاً في أسماء الله الحسنى: ﴿ وَاللَّهُمَّ إِنَّهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ
 الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

فاسم الله الرحمن الرحيم يدل بلفظه على وصف الله بالرحمة المطلقة ،
 وسعة رحمته لجميع خلقه ، وأن الرحمة صفة ذاتية لا تنفك عنه وهذا
 الوصف يدل بلزومه على كمال حياة الله وقدرته وعلمه وإحاطته ونفوذ
 مشيئته وكمال حكمته ، ثم استدلت بسعة رحمته على أن شرعه نورٌ رحمةٌ
 وهدى ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨].
 ولهذا يعلل الله كثيراً من الأحكام الشرعية برحمته وإحسانه: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
 وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

والأمر بالصلاة والزكاة والصوم مثلاً أمرٌ بها ، وأمرٌ بما لا يتم الواجب إلا
 به ، وكذا الأمر بالجهاد من لازمه الأمر بكل ما لا يتم الجهاد إلا به ، وكذا
 الأمر بإعداد ما نستطيع من قوة فإنها تتناول كل قوة عقلية وبدنية وسياسية
 ومالية وأسلحة ، وكل أمر ينفع الناس القرآن يأمر به ولا يمنعه بل يدل عليه
 لمن أحسن الاستدلال به .

وهذا من آيات القرآن وأكبر براهينه ووسائل الأمر المشروع مشروع ،
 فالأقلام والأوراق للكتابة ، والمسجل والكهرباء والهاتف وغيرها وسائل
 لغيرها .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣١١٦).

فالوسائل لها أحكام المقاصد ، أما البدعة فهي مقصودة لذاتها كمن تعبد لله
بصلاة أو صوم على خلاف أمر الشرع ، والقرآن لا يمكن أن يعارض بعضه
بعضاً : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا
﴿ ٨٢ ﴾ [النساء: ٨٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو
يُصيبهم عذابٌ أليمٌ ﴾ ﴿ ٦٣ ﴾ [النور: ٦٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ
عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ﴿ ١١٥ ﴾
[النساء: ١١٥].

٦ - الخزانة السادسة

ومن مقاصد القرآن

أنه يحاج أهل الأديان الباطلة بأحسن أساليب الإقناع ، كمحاجة الرسل مع أممهم ، وكيف دعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ؛ لأنه المتفرد بالخلق والرزق والملك الذي وهب للخلق أصناف النعم ، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨] .

وأنه سبحانه المتفرد بدفع النقم ، وأن أحداً من الخلق ليس يقدر على نفع ولا دفع ولا ضرر ، وأنه بمجرد معرفة العبد بذلك ينقاد للدين والإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه ، وأنه الطريق الوحيد لشكر النعم : ﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكُفْبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴾ [يونس: ٣١] فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴿ [يونس: ٣١-٣٢] .

فالله عز وجل يبين عظمته وجلاله وجلالته ، الله عز وجل يبين عظمته وكبريائه وأنه الخالق لكل شيء فليعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقُ اللَّهِ
فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴿١١﴾
[لقمان: ١٠-١١] .

وقال سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٢] .

وقال سبحانه : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣] .

فمن هذا شأنه وهذا خلقه وهذا شرعه ، هو الذي يجب أن يعبده الخلق حده
لا شريك له : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ
اللطيف الخبير ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

وهذا الأصل كبير وكثير في القرآن ؛ لأن الله يقول للناس انه لا يليق بكم أن
تجعلوا لمخلوق العبد الفقير العاجز المحتاج من كل وجه بعض حقوق
الرب الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال الحميدة ، الخالق
الغني القادر من كل وجه ، ويتحداهم أن يأتوا بكتابٍ أو شريعة أهدى
وأحسن من هذه الشريعة ، أو يعادلوا القرآن فيأتوا بمثله إن كانوا
صادقين : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل: ١٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ
أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي أُسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلُوبًا هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ [الأَنْعَامُ: ٧١-٧٢].

ويأمر الله عز وجل : نبيه بمباهلة أهل الكتاب ممن ظهرت مكابرتة وعنادة ، فينكثون عنها لعلمهم أنهم لو باهلوه لهلكوا : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ [آل عمران: ٦٠-٦١].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ [هود: ١٢٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٩﴾ [الحديد: ٩].

ومن مقاصد القرآن أن حذف المتعلق يفيد تعميم المعنى المناسب له ، فكل فعلٍ متى قيد بشيء تقيده به ، أما إذا أطلق فإنه يفيد عموم المعاني النافعة ، ومن ذلك ورد في القرآن في عدة آيات : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، وهكذا مما ورد مطلقاً .

فيدل ذلك على أن المراد لعلكم تعقلون عن الله كل ما أرشدكم إليه ، وكل ما علمكم إياه ، وكل ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة .

لعلكم تذكرون جميع مصالحيكم الدينية والدنيوية ، لعلكم تتقون ما يجب اتقائه من الذنوب والمعاصي ، فقله سبحانه : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ

عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

يفيد كل ما قيل في حكمة الصيام ، لعلكم تتقون كل ما حرم الله ، لعلكم تتقون ما حُرِّمَ على الصائمين من المفطرات ، لعلكم تتصفون بصفة التقوى ، لعلكم تتقون كل شيء من الكفر والفسوق والعصيان ، لعلكم تتقون غضب الله وسخطه إذا عصيتموه ، لعلكم تتقون عذاب جهنم وذلك بفعل الأوامر واجتناب النواهي .

وكذلك ما أطلقه الله كلفظ المؤمنين، الذين آمنوا ، يدخل في جميع ما يجب الإيمان به من أركان الإيمان به وشعبه ، وكذلك لفظ الإحسان ، وأحسنوا والمحسنين: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] .

يدخل في ذلك كله الإحسان في عبادة الخالق ، بأن يعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فانه يراك ، ويدخل فيه الإحسان للخلق بجميع وجوه الإحسان بالدعوة والتعليم والمال والجاه والأقوال والأعمال .

وكذلك لفظ التكاثر والخسر والدلال والهدى وغيرها ، وكذلك لفظ الصدق والإخلاص والصبر ، أطلقت كل هذه الألفاظ لتعم كل الأنواع المتصلة بها ، وكذلك الحكم المعلق بوصف يدل عليه ذلك الوصف ، ويدل على أنه يعم بعموم هذا الوصف ، وأنه يقوى بقوة ذلك الوصف ويضعف كلما ضعف ، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥] . وغيرها من الآيات .

• ومن مقاصد القرآن :

إنشاء اليقين على عظمة الله ، وعظمة كتابه ، وعظمة دينه وشرعه ، وعظمة وعده ووعيده .

فالقرآن العظيم كتابٌ كريمٌ وكتابٌ مجيدٌ وكتابٌ عزيزٌ وكتابٌ حكيمٌ وكتابٌ عظيمٌ ، يجب علينا أن نتلقاه بحسنِ القراءة والاستماع والتدبر والتفكير وكمال اليقين ، وكتاب رب العالمين ليس كمثله شيء من الكتب ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠] .

فلا تعد مستمعاً حتى تطبق ما سمعت : ﴿ إِنْ نُنُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحریم: ٤] .

والله عز وجل : خلق الدنيا ونورها بالقرآن ، فمن لم يكن من أهل القرآن فهو في الظلمات : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] .

فعلى المسلم أن يجعل له قراءة تعبد لتحصيل الجبر والثواب ، فيقرأ كل يوم ثلاثة أجزاء مثلاً فكل حرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها ، ويجعل له قراءة

تفكر وتدبر ، ولو يقرأ كل يوم آية واحدة ينتفع بها ويذكر الناس بها ، ويعمل بها وتحمله على طاعة الأوامر واجتناب المناهي .

فإن كنت خائفاً فأفزع إلى قوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْنَا لَمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤] .

وإن كنت أيها المسلم مهموماً فأفزع إلى قوله سبحانه : ﴿ وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] .

وإن كنت راغباً في الولد فأفزع إلى قوله سبحانه : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠] .

إن كنت تخاف مكر أحداً فأفزع إلى قوله سبحانه : ﴿ وَأَفْـُٔضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٤٤) فَوَقَّه اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ [غافر: ٤٤-٤٦] .

وإن كنت تخاف من البلاء فأفزع إلى قول سبحانه : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤] .

فالقرآن العظيم ينشئ اليقين على ذات الله وعلى أسمائه وصفاته وأفعاله وعلى كتابه وعلى أوامره ، ومن تدبر القرآن وجد هذه البركات وانتفع بها ، فهو هدي وشفاء وسعادة: ﴿ فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ خَفِيَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فَلَا يَشْعُرُ بِهِ سُلْطَانًا مُّبِينًا وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ فَمَا لَهُ مِنْ حِسَابٍ عِنْدَ رَبِّهِ مِنْ شَيْءٍ يَخْشَىٰ لِيُثَبِّتَ اللَّهُ لِيُدْخِلَ فِيهِ مَن يَشَاءُ أَلِيًّا وَعَلَىٰ عِزِّهِ مُعْتَدِلٌ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَتَىٰ آيَاتِنَا فَانصَبْنَا وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦] .

ومن أراد طلب الدنيا ليعف نفسه فليفزع إلى قول سبحانه : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُوْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ [الكهف: ٣٩-٤٠] .

فلا تكون أيها المسلم مستمعاً للقرآن إلا إذا طبقت ما سمعت من أحكام ، ورب تالٍ للقرآن والقرآن يلعبه ، وكلما تذلت لله رفعتك الله ، وكلما تواضعت لله رفعتك الله ، ففي درس بدر افتقار إلى الله ونصر من الله ، فإيمان كامل يثمر نصرٌ كامل : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ [آل عمران: ١٢٣] .

وفي درس حين أدب الله المؤمنين ، كما قال سبحانه : لهم حين أعجبوا بالكثرة والقوة : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتِكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧] .

فدرس بدرٍ أليم جدًا ودرس حنينٍ خطير جدًا ، فالمؤمن الصادق في قلبه تعظيم الله وتعظيم كتابه ، وفي قلبه حب الله وحب كتابه ، وفي قلبه خوف من الله ، ففي الآيات الكونية يرى المؤمن عظمة الله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وبرؤية النعم يحصل في القلب حب الله : ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤]

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣] .

وبرؤية العقوبات والمصائب يخاف العبد من الله : ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِمَّا الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَابِلِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥] .

فالمؤمن الحق هو من يحب ربه ويحب من يحبه ويحب الناس إلى ربه بذكره وذكر نعمه ، ويحب العمل الذي يقربه إلى ربه ، فلتكون محبوبًا عند الله ذكر الناس بآلاء الله ليعظموه وذكروهم بنعمه ليحبوه ويشكروه ، وذكروهم ببلاء الله ليخافوه ويهابوه ، : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۗ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

وكل عبادة وكل طاعة وكل عملاً صالح هو ذكر لله ، ومن ذكر الله ذكره : ﴿
 أَتُلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴿
 [العنكبوت: ٤٥] .

فذكر الله أكبر ما في الصلاة وذكر الله لك أعظم من ذكرك له ، فإن ذكرته في
 نفسك ذكرك في نفسه وإن ذكرته في ملاً ذكرك في ملاً خير منه ، يذكرك
 سبحانه فيهبك كل خير وسداد في القول والعمل ، والمؤمن بحاجة عظيمة
 إلى إكثار الذكر وتكراره في الغدو والأصال قبل الذهاب إلى العمل وعند
 العودة من العمل : ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ
 الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴿ [الأعراف: ٢٠٥] .

وإذا ذكرت الله فأعلم أن الملائكة لا يغفلون عن الذكر أبداً ، فكن ذاكراً ولا
 غافلاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ
 ﴿٢٠٦﴾ ﴿ [الأعراف: ٢٠٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
 يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطَعِ مَنْ أَغْفَلْنَا
 قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴿ [الكهف: ٢٨] .

القرآن العظيم كتابٌ عظيم لا اختلاف فيه ولا تضاد ، وهو في غاية البلاغة
 والفصاحة ، فقد أخبر الله في القرآن الكريم أنه يهدي من يشاء ويضل من
 يشاء ، وفي بعضها يذكر الأسباب الموجبة للهداية أو الضلال من جهة
 العبد ، فإذا أخبر الله أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء أو يعز من يشاء ويذل
 من يشاء أو يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ونحو ذلك .

فهذا يدل على كمال توحيده ، وأنه الملك المتفرد بخلق الأشياء وتدبير الأمور ، وأن خزائن جميع الأشياء بيده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لأنه العليم الخبير ، يهدي ويضل ويعطي ويمنع ويبسط ويقبض ، فيقتضي ذلك من العباد أن يسألوه وحده طلب ما يحبون ودفع ما يكرهون ، وأن يتوكلوا عليه وحده لا شريك له ، ولا يسألوا أحداً سواه: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ (٢١) ﴿ [الحجر: ٢١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٦) ﴿ [آل عمران: ٢٦] .

وأحيانا يذكر أسباب ذلك ليعرف عباده بالأسباب والطرق التي يجبها فيسلكون النافع ويدعون الضار ، كقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ (٤) ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ (٥) ﴿ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَىٰ ﴾ (٦) ﴿ فَسَنِّيْرُهُ لِّلْغَسْرَىٰ ﴾ (٧) ﴿ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾ (٨) ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ﴾ (٩) ﴿ فَسَنِّيْرُهُ لِّلْغَسْرَىٰ ﴾ (١٠) ﴿ [الليل: ٤-١٠] .

وقوله : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٦) ﴿ [المائدة: ١٦] .

وقوله سبحانه : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٦) ﴿ [البقرة: ٢٦] .

الله يهدي من كان قصده الخير واتبع رضوان الله ويضل من فسق عن طاعة الله ، وهكذا يذكر أحيانا أنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، كما قال سبحانه : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ

تُخَفَوُهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وأحياناً يذكر الأسباب التي تنال بها المغفرة والرحمة ، ويستحق بها العذاب ، كقوله سبحانه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

وكقوله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وقول الله عز وجل : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وكذا أخبر سبحانه : أنه يرزق من يشاء ، وأحياناً يذكر أسباب الرزق ، وأنه بسبب لزوم طاعة الله ورسوله ، والسعي الجميل مع لزوم التقوى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [٢] وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [٢] [الطلاق: ٢-٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [٩٦] [الأعراف: ٩٦].

وانتظار الفرج والرزق كقوله سبحانه : ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [٧] [الطلاق: ٧].

وكثرة الذكر والاستغفار : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [١٠] يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [١١] وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ بَيْنِي وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [١٢] [نوح: ١٠-١٢].

٧- الخزانة السابعة

• من مقاصد القرآن الكبرى :

بيان عظمة الله بذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وعظمة ملكه وسلطانه ، وختم الآيات بأسماء الله الحسنی يدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم ، وذلك يدل على أن الخلق والأمر والشرع كله صادر عن أسماء الله الحسنی وصفاته العلا وأفعاله الحميدة ومرتبطة بها ، وهذا بابٌ عظيم من معرفة الله ومعرفة أحكامه القدرية والشرعية والجزائية وأنها موجب أسماء الله وصفاته .

ف نجد مثلاً آيات الرحمة مختومة بأسماء الرحمة ، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقوة والقدرة والحكمة والعلم والقهر ، وآيات الخلق والتدبير مختومة بأسماء العلم والقدرة والقوة ، كقوله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩] .

وقوله سبحانه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .
وذلك يدل على إحاطة علم الله بالسموات والأرض وما فيهما من العوالم العظيمة ، وأنه قادر على ذلك كله وأنه حكيم من حيث وضعها لعباده وأحكم صنعها وصنع ما فيهما من المخلوقات وأحسن خلقها على أكمل صورة ونظام : ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]

[النمل: ٨٨]

وأن خلقه المخلوقات العظيمة من أكبر الأدلة على علمه الواسع ، فكيف يخلقها وهو لا يعلم ؟

قال الله عز وجل : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ﴿١٤﴾ [الملك: ١٤] .
وكذا الملائكة لما راجعوا الله في جعل آدم خليفة في الأرض ، فظاهر الله علم آدم لهم فقالوا : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢] .

فاعترفوا لله بسعة علمه وكمال حكمته وأنهم مخطئون ، وكذا ختم الله بعض الآيات بالتواب الرحيم بعد ذكر رحمته ومغفرته وهدايته وتوفيقه وحلمه ، ليدل على أنه لما كان هو التواب الرحيم أقبل بقلوب عباده التائبين إليه ووقفهم للأعمال الصالحة التي يتوب عليهم ويرحمهم بها ، كما غفر لهم ورحمهم فتاب عليهم بتوفيقهم للتوبة والأسباب ، ثم تاب عليهم ثانية حين قبل متابهم وأجاب سؤالهم ، وكذا لما ذكر الله النسخ في قوله : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦] .

فختمه للآية باسمه القدير ليدل على كمال قدرته وعلمه وحكمته وتصرفه الكامل في ملكه وعباده ، وأنه يحكم بين عباده وفي ملكه بأحكام القدرية والشرعية والجزائية ، فلا حجر عليه في شيء من ذلك : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ [الملك: ١] .

وكذا قوله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥] .

ليدل على أنه واسع الفضل واسع الملك ، فجميع العالم العلوي والسفلي داخل في ملكه وعلمه محيط بجميع ملكه الواسع ومحيط بجميع المكان والزمان والكل ملكه ، يصرف عباده إلى أي جهة شاء لعظمة قدرته وسعة ملكه وكمال حكمته .

وأحياناً يذكر الله عز وجل أسمائه الحسنی ولا يصرح بذكر أحكامها وجزائها ، لينبه عباده أنهم إذا عرفوا الله بذلك الاسم العظيم عرفوا ما يترتب عليه من الأحكام ، كقوله سبحانه : ﴿ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٩] .

لم يقل عقوبتكم كذا بل صرح باسمه العزيز الحكيم ، ليدل على أن من عرف عزه الله وقهره وقوته وغلبته ، وعرف حكمته في وضع الأشياء موضعها ، أوجب له ذلك الخوف من البقاء على الذنوب والزلات لأن من حكمته إثابة من يستحق الثواب وعقوبة من يستحق العقاب المصير على ذنبه مع علمه ، وأنه لا يخرج أحد عن حكمه وجزاءه لكمال عزته وقهره .

وكذا قوله عز وجل : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨] .
أي عز وحكم فقطع يد السارق .

وكذا حتى نهاية المواريث بقوله : ﴿ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١١] .

ليدل على أنه العليم الحليم الذي يعلم ما لا يعلمه العباد ، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها ، ولو ترك الأمر للناس لدخل في القسمة الهوى والجهل والظلم والفوضى .

ولهذا فكل من قدح في شيء من أحكام الله الشرعية ، فهو قاده في علم الله وفي حكمته ، ولهذا يذكر الله العلم والحكمة بعد ذكر الأحكام ، وكذا يذكرهما الله عز وجل في آيات الوعد والوعيد لبيان للعباد أن الشرع والثواب والعقاب مربوط بحكمة الله وعلمه ، وكذا قوله سبحانه : ﴿ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٩] .

ختمها بالعلم والحلم يقتضي علمه بنياتهم الجميلة وأعمالهم الصالحة فيجازيهم على ذلك بالفضل العظيم ، ويعفو ويحلم سيئاتهم فكأنهم ما فعلوها .

وختم الثانية بالعفو الغفور: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ ﴾ [الحج: ٦٠] .

فيدل على انه أباح العقوبة بالمثل وندب إلى مقام الفرد وهو العفو .

وختم الآية الثالثة بالسميع البصير: ﴿ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١] .

فيدل على سعة سمعه لجميع الأصوات وبصره بجميع حركات المخلوقات على اختلاف الأوقات .

وختم الآية الرابعة بالعلي الكبير ﴿ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢] .

ليدل على أن علوه المطلق وكبريائه وعظمته ومجده تضحل معها المخلوقات كلها ويبطل معها كل ما عُبد من دون الله ، وأنه لا يستحق العبادة وحده إلا العلي الكبير سبحانه .

وختم الآية الخامسة باللطيف الخبير ، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج: ٦٣] .

ليدل على سعة علمه وخبرته بالظواهر والبواطن ، وبما تحتوي عليه الأرض من أنواع البذور وأصناف النبات ، وأنه سبحانه : لطيف بعباده حيث اخرج لهم أصناف الرزق والنبات والثمار بما أنزله من السماء من الماء . وختم الآية السادسة بالغني الحميد ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ ﴾ [الحج: ٦٤] .

ليدل على أن خلقه للسماوات والأرض وما بينهم من المخلوقات ليس لحاجة منه لها ولا ليتكامل بها فإنه الغني المطلق الحميد الكامل ، وليعلم خلقه على أنه الغني عن ما سواه وهم جميعاً فقراء إليه من كل وجه ، وأنه الحميد في أقداره وشرعه وجزائه ، المحمود على جميع أسمائه وصفاته وأفعاله ، فله الحمد المطلق : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٦] وَهُوَ الْكَبِيرُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٣٧] [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

وختم الآية السابعة بالرؤوف الرحيم ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥] .

ليدل على أن من رأفته ورحمته تسخير المخلوقات لبني آدم ، وحفظ السماوات والأرض وإبقائها لألا تزول فتختل مصالحهم ، وسخر لهم البحار والأنهار لتجري في مصالحهم ومنافعهم ، فرحمهم حيث خلق لهم السكن وأودع فيه كل ما يحتاجونه .

وفي سورة الشعراء ختم الله قصة كل نبي من الأنبياء بقوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٩] .

ليدل على أن نجاة كل نبي وإتباعه برحمة الله ولطفه ، وإهلاك المكذبين له ،
وذلك من آثار عزته ، وأنجى كل رسول وأتباعه بكمال قوته وعزته
ورحمته ، وأهلك المكذبين لهم بكمال عزته وحكمته وقوته .

وفي سورة المائدة قال عيسى : ﴿ إِنَّ تَعْدِيَهُمْ فَأَتَهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَعَفَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] .

ليدل على كمال عزته وحكمته ، لأن المقام ليس مقام استعطاف
واسترحام ، وإنما هو مقام غضبٍ وانتقام ممن اتخذوا إلهًا مع الله ، ومن
اللطف مقامات الرجاء أن يذكر الله أسباب الرحمة وأسباب العقوبة ثم
يختمها بما يدل على الرحمة .

في قوله سبحانه : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾
[الأحزاب: ٧٣] .

ليدل على أن رحمته سبقت غضبه ، وصار لها الظهور على الغضب ، ولهذا
يخرج الرحمن من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، فهو لاء يخرجهم من
النار ويدخلهم الجنة بكمال رحمته : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

القرآن كله محكمٌ باعتبار وكله متشابهٌ باعتبار ، وبعضه محكمٌ وبعضه
متشابهٌ باعتبار ثالث ، وقد وصف الله القرآن الكريم بكل واحدة من هذه
الأوصاف ، فوصفه بأنه محكمٌ بآيات كثيرة ، كما قال سبحانه : ﴿ الرَّكَنُ
أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ [هود: ١] .

وقوله سبحانه : ﴿يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝﴾ [يس: ١-٢] .

فالقرآن في غاية الإحكام والإتقان ، فأخباره كلها حق وصدق لا تناقض فيها ولا اختلاف ، وأوامره كلها خير وبركة وعدل وصلاح ، ونواهيها زاجرة عن الشرور والأضرار والأعمال السيئة والخلاق الرديئة ، فهذا إحكامه وإتقانه فأخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتَيْهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝﴾ [الأنعام: ١١٥] .
صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام .

ثانيًا : وصفه الله بأنه متشابه في قوله سبحانه : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] .

فالقرآن كله متشابه في الحسن والصدق والحق ، وألفاظه أحسن الألفاظ ومعانيه أحسن المعاني التي تركي العقول وتطهر القلوب وتزين الجوارح بأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق .

ثالثًا : وصف الله القرآن بأن بعضه محكم وبعضه متشابه ، في قوله سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَةٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَةٌ﴾ [آل عمران: ٧] .

فبعض القرآن محكم وبعضه متشابه ، والراسخون بالعلم يردون المتشابه إلى المحكم فيصير كله محكمًا ، ويقولون كل من عند ربنا وما كان من عند الله فلا تناقض فيه ، فما اشتبه في موضع فسرره الوضع الآخر المحكم .

فحصل العلم وزال الإشكال ولذلك أمثلة ، مثل يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، تعز من تشاء وتذل من تشاء ، فهدايتة وإضلاله وعزته وإذلاله ليس جزافًا من غير سبب كما يظنه البعض ، فإذا رددنا المتشابه إلى المحكم الذي

يدل على عن الهداية لها أسباب من العبد يتصل بها ، كما في قوله سبحانه :
﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة: ١٦] .

وإن إضلاله لعبده لها أسباب من العبد وهو توليه الشيطان ، كما قال
سبحانه : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ
مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٠] .

وقوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥] .

فالأيات والنصوص الشرعية كلها حق ويجب على المسلم تصديقها
والإيمان بها كلها ، فهي متكاملة لا متعارضة ، وما أجمل في موضع فسرتة
آيات أخرى في موضع آخر ، والقرآن كله محكم أقواله كلها صدق
وأحكامه كلها عدل ، ليس فيها كذب ولا ظلم كلها يسر ليس فيها مشقة ،
وهو كتابٌ متشابه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والكمال والجودة في
الأسلوب فجمع بين الأمرين الحكام والتشابه ، والخير في الأخبار يكون
بمخالفة الصدق والخير في الأحكام يكون بمخالفة العدل ، وكتاب الله كله
صدق وعدل : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥] .

والحكمة في وجود المحكم والمتشابه في القرآن الابتلاء والاختبار ، ليحي
من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ، فمن دعا ميتاً أو صنماً وطلب منه
شفاء مريض أو تحصيل رزق ثم حصل له ما طلب .

القرآن الكريم يجرى في إرشاداته مع الزمان والأحوال في أحكامه الراجعة
إلى العرف والعادة ، فالله مثلاً أمر عباده بالمعروف ، وهو المعروف حسنه
شرعاً وعقلاً وعرفاً ، ونهاهم عن المنكر وهو المعروف قبحه شرعاً وعقلاً ،
وأمرهم كذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووصفهم بذلك ، فقال

سبحانه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فما كان من المعروف لا يتغير بالأحوال والأوقات كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من الشرائع الراتبة بكل وقت ، والواجب منه على الآخرين كالواجب على الأولين من هذه الأمة ، وكذا ما كان منهم قد لا يتغير بتغير الأوقات والأحوال كالشرك والكفر والقتل والزنا وشرب الخمر ، وغيرها مما نهى الله عنه ، فذلك ثابت في كل مكان وزمان لا يتغير ولا يختل حكمه أبداً .

أما ما يختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال ، فالله عز وجل يرد الناس إلى العرف والعادة والمصلحة المتعينة في ذلك الوقت ، فمثلاً أمر الله بالإحسان إلى الوالدين والأقارب وسائر الخلق بالأقوال والأعمال ، ولم يعين شيئاً خاصاً من الإحسان والبر ليعم كل ما تجدد من الأحوال والأوصاف : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] .

وكذلك ضده من العقوق والإساءة ينظر فيه إلى العرف ، وكذلك صلة الأرحام أمر الله بها أمراً مطلقاً يرجع فيه إلى ما سماه الناس صلة ؛ لأن المقصود بالصلة زوال ما في القلوب من التباغض وائتلافها ، وكذلك المعاشرة بالمعروف ، وكذا : ﴿ وَهَلْ نَقَّبْنَا لَمَّةً أَلْفَ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَلَا نَجْزِي الْمُكْفِرِينَ إِلَّا جَزَاءً عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

يرجع فيه إلى العرف في كل بلد وحال ، وكذا : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [٣١] ﴿ [الأعراف: ٣١] .

أمر الله عبادة بالأكل والشرب واللباس ولم يعين شيئاً من الطعام أو الشراب أو اللباس ، لأن ذلك يختلف بحسب الحال والزمان والمكان ، وكذا : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

فأمر بالأعداد للقوة والسلاح مطلقاً ولم يحدد نوعاً ليشمل كل قوة وسلاح حسب المكان والزمان والحال .

وهكذا لفظ التجارة ليشمل كل تجارة أجازها الشرع وصاحبها الرضا ، كما قال سبحانه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٩] ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [١٠] ﴿ [الجمعة: ٩-١٠] .

ومن مقاصد القرآن الكريم أنه بين كل شيء ، فالقرآن العظيم تبياناً لكل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [٨٩] ﴿ [النحل: ٨٩] .

فإن القرآن اشتمل على أعظم القصص وأعظم العلوم وأحسن الشرائع وأوصل المعاني إلى القلوب بأيسر شيء وأحسنه ، ومن ذلك ضرب الأمثال لتوضيح المعاني النافذة بالأمور الحسية ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي عين .

وهذا من عناية الله بعبادة وإيصال العلوم النافعة لهم بأيسر شيء ، فقد مثل الله العلم والوحي في القلوب كالغيث النازل من السماء وشبه قلوب الناس بالأراضي والأودية ، وأن عمل العلم والوحي في القلوب كعمل الغيث والمطر في الأراضي .

فمنها أراضي طيبة تقبل الماء وتنبت الكلاً والعشب الكثير كمثل القلوب التي تفهم عن الله ورسوله وحيه وكلامه وتعقله وتعمل به وتتعلمه وتعلمه بحسب حالها كالأراضي بحسب حالها ، ومنها أرض تمسك المال وتحفظه ولا تنبت الكلاً فينتفع الناس بالماء الذي تمسكه فيشربون ويسقون مواشيهم وأراضيهم ، كالقلوب التي تحفظ الوحي من القرآن والسنة وتلقيه إلى الأمة ، ولكن ليس عندها الدراية والمعرفة مثلما عند ما قبلها ، فهؤلاء على خير ولكنهم دون أولئك .

ومنها أراضي لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً كمثل القلوب التي لا تنتفع بالوحي لا حفظاً ولا علماً ولا عملاً ولا تعليماً ، وكذلك شبه الله كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بأذن ربها .

فشجرة التوحيد في القلب ثابتة تؤتي أكلها كل وقت من النيات الطيبة والأقوال الحسنة والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة ، وهي صاعدة كالشجرة إلى السماء لإخلاص صاحبها وعلمه ويقينه على ربه .

ومثل الله من اتخذ مع الله إلهاً آخر يتعزز به من المشركين ويزعم أنه ينفعه ويدافع عنه ويدفع عنه ما يضره ، شبهه في ضعفه ووهنه بالعنكبوت التي بيتها من أضعف البيوت فازداد باتخاذها ضعفاً على ضعف .

كذلك المشرك ما زاده باتخاذ وليا ونصيرًا من دون إلا ضعف ؛ لأنه قلب قطع عن الله القوي وتعلق بالمخلوق الضعيف ، فأزداد وهناً على وهن ، فانه اتكل عليه وظن حصول النفع منه فخاب ظنه وأنقطع عمله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ [العنكبوت: ٤١] .

إما المؤمن فانه قوي بتوحيده وإيمانه ، قوياً باتصاله بالقوي القادر سبحانه : الذي بيده كل شيء : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

ومثل الله أعمال الكافر بالسراب الذي يحسبه الظمان ماءً فإذا وصله إليه لم يجده شيئاً بل وجده الله عنده فوفاه حسابه : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفًا حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ﴿٣٩﴾ [النور: ٣٩] .

ومثل الله كذلك أعمال الكافر بالرماد الذي جاءتته الرياح فذرتة فلم تبق منه شيئاً : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْطَلُ الْبَعِيدُ ﴾ ﴿١٨﴾ [إبراهيم: ١٨] .

وهذا مناسب لحال الكافر وبطلان عمله ، فإن كفره ومعاصيه بمنزلة النار المحرقة ، وعمله بمنزلة الرماد والسراب الذي لا ينفع أو لا حقيقة له .

ومن مقاصد القرآن أن الله عز وجل أرشد عباده في القرآن إلى ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وبين أن إرشاده ينقسم إلى قسمين :

الأول : أخبار فيها موعظة وعبرة وأوامر ونواهي فيها حكمة ورحمة وأكثر إرشادات القرآن إلى هذا النوع : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

الثاني : إرشاد العقول إلى استخراج الأشياء النافعة من أصولٍ معروفة من جماد ونبات وحيوان وغيرها ؛ لإعمال الفكر للاستفادة منها والاعتبار بها ، كالنظر والتدبر في خلق السموات والأرض التي خلقها الله لتدل على عظمته وسخرها لنا وكإنزال الحديد وأن فيه بأسا شديدا ومنافع للناس : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٦- ٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نِصْرِهِ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢٥﴾ [الحديد: ٢٥] .

• وهذا التفكير يفيد علمين جليلين :

أحدهما : أننا نستدل بهذه المخلوقات العظيمة على عظمة خالقها وعلى نعمة التي لا تعد ولا تحصى ، وعلى صدق ما أخبر به من الميعاد والجنة والنار وصدق الرسل ، وهذا أجل العلمين وأعلاهما .

الثاني : أننا نتفكر فيها ونستخرج منها المنافع فإذا علم الإنسان أن في الحديد منافع اجتهد ليستخرج منه تلك المنافع ، كما هو حاصل في زمننا هذا من أنواع الصناعات المختلفة من هذا المعدن العظيم .

وكذلك سخر لنا الأرض لنزرعها ونستخرج معادنها وبركاتها ، وجعلها طوع علومنا وأعمالنا لنستخرج منها الصناعات النافعة في أمور الدين والدنيا : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩] .

فما لا يتم المطلوب إلا به فهو مطلوب شرعاً ، وهذا يدل على أن تعلم الصناعات والمخترعات الحادثة النافعة مطلوب شرعاً كما أنه لازم عقلاً ، وأنها من الجهاد في سبيل الله ، ومن علوم القرآن فإن القرآن نبه العباد إلى أن الحديد فيه بأسٌ شديد ومنافع للناس ، وأنه سخر لهم ما في الأرض فعليهم أن يسعوا لتحصيل تلك المنافع من أقرب الطرق ، كما لا تخفى عظمة المنافع التي حصلت من صناعة الحديد والذهب والفضة والغاز والبتروول وغيرها من المنافع التي هي مخزونة في الأرض .

٨ - الخزانة الثامنة

ومن مقاصد القرآن أنه أرشد إلى التوسط والاعتدال في الأمور وذم الغلو والتقصير وأمرنا بالعدل والقسط في كل الأمور ولزوم الحد فيها بلا غلو ولا تقصير ، ومدح أهل العدل وذم أهل الظلم والعدوان : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] .

ففي مجال عبادة الله أمر الحق سبحانه بالتمسك بما عليه النبي صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة ونهى عن مجاوزة ذلك وتعدّي الحدود في آيات كثيرة ، وذم المقصرين في آيات كثيرة ، فالعبادة التي أمر الله بها ما جمعت الإخلاص لله والمتابعة للرسول ﷺ : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

ومتى فقد الأمران أو أحدهما فهي من الأعمال اللاغية : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال النبي ﷺ « مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (١)

وفي حق الأنبياء والرسل أمر بالاعتدال في حقهم ، فأمر بالإيمان بهم وإتباعهم ومحبتهم ومعرفة أقدارهم ونهى عن الغلو فيهم ، وهو أن يرفعوا فوق منزلتهم التي أنزلهم الله ، ويجعل لهم من حقوق الله التي لا يشاركه فيها أحد : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٧٧] .

كما نهى عن التقصير في حقهم في الإيمان بهم وعدم إتباعهم وعن توقيهم ، وذم الغالين فيهم كالنصارى الذين غلوا في عيسى ، فقالوا إنه إله أو ابن الله ، كما ذم الجافين للأنبياء كاليهود الذين قالوا في عيسى ما قالوا ، وذم من فرق بينهم فأمن ببعض وكفر ببعض : ﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وكذلك العلماء والأولياء تجب محبتهم ومعرفة أقدارهم ، ولا يجوز الغلو فيهم وإعطائهم شيئاً من حق الله ، أو حق رسوله الخاص ، ولا يحل جفائهم وعداوتهم وإيذائهم فمن عاد الله ولياً فقد بارز الله بالمحاربة وكذا أمر بالاعتدال في الإنفاق وأمر بأحسن الأخلاق ونهى عن مساوئ الأخلاق : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧١٨)، واللفظ له.

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ﴿٢٩﴾ [الإسراء: ٢٩].

وأمر القرآن بأداء الحقوق وضم من قصر في ذلك كبر الوالدين وحقوق الأقارب والأصحاب والأقارب والجيران ، كما ذم من غلا فيهم وفي غيرهم ، والعدل والوسط أن تكون أعمالك موافقة للشرع في الكمية والكيفية ، والغلو أن تزيد والتفريط أن تنقص والجفاء أن تترك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

ومن مقاصد القرآن : أنه أمر بحفظ حدود الله ونهى عن تعديها أو قربانها ، وحدود الله هي ما حد لعباده الشرائع الظاهرة والباطنة التي أمرهم بفعلها ، والمحرمات التي أمرهم بتركها ، والحفظ لها يكون بأداء الحقوق اللازمة وترك المحرمات الظاهرة والباطنة ، وحيث قال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩].

كان المراد بهذه الحدود ما أحله الله لعباده وما فصله من الشرائع لأنه أمر بملازمتها ونهى عن مجاوزتها ، كما أمر بملازمة ما أحله من الطعام والشراب واللباس والنكاح ونهى عن تعدي ذلك إلى ما حرم منها ، وكما أمر بملازمة ما شرعه من الأحكام في الوضوء والصلاة والنكاح والطلاق وغيرها ، ونهى عن تعدي ذلك إلى ما لا يجوز شرعاً .

وكما أمر الله بالمحافظة على ما فسره في أحكام المواريث ولزوم حده ونهى عن تعدي ذلك بتوريث من لا يرث وحرمان من يرث ، وتبديل ما فرضه بغيره: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وحيث قال سبحانه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

كان المراد بذلك المحرمات ، نهى عن فعلها ونهى عن مقدماتها وأسبابها الموصلة إليها كما نهاهم عن المحرمات على الصائمين فقال : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

ونهى عن الزنا وجميع الأسباب الموصلة إليه ؛ لأن الراعي حامي الحمى يوشك أن يقع فيه : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] .

وما أسكر كثيره فقليله حرام فحدود الله هو ما حده الله لعباده من المباحات والمأمورات والمنهيات ، فالمأمورات والمحلات أمر بلزومها ونهى عن تعديها إلى غيرها ، فالاعتداء في الواجبات أن يزيد فيها أو يقصر ، والاعتداء في المحلات أن يتجاوزها إلى المحرمات فمثلاً أمر الله بالأكل والشرب ولكن نهانا عن الإسراف والتبذير الذي يضر الإنسان ، فقال سبحانه : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١] . وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تُبْذِرْ بُذِيرًا ﴾ [٣٦] إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧] .

فالأكل والشرب من الحلال مباح والإسراف والتبذير محرماً وكذا أمرنا بلزوم حدوده في جميع الأحكام وأنهى عن تعديها بزيادة أو نقص ، كما قال النبي ﷺ « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا هَذَا فَهُوَ رَدٌّ » . أخرجه مسلم^(١) . ومن مقاصد القرآن أنه بين أن الإيمان بالله أصل كل خير في الدنيا والآخرة ، وبفقدته يفقد الإنسان كل خير في الدنيا والآخرة : ﴿ وَالْعَصْرُ ﴾ [١] إِنَّ الْإِنْسَانَ

(١) أخرجه مسلم رقم: (١٧١٨) .

لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ
 ﴿٢﴾ [العصر: ١-٣].

ولهذا كرر الله من ذكره أمراً به ونهياً عن ضده وترغيباً فيه وبيانا بأوصاف أهله وما لهم من جزيل الثواب ، فإذا كان المقام مقام خطاباً للمؤمنين بالأمر والنهي أو مقام إثبات الأحكام الدنيوية بوصف الإيمان فإنه يتناول كل مؤمن سواء كان متمماً لواجبات الإيمان وأحكامه وأوصافه ، أو كان ناقصاً في شيئاً منها ، كما قال سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤَوُّوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحریم: ٨].

أما إذا كان المقام مقام مدح وثناء وبيان الجزاء الكامل للمؤمن ، فالمراد بذلك المؤمن حقا الجامع لخصال وصفات الإيمان وأركانه ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ [الحجرات: ١٥].

فالخطاب في القرآن بلفظ الإيمان ينقسم إلى قسمين :

١- خطاب يراد به الإيمان الكامل .

٢- خطاب يراد به مطلق الإيمان .

الأمر والنهي والأحكام المتعلقة بالإيمان تشمل كل مؤمن ، وإن كان فاسقاً ، المؤمن الكامل وغير الكامل كلهم يأمر بالصلاة والزكاة ويأمر بالخير ويأمر بالإحسان وينهى عن الظلم والفساد والمحرمات ، وأما إذا كان السياق سياق مدحٍ وثناء المراد منه الإيمان الكامل وأهل الإيمان الكامل فيدخل فيه فاسق فالإيمان الكامل له ثوابٌ كامل : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

فهؤلاء المؤمنون جمع الله لهم بين الإيمان الكامل واليقين الكامل والإنابة التامة التي أثمرها الانقياد لله بفعل المأمورات وترك المنهيات ، والوقوف عند حدود الله والإخلاص لله ، وهذه أوصاف المؤمن المطلق الذي سلم من العقاب واستحق الثواب ونال كل خير رتب على الإيمان فإن الله رتب على الإيمان في كتابه من الفوائد والثمرات ما لا يقل عن مائة فائدة وكرامة ، كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها ، رتب على الإيمان نيل رضاه الذي هو أكبر من كل شيء ، رتب عليه دخول الجنة والنجاة والسلامة من عذاب القبر ، السلامة من شدائد يوم القيامة ، والبشرى بكل خير في الدنيا والآخرة ، والثبات في الدنيا على الإيمان والطاعات ، والثبات عند الموت في القبر على الإيمان والتوحيد .

وإجابة الملكين بالقبر بالجواب النافع السديد وطمأنينة القلوب وراحة النفوس وصلاح الأحوال وصلاح الذرية ، وجعلهم قرة عين للمؤمن والحياة الطيبة في الدنيا والرزق والحسنة وتيسير المؤمن ليسرى وتجنبيه للعسرى .

والصبر عند المحن والمصائب ، ووضع الله عنهم الأثقال ودفع عنهم جميع الشرور ، وحقق لهم النصر على الأعداء ورفع المؤاخذة على الناسي والجاهل والمخطئ ، وأن الله لم يضع عليهم الأصار بل أزالها ولم يحملهم ما لا طاقة لهم به ، ومغفرة الذنوب والتوفيق للتوبة والقرب من الله والقرب من رحمته ونيل ثوابه ومغفرة الذنوب ورفع الدرجات وحب الله للمؤمنين وغير ذلك من الخيرات والثمرات في الدنيا والآخرة كلها مرتبة على الإيمان كما أن الشرور كلها على فقد الإيمان : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

أنه اشتمل على أجناس العلوم النافعة ، كما قال سبحانه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩] .
فعلى المسلم أن يستفيد من تلك العلوم ويفيد غيره ويعمل بما علم ويعلم غيره : ﴿كُونُوا رَبَّٰئِعِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥] .

فأجل علوم القرآن على الإطلاق ، علم التوحيد ، وما لله من الأسماء
الحسنى والصفات العلا والأفعال الحميدة والمثل الأعلى ، ليعرف القلب
الإله الحق الذي ليس كمثل شئ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله
وإحسانه ، فيعبد الله بموجب هذه المعرفة للدين الحق الذي أرسل به رسوله
ﷺ . ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمُ وَمَثُونَكُمُ ﴾ [محمد: ١٩] .

ويؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ويعبد
الله بموجب هذا الإيمان .

هذا وهذا هو أصل العلم ، وأصل التعبد ، وأصل الفلاح ، وفي القرآن
صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وما جرى لهم وعليهم ،
على من وافقهم وخالفهم ، وما هم عليه من الأعمال الصالحة والأخلاق
الحسنة وكمال الإيمان والتقوى ، فيقتضي بهم خاصة سيدهم محمد عليه
الصلاة والسلام في أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
فَهَدَانَهُمْ أَقَدَرَهُ فُلٌ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا
اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

فليس القصد من ذكر قصصهم إن تكون سمرا ، وإنما القصد أن تكون
عبرة: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى
وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١] .

ومن علوم القرآن ، علم أهل الخير والسعادة وأهل الشر والشقاوة ، ليقضي المؤمن بالأخيار ويجتنب الأشرار ، وبين القرآن صفات الأخيار التي وصلوا بها إلى رضوان الله والجنة ، وصفات الأشرار التي وصلوا بها إلى دار الجحيم ، وأن حب المؤمنين من الإيمان وبغض الكافرين من الإيمان .

ومن علوم القرآن ، علم الثواب والعقاب في الدنيا والبرزخ والآخرة على جميع أعمال الخير والشر ، وذلك إظهاراً لعدل الله وإحسانه وسعة فضله ، والإيمان باليوم الآخر ، الذي هو من أهم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] .

ومن علوم القرآن ، الأمر والنهي وذلك بالعلم بحدود ما أنزل الله على رسوله ، فكل مسلم مكلف بمعرفة الأمر والنهي والعمل به والدعوة إليه ، فينظر في كل أمر ما هو حده ويحاسب نفسه ، هل هو قائمٌ بذلك كله أو بعضه أو تارك له ؟ .

فإن كان قائم به فليحمد الله ويسأله الثبات والزيادة من الخير ، وإن كان مقصراً فيه فليعلم إنه مطالبٌ به فليستعن بالله على فعله ويجاهد نفسه على ذلك : ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧] .

وكذلك في النهي يعرف حده ثم ينظر إلى نفسه ، فإن كان قد ترك ذلك المنهي عنه ، فليحمد الله على ذلك ويسأله الثبات على فعل الطاعات واجتناب المنهيات ، وليجعل الداعي له على ترك المنهيات طاعة الله ، وابتغاء وجهه ، ليكن تركه عبادة كما كان فعله عبادة : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

وإن كان غير تارك للمنهى عنه ، فليتب إلى الله توبة جازمة ، فمن قرأ القرآن وتدبره ، آمن بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، هذا على صراط مستقيم . ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٩- الخزانة التاسعة

ومن مقاصد القرآن ، إن الله عز وجل بين في القرآن الأمراض وأنها تنقسم إلى قسمين :

١- مرض الأبدان .

٢- ومرض القلوب .

• وإن مرض القلوب قسمان :

مرض شبه .. مرض شهوة .

فمرض الشبه : بسبب نقص العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والعلم بدينه وشرعه ، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه ، والعلم بعظيم نعمه وإحسانه ، فمرض الشبه بسبب نقص هذا العلم العظيم .

ومرض الشهوة : بسبب نقص الإرادة ، فإذا اعتل القلب بالجهل صار مرضه مرض شبه كالمنافقين : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠] .

وإذا اعتلت إرادة الإنسان فأحبت المعاصي ، وفعلت ما لا يرضي الله ورسوله ، فذلك مرض شهوة ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيْطَمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢] .

وصحة القلب وسلامته بأمرين :

١- بكمال العلم .

٢- وكمال الإرادة .

فإذا اجتمع في القلب كمال العلم بالله ، وكمال الإرادة بما يحبه الله ويرضاه ، فهذا هو القلب السليم ينجو به صاحبه : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] .

فالقلب السليم هو الذي عرف الحق واتبعه ، وعرف الباطل وتركه .
آيات القرآن تزيل الجهل وترغب الإنسان في الطاعات وترهبه من المعاصي : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] .
وقال الله عز وجل : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] .

فالقرآن الكريم بين أن كل من في قلبه شك وشبهات فمرضه مرض جهل علاجه بالعلم الإلهي ، وكل من أراد شيئاً من المحرمات فمرضه مرض شهوة علاجه زيادة الإيمان ، وزيادة الإيمان تكون بالعلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعدته ، ووعيده ، ودينه ، وشرعه .

فعلاج هذا المرض وهو مرض الشهوة زيادة الإيمان المانع من المعاصي : ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْأَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] .

فآيات القرآن تزيد المؤمنين إيماناً ، وتزيد المنافقين والكفار رجساً : ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [١٢٤] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥] .

فالمؤمنون كلما سمعوا آية صدقوا فزاد إيمانهم ، وأما الذين في قلوبهم مرض فكلما سمعوا آية استكبروا عنها وشكوا فيها وكذبوا بها ، فازدادوا رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ، فالمنافقون قلوبهم مريضة بالكفر

والشك فعاقبهم الله بأن زاد مرضهم بسبب كفرهم: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ قَرَضٌ فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ [البقرة: ١٠] .

أن الله بين في القرآن أن أعمال الأبدان وأقوال اللسان صحتها وفسادها وأجرها ووزرها بحسب ما في القلب من إرادة وجه الله أو غيره ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] .

قال النبي ﷺ « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه (١)

فالأمر بالصدقة أو المعروف أو الإصلاح بين الناس كله خير ، لكن ثواب الآخرة لا يحصل إلا بالنية الخالصة لله عز وجل ، كما قال سبحانه : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤] .

فمن فعل ذلك ابتغاء وجه الله نال به أجراً عظيماً ، ومن فعله رياءً وسمعة فإنه وإن ترتب على فعله الخير في الدنيا فإنه لا ينال عليه أجراً يوم القيامة : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨ - ١٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلًا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

وفي مقابله : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨] .

وكذا قوله سبحانه : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
ءَابَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ
وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥] .

ومن مقاصد القرآن الكبرى أن الله عز وجل بين في القرآن كيفية إدارة أحوال
السياسة الداخلية والخارجية للأمة ، وذلك ببيان كل ما يحقق المصالح
ويدفع المفسد ، كما قال سبحانه : ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦] .

وقال عز وجل : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

والله أخبر عن المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم فقال : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾
[الشورى: ٣٨] .

وقال للنبي ﷺ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

فجميع أمور المؤمنين واستجلاب مصالحهم واستدفاع مضارهم ، كل ذلك
متعلق بالشورى التي يصلون بها إلى الرأي السديد في مصالح دينهم
ودنياهم ، وذلك بإعمال أفكارهم مجتمعة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا
عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

﴿ [المائدة: ٢] ﴾

فإذا تعينت المصلحة في طريق سلوكه ، وإذا تعينت المفسدة في طريق تركوه ، وإذا كان بذلك الأمر مصلحة ومفسدة نظرُوا أيها أقوى وأحسن عاقبة فاختاروا الأحسن ، وإذا رأوا أمرًا بين الأمور هو المصلحة ، ولكن ليست عندهم أسبابه نظرُوا بأي شيء تدرِك تلك الأسباب بلا حصول مضرة عليهم ، وإذا رأوا مصالحهم تتوقف على الاسترداد بالصناعات والاختراعات الحديثة وما يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم سعوا لذلك بحسب قدرتهم ليستغنوا عن غيرهم بما أباح الله لهم ، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩] .

وإذا رأوا أن السعي في جمع الكلمة وتوحيد الأمة هو الطريق الأقوم لسعادتهم وأمنهم جدوا واجتهدوا لتحقيق ذلك ، وإذا رأوا المصلحة في المقاومة والمهاجمة أو في المسالمة والمدافعة بحسب الإمكان سلكوا من ذلك ما يحقق المصلحة ويدفع المفسدة : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

فمصالح المسلمين الداخلية والخارجية في كل زمان ومكان لا تحصل إلا بالشورى التي أرشد إليها القرآن ، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

وهذا نص في وجوب إعداد القوة العقلية والمعنوية والمادية كل حسب أسباب زمانه ، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ

قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤] .

فأرشد الله المؤمنين أن يعتزوا بأنفسهم لا بقوادهم ، وأن يعتقد كل واحد منهم أن نفس ذلك القائد ، وأن يتعلقوا برب الناس لا بالناس حتى لا تتأثر حياتهم بفقد رئيسهم ، فيعدون أناساً للأموال الدنيوية والدينية إذا فقد أحدهم قام بعمله غيره لتكون كلمة الله هي العليا ، وتتنظم أمور دينهم وديانهم ، وكذا قوله سبحانه : ﴿ فَانقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] .

أي اتقوا غضب الله وعقابه بفعل ما أمر به من خير وصلاح بحسب الاستطاعة ، واجتناب كل نهى الله عنه من مفسده ومضر مطلقة ، كما قال النبي ﷺ « وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ » أخرجه البخاري (١).

وكذا قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨] .

والأمانات كثيرة مختلفة فمن أجلها ولاية الكبيرة والصغيرة والدينية والدينية والعامة والخاصة ، وقد أمرنا الله عز وجل أن نؤدي الأمانات إلى أهلها بأن يجعل فيها الأكفاء الأتقياء لأن صلاح الأمور بصلاح الرؤساء المتولين لها وصلاح المدبرين لها ، وفساد الأمور بضد ذلك ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٨).

فيجب أن تؤدي الأمانات إلى أهلها الذين يمكن أن يقوموا بها ، يؤدوا الأمانة فيها فلا يوضع الطبيب مكان المهندس ، ولا قائد السيارة مكان قائد الطائرة ، ولا الحداد مكان النجار وهكذا ، فلا يوضع مدرس الحساب ليدرس الفقه لأن هذا كله من الخيانة : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا ءَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]

ويجب تولية الأمثل فالأمثل فصلاح الرعية بصلاح ولايتها ، وفسادها بفسادهم ، ثم على الولاة الحكم بالعدل بين الناس كلهم ، ومن لازم العدل معرفة العدل في كل أمر من الأمور ، ومن ذلك طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله ورسوله ، فطاعة ولاة الأمور تابعة لطاعة الله ورسوله ، فإذا أمروا بطاعة الله أطعناهم وإذا أمروا بمعصية الله لم نطيعهم ، وإذا أمروا بأمر ليس فيه طاعة ولا معصية مما فيه تنظيم الحياة في مصلحة الأمة فيجب طاعتهم : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَوَدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وجميع ما شرعه الله عز وجل من القصاص والحدود على الجرائم ، وجميع العقوبات والنكال والتخويف لأهل الشر والفساد ، وما فيه صيانة لدماء الخلق وأموالهم وأعراضهم كل ذلك من الشرائع الحسنة المتعلقة بالسياسية الشرعية ، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله والنصح للأمة في كل حال وتعليم شرع الله كل ذلك من السياسية الشرعية التي تصلح بها الأمة ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وكذا الحكم بالحق والعدل واجتناب الباطل والظلم ، فكل إنسان له حرية فيما يملك وللآخرين حرية فيما يملكون فمن اعتدى على حق غيره فهو ظالم ، والحرية الكاملة جاء بها القرآن والسنة ، والحرية الظالمة هي التي تعتدي على حقوق الناس وتمنعهم من التكلم بالخير والتحذير من الشر ، وإطلاق هذه الحرية هو من إطلاق عنان الجهل والفساد والعداؤون الذي يحصل به فسادٌ للأمة وانحلال أمورها: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَنَسِفُونَ ﴿٤٩﴾ أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠] .

والإسلام فتح الباب للأولى ، وأغلقه عن الثانية تحصيل للمنافع ودفعاً للمضار: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] .

• من أعظم مقاصد القرآن :

أن الله عز وجل ميز في كتابه بين حقه الخاص وحق رسوله الخاص ، والحق المشترك بين الله ورسوله ، وحقوق الناس ، فالحقوق التي بينها الله في القرآن أقسام :

الأول : حق الله وحده لا شريك له ، وهو عبادته وحده لا شريك له في جميع أنواع العبادات ، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦] .

الثاني : حق الرسول ﷺ الخاص به وهو تعزيره وتوقيره والافتداء به وإتباعه ، كما قال سبحانه : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

الثالث : حق مشترك بين الله ورسوله ، وهو الإيمان بالله ورسوله وطاعة الله ورسوله ، ومحبة الله ورسوله مع التفاوت في ذلك ، فأما حقه سبحانه وهو العبادة وقد ذكره الله في آيات كثيرة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء: ٣٦] .

وأما حق رسوله كفاه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وأما الحق المشترك : ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الفتح: ٩] . حق مشترك .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح: ٩] . خاص بالرسول ﷺ .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٩] . حق الله وحده لا شريك له .

وقال الله عز وجل : ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحديد: ٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

[آل عمران: ١٣٢] .. حق مشترك .

وقال الله عز وجل : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ سَيِّئَاتِنَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة

[٥٩] . حق مشترك .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ [التوبة: ٥٩] .. حق خاص بالله وحده .

رابعًا : أما حقوق الخلق ، فكما قال سبحانه : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦] . حق الله .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ يَدَاكَ ﴾ [النساء: ٣٦] . حق للخلق ، كالقريب والبعيد والمحتاج .

وجميع ما أمر الله به وحث عليه من القيام بحقوق رسوله وحقوق الوالدين والأقارب والجيران وغيرهم ، كله حق لله تعالى يقوم به العبد امتثالاً لأمر الله وتعبداً له .

والإيمان بالله ورسوله لا يستويان وإن اتفقا في الأصل فإنهما مختلفان فالإيمان بالله ، إيمان بالله لذاته لأنه الرب ، والإيمان بالرسول إيمان به لأن الله أرسله وأمرنا بالإيمان به ، وتعظيم الرسول من تعظيم الذي أرسله ، ولهذا من أطاعه فقد أطاع الله ، كما قال سبحانه : ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠] .

١٠ - الخزانة العاشرة

ومن مقاصد القرآن

أن الله أمر في القرآن بالمسارعة إلى أداء أمور الخير التي يخشى فواتها ،
ويأمر بالثبوت وعدم العجلة في الأمور التي تخشى عواقبها ، ففي المبادرة
لأعمال الخير يقول سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٣٤] [آل
عمران: ١٣٣-١٣٤] .

وقال عز وجل : ﴿ فَاسْتَبِقُوا ﴾ [المائدة: ٤٨] .

وقال عز وجل : ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [٦١] ﴿
[المؤمنون: ٦١] .

فالسابقون في الدنيا إلى الخيرات والطاعات هم السابقون في الآخرة إلى
الجنات والكرامات وفي الثبوت في الأمور التي يخشى عواقبها ، يقول
سبحانه : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ
فَتُصِيحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُم نَادِمِينَ ﴾ [٦] [الحجرات: ٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا
تَقُولُوا لِمَن أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ بَرَّ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [٩٤] [النساء: ٩٤] .

وقد عاب الله عز وجل على المتسرعين في إذاعة الأخبار قبل التثبت بصحتها بقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ ۗ وَلَوَّ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ ﴾ [النساء: ٨٣] .

ومن هذا الباب الأمر بالمشاورة في الأمور وأخذ الحذر وألا يقول الإنسان ما لا يعلم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۗ ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

• فالأمور ثلاثة :

الأول : أمر علمت مضرته فلا يجوز لك الإقدام عليه كالشر والمعاصي والخبائث .

الثاني : وأمر علمت منفعة فالمسارعة إليه أكمل كسائر أنواع العبادات والواجبات والمستحبات .

الثالث : وأمر ترددت فيه وهذا يحتاج إلى تثبت قبل الإقدام فيدخل من ذلك ما أشكل عليك بذاته هل هو نافع أو ضار ؟ وما أشكل عليك بمقارنته مع غيره هل هو أنفع من غيره أو غيره أنفع منه ؟ .

فقد يكون الشيء منفعته في ذاته لكن يتردد الإنسان بين كون غيره أنفع منه وكون غيره أنفع منه فحين إذا يجب التثبت والتشاور ومن مقاصد القرآن التي تحصل الاستقامة للعبد يذكره الله عز وجل في القرآن إذا مالت نفسه إلى ما لا ينبغي من الشهوات والمحرمات ما يفوته من الخير وما يحصل له من الضرر ؛ لأن الأمر والنهي لا يكفي أكثر الخلق فيكفهم عما لا ينبغي حتى يقرن ذلك بذكر ما يفوت من المحبوبات التي تزيد أضعافاً عن

المحسوب الذي يكرهه الله وتحبه النفس ، وما يحصل من المكروه المترتب عليه ، كما ذكر الله فتنة الأموال والأولاد التي تفتن العبد عن الاستقامة كما ، قال سبحانه : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأَنْفَال: ٢٨]

وقال الله عز وجل : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [١٨] وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴾ [الإِسْرَاءُ: ١٨ - ١٩] .

وكذا رغب الباري في كتابه الكريم الصلاح والإصلاح في كل حال ، فأمر بالصلاح والإصلاح في آيات كثيرة وأثنى على الصالحين والمصلحين في آيات أخر ، والصلاح أن تكون الأمور مستقيمة معتدلة مقصوداً بها غايتها الحميدة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] .

فأعمال الخير تصلح القلوب والأبدان ، وتصلح الإيمان والأخلاق وتصلح الدين والدنيا ، وضدها فساد هذه الأشياء ، والصلاح هو الاستقامة على أوامر الله كما أمر بامثال لأوامر أو اجتناب نواهيه : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣٠] نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣١] .

والإصلاح هو إصلاح الأمور الفاسدة في الدين والدنيا ، بالسعي في إزالة الفساد والشر والضرر العام والخاص ، ومن أعظم أنواع الإصلاح السعي في إصلاح أحوال البشرية بالدعوة إلى الله ليخرج من الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد ، من الجهل إلى العلم ، ومن الشقاء إلى السعادة ، كما قال شعيب لقومه : ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨] .

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ، وكذا السعي في إصلاح أحوال المسلمين وجمع كلمتهم على الحق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

فكل ساعي في مصلحة دينيه أو دنيوية فهو مصلح والله يهديه ويرشده ويسدده ، وكل ساع بضد ذلك فهو مفسد والله لا يصلح عمل المفسدين ، وقد أثنى الله على الصالحين بقولهم : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩-٧٠] .

وأثنى على المصلحين في آيات كثيرة لأن آثار الصلح والصلاح والإصلاح فيها خير وبركة ورحمة : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

فَأَتَى سَبْحَانَهُ : عَلَى الْمَصْلِحِينَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠] ..

فالصلاح في الأمة بدون إصلاح لا يمنع ارتفاع الهلاك عنهم بل لينجو من العذاب لابد ليكونوا صالحين مصلحين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

كمال الإنسان أن يكون صالحًا بنفسه مصلحًا لغيره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١-٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [العصر: ٣] . إصلاح النفس .
وقال الله عز وجل : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣] .
إصلاح الغير .

ما أمر الله به جل جلاله في كتابه إما أن يوجه إلى من لم يدخل فيه فهذا أمر له بالدخول فيه ليدخل فيه ويتصف به ، كما قال سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ عَبْدُؤَرْبَابِهِمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١] .

وإما أن يوجه إلى من دخل فيه فهذا أمره الله به ليصحح ما وجد منه ويكمل ما نقص منه ، كما قال سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] .

وقال عز وجل : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] .

فالهداية أنواع والمؤمن يطلب من ربه أن يكمل له ما نقص من الهداية في باب معرفة الله وباب الأعمال الصالحة وباب أركان الإيمان ، كما قال سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة : ٢-٧] .

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أنه إذا منعهم شيئاً تعلقت به نفوسهم وإراداتهم فتح لهم أبواباً أنفع لهم منه وأسهل وأولى ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَكُمْ إِنَّا اللَّهُ كَاتِبُ كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النساء: ٣٢] .

فنهاهم ربهم سبحانه عن التمني الذي ليس بنافع وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان وأمرهم أن يسألوه من فضله الذي أعطى غيرهم منه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] .

ومن مقاصد القرآن أن الله سبحانه بين في القرآن أن الأجر والثواب في العبادات علي قدر المشقة ، وأن تسهيله لطريق العبادات من منه وفضله وإحسانه ورحمته ، وأنها لا تنقص الأجر شيئاً فالجهاد عبادة عظيمة فيها منافع كثيرة ، وفيها كذلك مشقات كثيرة تكرهها النفوس بما فيها التعرض للموت والأخطار وتلف النفوس والأموال ، لكن هذه المشقات بالنسبة لما تفضي إليه من العزة والكرامات ليست بشيء بل هي خير محض وإحسان صرف من الله إلى عباده ، حيث قيض لهم عبادات توصلهم إلى أعلى

الدرجات ومنها الجهاد في سبيل الله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

وكلما عظمت المشقة في فعل الطاعات وترك المحرمات والصبر على البليات كان له أجل وأعظم الثواب : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] .

وقال النبي ﷺ لعائشة لما تعبت في الحج : « إِنْ أَجْرُكَ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ » . متفق عليه (١) .

فالله عز وجل رءوف بالعبد لطيف بهم يقبل لهم الأحوال التي تصلحهم فعلى العبد إن سهل الله له طريق العبادة وهونها عليه أن يحمد الله ويشكره على هذه النعمة وإن شقت على النفوس صبر واحتساب الأجر في عنائه ورجا عظيم الثواب عليها : ﴿ إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سبأ: ١٣] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٧٨٧)، ومسلم برقم: (١٢١١)، واللفظ له.

فتسهيل الطاعات من آثار رحمة أرحم الراحمين ، وبيان المنة على العباد بتسهيل الطاعات عليهم فلا يسوق العبد الطريق العسير مع وجود الطريق اليسير ؛ لأنه إن ترك السهل الميسر إلى الصعب الشديد فقد ترك نعمة أنعم الله بها عليه تعينه على طاعة ربه ، فإن حصلت له مشقة لم يقصدها فهذا من الله لا من العبد ، فاصبر فليصبر فليحتسب : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] .

والله يحب الصابرين هذه هي شريعة الله السمحة الميسرة : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨] .

• ومن مقاصد القرآن التي بينها الله في كتابه :

أن الله عز وجل يكتب للعبد المؤمن عمله من خمسة أبواب :

الأول : يكتب الله للعبد العمل الذي باشره ، كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

وقال عز وجل : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ [الزلزلة: ٦-٧] .

الثاني : يكتب ويكمل له ما شرع فيه ولم يكمله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْنِهِمْ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٠] .

وقال عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

الثالث : يكتب الله له أجر ما نشأ من عمل ، ولم يكن على باله ، كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] .

وقال النبي ﷺ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، أَوْ عِلْمٌ يَنْتَفِعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ » . أخرجه مسلم (١) .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا » . أخرجه مسلم (٢) .

الرابع : يكتب له ما تركه لعذر وكان يعمل كما قال النبي ﷺ « إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَاحِحًا مُقِيمًا » . أخرجه البخاري (٣) .

الخامس : أن ما يتمناه العبد من الخير وكان من عاداته أن يعمل له لكن لم يقدر عليه لعذر فالله يكتب له أجره كما قال النبي ﷺ « إِنْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا ، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاِدْيَا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ مُقِيمُونَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ » . أخرجه البخاري (٤) .

أما ما يتمناه العبد ولم يقدر عليه وليس من عاداته فهذا يكتب له أجر النية لا أجر العمل ، كما قال النبي ﷺ حين قسم الناس إلى أقسام « عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦٣٩) .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠١٧) .

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢٩٦٦) .

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٤٤٣٢) .

مَا لًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَا لًا فَهُوَ صَادِقُ النَّيَّةِ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَا لًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فَلَانٍ فَهُوَ بِنَيْتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ » . أخرجه أحمد بسند صحيح (١)

وكما قال الفقراء النبي ﷺ سبق أهل الدثور بالأجور والدرجات العلا ، ثم ذكروا أنهم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، وينفقون ولا ننفق فأخبرهم أن يسبحوا ويحمدوا ويكبروا ثلاث وثلاثين دبر كل صلاة وأنهم بذلك يدركون ما سبقهم ، فلما سمع الأغنياء بذلك عملوا مثله فجاءوا الفقراء فقالوا يا رسول الله سمع إخواننا الأغنياء بما صنعنا وعملوا مثله فقال لهم : « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ » (٢) . ولم يقل لهم لكم أجركم بنيتكم .

• ومن مقاصد القرآن العظيمة :

أن الله جل جلاله بين أن هذا القرآن العظيم يهدي للتي هي أقوم وأكمل وأصلح في كل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] .

فالقرآن العظيم أعظم كتاب وأقوم تشريع وأحكم تنزيل فيه تبيان كل شيء كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [٨٩] [النحل: ٨٩] .

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٨٠٣١) .

(٢) أخرجه مسلم رقم: (٥٩٥) .

فالقرآن أقوم في كل أمر، في العقائد والأخبار والأحكام والأعمال والأخلاق والآداب والسياسات والمصالح الدينية والدينية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].
فالقرآن يدل عليها ويهدي إليها ويرشد إليها ويأمر بها ويرغب فيها ويحث عليها .

فأما العقائد فإن القرآن بين العقائد النافعة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وفي هذه العقائد صلاح القلوب وغذائها لأنها تملأ القلوب توحيداً وإيماناً وتعظيماً لله وحباً له وتوكلاً عليه وإنابةً إليه ومن أجل هذا خلق الله الخلق ليعبدوا الله وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وأما الأخبار فأخبار القرآن كلها حق وصدق فيما أخبر الله به عن نفسه وعن رسله وعن مخلوقاته: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥] .

وأما الأحكام فكلها عدل وإحسان ورحمة فما أمر الله ورسوله إلا بكل خير وما نهى الله ورسوله إلا عن كل شر ، فأمر بالحلال ونهى عن الحرام ، وأمر بأكل الطيبات ونهى عن أكل الخبائث: ﴿الرَّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١] .

وأما الأخلاق فالقرآن يدعو إلى الأعمال الصالحة وينهى عن الأعمال الفاسدة ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق من الإيمان والصدق والبر والإحسان والرحمة والعفو وغيرهم من مكارم الأخلاق ، وينهى عن ضدها من الكفر

والشرك والفجور والكذب والظلم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَالِاتِّبَاعِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] .

وأما الأعمال الدينية التي يدعوا إليها فهي أحسن الأعمال ، منها القيام
بحقوق الله وحقوق العباد على أكمل الحالات وأجلها وأوصلها إلى
المقاصد الحسنة ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾
[الإسراء: ٢٣] .

وأما السياسات فالقرآن يهدي ويرشد إلى سلوك الطرق النافعة في تحصيل
المصالح ودفْع المفساد ، ويأمر بالتشاور فيما لم تتضح مصلحته وذلك في
كل مجال في سياسة العبد مع نفسه وأهله وأولاده وجيرانه وأصحابه
والناس كافة: ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨]

بهذا كله فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في كل شيء وكل ما سواه من القوانين
المعارضة للقرآن تدعوا للذي هو أسوء وأظلم: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا
فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] .
وقال الله عز وجل: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] .

فالقوانين الوضعية كلها لا خير فيها ، وإن قدر فيها خير فالقرآن خير منها
وأقوم وأنفع وأحسن: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦- ٦٨].

فكل شيء أقوم وأحسن فالقرآن يهدي إليه وكل شيء أعوج وأساء فالقرآن لا يهدي إليه بل يهدي إلى ضده: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فِيمَا يَنْزِرُ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف: ١- ٢].

وقال الله عز وجل: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

ومن مقاصد القرآن الكبرى أن الله بين في القرآن أن قيمة الإنسان بصفاته لا بذاته ، وأن العبرة بحسن حاله هي إيمانه وعمله الصالح فقط: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

وأنه لا قيمة لما عند الإنسان من الأموال والأولاد ولا بما وصل إليه من المناصب والرئاسات فهذه نعم يعطها الله من يحب ومن لا يحب ولكن العبرة فقط بالإيمان والأعمال الصالحة فأبو لهب ذو النسب والحسب سيصلى نارا ذات لهب ، وبلال بتوحيده وإيمانه سمع النبي صلى الله عليه وسلم دفن نعليه في الجن: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا

مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾
 ﴿سبأ: ٣٧﴾ .

فمن أتى الله بالإيمان والتقوى ربح وأسعده الله في الدنيا والآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فكمال الإنسان بالإيمان والعمل الصالح ، فمن أتى بالإيمان والعمل الصالح دخل الجنة من كان وحيث كان غنياً أو فقيراً عربياً أو أعجمياً حراً أو عبداً . ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿البقرة: ١١١﴾ .

ثم ذكر الله البرهان الذي من جاء به دخل الجنة : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿البقرة: ١١٢﴾ .

فميزان الأمور كلها هو الإيمان والعمل الصالح وكمال الإنسان بذلك فقط وما يعطاه الإنسان من المال والولد والجاه فهو نعمة يتلى الله بها العباد ، فمن استعملها في طاعة الله فاز ، ومن استعملها في معصية الله خسر ديناه وأخرته : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ ﴿سبأ: ٣٧﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ﴿التوبة: ٥٥﴾ .

ومقاصد الإسلام الكبرى عظيمة وكثيرة جداً ، وهذه هي أهم مقاصد القرآن الكريم الكبرى التي يريد الله منا أن نتعلمها ونعمل بموجبها وندعو إليها

لنفوز بأعظم الكرامات في الدنيا والآخرة ونسعد برضوان الله ورؤيته ودخول الجنة يوم القيامة .

والترغيب في قراءة القرآن وسيلة لفهم تلك المقاصد العظمى ، وتدبر القرآن العظيم وسيلة لمعرفة تلك الأصول الكبرى والعمل بها ، وهي أصول عظيمة نافعة جامعة .

اللهم أعنا على ذكرك وعلى شكرك وعلى حسن عبادتك و اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً صالحاً يقربنا إليك إنك أنت العزيز الكريم .

هذا ما تيسر من ذكر المقاصد الكبرى والقرآن العظيم مملوء بتلك المقاصد فليطلع عليها العبد ويتدبرها في كتاب ربه الكريم : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٨ - خزائن السيرة النبوية

القسم الأول :

ويشتمل على ما يلي :

- | | |
|---------------------|----------------------|
| ١ - الخزانة الأولى | ٦ - الخزانة السادسة |
| ٢ - الخزانة الثانية | ٧ - الخزانة السابعة |
| ٣ - الخزانة الثالثة | ٨ - الخزانة الثامنة |
| ٤ - الخزانة الرابعة | ٩ - الخزانة التاسعة |
| ٥ - الخزانة الخامسة | ١٠ - الخزانة العاشرة |

٢٨ - خزائن السيرة النبوية

القسم الأول :

١ - الخزانة الأولى

• فضل بعثة النبي ﷺ.

الله ﷻ هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، وهو سبحانه الخالق ، القادر ، القاهر ، الذي وسم جميع المخلوقات بآثار الحدث بعد العدم ، وبما أجرى على الكل من العجز ، والحاجة ، والنقص ، والزيادة ؛ لتكون له الحجة البالغة ، والربوبية الناطقة ، والألوهية الواحدة ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

ثم أكد الله ذلك ، وأكمله برسل بعثهم بالحق إلى خلقه ، فجعلهم سفراء بينه ، وبين عبيده ، وأمناء على وحيه ، واختصهم بفضله ، واصطفاهم برسالته ، وأمرهم بإبلاغ وحيه ، وكلفهم بالدعوة إلى توحيده والعمل بشرعه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦] .

هو سبحانه الخالق الذي له الخلق ، و الأمر وحده ، خلق جميع الخلائق ، وفضل بعضهم على بعض ، فاصطفى من الملائكة رسل ، واصطفى من

البشر أنبياء ، ورسول ، وفضل بعضهم على بعض ، وجعلهم على مراتب مختلفة ، ودرجات متفاوتة .

فاصطفى الله عز وجل من الأنبياء ، والرسول أولي العزم ، وهم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام ، واصطفى الله سبحانه من أولي العزم الخليلين إبراهيم ، ومحمد عليهما أفضل الصلاة والسلام .

واصطفى من الخليلين محمد ﷺ ، وجعله أكمل الخلق ، وسيد البشر ، وخاتم الأنبياء ، وأفضل الرسل ، وأكثرهم تابعة ، وأعلاهم قدرًا ، وأحسنهم شريعة ، وخص هو ربه بأعلى الدرجات ، وأحسن الكرامات ، وأعظم الأخلاق ، وأرسله بأكمل الشرائع : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤] .

وجعل له سبحانه من الأصحاب ، والأتباع النصيب الأوفر ، وبعثه بالدعوة التامة ، والرسالة العامة ، وحفظه من كل جبار عنيد ، وعصمه من كل شيطان مرید حتى أظهر الله به الدين ، وأوضح به السبيل وأشاد به معالم الحق ، وهدم به معادل الشرك ، وأزهق به الباطل ، وحطم به الأصنام ، والأوثان وأظهر به أمة التوحيد ، والإيمان . ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢]

وجعل سبحانه دين محمد ﷺ أحسن الأديان ، وكتابه أحسن الكتب ، وأتمه خير الأمم ، ثم أوجب الله علينا الإيمان به ﷺ وتصديقه ، ومحبته ، وطاعته ، وتوقيعه وإتباعه ، وحسن الاقتداء به ، والقيام بأداء حقوقه ، ونصرة دينه ، وأتباعه ، والدفاع عنه وعن دينه وسنته فالحمد لله رب العالمين

الذي أكرمنا بتصديق رسوله ﷺ وشرفنا بإتباعه ، وجعلنا من أمته خير أمة
أخرجت للناس : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

والحمد لله رب العالمين الذي أرسل رسولا بالهدى ، ودين الحق كما قال
سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣] .

أرسله سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٦] .
وبعثه رحمة للعالمين بلسان عربي مبين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

والحمد لله رب العالمين الذي أختار محمدا ﷺ ؛ ليكون رسولا أمينًا ،
معلمًا ، مبيِّنًا ، واختار له دينًا قويماً ، وهداه صراطاً مستقيماً ، وارتضاه
لجميع البشرية إمامًا ، وجعل شرعه للنبوذة ختامًا . ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ
مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

ملاً الله قلبه ﷺ إيمانًا ، ورحمة ، وعلمًا ، وحكمة ، و أرسله الله رحمة
للعالمين ، فبلغ الرسالة و أدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق
جهاد حتى أتاه اليقين ، فصلوات الله ، وسلامه عليه ، وعلى إله ، و
أصحابه ، وأتباعه إلى يوم الدين .

بلغ ﷺ البلاغ المبين ، وعلم أصحابه أركان الإسلام ، والإيمان ، وبين لهم
شرائع الإسلام ، وفضائله ، وفرائضه ، ونوافله ، وعباداته ، ومعاملاته ،

وحلاله ، وحرامه ، وأخلاقه ، وآدابه وكان ﷺ بالمؤمنين رءوف رحيم ، وعلى تعليم ما ينفعهم حريصاً أميناً يرشدهم إلى أحسن الأعمال ، ويهديهم إلى أحسن الأخلاق ، ويدلهم على ما فيه فلاحهم ، ونورهم ، ونجاتهم في الدنيا والآخرة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

دل ﷺ أمته على كل خير ، وحذرهما من كل شر لم يترك خيراً قط إلا أمرهم به ، ولم يترك شراً قط إلا حذرهم منه ، حتى لم يكن شيئاً من أعمال البر في زمانه متروك ، ولم يكن شيئاً من سبل السلام ، والخير في زمانه إلا مسلوفاً ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [١٦] ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

فلما تم ما أَرَادَهُ اللهُ برسوله من هداية أهل الإسلام ، وبلغ الرسول ﷺ جميع ما أرسله الله به من الأحكام ، وقرب رحيله من دنيا الأعمال أنزل الله شواهد التبليغ ، والتمام ، والكمال فقال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

فرحل ﷺ إلى جوار ربه ، وترك الأمة على البيضاء ليها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وترك ﷺ لأمته الأخبار الصادقة ، والأحكام العادلة ، والآداب الحسنة ، والأخلاق الكريمة ، والسيرة العطرة ، والسنة المطهرة ، وأمرهم ﷺ بتعلم هذا الدين الحق ، والعمل بأحكامه ، والتخلق بأخلاقه ، وإبلاغه لجميع البشرية إلى يوم القيامة ؛ ليعبد الناس ربهم وحده لا شريك له ،

ويسعدوا في الدنيا ، والآخرة ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ۖ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۚ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

هو ﷺ رسول رب العالمين الصادق ، الأمين ، الهادئ إلى الصراط المستقيم المفسر بسيرته ، وسنته للقرآن الكريم ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ۖ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢] .

بلغ ﷺ القرآن لأُمَّته ، وفسره لهم بحياته العلمية ، والعملية ، والأخلاقية ، وتفجرت من لسانه بحار العلوم الإلهية ، وجرت منه أنهار الأحكام الشرعية ، وتجمل ظاهره ، وباطنه بأحسن الأخلاق الإسلامية : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [القلم: ٤] .

وقد ربي الرسول ﷺ أمته على حمل هذه الأمانة العظيمة ، وأمرهم بأدائها للبشرية كما نزلت من أول يوم بعثه الله فيه ، ولقد كانت السيرة النبوية أول ، وأكبر ، وأحسن جامعة تخرج منها أمثل النماذج البشرية ، وأطهر النفوس الذكية ، وهم أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، الذين آمنوا بالله ورسوله ، وجاهدوا في الله حق جهاده حتى رضي الله عنهم ، ورضوا عنه ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠] .

فكان من الصحابة رضي الله عنهم الخلفاء الراشدون ، والمهاجرون ، والأنصار ، وكان من هؤلاء الأخيار المؤمن النقي ، التقى ، والعابد الخاشع ، والساجد الباكي ، والقائد المحنك ، والسياسي الداهية ، والحاكم العادل ، والمجاهد الباسل ، والعبقري الملهم ، والمحدث

الحافظ ، والفقيه البار ، والعالم العامل ، والغنى الشاكر ، والفقر الصابر ،
والورع الزاهد ، والحكيم ، والحليم ، والعفو ، والكريم ، والتاجر ،
والزراع الأمين ، وكان منهم الأب التقى ، والزوج الوفي ، والولد البار ،
والأم الرحيمة ، والزوجة الأمينة ، والعالم الصادق ، والأخ الرحيم ،
والجار المحسن .

فهذا الجيل الفريد من البشر ، وهذا السوق العامل من الفضائل كلهم من
ثمرات الإيمان بالله ، ورسوله ، وكلهم تخرجوا من جامعة الإيمان ،
والتقوى ، واصحبوا رعاة للأمم بعد أن كانوا رعاة للغنم فساد الأمن ،
والسلام في كل بلاد فتحوها ، ولهذا كانوا الأمة الوسط ، وخير القرون ،
ونواة خير أمة أخرجت للناس ، كما قال عز وجل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

السيرة النبوية هي ينبوع الصافي لطالب العلم ، والفقه ، والدليل الهادي
لمريد الهداية ، والصلاح ، والمنهج السديد لمريد الدعوة والإصلاح ،
والخزانة الواسعة لكل شعب الدين ، والخير ، والحياة .
وكذا السيرة النبوية هي البحر الزاخر ، و الشراج المنير ، والغيث العميم ،
والشجرة المباركة المثمرة بأطيب الثمار من الأخبار الصادقة ، والأحكام
العادلة ، والأقوال الحسنة ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الكريمة ،
والسنن النبوية الفاضلة .

وكذا السيرة النبوية خير معلم ، ومدرس ، وخير مربى ، ومؤدب ، وفيها
كل ما ينشده كل مسلم من دروس التوحيد ، والإيمان ، ومناهج الدعوة ،

والتعليم ، وأنواع العبادات ، والمعاملات ، ومعالي الأخلاق ، والآداب ،
 ووصول الإمامة ، والقيادة ، ومناهج العدل ، والرحمة ، وأنواع الجهاد ،
 والكفاح وألوان الكرم ، والعطاء ، وأنواع الصبر ، والتضحيات في سبيل
 الله عز وجل .

وكذا السيرة النبوية هي المصدر الوحيد الأعلى للأسوة الحسنة التي يتطلع
 إليها كل مسلم ، ومنبعه الشريعة العظيمة التي يدين الله بها كل مسلم .

والمسلم الذي لا يعيش الرسول ﷺ في قلبه ، ولا يتبعه في فكره ، وعلمه ،
 وعمله بجوارحه ، ولا يقتضى به في سيرته ، وسنته ، ولا يتخلق بأخلاقه ،
 وآدابه هو مسلم انتماء لا مسلم التزام لأنه أخذ الصورة ، وترك الحقيقة: ﴿

فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ
 لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن تطلع شمس الرسالة من جزيرة العرب
 التي كانت أشد البلاد ظلامي ، وأشدّها حاجة إلى هذا النور الساطع الذي
 يبدد الظلام ، والظلمات ، ويملاً الدنيا كلها هداية ، ونور ، ورحمة ،

وعدل ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢] ﴾

وأخرج الله هذه الأمة ببعثة النبي ﷺ من الظلمات إلى النور ، ومن الكفر
 إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن
 العداوة إلى المحبة ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن الخوف إلى الأمن ومن

الهُوَى إِلَى الْهُدَى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
 عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ

مَنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وكما اختار الله عز وجل رسوله محمد ﷺ للعرب فقد اختار سبحانه العرب ؛ ليكونوا هم أول من يتلقى هذه الدعوة ، ثم يبلغوها إلى أنحاء العالم إلى يوم القيامة ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَوَحْدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

وفى اختيار الله للعرب ليكونوا أول من يتلقى الوحي حكمٌ بالغة ، فقد كانوا أسلم الناس فطرة ، وأصحاب إرادة قوية ، إذا عسر عليهم الحق تركوه ، وإذا التوى عليهم فهمه حاربوه ، وإذا انكشف الغطاء عن عيونهم آمنوا به ، وأحبوه ، واحتضنوه ، واستماتوا في سبيله .

وهذا ما حصل ، فقد كانوا شر البرية ، ولما آمنوا بالحق صاروا خير البرية ، وكانوا شر القرون ، ولما آمنوا صاروا خير القرون ، وكانت ألواح قلوبهم صافية لم تكتب فيها عقائد ، وكتابات عميقة يصعب محوها ، وإزالتها شأن الفرس والروم ، وأهل الهند الذين كانوا يفتخرون بعلومهم ، وآدابهم الراقية ، والزاهية التي لم يكن من السهل حلها ، وإبطالها .

أما العرب ، فلم تكن على ألواح قلوبهم إلا كتابات بسيطة خططها يد الجهل والبدوى ، فانغمست في وديان الشهوات والغفلات ، وعميت عن الحق ، فكان من السهل اليسير محو تلك العادات ، وغسلها ، ورسم صور ربانية مكانها ، فأسرعوا في قبول الإسلام ، فتغيرت حياتهم ، وغيروا العالم ، وفتحوا قلوب البشرية بالإيمان ، والتقوى ، والأخلاق الحسنة ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠] .

ولما أكرم الله العرب بهذا الدين ، فقبلوه كانوا خير أمة أخرجت للناس في
العبادة، والدعوة، والأخلاق، والآداب، وحسن المعاملات، والمعاشرات .
وكانوا أرحم الناس بالناس ، فدعوا الناس إلى الله ، وعلموهم شرع الله ،
وأحسنوا إليهم في كل حال ، وكانت قوى العرب العلمية ، والعملية ،
وطاقتهم الفكرية ، ومواهبهم الفطرية مزخورة فيهم لم تستهلك فكانت أمة
بكرة ، فلما أسلمت صارت حياتها دافقة بالحياة ، والنشاط ، والعزائم ،
والحماس ، والرحمة ، والإحسان ، والصدق ، والإخلاص ، والعدل ،
والأمانة ، والعلم ، والتعليم ، والدعوة ، والجهاد ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ
مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ
أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ
وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩] .

وكانت الفترة التي بعث الله بها رسوله محمد ﷺ من أشد الفترات التي مرت
بها جزيرة العرب ظلمًا ، وجهلاً ، وفسادًا ، وفرقة ، وأبعد من كل أمل في
الإصلاح ، وأشد يأس في الاجتماع ، وأصعب مرحلة واجهها نبي من
الأنبياء ، ثم طلعت شمس الرسالة ، وأيد الله رسوله ﷺ بالحق ، وأظهر دينه
على الدين كله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ

كُرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ [الصف: ٩] .

وأظهر الله عز وجل على يد الرسول ﷺ محاسن الأقوال ، والأعمال ،
وأعظم الأخلاق ، والآداب ، وأحسن السنن ، والأحكام ، وتغيرت حياة
أهل الجاهلية بجهد وجهاده ﷺ فعزت بعد ذلة ، واجتمعت بعد فرقة ،
وتراحت بعد قسوة .

وانتقلت من أمة كانت ترعى الغنم إلى أمة ترعى الأمم ، وانصرفت من عباد
الأصنام ، والأوثان إلى عبادة ربهم الرحمن ، وتزينت قلوبهم بالتوحيد ،
والإيمان ، وتجملت أجسادهم بالسنن ، والآداب ، واجتمعت نفوسهم
على الحق ، والهدى ، وشاعت بينهم الرحمة ، والأخوة بدل الوحشة ،
والقسوة : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ
هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ [الحجرات: ١٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ
النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران:
١٠٣] .

• فقه الإيمان بالله ورسوله .

الإيمان له ستة أركان وهي :
« أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ
وَشَرِّهِ » . متفق عليه (١) .

والإيمان هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح .
والتصديق وحده لا يكفي ، فلا بد معه من الإقرار ، والانقياد ، فقد صدق
أبو طالب عم النبي ﷺ بنوّة ابن أخيه محمد ﷺ ، ولكنه لم يقر له ، ولم
يتبعه ، فمات مشركاً وكذلك اليهود الذين كانوا بعهد النبي ﷺ كانوا يعرفون
أنه نبي ، ويشهدون أنه نبي ومع ذلك حكم الله عليهم بالكفر ؛ لأنهم لم
يتبعوه ، وكذا الكفار: ﴿ فَاتَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ
﴿٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣] .

وكذا بعض الكفار اليوم يؤمنون بنوّة محمد ﷺ ويسمونهم النبي ، وهم
باقون على كفرهم ؛ لأنهم لم يتبعوه لهذا لا بد من التصديق بالقلب ،
والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥] .

فلا نجاة لأحد يوم القيامة إلا بثلاثة أمور :

- ١ - عبادة الله وحده لا شريك له .
- ٢ - إتباع الرسول ﷺ وحده .
- ٣ - والكفر بكل ما يري دون الله عز وجل .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧٧)، ومسلم برقم: (٨)، واللفظ له.

قال الله عز وجل: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال الله عز وجل: ﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولو أن الإيمان هو التصديق لله ورسوله فقط بدون انقياد ، لكن إبليس مؤمناً لأنه يعلم الحق من الباطل ، ولكنه لم ينقد للحق استكباراً عليه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

لهذا لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان برسول الله ﷺ ، ولا يتم توحيد الله بالعبادة إلا بتوحيد الرسول ﷺ بالإتباع: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

والإيمان بالله ، ورسوله أصل التوحيد ، وأساس الإيمان ، وأعظم أركان الإسلام ، والطريق الوحيد للفلاح ، والنجاة في الدنيا ، والآخرة: ﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن: ٨].

لهذا لا يمكن إيمان العبد إلا باستكمال أركان الإسلام ، وأركان الإيمان ، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ » . متفق عليه (١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » . متفق عليه (٢) .

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » . أخرجه مسلم (٣) .

وقال جبريل ﷺ : « يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ، قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » . أخرجه مسلم (٤) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٥٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٨).

• شهادة التوحيد لها ركنان :

١- شهادة أن لا إله إلا الله .

٢- وشهادة أن محمداً رسول الله .

فشهادة أن لا إله إلا الله ، توحيد الله جل جلاله بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وعبادته وحده لا شريك له ، وكلمة التوحيد بركنيها شرط للدخول في الإسلام ، وشرطٌ لدخول الجنة ، والنجاة من النار ، وهى لب الدين ، وأساس الملة ، لهذا يجب على من أراد الله ، والدار الآخرة أن يعلم شروط تلك الشهادة ، ويحققها بالعمل بموجبها ، والقيام بشروط كلمة التوحيد من أوصاف أهل الجنة، كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ [المعارج:٣٣] .

وهذه الآية ، وإن كان المقصود بها عموم الشهادات ، فإن شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله هي أول الشهادات بالهدى ، والتحقيق ، والتصديق، والتطبيق .

٢ - الخزانة الثانية

• شروط شهادة أن لا إله إلا الله :

يشترط لتحقيق كلمة التوحيد ثمانية شروط :

الأول : العلم المنافي للجهل، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

الثاني : اليقين المنافي للشك، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥] .

الثالث : القبول المنافي للرفض، كما قال سبحانه : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

الرابع : الانقياد المنافي للترك، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ٢٢] .

الخامس : الصدق المنافي للكذب، كما قال سبحانه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] .

السادس : الإخلاص المنافي للشرك، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

السابع : الاستقامة المنافية للانحراف، كما قال سبحانه : ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢] .

الثامنة : المحبة المنافية للبغض، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

أما شهادة أن محمداً رسول الله فهي طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ﴿ قُلْ إِنَّمَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَان كَان يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وشهادة أن محمد رسول الله كشهادة أن لا إله إلا الله لها شروط لا ينتفع قائلها إلا بتحقيقها :

الأول : العلم بمعناها ، وهو العلم أن محمد رسول من عند الله حقاً، كما قال سبحانه : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

الثاني : استيقان القلب بهذه الشهادة، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥] .

الثالث : الانقياد لها ظاهراً ، وباطناً ، وذلك بالقيام بحقوق النبي ﷺ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

الرابع : القبول بها فلا يرد شيئاً من لوازمها، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ
حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

الخامس : الإخلاص فيها بأن لا يجعل مع الرسول شريكاً في الإتيان، كما
قال سبحانه : ﴿ وَمَا ءَأَنتُمْ بِرُسُلٍ فَخِذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوٓا۟ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال النبي ﷺ: « عَمَلٌ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » . أخرجه مسلم (١) .

السادس : الصدق فيها ، وضده الكذب ، والنفاق ، كما قال سبحانه : ﴿ إِذَا
جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١] .

السابع : المحبة لهذه الشهادة ، وأهلها ، والمعاداة لمن يبغضها، كما قال
سبحانه : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ [آل
عمران: ٣٢] .

الثامن : الإيمان بها ، والكفر بما يناقضها، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ
الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ
جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧١٨).

خصائص الرسول ﷺ

رسولنا محمد ﷺ سيد ولد آدم ، وأفضل النبيين والمرسلين ، جمع الله له ما تفرق من كمالات الأنبياء من الأقوال والأعمال والأخلاق، وخصه ربه الذي اصطفاه بخصائص تميز بها عن غيره ، وخصائصه ﷺ تزيد على مائة صفة كريمة.

وهذه أشهر خصائصه ﷺ على سبيل الإيجاز :

الأول : أن الله سبحانه وتعالى أخذ العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

الثانية: أنه ﷺ أعطى خمس لم يعطهن أحد قبله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أُعْطِيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً » متفق عليه. (١)

الثالثة : أن في كتاب الله الذي أنزل عليه الناسخ والمنسوخ ، كما قال سبحانه: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٥)، ومسلم برقم: (٥٢١).

الرابعة: أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله سبحانه: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

الخامسة: حفظ الكتاب الذي أنزل عليه إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝١ ﴾ [الحجر: ٩].

السادسة: حماية كتابه ﷺ من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ ۝٤٢ تَنْزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

السابعة: أن الرسول ﷺ أمانة لأصحابه من العذاب والفتن في حياته، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وعن أبي بردة عن أبيه قال: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَبْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»
أخرجه مسلم (١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣١).

الثامنة : أن الله عز وجل أقسم بحياته لما فيها من عظيم الخير والبركات والرحمات، كما قال سبحانه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ [الحجر:

[٧٢

التاسعة : أن النبي ﷺ أكثر الناس تبعًا في الدنيا والآخرة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا» أخرجه مسلم (١).

العاشرة: أن الله عز وجل نادى كل نبي باسمه فقال يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، يا موسى إني اصطفتك على الناس برسالتي وبكلامي ، يا يحيي خذ الكتاب بقوة ، ونادى محمد ﷺ بوصف النبوة والرسالة زيادة في التكريم والإجلال له، كما قال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤].

وقال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿المائدة/ ٦٧﴾.

الحادية عشرة: أن الله عز وجل غفر للنبي ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿٢﴾ [الفتح: ١-٢].

الثانية عشر: أن الله عز وجل خصه ﷺ بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة والمفصل.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَتُحِ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).

يَنْزِلُ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَسَلَّمَ ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيْتَهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ. أخرجه مسلم (١).

الثالثة عشرة : أن الله عز وجل قرن اسمه باسمه في الكتاب تشریفاً وتعظيماً له، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [التغابن: ١٢].

الرابعة عشر : أن الله عز وجل أعطاه مفاتيح خزائن الأرض .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتُمْ تَنْتَلُونَهَا. متفق عليه (٢).

الخامسة عشرة : أن الله عز وجل خصّه بالإسراء والمعراج، كما قال سبحانه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

السادسة عشرة : أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى من خلفه كما يرى من أمامه
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، أَلَا تَحْسِنُ صَلَاتَكَ؟ أَلَا يَنْظُرُ الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَبْصُرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أَبْصُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ» متفق عليه (٣).

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٠٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٧٧)، ومسلم برقم (٥٢٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤١٩)، ومسلم برقم (٤٢٣).

السابعة عشرة: أن الله عز وجل خصّه بدرجة الوسيلة والفضيلة والمقام
المحمود يوم القيامة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ
يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا
الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ» أخرجه البخاري (١).

الثامنة عشرة: أن الرسول ﷺ أول من تشق عنه الأرض يوم القيامة
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ
أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ» متفق عليه (٢).

التاسعة عشر: أن الرسول ﷺ أول من يقرع باب الجنة
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا
أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» أخرجه مسلم (٣).

العشرون: أن النبي ﷺ أول من يمر على الصراط، في حديث الرؤيا
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَدِيثِ الرُّؤْيَا وَفِيهِ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«.. وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ» متفق
عليه (٤).

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٣٧٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٣)، ومسلم برقم (١٨٢).

الحادية والعشرون : أن الله عز وجل خصّه بالكوثر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا
 أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١-٣].

الثانية والعشرون : أن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ
 الْجَنَّةِ» متفق عليه^(١).

الثالثة والعشرون : أن الله عز وجل خصّه يوم القيامة بالدعوة المستجابة
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ،
 فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ
 نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» متفق عليه^(٢).

الرابعة والعشرون : أنه يدخل الجنة من أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبعون ألفاً بغير حساب .
 عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي
 سَبْعُونَ أَلْفًا بَغَيْرِ حِسَابٍ»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا
 يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» متفق عليه^(٣).

الخامسة والعشرون : أن الله عز وجل جعل أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الأمم وجعلهم
 وسطاً وجعلهم شهداء على الناس كما قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
 أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٨٨٨)، ومسلم برقم (١٣٩٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٤)، ومسلم برقم (١٩٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٠٥)، ومسلم برقم (٢١٨).

وقال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

السادسة والعشرون : أن الله عز وجل حرم الزكاة ، والصدقة عليه وعلى إله ، وعلى مواليه ، وموالى آله .

عن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَبْغِي لِأَلِ مُحَمَّدٍ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخِ النَّاسِ» أخرجه مسلم^(١).

السابع والعشرون : أن الله عز وجل وضع الأعدار والأغلال والخرج عن أمته، كما قال سبحانه: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة/ ١٨٥].

الثامن والعشرون : أن الله عز وجل خصه بإسلام قرينه من الجن .
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ » ، قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « وَإِيَّايَ ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » أخرجه مسلم^(٢) .
التاسع والعشرون : الرسول صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ، ولا ينام قلبه .

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ، فَلَا تَسَالُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسَالُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا،

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٧٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٤).

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: «تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي» متفق عليه^(١).

الثلاثون: أن الله ﷻ قد تجاوز لأمة عن الخطأ، والنسيان، وحديث النفس، كما قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فقال الله: قد فعلت. أخرجه مسلم^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» متفق عليه^(٣).

الحادي والثلاثون: أن الله سبحانه حفظه أمته صلى الله عليه وسلم من الهلاك، والاستئصال، وأن الله زوي له الأرض فرأى مشارقها، ومغاربها وأنه أعطى كنوز الدنيا، وهي الآن في أمته.

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيَتْ الْكَزْبَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قِضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَأْفَاطِرِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» أخرجه مسلم^(٤).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٩)، ومسلم برقم (٧٦٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦٩)، ومسلم برقم (١٢٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٨٩).

الثاني والثلاثون : أن أمته ﷺ شهداء الله في الأرض .

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ» متفق عليه (١).

الثالث والثلاثون : أنه لا يخلو عصرٌ في أمته من جماعة ظاهرة ، ظاهرة على الحق إلى يوم القيامة .

عَنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ» متفق عليه (٢).

الرابع والثلاثون : أن الله عز وجل خص أمته ﷺ بأن جعل صفوفها كصفوف الملائكة .

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ» أخرجه مسلم (٣).

الخامس والثلاثون : أن أمته ﷺ يأتون يوم القيامة عرى محجلين .

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ حَوْضِي لَا بَعْدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَدُودٌ عَنْهُ الرَّجَالُ كَمَا يَدُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٦٧)، ومسلم برقم (٩٤٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١)، ومسلم برقم (١٩٢١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٥٢٢).

حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ» أخرجه مسلم (١).

السادس والثلاثون : أنه ﷺ ، وأمه أول من يعبر الصراط .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «.. وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُحْيِزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ» متفق عليه (٢).

السابع والثلاثون : أن أمته ﷺ أكثر أهل الجنة .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ : «أَتَرْضُونَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟»، قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : «أَتَرْضُونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟»، قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : «أَتَرْضُونَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟»، قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشُّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ» متفق عليه (٣).

الثامن والثلاثون : أن أمته ﷺ أول من يحاسب يوم القيامة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه (٤).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٣)، ومسلم برقم (١٨٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٨)، ومسلم برقم (٢٢١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٢٤)، ومسلم برقم (٨٥٥).

التاسع والثلاثون : أن الله عز وجل خص أمته بيوم الجمعة من بين الأمم .
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، بِيَدِ أَنْهَمُ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَاخْتَلَفُوا ، فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، هَدَانَا اللَّهُ لَهُ - قَالَ : يَوْمُ الْجُمُعَةِ - فَالْيَوْمَ لَنَا ، وَغَدًا لِلْيَهُودِ ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى » متفق عليه (١) .

الأربعون : أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبيض له الوصال في الصامدون أمته .

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ » مَرَّتَيْنِ قِيلَ : إِنَّكَ تُوَاصِلُ ، قَالَ : « إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي ، فَاكْتَلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ » متفق عليه (٢) .

الحادي والأربعون : أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبيض له الزواج بغير قيد وعدد، كما قال سبحانه : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ [الأحزاب: ٥٠] .

الثاني والأربعون : أن أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمهات المؤمنين، كما قال سبحانه : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٨٦)، ومسلم برقم (٨٥٥) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٦٦)، ومسلم برقم (١١٠٣) .

الثالث والأربعون : أن أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محرّمات على غيره أبداً ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

الرابع والأربعون : أن الكذب عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشدّ آثم ، وعقوبة من غيره .
 عن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنْ كَذَبَا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَيَّ أَحَدٍ ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » متفق عليه (١) .

الخامس والأربعون : أن من استهان به أو سبه كفر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١] .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥] لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعِدْ بَطَآئِفَةٍ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] .

السادس والأربعون : أن الله عز وجل خصه بالعصمة في أقواله ، وأفعاله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٤) [النجم: ١-٤] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٩١)، ومسلم برقم (٤).

السابع والأربعون : أن الله عز وجل اتخذ محمدًا خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً .

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبِكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ» أخرجه مسلم ^(١).

الثامن والأربعون : اختصاصه صلى الله عليه وسلم بإباحة الصلاة بعد العصر .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: رَكَعَتَانِ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُهُمَا سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً: رَكَعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَرَكَعَتَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ. متفق عليه ^(٢).

التاسع والأربعون : اختصاصه صلى الله عليه وسلم بإباحة القتال في مكة .

عَنْ أَبِي شَرِيحٍ الْعَدَوِيِّ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ يَوْمَ الْفَتْحِ «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» متفق عليه ^(٣).

الخمسون : أن له صلى الله عليه وسلم نكاح من وهبت نفسها بلا مهر ، كما قال سبحانه : ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٨٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٢)، ومسلم برقم (٨٣٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠٤)، ومسلم برقم (١٣٥٤).

الحادي والخمسون : أن الله سبحانه كرمه وشرفه بالصلاة عليه وأمر المؤمنين بذلك، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

الثاني والخمسون : أن أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين قد رضي الله عنهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَالسَّيِّئَاتِ الْأُولَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

الثالث والخمسون : أن الله عز وجل أعطاه قوة ثلاثين رجلاً .

عن قتادة عن أنس بن مالك قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ، مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ. قَالَ: قُلْتُ لِأَنْسٍ: أَوْ كَانَ يُطِيقُهُ؟ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ. متفق عليه (١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ. متفق عليه (٢).

فهذه أهم خصائص الرسول ﷺ الواردة في القرآن والصحيحين أو أحدهما، اقتصرنا عليها خشية الإطالة .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٨)، ومسلم برقم (٣٠٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٤)، ومسلم برقم (٣٠٩).

٣- الخزانة الثالثة

• لوازم الإيمان بالنبي ﷺ:

ليس الإيمان بالنبي ﷺ هو مجرد التصديق، والإقرار بأنه نبي، أو أنه رسول، أو أنه مصلح عظيم، ويقف الأمر عند ذلك فقط.

بل الإيمان الصادق، الصحيح، الكامل بالنبي ﷺ، ليقضي بضعة عشر أمرًا وهي:

الأول: معرفة أسمه ونسبه ﷺ، فنعرف أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، إلى آخره. لا بد للمسلم أن يعرف الرب الذي يعبد، وهو الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأن يعرف الرسول الذي يتبعه، وهو محمد بن عبد الله ﷺ، ويعرف الدين الذي يدين به، وهو الإسلام.

الثاني: الإيمان ببشريته، وأنه عبد لله لا يعبد، ورسول لا يكذب، كما قال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١﴾ [الإسراء: ١].

وعن عمر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» أخرجه البخاري^(١).

الثالث: الإيمان بنبوته، ورسالته، وأنه نبي، ورسول من عند الله حقًا، فيجب تصديقه، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الرابع: الإيمان بمثابة سيرة النبي ﷺ من الأخبار الصحيحة ، الدالة على
حسن سيرته ، وعظمة أخلاقه ، وجهاده في دعوته ، وبذل كل ما يملك في
سبيل إبلاغ دين ربه ، ثم تحقيق ذلك في حياة المسلم ، كما قال سبحانه :
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ
اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

الخامس : الإيمان بما جاء من صفاته الخلقية ، والخلقية ، كصفة طوله ،
ولونه ، وصفة هيئته ، ومشيته ، وصفة وجهه ، وجمال خلقته ، وكذا معرفة
ما حباه الله به من الأخلاق الكريمة ، التي لم تجتمع لأحد غيره ، كالصدق ،
والعفو ، والأمانة ، والرحمة ، والكرم ، والجود ، وغيرها من الصفات
العظيمة التي أثنى الله عز وجل عليه بها ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى
خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].
ثم التحلي بتلك الصفات العظيمة .

السادس : الإيمان بما جاء من خصائصه ﷺ الذاتية ، كمعرفة أنه تنام عيناه ،
ولا ينام قلبه ، وأنه يرى من أمامه ، ومن خلفه ، ومعرفة خصائصه الشرعية ،
كمعرفة أنه لا يورث ، وأنه لا تنكح نسائه من بعده ، وغير ذلك من
الخصائص .

السابع : الإيمان بما جاء من دلائل نبوته ﷺ ، وذلك بمعرفة الأدلة
الأساسية ، والعقلية ، والشرعية التي تدل على أنه رسول الله حقًا .

الثامن : القيام بحقوقه ﷺ الواجبة على أمته ، بتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه ، وزجر ، ولا يعبد الله إلا بما شرع : ﴿ وَمَا ءَأْتِكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال النبي ﷺ: « مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ ، فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (١) .

التاسع : الإيمان بأنه ﷺ خاتم النبيين ، ورسالته خاتمة الرسالات كلها ، كما قال عنه ربه : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ ، قَالَ : فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ » متفق عليه (٢) .

العاشر : الإيمان بأن رسالة النبي ﷺ ناسخة لما قبله من الشرائع كلها ، كشرية موسى ، وعيسى - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ، ومهيمنة عليها كلها ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢٨٦).

الحادي عشر : الإيمان بأنه بعد بعثة النبي ﷺ، فإنه لا دين مقبول عند الله إلا الإسلام الذي جار به ، فلا يجوز التعبد لله بعد بعثته بغير الإسلام ، الذي جاء به ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » . أخرجه مسلم ^(١) .

الثاني عشر : الإيمان بعموم رسالته للأنس ، والجن إلى يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ لِّلَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وكلمة الناس يقصد بها الإنس ، والجن ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦ ﴾ [الناس: ١-٦]

وثبتت دعوة النبي ﷺ للجن في القرآن في سورة الجن والأحقاف، وأتى بعض الجن فبايعوا النبي ﷺ على الإسلام كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَتَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥٣).

اللَّهُ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ [الأحقاف: ٢٩] - [٣١].

الثالث عشر : الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة كاملة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين ، وترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، كما قال سبحانه : ﴿ أَيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للناس في حجة الوداع : « .. وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ » قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ، وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكِتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. أخرجه مسلم^(١).

وعَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: "يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ". متفق عليه^(٢).

الرابع عشر : الإيمان بعصمته ﷺ.

• والنبي ﷺ معصوم من خمسة أشياء :

- ١ - معصوم من الشرك .
- ٢ - معصوم من كبائر الذنوب .
- ٣ - معصوم من الأخلاق السيئة .
- ٤ - معصوم في مجال التبليغ ، والرسالة .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٦١٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧٧).

٥- معصوم في نسبه من السفاح .

١- فالنبي ﷺ عصمه ربه من الشرك، قبل البعثة وبعد ها: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فقد كان ﷺ يعرف الله بفطرته قبل أن يبعثه الله، وكان يتعبد لله في غار حراء سنين عديده، ولم يسجد لصنم قط، ولم يفعل شيئاً من أمور الشرك التي كان يفعلها قومه.

وقد استخرج الله ﷺ حظ الشيطان منه في حادثة شق صدره التي حصلت للنبي ﷺ مرتين :

الأولى: لما كان صغيراً يرضع في بادية بني سعد، والثانية: في مكة في الحجر قبيل العروج به إلى السماء.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً ، فَقَالَ : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ لَأَمَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَىٰ أُمِّهِ يَعْنِي ظَهْرَهُ ، فَقَالُوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ ، قَالَ أَنَسٌ : وَقَدْ كُنْتُ أَرَىٰ أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ « متفق عليه ^(١) .

وعن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: « بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ - وَذَكَرَ - يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ - فَأْتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشَقَّ مِنْ النَّخْرِ إِلَى

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥١٧)، ومسلم برقم (١٦٢) واللفظ له.

مَرَّاقُ الْبَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءٍ زَمَزَمَ، ثُمَّ مُلِيَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيَتْ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبُرَّاقُ فَانْطَلَقَتْ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا « متفق عليه (١) .

فهذا الحديث وما قبله يدل على عصمة النبي ﷺ من الشرك.

٢- والنبي ﷺ عصمه ربه من كبائر الذنوب، سواء قبل البعثة أو بعدها، فلم يسجد ﷺ لصنم قط، ولم يشرب الخمر قط، ولم يكذب قط، ولم تمس يده يد امرأة أجنبية عنه قط، ولم تقع منه كبيرة قط: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ١-٥].

وكيف تقع منه الكبيرة وهو الذي قال ﷺ عن نفسه: « أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ، وَأَتَقَاكُمُ لَهُ » أخرجه البخاري (٢).

٣- والنبي ﷺ عصمه ربه من جميع الأخلاق السيئة، وجمّله بجميع الأخلاق الحسنة؛ لأنه رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين، فتبارك الله أحسن الخالقين: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [الفلم: ٤].
فقد فطره الله ﷻ على كل خلق فاضل كريم، وجمع له خصال الخير كلها، وجمّله بمحاسن الأخلاق التي جبله عليها منذ نشأته.

فله الحمد الذي عصم نبيه ﷺ من كل ما يُنقصه أو يضع من قدره في دينه، أو خلقه، أو نسبه، أو قوله، أو فعله، أو سيرته، أو نسبه، ليكون مثالا فريداً لكل ما يحبه الله ويرضاه، وحتى لا يبقى لحاقد أو حاسد أو منتقص حجة

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧) واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣).

يتعلق بها، لتنفير الناس من رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/١٢٨].

وقالت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حينما أتاه النبي ﷺ خائفاً بعد
أن لقيه جبريل عليه السلام في غار حراء قبل البعثة، فقال لها: «لَقَدْ خَشِيتُ
عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَبَشِّرْ، فوالله لا يُخزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ
الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَيَّ
نَوَائِبَ الْحَقِّ. أخرجه البخاري^(١).

وعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت:
أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: فقال: أجل والله، إنه
لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: "يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا" وحرزاً للأمين، أنت عبدي ورسولي، سميتك
المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صَخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة
السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء
، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتحوا بها أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً
غُلْفًا. أخرجه البخاري^(٢).

وقول الله عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ لا يشكل على ما تقدم من
عصمة النبي ﷺ من الشرك والكبائر وسيء الأخلاق؛ لأن معنى ﴿ضَالًّا﴾
وجدك غافلاً عما يُراد بك من أمر النبوة، أو لم تكن تدري ما القرآن ولا

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٥٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢١٢٥).

الشرائع، فهذاك الله إليها: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا
الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

أما الخطأ الذي يجوز في حقه ﷺ فله ثلاث حالات:

١- الخطأ في الأمور الدنيوية البحتة التي لا تمس الدين والسلوك، فهذه قد
تقع منه، لكنها لا تحط من قدره كنيبي، ولا تنقص من منزلته، ولا تناقض
عصمته، وذلك مثل تلقيح النخل، فإنه لما قدم المدينة وجدهم يلحقون
النخل فقال: «لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا» فتركوه، ففَضَّتْ أَوْ فَفَقَصَتْ
، قَالَ: فَذَكَّرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ دِينِكُمْ
فَاخْذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ» أخرجه مسلم^(١).

٢- الخطأ في المسائل القضائية؛ لأنه لا علم له بحقيقة أمر المتخاصمين
فيها، إلا ما ظهر له منها.

فهذا قد يقع في حقه ﷺ، لأن النبي ﷺ بشر لا يعلم الغيب، وإنما يقضي
على نحو ما يسمع من أقوال الخصمين والشهود.

ويدل على إمكانية وقوع الخطأ منه في القضاء قوله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ،
وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ،
فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ،
فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» متفق عليه^(٢).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٦٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٦٩) واللفظ له، ومسلم برقم (١٧١٣).

٣- الخطأ منه ﷺ في الجانب الديني أو السلوكي، وهذا نادر جداً، لا تكاد مسائله تعد على الأصابع، وهذا من حكمة الله تعالى لإثبات أن النبي ﷺ بشر كغيره، يخطئ كما يخطئون، وينسى كما ينسون، كما حصل له من النسيان في الصلاة، لحكمة استئنان المسلمين به .

وهذا الخطأ الذي يمكن وقوعه من النبي ﷺ يكون في غير شرك، ولا كبيرة، ولا في تبليغ الوحي، والله سبحانه لا يقره على هذا الخطأ، وإنما يوجهه إلى الصواب، وربما يعاتبه، كما قال سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾﴾ [عس: ١-٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ [الأنفال/ ٦٧].

وهذا الخطأ يقع منه ﷺ على سبيل الاجتهاد، لا على سبيل الرغبة في المعصية .

وقد كان النبي ﷺ يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة، ووعدته ربه بمغفرة ذنبه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ١-٢].

٤ - عصمة نسبه الذي تناسل منه من السفاح .

فقد حمى الله ﷻ أصول نبينا ﷺ من سفاح الجاهلية، فلم يشب نسبه شيء من ذلك، لا من جهة آبائه، ولا من جهة أمهاته، ولم يولد إلا من نكاح شرعي صحيح .

فلم يلتق أبواه على سفاح قط، ولم يزل الله ﷻ ينقله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً، لم تتشعب شعبتان في عمود نسبه إلا كان في خيرهما .

فخرج ﷻ من نكاح، ولم يخرج من سفاح من لدن آدم ﷻ ، لم يصبه من سفاح الجاهلية شيء: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٥- عصمته ﷻ في مجال التبليغ من الخطأ والنسيان:

جميع أنبياء الله ورسله معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالته، ولهذا أوجب الله الإيمان بكل ما جاءوا به من عند ربهم كما قال سبحانه: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦] فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِء فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن نُّولُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

[البقرة: ١٣٦-١٣٧].

والرسل هم الوسائط بين الله وعباده في التبليغ، وبهم يهتدي البشر إلى عبادة الله سبحانه، ولهذا أوجب الله العصمة لرسله وأنبيائه، لتصل الرسالة كاملة غير منقوصة ولا محرفة، فتقوم بها الحجة على الناس: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [١] مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

عَلَمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ [النجم: ١-٥].

فالنبي ﷺ معصوم من الخطأ في مجال التبليغ والرسالة، وقد بلغ البلاغ المبين كما أمره ربه: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [٦٧]

المائدة/ ٦٧.]

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » ، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: فَإِنَّكَ تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: « إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » أخرجه أحمد والترمذي (١).

وقد عصم الله رسوله ﷺ من الناس، وكفاه من أذاهم. وقد ثبت في السنة نحو عشرين قصة تدل على وقاية الله لنبيه ﷺ من أذى الكفار حتى بلغ رسالة ربه، منها قصته رضي الله عنه لما اجتمعت قريش على قتله، فخرج عليهم من بيته، وخلف مكانه علي بن ابي طالب، وخرج عليهم ولم يروه.

ومنها عصمة الله وحفظه لرسوله ﷺ من أهل مكة، وصناديدها، وحسادها، ومعانديها، ومترفيها.

فصانه الله في بداية الرسالة بعمه أبي طالب الذي كان رئيساً مطاعاً في قريش، فلما مات قرض الله له الأنصار، فبايعوه على الإسلام، على أن يتحول معهم إلى دارهم وهي المدينة، فلما صار إليها منعه ممن عاداه.

ومنها أن الله عصمه من كفار قريش وغيرهم وهو في طريق الهجرة، لما خرج المشركون في طلبه فاخْتَبَأَ فِي غَارِ ثَوْرٍ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، ولما وصلوا

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٢٧٦)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٩٠).

إلى الغار أعمى الله أبصارهم، ثم لما أدركه سراقه بن مالك في طريق الهجرة دعا عليه النبي ﷺ، فساخت قوائم فرسه، فلم يستطع أن يدركه أو يضره .
وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله، ورد كيده عليه، وحفظ رسوله ﷺ فقد كاده اليهود في المدينة بالسحر، فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء.
ولما سمَّه اليهود في ذراع تلك الشاة التي أهديت له بخير أعلمه الله به، وحماه منه.

وحماه الله من المشركين في بدر بمدد من الملائكة .
وحماه الله من المشركين في الأحزاب بالريح الشديدة، والملائكة القديرة، وغير ذلك كثير مما ثبت في السنه.

٤ - الخزانة الرابعة

• نواقض الإيمان بالنبى ﷺ:

كما أن للصلاة نواقض ، فكذاك فلشهادة أن لا إله إلا الله نواقض ، ولشهادة أن محمد رسول الله نواقض .

فشهادة أن محمد رسول الله تنتقض بالوقوع في أحد خمس أمور :

الأول : نقص شرط من شروط أن محمد رسول الله بعدم الإيمان به ﷺ ، أو عدم طاعته فيما أمر ، أو عدم تصديقه فيما أخبر . أو عدم اجتناب ما نهى عنه وزجر ، أو عدم عبادة الله بما شرح ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

الثاني : إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة ، كإنكار نبوته ﷺ ، أو بشريته ، أو أنه خاتم النبيين ، أو إنكار عموم رسالته للإنس ، والجن ، وإنكار أنه قد بلغ الدين كله ، أو إنكار أن رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع ، أو إنكار أنه له حقوق على أمته ، ونحو ذلك ، فمن فعل ذلك فهو كافر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [١٥٠] أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١] .

الثالث : إيدائه بقول ، أو بفعل ، سواء كان ذلك في حياته ، أو بعد مماته ، فمن أذاه فهو كافر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧] .

ومن لعنه الله لا يكون إلا كافر ؛ لأن من أذى الرسول ﷺ ، أذى الله ، ومن أطاع الرسول ﷺ ، فقد أطاع الله : ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠] .

ومن ألوان إيذائه ﷺ : الاستهزاء به ، أو الطعن في شخصه ، أو نسبه ، أو صدقه ، أو عقله ، أو عفته ، أو عرضه ، أو الطعن في دينه ، أو تصغير شأنه ، ونحو ذلك ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤] .

والاستهزاء بالنبي ﷺ سب له ، وكفر بالله ، ورسوله ، سواء كان المستهزئ جادًا ، أو هازلًا ، كما قال الله عز وجل عن المستهزئين به ، وبأصحابه ﷺ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [٦٥] لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] .

فالاستهزاء بالله ، ورسوله كفر مخرج من الدين ؛ لأن أصل الدين قائم على تعظيم الله ، وتعظيم دينه ، وتعظيم رسوله ، والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل العظيم ، من توقيره ﷺ ، وتعظيمه ، وإجلاله ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٨] لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٨-٩] .

الرابع : الوقوع في شيء من نواقض الإسلام ، ونواقض الإسلام الكبرى كثيرة .

• ويجمعها عشرة نواقض وهي :

١- الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له .

٢- من جعل بينه ، وبين الله وسائط يدعوهم ، ويتوكلوا عليهم ، ويسألهم الشفاعة .

٣- من لم يكفر المشركين ، أو شك بكفرهم ، أو صحح مذهبهم .

٤- ومن اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه .

٥- ومن أبغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ ، ولو عمل به .

٦- ومن استهزئ بشيء من دين الله ، أو ثوابه ، أو عقابه .

٧- والسحر من فعله ، أو رضي به كفر .

٨- ومن اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة ﷺ .

٩- والإعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ، ولا يعمل به .

١٠- إنكار شيء معلوم من الدين بالضرورة ، كإنكار وجوب الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، وما نحو ذلك ، أو إنكار تحريم الزنا ، والربا ، أو إنكار شيء من أركان الإسلام ، أو الإيمان ، ومظاهرة المشركين ، ومعاونتهم على المسلمين .

فمن فعل شيئاً من هذه النواقض عالماً ، عامداً ، مختاراً ، فهو كافر مرتد عن الإسلام ، كما قال سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ءَ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ ﴿١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦] .

الخامس : الغلو في النبي ﷺ ، وهو مجاوزة الحد في تعظيم النبي ﷺ ، حتى يصل الأمر إلى صرف شيء من حقوق الله -تعالى- له ، سواء كان من صفات الله ، كصفات علم الغيب ، أو من العبادات كصرف الدعاء ، أو

النذر ، أو الذبح له ، وهذا هو الشرك بعينه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ
 فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦] .

وهذا الأمة أفضل الأمم ، وقد خصها الله بأكمل الشرائع ، وجعلها أمة وسطا
 في كل شيء ، فلا إفراط ، ولا تفريط ، ولا غلو ، ولا تقصير ﴿ وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
 ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وقد حذر الله هذه الأمة ، وغير من جميع أنواع الغلو ، والأهواء بقوله : ﴿
 قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ
 ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ﴿٧٧﴾ [المائدة: ٧٧] .
 والغلو في النبي ﷺ حرام ؛ لأن الغلو في الأنبياء ، والصالحين يؤدي إلى
 الوقوع في الشرك ، كما حصل لقوم نوح حين غلو في الصالحين منهم ، ثم
 زين لهم الشيطان ، فعبدوه من دون الله ، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنِّي
 عَصَوْتَنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿١١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرَأًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا
 نَذْرُنَّ ءِالْهَتَكُمُ وَلَا نَذْرُنَّ وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا
 نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ ﴿٢٥﴾ [نوح: ٢١-٢٥] .

ثم بسبب الغلو في الصالحين انتشر الشرك في قوم نوح ، ثم انتقل إلى من
 بعدهم ، حتى وصل الشرك عن طريق الغلو إلى أمة محمد ﷺ ، وانتقلت
 تلك الأصنام من قوم نوح إلى بلاد العرب .

ومن ذلك الغلو النصارى في نبي الله عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم تجاوزوا الحد ،
ونقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله ، كما قال الله عنهم :
﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ط وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي
إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ط إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ
وَمَاؤُنَّهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢] .

ثم غلو في إتياع عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأخبار ، والرهبان ، وادعوا فيهم العصمة ،
ثم اتبعوهم في كل ما قالوا ، سواء كان حقًا أم باطلاً : ﴿ اتَّخَذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا
أُمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١] .

لهذا يجب تعظيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتوقيره حسب ما ورد به الشرع ، من غير غلو ،
ولا إطرء .

عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « لا تُطْرُونِي كَمَا
أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » . أخرجه
البخاري ^(١) .

ومظاهر الغلو في الأنبياء ، والصالحين كثيرة ، بعضها شرك ، وفاعلها يعتبر
مشركًا ، وبعضها يدخل في حيز البدع غير مكفرة ، وصاحبها يعتبر من أهل
الكبائر .

(١) أخرجه البخاري برقم : (٣٤٤٥) .

• مظاهر الغلو في النبي ﷺ .

مظاهر الغلو في النبي ﷺ التي يكفر بها العبد ستة ، وهي كما يلي :

الأول : دعائه ﷺ ، كان يقول : يا رسول الله أغثنني ، أو يا نبي الله اغفر لي ، ونحو ذلك ، فهذا شرك ؛ لأن الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله وحده ، ومن صرف دعائه لغير الله ، فهو ضال مشرك : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥] .

الثاني : دعوة الربوبية فيه ﷺ ، كأن يعتقد أنه يخلق ، أو يرزق ، أو يدبر الأمر ، أو نحو ذلك ، وهذا شرك ظاهر ، وهو من أقبح أنواع الشرك ؛ لأن الله وحده هو المتفرد بالربوبية على خلقه أجمعين ﴿ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

الثالث : الذبح له ، والذبح لغير الله شرك ؛ لأن الذبح عبادة ، لا يجوز صرفها إلا لله وحده : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢] . وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١١٢] لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

الرابع : النذر له ﷺ ، وهذا شرك ؛ لأن النذر عبادة ، لا تصرف إلا لله وحده : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسُجِدُوا وَعُودُوا رَبُّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] .

الخامس : الطواف حول قبره ، وهذا شرك ؛ لأن الطواف عبادة ، لا يجوز صرفه إلا لله وحده ، والطواف الشرعي ، لا يكون إلا في مكان واحد من الأرض ، وهو الطواف في البيت العتيق ، في مكة حرصها الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩] .

السادس : ادعاء أنه يعلم الغيب ، وهذا شرك في التوحيد ؛ لأن علم الغيب خاص بالله وحده ، فمن ادعى أن غير الله يعلم الغيب فهو مشرك : ﴿ ٥٩ ﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿ ٥٩ ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

أما المظاهر المحرمة في الغلو بالنبي ﷺ فيما دون الشرك ، فهي على درجتين :

١- منها ما يدخل في حيز البدع .

٢- منها ما يدخل في حيز الكبائر ، التي دون البدع .

وكلاهما ليست من نواقض الإيمان بالنبي ﷺ ، وليست مكفرات بحد ذاتها ، ولكنها قد تؤدي إلى الكفر ، والشرك ، ولهذا حذر منها النبي ﷺ ؛ لأن كل ما كان وسيلة إلى محرم ، فهو محرم ، ودرء المفسد مقدم على جلب المصالح ﴿ ٦٣ ﴾ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ ٦٣ ﴾ [النور: ٦٣] .

ومن هذه المظاهر ما يلي :

أولاً : اتخاذ قبر ﷺ مسجداً يصلى فيه .

وهذا بحمد الله متعذر بسبب الحجرة النبوية ، والسور الحديد المحيط بها ، وقيام الحكومة السعودية حرصها ، ومنع ذلك .

عن جندب بن سفيان قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يتوفى بخمس يقول : « أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ » . أخرجه مسلم (١) .
ومن أجل هذا دفن الصحابة رسول الله ﷺ في حجرة عائشة ؛ لألا يتخذ قبره مصلى .

عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه : « لَعَنَّ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » . متفق عليه (٢) .
ثانياً : بناء مسجد على قبره - لعبادة الله وحده .

وهذا لم يحصل بحمد الله ، ولن يحصل ؛ لأن الله حارس النبي ﷺ حياً ، وميتاً ، وعاصم له من كل ما يؤذيه ، فيحرم على أهل التوحيد بناء المساجد على قبور الأنبياء ، أو الصالحين .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيْسَةَ رَأَيْتَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَوْلَيْكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ ، أَوْلَيْكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه (٣) .

ثالثاً : دعاء الله عز وجل عند قبره ﷺ

ومن يفعل هذا يظن أن الدعاء عند قبره أقرب إلى الاستجابة ، وهذا قول على الله بغير علم ، وقد نهى النبي ﷺ أن يتخذ قبره عيداً ، ولم يفعله أصحابه بعد مماته : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ﴾

(١) أخرجه مسلم برقم : (٥٣٢) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم : (١٣٣٠) ، وأخرجه مسلم برقم : (٥٢٩) ، واللفظ له .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٢٧) ، ومسلم برقم (٥٢٨) .

الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[البقرة: ١٨٦].

رابعًا : طلب الدعاء منه ﷺ بعد مماته

وهذا سفه في العقول ، لأن النبي ﷺ قد مات بنص القرآن ، وإجماع الصحابة ، والميت في حياة برزخية على علاقة له بالحياة الدنيا ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

ولو كان طلب الدعاء منه بعد وفاته مشروعًا ، لفعله الصحابة رضي الله عنهم ، وإنما يُطلب منه الدعاء في حياته فقط ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤].

خامسًا : اتخاذ قبره عيدًا ، يعود الإنسان كل يوم ، أو كل أسبوع ، ونحو ذلك ، وهذا محرم ؛ لأنه من الزيادة في التعظيم فوق القدر المشروع .
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا » . أخرجه أحمد ، وأبو داود بسند صحيح (١) .

وبهذا نعلم أن بعض ما يفعله بعض الناس من زوار المدينة ، وغيرهم من ارتياد قبر النبي ﷺ كل يوم ، أو بعد كل فريضة ، مخالف للشريعة .
سادسًا : السفر إلى زيارة قبره ﷺ ، وهذا محرم .

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٥٨٦) وهذا لفظه، وأخرجه أبو داود برقم (٢٠٤٢) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى . متفق عليه (١) . »

فمن أراد السفر للمدينة ، فلتكن نيته السفر لزيارة المسجد النبوي ، والصلاة فيه فقط ، وبعد الصلاة تسنن له زيارة قبر النبي ﷺ .

سابعاً : الحلف به ﷺ ، وهذا محرم ، وقد يكون شركاً مخرجاً من الملة ، وقد لا يكون شركاً ، فإن كان الحالف يعظم المحلوف به ، كما يعظم الله ، فيقول والنبي ، أو حياة النبي ، فهذا شرك ؛ لأنه ساوى بين الله ، والمخلوق في المنزلة ، وإن كان دون ذلك فإنه من الشرك الأصغر الذي هو من كبائر الذنوب .

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ ، أَوْ أَشْرَكَ » أخرجه أبو داود ، والترمذي (٢) .

ثامناً : تعظيم البقاع ، والأماكن التي مر بها النبي ﷺ ، أو صلى عندها ، أو جلس فيها ، وهذا محرم ؛ لأنه من التعلق بغير الله من الجمادات : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]

التاسع : التبرك بمسح قبره ﷺ ، أو أخذ تراب منه ، أو التمسح بجدران حجراته ، أو الحديد المحيط بها ، ونحو ذلك ؛ لابتغاء البركة ، وهذا باطل ، ومحرم ؛ لأن الشرع لم يأت به ، وهو من التعلق بغير الله من الجماد ، والأموار كلها بيد الله وحده لا شريك له ﴿ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٩٩٥) ، ومسلم برقم (١٣٩٧) واللفظ له .

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود (٣٢٥١) ، والترمذي (١٥٣٥) .

وَعَنْ أَبِي وَقِيدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ ، مَرَّ بِشَجْرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ ، يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : «سُبْحَانَ اللَّهِ ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» أخرجه أحمد والترمذي (١) .

عاشراً : التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم ، كأن أن يقول لله اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك ، أن ترزقني ، أو تشفيني ، أو نحو ذلك ، فهذا من التوسل البدعي ؛ لأن الشرع أورد التوسل بأسماء الله الحسنى ، أو بالعمل الصالح من العبد ، أما التوسل بذوات الآخرين ، أو أعمالهم ، فهذا لم يرد في القرآن ، ولا السنة ، فالتعبد لله به بدعة : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .
عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » . أخرجه مسلم (٢) .

الحادي عشر : الاحتفال بذكرى مولده صلى الله عليه وسلم ، وهذه من البدع المشتهرة ، وقد أنكرها علماء الإسلام على مر العصور ، وهي من التشبه بالكفار من النصارى ، الذين يحتفلون بمولد عيسى صلى الله عليه وسلم ويتخذونه عيداً توقد فيه الشموع ، وترتكب المحرمات من الغلو ، والأغاني ، والاختلاط ، وغيرها ، وفي إقامة المولد تشبه بالنصارى ، وهو منهي عنه شرعاً ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » أخرجه أبو داود واللفظ له ، وأحمد (٣) .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢١٣٨٩) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢١٨٠) وهذا لفظه .

(٢) أخرجه مسلم برقم : (١٧١٨) .

(٣) صحيح / أخرجه أبو داود (٤٠٣١) واللفظ له ، وأحمد (٥١١٤) مطولاً .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ ، وَالنَّصَارَى ، قَالَ : فَمَنْ » . متفق عليه (١) .

والاحتفال بالمولد النبوي لو كان خيرا ، لفعله الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعون الذين هم أشد الناس تعظيماً للنبي ﷺ ، ولو كان خيرا لسبقونا إليه ، والخير كله في إتباع سنته ، وهديه ، والعمل بما جاء به : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] . [٣١] .

وقال سبحانه : ﴿ فليحذر الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] .

وإقامة المولد النبوي بجميع أنواعه ، سواء كان في المساجد ، أو غيرها ، بدعة محرمة ، محدثة ، أحدثها الشيعة الفاطميون لإفساد دين الإسلام ، وفيه من الفساد ، والرقص ، والغنى ، والغلو ، والمنكرات مما عم وطم يندى له الجبين .

• عقوبة المستهزئ بالنبي ﷺ :

أما حكم الاستهزاء بالنبي ﷺ ، فهو لون من ألوان إيذائه ، ومن استهزأ به فهو كافر ، وعقوبة المستهزئ بالنبي ﷺ القتل كفر لا حد .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ » فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ قَالَ : « نَعَمْ » .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٥٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٦٩).

قَالَ فَأَذِّنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا قَالَ: « قُلْ ».

فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتَكَ أَسْتَسْلِفُكَ.

قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلَّنَّهُ .

قَالَ: إِنَّا قَدْ أَتَبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعُهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسُقَا أَوْ وَسَقَيْنِ.

فَقَالَ: نَعَمْ ، ارْهُونِي . قَالُوا: أَيِّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟
قَالَ: ارْهُونِي نِسَاءَكُمْ .

قَالُوا: كَيْفَ نَرْهِنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ؟
قَالَ: فَارْهُونِي أَبْنَاءَكُمْ .

قَالُوا: كَيْفَ نَرْهِنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيَسْبُ أَحَدُهُمْ فَيَقَالُ رُهْنٌ بِيَسْقٍ أَوْ وَسَقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهِنُكَ اللَّأَمَةَ - قَالَ سُفْيَانُ يَعْنِي السَّلَاحَ - .

فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟

فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ - وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَتْ أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ - قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ

وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بَلِيلٍ لَأَجَابَ .

قَالَ: وَيَدْخُلُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَأَشْمُهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمَكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ - وَقَالَ مَرَّةً ثُمَّ

أَشْمُكُمْ - .

فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحَ الطَّيِّبِ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا .

قَالَ: عِنْدِي أَعْطُرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ ، وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ .

فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشْمَ رَأْسَكَ.

قَالَ: نَعَمْ. فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمَكَّنَ مِنْهُ قَالَ: دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ . . . متفق عليه (١).
والاستهزاء به ﷺ معادة له ، والمعادي لولي الله معادي لله في الحقيقة ،
ومن عاد الله فقد حاربه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أن الله تعالى قال : «
مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ » . أخرجه البخاري (٢) .

والمستهزئ بالنبي ﷺ حقيق بعقوبة الله في الدنيا ، والآخرة ، كما قال
سبحانه : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] .

والنبي ﷺ لم يسلم من الأذى ، والسخرية ، والاعتداء منذ بعثه الله إلى يومنا
هذا ، شأنه شان غيره من الأنبياء ، والمرسلين ، لتستمر أجورهم من
غيرهم ، إيجاباً ، وسلباً: ﴿ يَحْزَنُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [يس: ٣٠] .

ومن استهزاء الكفار بالنبي ﷺ أنهم اتهموه بالجنون ، والكذب ، والشعر ،
والسحر ، وغمزوه في عرضه الشريف ، وكان يسمونه مذمم ، ولكن الله
حفظه ، وعصمه ممن أذاه ، ونصره على أعدائه ، كما قال سبحانه : ﴿
يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٠٣٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٠١).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٢).

وقد أخبر الله رسوله ﷺ إن من استهزأ بالأنبياء ، الله سيعاقبه في الدنيا ،
والآخرة : ﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بُرْسِلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠] .

والاستهزاء بالرسول ﷺ لا يضر بالدين شيئاً ، فدين الله سيبلغ ما بلغ الدليل ،
والنهار لا محالة ، وقد بلغوا الله الحمد أكثر الأرض : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ
﴾ [التوبة: ٣٣] .

من سب النبي ﷺ مكرهاً ، فهذا لا يؤاخذ ، كما قال سبحانه : ﴿ مَن
كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَن أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِن مَّن
شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦] .

ولا شك ، ولا ريب أن الاستهزاء بالنبي ﷺ مستلزمٌ بالشريعة التي جاء بها ،
فلولا الدين الذي جاء به لما استهزءوا به ، فمن استهزأ به ، استهزأ بالشريعة
التي جاء بها ، ومن استهزأ بالشريعة ، فقد استهزأ بالله الذي أنزلها ، وكل
ذلك كفر عظيم ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ
أَبِاللَّهِ وَعَآيِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [٦٥] لا تَعْدِرُوا فَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ
إِيْمَانِكُمْ إِنْ تَعَفَّ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ تُعَذِّبْ طَآئِفَةٌ بِآثَمِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [٦٦] .

٥ - الخزانة الخامسة

أحسن أسوة :

من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم الأنبياء ، والرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ؛ ليسعدوا في الدنيا ، والآخرة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عقبة المكذابين ﴾ [النحل: ٣٦] .

فالله سبحانه اختار الأنبياء ، والرسل من البشر ، واختار الرسل من الأنبياء الذين أرسلهم الله ؛ لهداية خلقه ، و الذين بلغ عددهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً نبي الرسول منهم ثلاثمائة وخمسة عشر رسولاً .

واختار من الرسل أولى العزم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

واختار سبحانه من أولى العزم الخليلين إبراهيم ، ومحمد - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - واختار من الخليلين سيد الأنبياء ، والرسل محمد ﷺ .

واختار سبحانه هذه الأمة من بين الأمم ، وفضلهم على سائر الأمم في توحيدهم ، وإيمانهم ، وفي أعمالهم ، وأخلاقهم ، وفي عظيم ثوابهم ، وحسن جزاءهم ، إن أصابهم ما يحبون حمدوا ، وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون صبروا ، واحتسبوا : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وحاجة الناس إلى بعث الأنبياء، والرسول الذين يبينون لهم ما يريد الله عز وجل هو ما يحبه ، أشد حاجة؛ لهذا حاجة العباد إلى معرفة الرسول ﷺ وما جاء به فوق كل حاجة ، فإنه لا سبيل إلى فلاح الناس ، وسعادتهم في الدنيا ، والآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل ، والطيب من الخبيث إلا من جهتهم ، ولن ينالوا رضي الله البتة إلا على أيديهم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .
فالطيب من جميع الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق هو هديهم ، وهو الميزان الراجح الذي به أقوالهم، وأعمالهم، وأخلاقهم تزن أقوال، وأعمال، وأخلاق البشرية .

وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، وأهل الحق من أهل الباطن ، ويحصل الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِن دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [٦٦] وَإِذَا لَاتَيْنَهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٦٧] وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [٦٨] وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [٦٩] ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٦-٧٠] .

وإذا كانت سعادة الإنسان في الدارين متعلقة بهدى النبي ﷺ ، فيجب على كل مسلم يحب أن يسعد في الدنيا ، والآخرة أن يعرف مسيرة النبي ﷺ ، وهديه ، وسنته ما يخرج به من قوائم الجاهلين ، ويدخل به في عداد أتباعه

المؤمنين ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

والإتباع الكامل للنبي ﷺ يتحقق بستة أمور :

معرفة سيرته ، و سنته ، وإتباعه في نيته ، وفكره ، وفي أقواله الحسنة ، وفي أعماله الصالحة ، وفي أخلاقه الكريمة ، وفي دعوته ، وجهاده .
 و حياة النبي ﷺ أحسن حياة ، وأطهر حياة ، وأذكى حياة ، وأجمل حياة ، وقد أكرم الله رسوله ﷺ بأنواع الحياة المختلفة ، زوجاً ، وأباً ، وداعياً ، ومعلماً ، وعابداً ، وزاهداً ، وإماماً ، وسيدا ، وذاكراً ، ومذكراً ، وغنياً ، وفقيراً ، وشاكراً ، وصابراً ، ومجاهداً ، ومقاتلاً ، وغير ذلك من صفحات الحياة القلبية ، والبدنية ، والأخلاقية .

وذلك أولاً : ليمثل ﷺ أمر الله إليه في كل حال ، ويبلغ فيه الكمال ، وينال عليها أحسن الثواب : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] .

ثانياً : ليكون ﷺ لكل فرد من أمته سواء كان رجلاً ، أو امرأةً ، أو زوجاً ، أو أباً حاكماً ، أو محكوماً قوياً ، أو ضعيفاً ، أو داعياً ، أو معلماً ؛ ليكون قدوة لكل فرد من أولئك : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

لهذا يجب على كل مسلم ، ومسلمة تعلم ما جاء به ، والعمل بموجبه ، والدعوة إليه ، والتواصي به ، والصبر عليه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرُ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ٣ ﴾ [العصر: ١-٣] .

حياة النبي ﷺ الخاصة :

• ملابس الرسول ﷺ :

كانت له عمامة تسمى السحاب ، وكان إذا اعتم أرخى طرفي عمامته بين كتفيه .

عن عمرو بن الحرير رضي الله عنه قال : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُنْبَرِ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءٌ ، قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ » . أخرجه مسلم^(١) .

ولبس ﷺ القميص ، وكان أحب الثياب إليه ، وكان كمه إلى الرسغ في الكف ، ولبس الجبة ، ولبس في السفر جبة ضيقة الكمين، ولبس القباء ، ولبس الإزار، والرداء، وكان طول رداء ستة أذرع وشبر، وعرضه ذراعان وشبر ، وطول إزاره أربعة أزرع ، وشبر ، وعرضه ذراعان وشبر . ولبس ﷺ حلة حمراء منسوجة بخطوط حمراء مع الأسود ، والحلة إزار و رداء بشكل واحد، ولبس ﷺ الخميصة المعلمة، والسادجة ، ولبس الثوب الأسود ، ولبس الفروة المكفوفة بالسندس .

ولبس ﷺ السراويل ، ولبس الخفين ، ولبس النعلين ، ولبس الخاتم في يمينه ، ويسراه ، ولبس البيضة على رأسه ، ولبس المغفر ، ولبس الدرع ، وظهر يوم أحد بين ذراعيه .

وكان للرسول ﷺ بردان أخضران ، وكساء اسود ، وكساء أحمر ملبد ، وكساء من شعر ، وكان قميصه ﷺ من قطن ، وكان قصير الطول ، قصير

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٣٥٩).

الكمين ، وكان أحب الثياب إليه القميص ، والحبرة ، والحبرة ضربٌ من البرد فيه حمرة .

وكان أحب الألوان إليه البياض لبسه ﷺ وأمر بلبسه ، وتكفين الأموات به .
عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفّنوا فيها موتاكم » . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح (١) .

عن أبي بردة قال : « دخلت على عائشة فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما يُصنع باليمن ، وكساء من التي يُسمونها الملبدة ، قال : فأقسمت بالله أن رسول الله ﷺ قبض في هذين الثوبين » . أخرجه مسلم (٢) .

ولبس ﷺ خاتم فضة ، وكان يجعل فسه مما يلي باطن كفه ، ونهى الرجال عن التخطب بالذهب ، وكان غالب ما يلبسه ﷺ وأصحابه من الثياب ما نُسج من قطن ، وربما لبسوا ما نُسج من صوف ، والكتان أحياناً .
وسنة الرسول ﷺ أن هديه في اللباس أن يلبس ما تيسر له من اللباس من القطن ، أو الكتان ، أو الصوف ، أو الشعر .

ولبس ﷺ العمامة وأدارها على الحنك ، وكان إذا استجد ثوباً سماه باسمًا ، وكان إذا لبس قميصه بدأ بميامينه وهديه ﷺ في أنواع اللباس ، أن اللباس الجميل إذا لبسه الإنسان تجملاً ، وإظهاراً لزينة ، ونعمة الله فهو ممدوح ، وإذا لبسه تكبر ، وفخر ، وخيلاء فهو مذموم وإذا لبس الدنيء من الثياب استكانة ، وتواضع فهو ممدوح وإذا لبسه شهرة ، ورياء فهو مذموم .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٣٨٧٨) ، وأخرجه الترمذي برقم (٩٩٤) .

(٢) أخرجه مسلم برقم : (٢٠٨٠) .

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط الناس » . أخرجه مسلم (١) .

• أثاثه ﷺ :

كان له ﷺ قذح يسمى الريان، وقذح من قوارير، وقذح مضرب بسلسلة من فضة، وله ركوة تسمى الصادر، وتور من حجارة يتوضأ منه، ومغتسل من صفر، وله ربعة يجعل فيها المشط والمرآة والمقراض والسواك ، وله مكحلة يكتحل منها عند الحاجة عند النوم في كل عين ثلاثاً بالإثمد.

وكانت له ﷺ قصعة تسمى الغراء، لها أربع حلق، يحملها أربعة رجال.

وله صاع، ومد، وقطيفة، وله سرير قوائمه من ساج، أهده له أسعد بن زرارة، وله فراش من آدم حشوه ليف، وله وسادة من آدم حشوها ليف ، وله كنانة تسمى الجمع .

وكل هذه وردت في أحاديث صحيحة عنه ﷺ .

• طعامه ﷺ :

كان هديه ﷺ في الطعام أنه ما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم، وما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه لغيره يأكله .

وأكل ﷺ الحلوى والعسل، وكان يحبهما، وأكل لحم الجزور والضأن، وأكل الدجاج والحباري، وأكل لحم الأرنب وحمam الوحش، وأكل طعام البحر، وأكل الشواء .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩١).

وأكل الرطب والتمر، وشرب اللبن خالصاً ومشوباً، وشرب السويق والعسل مشوباً بالماء، وأكل القثاء بالرطب، وأكل الأقط، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بالخل، وأكل الثريد، وهو الخبز باللحم، وأكل الخبز بالإهالة السنخة، وأكل القديد وأكل من الكبد المشوية، وأكل الدباء المطبوخة، وأكل الثريد بالسمن، وأكل الجبن، وأكل الخبز بالزبيب، وأكل البطيخ بالرطب، وأكل التمر بالزبد، وكان يحبه .

وكان هديه ﷺ في الطعام أكل ما تيسر، فإن أعوزه صبر، حتى إنه ليربط الحجر على بطنه من الجوع، ويُرى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ولا يوقد في بيته نار.

وكان ﷺ إذا جاءه ضيف لا يرد موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً . وكان معظم طعامه ﷺ يوضع على الأرض في السفرة، وهي كانت مائدته، وكان يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعقها إذا فرغ، وكان يجلس على طعامه جلسة العبد، ولا يأكل متكئاً على الجنب، ولا على إحدى يديه. وكان ﷺ يأكل ويشرب بيمينه، ويقول: (بسم الله) في أول طعامه، ويحمد الله بعد الفراغ منه.

وكان أكثر شربه قاعداً، وزجر عن الشرب قائماً، وشرب مرة من زمزم لعذر قائماً .

وكان ﷺ إذا شرب ناول من على يمينه، وإن كان من على يساره أكبر منه.

وكان ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِلَبَنِ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَشَرِبَ ثُمَّ أُعْطِيَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ: «الْأَيْمَنُ

فَالْأَيْمَنُ» متفق عليه^(١).

• **خدمه ﷺ :**

منهم أنس بن مالك، وكان على حوائجه، وعبد الله بن مسعود، صاحب نعله وسواكه، وعقبة بن عامر، صاحب بغلته، وبلال بن رباح، وأبو ذر الغفاري، رضي الله عنهم.

• **مواليه ﷺ :**

منهم زيد بن حارثة رضي الله عنه، حب رسول الله ﷺ، أعتقه ﷺ، وزوجه مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

ومنهم ثوبان، وأسلم، وأبو رافع، وأبو كبشة سليم، وشقران، ورباح، ويسار، ومدعم، وكركرة، وأنجشة، وسفينة، وأفلح، وعبيد، وطهمان، وذكوان، وأبو مويهبة فهؤلاء مواليه من الرجال.

ومواليه من النساء منهن سلمى أم رافع، وميمونة بنت سعد، ومارية القبطية، وريحانة، وميمونة، رضي الله عنهن.

• **حرسه ﷺ :**

منهم سعد بن معاذ، حرس النبي ﷺ يوم بدر حين نام في العريش، ومحمد بن مسلمة، حرسه يوم أحد، والزبير بن العوام، حرسه أيام الخندق، والمغيرة بن شعبة وقف على رأسه بالسيف يوم الحديبية. ومنهم عباد بن بشر، وهو الذي كان على حرسه.

وحرسه ﷺ جماعة آخرون غير هؤلاء، فلما نزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة/ ٦٧].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٣٥٢)، ومسلم برقم (٢٠٢٩) واللفظ له.

خرج ﷺ إلى الناس فأخبرهم بها، وصرف الحرس .
• دوابه ﷺ :

ركب ﷺ الناقة، والخيل، والحمار، والبغل .

فمن خيله ﷺ السَّكْب، وهو أول فرس ملكه، وكان أغر محجلاً،
والمرتجز، وكان أشهباً، واللزاز، واللحيف، والظراب، والورد، وسبحة،
فهذه سبعة من خيله ﷺ .

وكانت له من البغال دلدل، وكانت شهباء، وبغلة أخرى تسمى فضة، وبغلة
شهباء أهداها له صاحب أيلة، وبغلة أخرى أهداها له صاحب دومة الجندل .
ومن الإبل كانت له القصواء، وهي التي هاجر عليها، والعضباء،
والجدعاء، ولم يكن بها عضبٌ، ولا جذع، والعضباء هي التي كانت لا
تسبق ثم سبقها قعود الأعرابي .

وغنم ﷺ جملاً مهرياً يوم أحد، وكان لأبي جهل، وكانت في أنفه بره من
فضه فأهداه، وذبحه يوم الحديبية؛ ليغيظ به المشركين .
وكان له من الحمر عفير أهداه له المقوقس ملك القبط وحماراً آخر أهداه له
فروه الجزامي .

ومن الإبل كانت له القصواء، وهي التي هاجر عليها، والعضباء، والجدعاء،
ولم يكن بهما عضب ولا جذع، والعضباء هي التي كانت لا تُسبق، ثم سبقها
قعود الأعرابي .

وغنم ﷺ جملاً مهرياً يوم بدر، وكان لأبي جهل، وكانت في أنفه برة من
فضة، فأهداه وذبحه يوم الحديبية ليغيظ به المشركين .

وكان له من الحُمُر عفير، وكان أشهباً، أهداه له المقوقس ملك القبط،
وحمار آخر أهداه له فروة الجذامي .

وكان له ﷺ من الإبل خمس وأربعون لقحة، وله مائة شاة من الغنم، وكان
يريد أن لا تزيد، كلما وُلد له الراعي بهمة، ذبح مكانها شاة .
وكانت له سبع أعنز منائح، ترعاهن أم أيمن رضي الله عنها .

• ركوبه ﷺ :

ركب ﷺ الإبل، والخيول، والبغال، والحمير، في أيام ومناسبات مختلفة.
وركب الفرس مسرجة تارة، وعرياً أخرى، وكان يركب وحده وهو الأكثر،
وربما أردف خلفه على البعير، وربما أركب أمامه، وأردف الرجال، وأردف
بعض نسائه .

وكان أكثر مراكبه ﷺ الخيل والإبل .

• نومه ﷺ وانتباهه :

كان فراشه ﷺ أدماً حشوه ليف، وكانت وسادته أدماً حشوها ليف، وكان له
مسح ينام عليه يُثنى له ثنتين .

وكان ﷺ ينام على الفراش تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى النطع تارة،
وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رماله، وتارة على كساء أسود .

وكان إذا أوى إلى فراشه للنوم قال: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا»
وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» أخرجه

البخاري^(١).

وكان ينام على شقه الأيمن، ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣١٤).

وغير ذلك من أذكار وآداب النوم والاستيقاظ المبسوطة في كتب الفقه والحديث .

• معاشرته ﷺ أهله :

كانت سيرته ﷺ مع نسائه حُسن المعاشرة، وحُسن الخلق، وكان يقسم بين أزواجه في المبيت والنفقة، وكان إذا صلى العصر دار على نسائه، فدنا منهن، واستقرأ أحوالهن، فإذا جاء الليل انقلب إلى بيت صاحبة النوبة فخصها بالليل، وقل يوم إلا كان يطوف عليهن جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس .

وكان ﷺ يقسم بين نسائه التسع إلا سودة بنت زمعة، فإنها لما كبرت وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها.

وكان ﷺ يطوف على نسائه بغسل واحد، وربما اغتسل عند كل واحدة، وقد فعل هذا وهذا، وقد أعطي قوة ثلاثين رجلاً في الجماع وغيره، وقد أباح الله له من النساء ما لم يبحه لأحد من أمته، لاستكمال تحقيق البلاغ، وأحكام النساء المختلفة.

وكان ﷺ يأتي أهله أول الليل وآخره، فكان إذا جامع أول الليل ربما اغتسل ونام، وربما توضأ ونام، وكان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فمن خرج سهمها خرج بها معه، وكان إذا قدم من السفر لم يطرق أهله ليلاً، ونهى عن ذلك .

وكان ﷺ يحب عائشة رضي الله عنها، ويُسرِّب إليها بنات الأنصار يلعبن معها، وإذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه، وإذا شربت من الإناء أخذه ووضع فمه في موضع فمها وشرب، وإذا تعرقت عرقاً من لحم أخذه فوضع فمه موضع فمها وأكل .

وكان ﷺ يتلو ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها، وربما كانت حائضاً، وكان يأمرها وهي حائض فتزر ثم يباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وسابقها في السفر على الأقدام مرتين سبقته مرة، وسبقها مرة .

وكان ﷺ يقول: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي » أخرجه الترمذي (١).

فنعمة الزوج ﷺ كان، ونعمة الأب كان، ونعمة زوجته أمهات المؤمنين، ونعمة إحسانه وتربيته لهن رضي الله عنهن أجمعين: ﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٣٣) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)

﴿[الأحزاب/ ٣٢-٣٣].

• من كان في شئونه الخاصة ﷺ :

كان بلال على نفقاته ﷺ، وكان معيقب على خاتمه ﷺ، وكان عبد الله بن مسعود على سواكه ونعله، وكان يأذن عليه مولياه رباح وأنس، وأذن عليه أنس بن مالك، وأبو موسى الأشعري، رضي الله عنهم أجمعين .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥).

٦ - الخزانة السادسة

أخلاق النبي ﷺ:

لابد لكل مسلم أن يطلع على حياة النبي ﷺ الخاصة ، والعامه ؛ ليعرف ما كان عليه ﷺ من الأخلاق العظيمة .

• ويقتضي بالنبي ﷺ في خمسة أمور :

١- يقتضي به في توحيده ، وإيمانه .

٢- وفي نيته ، وفكره .

٣- وفي أقواله الحسنة .

٤- وفي أعماله الصالحة .

٥- وفي أخلاقه الكريمة .

قال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿١١﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وقال عز وجل: ﴿ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

أخلاق النبي ﷺ:

حُسن خُلُق النبي ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا ، وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » . متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٢١).

وعن أنس رضي الله عنه قال : « خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي :
أُفُّ ، وَلَا : لَمْ صَنَعْتَ ؟ وَلَا : أَلَا صَنَعْتَ » . متفق عليه (١) .

• كرمه ﷺ :

عن جابر رضي الله عنه قال : ما سئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ : لَا . م. تفق عليه (٢) .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ،
وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ .
متفق عليه (٣) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ، قَالَ :
فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا
فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ . أخرجه مسلم (٤) .

• حياؤه ﷺ :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعِذْرَاءِ فِي
خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفَنَاهُ فِي وَجْهِهِ . متفق عليه (٥) .

• تواضعه ﷺ :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لَا تُطْرُونِي كَمَا
أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » أخرجه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم : (٦٠٣٨)، واللفظ له، ومسلم برقم : (٢٣٠٩) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣١١) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٠٨) .

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٢) .

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢٠) .

البخاري^(١).

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ انظُرِي أَيَّ السُّكَّكِ شِئْتَ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ» فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(٢).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كِرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كِرَاعٌ لَقَبِلْتُ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ^(٣).

● شجاعته صلى الله عليه وسلم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِّي فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ» قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يَبِطُّ^(٤). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٥).

وعن علي رضي الله عنه قال: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بِأَسًا. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ^(٥).

● رفقته صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجَلًا مِنْ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٢٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٥٦٨).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٠٨)، ومسلم برقم (٢٣٠٧) واللفظ له.

(٥) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٦٥٤).

مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ» متفق عليه^(١).
 وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يسرُّوا ولا تعسِّروا، وسكِّنوا ولا تُنفِّروا» متفق عليه^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا عائشة إن الله رفيقٌ يُحبُّ الرفقَ، ويُعطي على الرفقِ ما لا يُعطي على العُنفِ، وما لا يُعطي على ما سِواه» متفق عليه^(٣).

● عفوه صلى الله عليه وسلم:

قال الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة/ ١٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها. متفق عليه^(٤).

● رحمته صلى الله عليه وسلم:

قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأمامة بنت أبي العاص على

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٥)، ومسلم برقم (١٧٣٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢٧).

عَاتِقِهِ فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا. (متفق عليه^(١)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» متفق عليه^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ، وَالسَّقِيمَ، وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» متفق عليه^(٣).

وَعَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرِّبِ الرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَعَيَّرَتْهُ بِأُمِّهِ فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَقِيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ سَبَّ الرَّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَاطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» متفق عليه^(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ» فَنظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٤٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣١٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٠٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٦٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٠)، ومسلم برقم (١٦٦١) واللفظ له.

أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» أخرجه البخاري (١).

• ضحكته ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعاً قَطُّ ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. متفق عليه (٢).

وعن جرير رضي الله عنه قال: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ. متفق عليه (٣).

• بكأؤه ﷺ:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «أَقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأْ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قال: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ، حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. متفق عليه (٤).

وعن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ ﷺ. أخرجه أبو داود والنسائي (٥).

وفي رواية للنسائي: «كَأَزِيزِ الْمَرْجَلِ».

• غضبه ﷺ لأمر الله:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عَلَيَّ النبي ﷺ وفي البيت قِرَامٌ فِيهِ صُورٌ، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ ثُمَّ تَنَاوَلَ السُّتْرَ فَهَتَكَهُ، وَقَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ أَشَدِّ

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٥٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٨٩٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٨٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٧٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٨٠٠).

(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٩٠٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (١٢١٤).

النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّورَ» متفق عليه^(١).

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أشدَّ غضباً في موعظةٍ منه يومئذ، قال: فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفِرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ، فَلَيْتَجَوَّزَ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَالْكَبِيرَ، وَذَا الْحَاجَّةِ» متفق عليه^(٢).

• شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْلَتُونَ مِنْ يَدِي» أخرجه مسلم^(٣).

• انبساطه صلى الله عليه وسلم إلى الناس:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِيُخَالِطَنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ «يَا أَبَا عَمِيرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» متفق عليه^(٤).

• زهده صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا» متفق عليه^(٥).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٦٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٨٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٥٠).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٠) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٥٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا شَبِعَ أُلَّ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامٍ بَرُّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعاً حَتَّى قُبِضَ. متفق عليه^(١).

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ، ثُمَّ الْهَلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أَوْقَدَ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارًا، قَالَ: قُلْتُ يَا خَالَهٗ فَمَا كَانَ يُعِيْشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ، التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِيْنَاهُ. متفق عليه^(٢).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا وَلَا أُمَّةً، إِلَّا بَغَلْتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً. أخرجه البخاري^(٣).

● عدله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أتهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت..

- وفيه -: فكلّمه أسامة بن زيد، فقال رسول الله ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدِ اللهُ؟» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيُّمُ اللهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» متفق عليه^(٤).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤١٦)، ومسلم برقم (٢٩٧٠) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٦٧)، ومسلم برقم (٢٩٧٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٤٦١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٥) واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٨٨).

● حلمه ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد؟ فقال: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ ابْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِنِّي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» متفق عليه^(١).

● صبره ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (٢٨) [الكهف/٢٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَاكَ فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّكَ لَتُوَعَاكَ وَعَكَا شَدِيدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلُ إِنِّي أُوعَاكَ كَمَا يُوعَاكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قَالَ فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلُ» متفق عليه^(٢).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٦٧)، ومسلم برقم (٢٥٧١) واللفظ له.

وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» أخرجه البخاري (١).

● نصحه صلى الله عليه وسلم:

كَانَ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعَلَّمَ لَصَحِحَّتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» متفق عليه (٢).

وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يُلْتَقِيَانِ فَيَعْرِضُ هَذَا، وَيَعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» متفق عليه (٣).

وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» متفق عليه (٤).

وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا يَكُونُ اللِّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أخرجه مسلم (٥).

وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الوَجْهِينِ ، الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءِ بَوَجْهِ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٤٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٦٢١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٥٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٣٧)، ومسلم برقم (٢٥٦٠) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٦٣).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٨).

وَهُؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ «متفق عليه»^(١).

وكان ﷺ يقول: «المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه^(٢).

وكان ﷺ يقول: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» أخرجه مسلم^(٣).

وكان ﷺ يقول: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ» أخرجه مسلم^(٤).

وكان ﷺ يقول: «لَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ» أخرجه مسلم^(٥).
وكان ﷺ يقول: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًّا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي» متفق عليه^(٦).

وكان ﷺ يقول: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» أخرجه مسلم^(٧).
وكان ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٨)، ومسلم برقم (٢٥٢٦) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٨).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٣٠٠٢).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢١٤٢).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٥١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٨٠).

(٧) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٩).

الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ» متفق عليه^(١).

● **تقشفه** ﷺ :

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : « أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ ؟ » لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ، مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ » أخرجه مسلم. ^(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ إِلَّا إِحْدَاهُمَا تَمُرٌ. أخرجه البخاري ^(٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ، وَحَشْوُهُ مِنْ لَيْفٍ. متفق عليه. ^(٤).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَهُ حَصِيرٌ، يَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ، وَيَحْتَجِرُهُ بِاللَّيْلِ، فَثَابَ إِلَيْهِ نَاسٌ، فَصَلَّوْا وَرَاءَهُ. أخرجه البخاري ^(٥).

وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، فَقَالَتْ: قُبِضَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَيْنِ. أخرجه البخاري ^(٦).

● **حلمه** ﷺ :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةُ، فَادْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٧٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٤٥٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٥٦)، ومسلم برقم (٢٠٨٢).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٧٣٠).

(٦) أخرجه البخاري برقم (٥٨١٨).

عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ فَدَأْتَتْ بِهِ حَاشِيَةَ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. متفق عليه (١).

• تيسيره ﷺ :

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٥٧] [الأعراف / ١٥٧].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. متفق عليه (٢).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا» متفق عليه (٣).

• رحمته ﷺ :

١ - رحمته بالأطفال :

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحُمُهُمَا» أخرجه البخاري (٤).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٤٩)، ومسلم برقم (١٠٥٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٦)، ومسلم برقم (٢٣٢٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩)، ومسلم برقم (١٧٣٤).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٣).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاحُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟» فَقَالَ الْغُلَامُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أُؤْثِرُ بِنَصِيْبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي يَدِهِ. متفق عليه. (١)

٢ - رحمته بالخدم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ أَكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ» متفق عليه (٢).

٣ - رحمته بالضعفاء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» متفق عليه (٣).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٢٠)، ومسلم برقم (٣٠٢٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤٦٠)، ومسلم برقم (١٦٦٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٠٣)، ومسلم برقم (٤٦٧).

٧- الخزانة السابعة

• شمائل النبي ﷺ:

هذه أهم شمائل النبي ﷺ فعلى كل مسلم ، ومسلمة العلم بها ، والعمل بها ، والتزين بها : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَيَوْمَ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

• «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الدَّاهِبِ وَلَا بِالْقَصِيرِ» متفق عليه^(١).

• و«كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لَيْفٌ» متفق عليه^(٢).

• و«كَانَ ﷺ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ» متفق عليه^(٣).

• و«كَانَ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ»

متفق عليه^(٤).

• و«كَانَ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَانَ وَجْهُهُ قِطْعَةً قَمَرٍ» متفق عليه^(٥).

• و«كَانَ ﷺ يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ فَوْقَ الْإِزَارِ وَهِنَّ حِيضٌ» متفق عليه^(٦).

• و«كَانَ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيْمَنُ فِي تَعَلُّهِ، وَتَرْجُلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٤٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٥٦)، ومسلم برقم (٢٠٨٢) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤٣٩)، ومسلم برقم (٢١٩٢) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢)، ومسلم برقم (٢٣٢٠) واللفظ له.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٦)، ومسلم برقم (٢٧٦٩) واللفظ له.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٠٣)، ومسلم برقم (٢٩٤) واللفظ له.

متفق عليه^(١).

- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ وَيَبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَمْلَكُكُمْ لِأَرْبِهِ» متفق عليه^(٢).
- و«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ، كَانَ لَا يَدْخُلُ إِلَّا غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً» متفق عليه^(٣).

- و«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْعَسَلَ وَالْحَلْوَاءَ، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ» متفق عليه^(٤).
- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَارًا فِي الضُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ، فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ» متفق عليه^(٥).
- و«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ» متفق عليه^(٦).

- و«كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا، لَيْسَ بِالسَّبِطِ وَلَا الْجَعْدِ، بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقَيْهِ» متفق عليه^(٧).

- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيُحْيِي آخِرَهُ» متفق عليه^(٨).
- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ» متفق عليه^(٩).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٨).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (١١٠٦).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٨٠٠) واللفظ له، ومسلم برقم (١٩٢٨).
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٧٤).
(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٠٨٨)، ومسلم برقم (٧١٦) واللفظ له.
(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٧).
(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٨).
(٨) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٦)، ومسلم برقم (٧٣٩) واللفظ له.
(٩) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٢٨)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم (٥٢٤).

- و «كَانَ ﷺ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ» متفق عليه^(١).
- و «كَانَ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا» أخرجه البخاري^(٢).
- و «كَانَ ﷺ إِذَا اشْتَدَّ الْبُرْدُ بَكَرَ بِالصَّلَاةِ، وَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ أَبْرَدَ بِالصَّلَاةِ» أخرجه البخاري^(٣).
- وقال كعب بن مالك رضي الله عنه: لَقَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ إِذَا خَرَجَ فِي سَفَرٍ إِلَّا يَوْمَ الْحَمِيسِ. أخرجه البخاري^(٤).
- و «كَانَ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ، فَإِذَا أَرَادَ الْفَرِيضَةَ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ» أخرجه البخاري^(٥).
- و «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيمًا» أخرجه البخاري^(٦).
- و «كَانَ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ» أخرجه البخاري^(٧).
- و «كَانَ ﷺ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرٌ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ» أخرجه مسلم^(٨).
- و «كَانَ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسُّوَالِكِ» أخرجه مسلم^(٩).
- و «كَانَ ﷺ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ» أخرجه مسلم^(١٠).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤٣٩)، وأخرجه مسلم برقم (٢١٩٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٩٠٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٩٤٩).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٤٠٠).

(٦) أخرجه البخاري برقم (٦٣١).

(٧) أخرجه البخاري برقم (٢١٤).

(٨) أخرجه مسلم برقم (٨٦٧).

(٩) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣).

- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ مُتْرَسِّلاً إِذَا مَرَّ بِأَيَّةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ» أخرجه مسلم (٢).
- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَّ بِمَرِيضٍ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمَعْوِذَاتِ» أخرجه مسلم (٣).
- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» أخرجه مسلم (٤).
- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً سَهْلاً» أخرجه مسلم (٥).
- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوجِزُ فِي الصَّلَاةِ وَيَتِمُّ» أخرجه مسلم (٦).
- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَوْ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ» أخرجه مسلم (٧).
- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيماً رَقِيقاً» أخرجه مسلم (٨).
- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّفُ فِي الْمَسِيرِ، فَيُزِجِي الضَّعِيفَ، وَيُرْدِفُ، وَيَدْعُو لَهُمْ» أخرجه أبو داود (٩).
- و«كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اكْتَحَلَ اكْتَحَلَ وَثِراً، وَإِذَا اسْتَجْمَرَ اسْتَجْمَرَ وَثِراً» أخرجه أحمد (١٠).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٧٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٢).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٣٧٣).

(٥) أخرجه مسلم برقم (١٢١٣).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٤٦٩).

(٧) أخرجه مسلم برقم (٦٧٠).

(٨) أخرجه مسلم برقم (١٦٤١).

(٩) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٢٦٣٩).

(١٠) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٧٥٦٢).

- و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْجِبُهُ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ» أخرجه أحمد وأبو داود^(١).
- و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا لِأَحَدٍ بَدَأَ بِنَفْسِهِ» أخرجه أحمد وأبو داود^(٢).
- و«كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَمِيصُ» أخرجه أبو داود والترمذي^(٣).
- و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ أَبْعَدَ» أخرجه أحمد والنسائي^(٤).
- و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ النَّعَالَ السَّبْنِيَّةَ، وَيَصْفُرُّ لِحْيَتَهُ بِالْوَرْسِ وَالزَّعْفَرَانِ» أخرجه أبو داود والنسائي^(٥).

- و«كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتِمٌ فَضَّةٌ يَتَخْتَمُ بِهِ فِي يَمِينِهِ» أخرجه النسائي^(٦).
- و«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَوَضَّأُ بَعْدَ الْغُسْلِ» أخرجه الترمذي والنسائي^(٧).
- و«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ» أخرجه أبو داود والنسائي^(٨).

- و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ اللَّيَالِي الْمَتَابِعَةَ طَاوِيًا، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ عَامَّةُ خُبْرِهِمْ خُبْرَ الشَّعِيرِ» أخرجه أحمد والترمذي^(٩).
- و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ بِثَوْبِهِ، وَغَضَّ بِهَا صَوْتَهُ» أخرجه أبو داود والترمذي^(١٠).

-
- (١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٦٣٦٤)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٠٧٤).
 - (٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢١١٢٦) وهذا لفظه، وأخرجه أبو داود برقم (٣٩٨٤).
 - (٣) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٠٢٥)، وأخرجه الترمذي برقم (١٧٦٢).
 - (٤) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٥٧٤٦)، وأخرجه النسائي برقم (١٦).
 - (٥) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٢١٠)، وأخرجه النسائي برقم (٥٢٤٤).
 - (٦) صحيح / أخرجه النسائي برقم (٥١٩٧).
 - (٧) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (١٠٧)، وأخرجه النسائي برقم (٤٣٠) وهذا لفظه.
 - (٨) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٩٢)، وأخرجه النسائي برقم (٣٤٧) وهذا لفظه.
 - (٩) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٣٠٣)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٢٣٦٠).
 - (١٠) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٥٠٢٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٧٤٥)، وهذا لفظه.

• و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللُّغُو، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيَقْصُرُ الخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنِفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالمَسْكِينِ فَيَقْضِي لَهُ الحَاجَةَ» أخرجه النسائي^(١).

• و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَاعَهُ شَيْءٌ قَالَ: هُوَ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» أخرجه النسائي في عمل اليوم واللييلة^(٢).

• و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُسْأَلُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ أَوْ سَكَتَ» أخرجه الحاكم^(٣).

• و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى إِذَا مَشَى مُجْتَمِعاً لَيْسَ فِيهِ كَسَلٌ» أخرجه أحمد والبخاري^(٤).

• و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخِيْطُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بِيوتِهِمْ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد^(٥).

• و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيماً ، وَكَانَ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ إِلَّا وَعَدَهُ وَأَنْجَزَ لَهُ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ» أخرجه البخاري في الأدب المفرد^(٦).

• و«كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَاماً فَضِلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ» أخرجه أبو داود^(٧).

• و«كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ إِلَّا وَالسَّوَاكُ عِنْدَهُ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسَّوَاكِ» أخرجه أحمد^(٨).

فرَّق اللهُ ﷻ الأخلاق الحسنة في الأنبياء، ثم جمعها في سيد الأنبياء ﷺ ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء.

(١) صحيح / أخرجه النسائي برقم (١٤١٤).

(٢) صحيح / أخرجه النسائي في عمل اليوم واللييلة برقم (٦٥٧).

(٣) صحيح / أخرجه الحاكم برقم (٢٥٩١).

(٤) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٣٠٣٣)، وأخرجه البخاري - كشف الأستار - برقم (٢٣٩١).

(٥) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٤٩٠٣)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٥٤٩).

(٦) حسن / أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٨١).

(٧) حسن / أخرجه أبو داود برقم (٤٨٣٩).

(٨) حسن / أخرجه أحمد برقم (٥٩٧٩).

فكان ﷺ أحسن الناس خلقاً وخلقاً، وأعظمهم رحمة، وأحسنهم حديثاً، وأطيبهم ريحاً، وأنقاهم سريرة، وأكرمهم جوداً، وأتقاهم لربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾.

وكان ﷺ يجلس على الأرض تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى البساط تارة.

وكان يتكئ على الوسادة، وربما اتكأ على يساره، وربما اتكأ على يمينه، وكان يتوكأ أحياناً على بعض أصحابه عند القيام من الضعف .

وكان ﷺ إذا مشى تكفاً تكفوفاً كأنما ينحط من صلب ، وكان أسرع الناس مشية وأحسنها وأسكنها، كأن الأرض تطوى له .

وكان يمشي حافياً ومنتعلاً، ويماشي أصحابه فرادى وجماعة، وكان أصحابه رضي الله عنهم يمشون بين يديه وهو خلفهم، وكان في السفر يسوق أصحابه، يُزجي الضعيف، ويُردفه .

وكان ﷺ يستنجي بالماء تارة، وبالأحجار تارة، ويجمع بينهما تارة، وكان إذا أراد قضاء الحاجة في السفر تواري عن أصحابه، واستتر عنهم بهدف أو شجر، وكان يبول قاعداً، وبال قائماً مرة لعذر، وكان يستنجي ويستجمر بشماله .

وكان ﷺ يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره، وأخذه وعطائه، وفي شأنه كله، وكانت يمينه لطعامه وشرابه وطهوره، ويساره لخلائه ونحوه من إزالة الأذى والأوساخ.

وكان ﷺ يحب السواك، ويكثر من التسوك، ويستاك مفطراً وصائماً، وكان يحب الطيب، ويكثر منه، ولا يرد الطيب، وكان أحب الطيب إليه المسك .

وكان ﷺ أفصح الخلق، وأحسنهم كلاماً، وأحلامهم منطقاً، إذا تكلم تكلم بكلام فصل مبین، يعده العاد، ليس بهذّ سريع لا يُحفظ، ولا منقطع تتخلله السكتات، وكان كثيراً ما يعيد الكلام ثلاثاً ليعقل عنه، كلامه جزل مؤثر، يأخذ بمجامع القلوب، ويغذي الأرواح .

وكان ﷺ طويل السكوت، لا يتكلم من غير حاجة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، ويتكلم بجوامع الكلم، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وكان إذا كره شيئاً عُرف في وجهه من غير أن يتكلم بشأنه، ولم يكن ﷺ فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا صخباً في الأسواق .

وكان ﷺ جل ضحكه التبسم، بل كله التبسم، فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه، وكان يضحك مما يُضحك منه، ويُتعجب من مثله .

وأما بكاؤه ﷺ فلم يكن بشهيق، ورفع صوت، بل كانت عيناه تدمعان حتى تهمل، ويُسمع لصدرة أزيز كأزيز المرجل، وهي القدر التي تغلي .

وكان بكاؤه ﷺ تارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن أو قراءته، وهو بكاء حب وإجلال وشوق مصاحب للخوف والخشية، وتارة يبكي خوفاً على أمته، وشفقة عليها، وتارة يبكي رحمة للمريض أو الميت، وتارة يبكي لما يرى من عظمة الله، وسعة حلمه على عباده، وتوالي نعمه على خلقه، وتارة يبكي عند استغاثته بربه، وعند شهود تقصيره بما كلفه الله به ونحو ذلك .

وكان ﷺ يخطب خطبه تارة على الأرض، وتارة على المنبر، وتارة على الناقة .

وكان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله ﷻ، وختمها بالاستغفار، وكان يخطب خطبه قائماً أو راكباً.

وكان مدار خطبه ﷺ على حمد الله وتوحيده، والثناء عليه بالآله، وتمجيده بأسمائه وصفاته، وتعليم قواعد الإسلام، وبيان أحوال اليوم الآخر، والأمر بتقوى الله ﷻ، وبيان ما يحبه الله ويرضاه، والترغيب فيه.

وهذه الأخلاق والشمائل التي مر ذكرها، ماهي إلا نقطة من بحر أخلاقه، لأنه ما من خصلة حميدة ذكرت في القرآن أو السنة أو الآثار أو الأخبار إلا وكان ﷺ يتصف بها، وهو أول العاملين بها، وأحسن المتحلين بها، قد جمع الله أخلاق الأنبياء والرسل في ظاهره وباطنه، وزاد عليها بما أكرمه الله به من محاسن الأخلاق والأقوال والأعمال كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم / ٤].

دعوة الرسول ﷺ:

تنقسم حياة النبي ﷺ إلى ثلاثة أقسام وهي :

طريقة حياة .. فرائض حياة .. مقصد حياة .

الأول : طريقة حياة وهي كل ما كان يتحلى به الرسول ﷺ من الأخلاق و الآداب والسنن ، والفصائل الشرعية وهي كما أثنى عليه ربه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى

خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [القلم: ٤] .

فنعم الراكب ونعم المركوب فالراكب الرسول ﷺ والمركوب الأخلاق الحسنة .

الثاني : فرائض حياة وهي جميع العبادات والحقوق والواجبات الشرعية ، الصلوات الخمس ، وشهر رمضان ، والحج ، وحقوق الله ، وحقوق الوالدين ونحو ذلك .

الثالث : مقصد حياة وهي الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة لكل مسلم ، وقد أرسل الله رسوله ﷺ محمد رحمة للعالمين فدعا الناس إلى توحيد رب العالمين ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه من الأصنام والأوثان وغيرها .

فأرسله الله عز وجل لتحقيق عشرة أمور كما قال سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَا أٰذٰنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ [الأحزاب: ٤٥- ٤٨] .

فقام ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى من أول يوم بين أهله ، وعشيرته ، وقومه ، وفي قريته وما حولها والعرب قاطبة والناس كافة والعالم قاطبة يدعو إلى الله في الليل والنهار والحضر والسفر والصحة والمرض ، كما قال الله سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

فبلغ ﷺ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وترك الأمة على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

ودعا ﷺ من أول يوم بعثته إلى آخر يوم من حياته ، وربى أصحابه على ذلك ، فالدعوة إلى الله هي مقصد حياته ﷺ كلها ، وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة ، وقد أمر الله بها قبل الصلاة والصوم وغيرها من فرائض الإسلام ، ووقت الفرائض محدود ، ووقت الدعوة مطلق غير محدود ، بل الدعوة إلى الله هي أم الفضائل كلها ، وأداء الفرائض من ثمراتها ﴿ قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس: ١٠٨] .

فالدعوة إلى الله هي أم الأعمال كلها ، وجميع أعمال الدين وأحكام الدين من ثمراتها وخيراتها ، وهي وظيفة الأنبياء والرسل ، ووظيفة الأمة جميعاً كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

والدعوة إلى الله رأس العمل الصالح ، وبالدعوة إلى الله يأتي الإيمان ،
وبالإيمان تأتي بالأعمال الصالحة ، وفي مقدمة الأعمال الصالحة الدعوة
إلى الله كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وإذا قامت الدعوة إلى الله جاء الإيمان بالله ، ثم جاءت الأعمال الصالحة ثم
صلحت أحوالهم بحسن أخلاقهم ، ثم رضي الله عنهم ، ثم أسعدهم في
حياتهم ، ثم زاد سعادتهم عند الموت ، ثم زادها في القبر فيقول لهم الله
ادخلوا رياض الجنة ، ثم بلغهم الله كمال السعادة في الجنة كما قال
سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ
﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وبغير الإيمان فالعمل الصالح كله حابط وصاحبه خاسر : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ
إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

والجهاد نوعان :

١ - جهاد حسن لذاته وهو الدعوة إلى الله وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى
الخلق : ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢].

وهذا الجهاد أعلى أنواع الجهاد ، وهو سبب لحصول الهداية للداعي
والمدعو : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٢- أما الجهاد لحسن لغيره فهو القتال في سبيل الله ، وهذا لا يكون إلا بعد الدعوة إلى الله ، وهو حسن لغيره لما فيه من حفظ دار الإسلام ، ودفع الأعداء ، وفتح الأبواب لتدخل الدعوة في كل بلد ﴿ وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ أَنَّهُمْ فَلَاعْدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

والدعوة إلى الله ليست خطباً ومواعظ ودروساً فقط ، بل هي خلق كريم وعطاء جزيل ، وإحسان جميل ، ورحمة بالخلق ، ورفقاً بالناس وتواضع لهم ، وتعريفاً بالرب المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وبيان نعمه وإحسانه ليحب الناس ربهم ، ويحبهم ويحبونهم ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وهي كذلك بذل كل شيء من أجل الدين ، وترك كل شيء من أجل الدين ، وصبر على المكاره : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥] .

والدعوة كذلك حياة مطابقة لحياة سيد الخلق ﷺ الذي كان أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، وكان خلقه القرآن ، وحياته ﷺ أحسن حياة وأطهر حياة ، وأجمل حياة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

وأعظم الإحسان بعد الإحسان في التوحيد بالله وعبادته هو الإحسان إلى الخلق بدعوتهم إلى الله الذي خلقهم و رزقهم ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .
وقال تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

والإسلام هو المنهج الوحيد للحياة البشرية السعيدة كلها إلى يوم القيامة فيجب إبلاغه لكل الناس : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِءِ وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

وفي القرآن العظيم والسنة النبوية جميع المناهج الشرعية للأفراد والجماعات والشعوب ، وهي صالحة لكل زمان ومكان في جميع شعب الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وغيرها ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

والقرآن العظيم ذاته منهج حياة ، وداخله مناهج : ﴿ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ إِلَّا تَبَيِّنًا لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤] .

والقرآن العظيم ، والقرآن الكريم كله مناهج هي أحسن المناهج على الإطلاق : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

وبغير منهج القرآن فالبشرية تعيش في ظلام وضلال ، وبغي وعدوان : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨] .
وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَهِيَطَا مِنهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَا بَأْسَكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَن آتَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤] .

والسنة النبوية ذاتها منهج حياة وداخلها مناهج : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]

ونشر الحق كنشر الباطل كلاهما يحتاج إلى جهود وتضحيات ، وإلى بذل وترك ، وإلى تخطيط وتدبير وتنفيذ . ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨] .

وكما أنه لابد للمباني والمدن والطرق من تخطيط وتنفيذ كذلك لابد للبشرية من تدبير وتنفيذ وتخطيط وشورى لكيفية دعوتهم إلى الله وصبغهم بصبغة الله لتكون حياتهم في الدنيا والآخرة أحسن حياة بالتوحيد والإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له ، والفوز برضوان الله وجنته ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] .

وأحسن التدبير المقرون بالتنفيذ تدبير رب العالمين لرسوله الكريم ﷺ ، والتوجيه الرباني الكريم لصاحب دعوة الأسوة ﷺ يبدأ بـ ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ ﴾ [العلق: ١-٥] .

ثم بعدها : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ١ قُرْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٤ إنا سئلكم عليك قولاً ثقيلاً ٥ إن ناشئة آيل هي أشد وطأً وأقوم قبلاً ٦ ﴾ [المزمل: ١-٦] .

ثم بعدها : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ ١ قُرْ فَأَنْذِرْ ٢ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ٣ وَتِيَابِكَ فَطَهْرٌ ٤ وَالرَّجْزُ فَاهْجُرْ ٥ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ فَاسْتَكْبِرْ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧ ﴾ [المدثر: ١-٧] .

ثم بعدها : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤].

ثم بعدها : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٩٤﴾ [الحجر: ٩٤].

ثم بعدها : ﴿ لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الشورى: ٧].

ثم بعدها : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ثم بعدها : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ﴿١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠].

ثم بعدها : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ [التوبة: ٣٦].

والدعوة إلى الله ، وإبلاغ هذا الدين أعظم فريضة في الإسلام من بعد التوحيد كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ [المائدة: ٦٧].

هذا هو التخطيط وهذا هو التدبير وهذا هو التوجيه الرباني للنبي ﷺ ولأمته ، وعقوبة ترك الدعوة إلى الله أعظم عقوبة كما قال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ ﴿١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

وقال عز وجل : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ [النساء: ٧٨].

﴿ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ [النساء: ٧٩].

ولن تخرج من الدعوة ثمرات التي يريدها الله إلا إذا قامت على هذه
الأصول والمناهج المبينة في القرآن والسنة ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ
كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي
الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وقام كل مسلم ومسلمة بالدعوة إلا الله : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

والذي جعله الله من خير أمة أخرجت للناس فيجب عليه أن يصرف كل وقته
في عبادة الله والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله . ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٦١] قُلْ إِنْ صَلَاتِي
وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

٨ - الخزانة الثامنة

عبادات الرسول ﷺ:

عبادات الأنبياء أحسن العبادات لكمال معرفتهم بالله وكمال حبهم له وكمال طاعتهم له ، وأخلاقهم أحسن الأخلاق ، ومعاملاتهم أحسن المعاملات .
وكان ﷺ أحسن الناس معاملة ، وكان إذا استلف سلفاً قضى خيراً منه ودعا لصاحبه ، وباع ﷺ واشترى وكان شرائه بعد الرسالة أكثر من بيعه وبعد الهجرة إلى المدينة لا يكاد يحفظ عنه البيع إلا في قضايا يسيرة أكثرها لغيره وأما شرائه فكثير .

وأجر ﷺ واستأجر واستتجاره أكثر من إيجاره ، أجر نفسه قبل النبوة لرعاية الغنم ، وأجر نفسه من خديجة في سفرة لمالها إلى الشام قبل النبوة وإن كان العقد معها مضاربة والمضارب أمين وأجير ووكيل وشريك .
ووكّل ﷺ وتوكل وكان توكيله أكثر من توكله .

وكان ﷺ يمثل أمر الله في كل عبادة وفي كل معاملة .
وأهدى النبي ﷺ وقبل الهدية وأثاب على الهدية ، ووهب واتهب وكانت هباته أكثر من اتهابه .

واستدان ﷺ برهن واستدان بغير رهن ، واستعار ، واشترى بالثمن الحال والمؤجل .

وضمن ﷺ على ربه أعمالاً من عملها كان مضموناً له الجنة ، وضمن لمن مات من المسلمين وعليه دين لم يترك له وفاءً أن يوفيه عنه .

وشفع ﷺ وشُفع إليه ، وردت بريرة شفاعته في مراجعتها مغنياً فلم يغضب عليها .

ووقف ﷺ أرضاً كانت له جعلها صدقة في سبيل الله .

وحلف ﷺ في أكثر من ثمانين موضعاً أمره الله بالحلف في ثلاث منها بقوله : ﴿ وَيَسْتَدِينُونَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلِي وَإِيَّيَّ رَبِّي إِنَّهُ لِحَقِّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ [يونس: ٥٣] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ: ٣] .

وقوله سبحانه : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿٧﴾ [التغابن: ٧] .

وكان ﷺ يستني في يمينه تارة ويكفر عنها تارة ويمضي فيها تارة ، والاستثناء يمنع عقد اليمين والكفارة تحلها بعد عقدها . وكان ﷺ يمازح ولا يقول في مزاحه إلا الحق ، ويواري ولا يقول في توريته إلا الحق .

وكان ﷺ يشير ويستشير ، وشاور أصحابه في جهاده وغزواته مرات كثيرة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وكان ﷺ يجيب الدعوة ، ويمشي مع الأرملة والمسكين والضعيف في حوائجهم ، ويعود المريض ، ويشهد الجنابة ، ويقر الضيوف .

وكان ﷺ يصل من قطعه ، ويعطي من حرمه ، ويعفو عن من ظلمه ، ويحسن إلى من أساء إليه . ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤] .

وسمع ﷺ مديح الشعر وأثاب عليه ما قيل فيه من الشعر جزء من حامده ، وأمر الناس أن يحثوا في وجوه المداحين التراب لأن مدحهم كذب . وسابق ﷺ على الأقدام ورفع ثوبه بيده وخصف نعله بيده وثنى ثوبه وحلب شاته وخدم نفسه وأهله وأعان أصحابه في بناء المسجد وحفر خندق وغيرهما .

وربط ﷺ الحجر على بطنه من الجوع تارة وشيع تارة ، وأضاف وأضيف . وتداوى ﷺ من المرض وأمر بالتداوي . ورق ولم يسترق ، واحتجم في وسط رأسه وعلى ظهر قدمه ، واحتجم الأخدعين ، واحتجم في الكاهل وهما بين الكتفين . وأمر ﷺ بالحمية وحفظ الصحة واستفراغ المواد الفاسدة واجتناب الأشياء الضارة .

مؤذنيه ﷺ

مؤذنو النبي ﷺ أربعة :

اثنان بمسجده ﷺ وهم : بلال بن رباح ، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ ، وعبد الله بن أم مكتوم الأعمى ، رضي الله عنهما . وسعد القرظ في مسجد قباء ، وأبو محذورة الجمحي في المسجد الحرام بمكة .

كتابه ﷺ

أما كتابه ﷺ فالكتّاب الذين كانوا يكتبون الوحي والرسائل لرسول الله ﷺ هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والزبير بن العوام ، وأبي بن كعب ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن الأرقم ، وعمرو بن العاص ،

والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن رواحة ، وثابت بن قيس بن شماس ،
وحنظلة بن الربيع ، وخالد بن الوليد ، وخالد بن سعيد بن العاص ،
ومعاوية بن أبي سفيان ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين .

خطبائه وشعراؤه ﷺ

أما خطبائه وشعرائه ﷺ فكان خطيبه ﷺ الذي كان يخطب بين يديه بأمره
ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ، وكان من شعرائه ﷺ الذين يذبون عن
الإسلام كعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت وكان
أشدهم على الكفار .

فصلوات الله وسلامه عليه كان أحسن الناس خلقًا وخلقًا ، وكان خلقه
القرآن يتأدب بأدابه ويتخلق بأخلاقه ويحل حلاله ويحرم حرامه : ﴿ وَإِنَّكَ
لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] .

جهاد الرسول ﷺ :

• سلاحه ﷺ :

كان له ﷺ تسعة أسياف هي :

مأثور، وهو أول سيف ملكه، والعضب، وذو الفقار، تنفله يوم بدر .
ومن سيوفه البتار، والقضيب، والحتف، والرَّسوب، والقَلْعِي، والمِخْذَم .

وكان له ﷺ سبعة أدرع هي :

ذات الفضول، وذات الوشاح، وذات الحواشي، والبتراء، والسعدية،
والفضة، والخرنق .

وكان له ﷺ خمسة رماح هي :

المثوى، والمثنى، وحربة يقال لها النبعة، والبيضاء، وعنزة يمشي بها أحياناً،
ويتخذها سترة يصلي إليها في أسفاره .

وكان له مغفران من حديد، أحدهما الموشح، والآخر السبوغ .

وكان له ﷺ ثلاث جباب يلبسها في الحرب، وكانت له راية سوداء، يقال لها
العقاب، وراية صفراء، وألوية بيضاء .

وكانت له ﷺ ست قسي هي :

الروحاء، والزوراء، والبيضاء، والصفراء، والكتوم، والسداد .

وكان له ترس يقال له الزلوق، وآخر اسمه الفتق .

وكان له ﷺ محجن قدر ذراع أو أطول، يمشي به، ويركب به، ويعلقه بين
يديه على بعيره .

• جهاد الرسول ﷺ

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام ومنازل أهله أعلى المنازل في الدنيا والآخرة ، وكان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه وقام بأنواعه كلها تعبداً لله عز وجل .

فجاهد ﷺ في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان وكانت ساعاته وأيامه موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده وماله . ولهذا كان ﷺ إمام المجاهدين وأرفع العالمين ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً ، وقد أمره الله عز وجل بأعظم أنواع الجهاد وهو الدعوة إلى الله من حين بعثه بقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٥٢﴾ [الفرقان: ٥١-٥٢] .

وجهاد الكفار والمنافقين يكون بالحجة والبيان وتبليغ القرآن .
وجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد ورثة الرسل وخواص الأمة والقائمون به أفراد في العالم والمشاركون فيه والمتعاونون عليه هم الأعظمون عند الله قدراً وأجرًا ومنزلة وقد قام به ﷺ خير قيام وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين تحقيقاً لأمر ربه بقوله : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَعَاظْ عَلَيْهِمْ وَمَاؤْتُهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿٩﴾ [التحریم: ٩] .

ورسول الله ﷺ أول وأعظم من أكمل مراتب الجهاد فجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرها الله به وتترك ما نهى الله عنه ، وجاهد الشيطان على دفع ما يلقي من الشبهات وما يزين من الشهوات ، وجاهد الكفار والمنافقين بالقلب واللسان والنفس والمال ، وجاهد في الله حق جهاده هو وأصحابه رضي الله عنهم حتى توفاه الله عز وجل : ﴿ لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا

بَأْمُولِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَّتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾

[التوبة: ٨٨].

وشرع ﷺ الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله عز وجل فشمروا عن ساق الدعوة ودعا الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ، ودعا القريب والبعيد وصدع بأمر الله لا تأخذه في الله لومة لائم فدعا إلى الله للكبير والصغير ، والذكر والأنثى ، والحر والعبد ، والأحمر والأسود ، والإنس والجن تحقيقاً لقوله سبحانه : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَحِدٌ ۗ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ولما صدع ﷺ لأمر الله وصرح لقومه بالدعوة إلى الله وحده لا شريك له آمن به بعضهم وكفر به وأذاه وسبه وشتمه أكثرهم فصبر على كل ذلك كما قال سبحانه : ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۗ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ [الروم: ٦٠].

ثم قاتلوه وحاربوه فنصره الله عليهم وأظهر الله دينه وقتل أئمة الكفر والكبر والضلال : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأعراف: ٤٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ۖ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

[التوبة: ٣٢-٣٣].

فصلوات الله وسلامه على من أرسله الله رحمة للعالمين أفضل من دعا إلى الصراط المستقيم وبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ

عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

[التوبة: ١٢٨].

ولعظيم جهاده وصبره ﷺ وعظيم أخلاقه ورحمته وكمال معرفته بربه وحسن عبادته غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيُضْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح: ١-٣].

وصلى الله عليه وملائكته وأمر الله المؤمنين بالصلاة والسلام عليه لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

• والجهاد في سبيل الله نوعان :

الأول : الجهاد الحسن في ذاته وهو الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم وهو أعلى أنواع الجهاد وهو جهاد جميع الأنبياء والرسل وهو أول جهاد مأمور به كما قال سبحانه: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله عز وجل: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢].

الثاني : الجهاد الحسن لغيره وهو القتال في سبيل الله لصد عدوان المعتدين وكسر شوكة المستكبرين ودفع الظلم عن المظلومين وحماية حوزة الدين . وقد كان القتال محرماً في أول الإسلام بمكة ثم مأذوناً به ثم مأموراً به بمن بدء المسلمين بالقتال ثم مأموراً به لجميع المشركين .

ففي التحريم، قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ
خَشِيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ
وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ [النساء: ٧٧].

وفي الإذن بالقتال، قال سبحانه: ﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ
عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [الحج: ٣٩].

وفي الأمر به لمن بدأ بالقتال قال سبحانه: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠].

وفي الأمر به لعموم المشركين قال سبحانه: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ
كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ [التوبة: ٣٦].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا
عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ [البقرة: ١٩٣].

وهذا الجهاد فرض عين على كل قادر إذا دعا إليه إمام المسلمين أو هجم
العدو على بلد المسلمين أو حضر المسلم صف القتال أو احتاج الأمر إليه
بنفسه كطبيب وطيار ونحوهما: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ
فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ [النساء: ٧٤].

وكان ﷺ يرغب أصحابه في قتال أعداء الله والمشركين ويحثهم على
الشهادة في سبيل الله وكان يبائع أصحابه في الحرب على أن لا يفرؤا وربما
بايعهم على الموت وكان إذا أراد غزوة ورى غيرها بها إلا تبوك .

وكان ﷺ يبعث العيون ليأتونه بخبر عدوه ويطلع الطلائع ويبث الحرس .

وكان ﷺ إذا لقي عدوه وقف ودعا واستنصر الله عليه وأكثر ذكر الله هو وأصحابه رضي الله عنهم ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٥: ٤٧] .

وكان ﷺ يرتب صفوف الجيش ويعبئهم بيده وكان إذا اشتدت الحرب اتقوا به وكان أقربهم إلى العدو وكان يلبس الدرع ويتقلد السيف ويحمل الرمح والقوس ويترس بالترس .

وكان ﷺ ينهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال في الحرب .

• وكان ﷺ يأمر أمرائه في السرائب بثلاثة أمور :

١- أن يدعوا عدوهم قبل القتال إلى الإسلام .

٢- فإن أبوا الإسلام دعوهم إلى بذل الجزية .

٣- فإن أبوا استعانوا بالله وقاتلوهم .

وكان ﷺ ينهى في مغازيه عن النهبة والغلول والمثلة .

وكان ﷺ يمن على بعض الأسرى ويقتل بعضهم ويفادي بعضهم بالمال ويفادي بعضهم بأسرى المسلمين يفعل ذلك حسب المصلحة وثبت أنه قتل جاسوسًا من المشركين .

وكان الهادي ﷺ أنه إذا صالح قومًا فنقض بعضهم عهده وأقره الباقون ورضوا به غزاهم جميعًا كما فعل ببني قريظة وبني النضير اليهود .

• غزواته وبعوثه وسراياه ﷺ:

أما غزواته وبعوثه وسراياه ﷺ كلها كانت بعد هجرته للمدينة في مدة عشر سنين ، وغزواته ﷺ سبع وعشرون غزوة قاتل منها في تسع غزوات هي : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، وبني المصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

وغزوات كبار الأمهات سبع هي : بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، وتبوك .

وفي شأن هذه الغزوات نزل القرآن الكريم فنزلت سورة الأنفال في شأن غزوة بدر ، ونزلت آخر سورة آل عمران في شأن غزوة أحد ، ونزلت في غزوة الخندق وقريظة وخيبر صدر سورة الأحزاب ، ونزلت سورة الحشر في غزوة بني النضير ، ونزلت سورة الفتح في شأن قصة الحديبية وخيبر ، وذكر الله الفتح صريحاً في سورة النصر كما قال سبحانه : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ١-٣] .

ونزلت سورة التوبة في شأن غزوة تبوك وغزوة التوبة إنذاراً أخيراً وعظيماً للأمة .

وجرح ﷺ في غزوة واحدة من غزواته وهي غزوة أحد ، وقاتلت معه الملائكة منها في غزوتين هما بدر وحنين ، ونزلت الملائكة يوم الخندق لنصرته فزلزلت المشركين وهزمتهم وأرسل الله عليهم الريح فهربوا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٩] .

وقال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ ﴿٢٥﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وكان الفتح الأعظم في غزوتي بدر وحنين . وقاتل ﷺ بالمنجنيق في غزوة واحدة هي غزوة الطائف ، وتحصن بالخذق في غزوة واحدة هي غزوة الخندق .

أما عدد سراياه ﷺ المبعوثة فأكثر من ستين .

وصلوات الله وسلامه عليه وعلى إله وأصحابه أجمعين ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤].

• أمراؤه ﷺ :

كان له ﷺ ولاية في مختلف البلدان:

منهم باذان بن ساسان، أمره رسول الله ﷺ على اليمن كلها بعد موت كسرى.

وهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأول من أسلم من ملوك العجم، ولما مات باذان أمر بعده ابنه شهر على صنعاء، ولما قتل شهر أمر بعده على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص ﷺ .

وولى ﷺ زياد بن أمية الأنصاري حصر موت، وولى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن والساحل، وولى معاذ بن جبل الجند، رضي الله عنهم أجمعين. وولى ﷺ أبا سفيان صخر بن حرب نجران، وولى ابنه يزيد تيماء شمال المدينة، رضي الله عنهما .

وولى ﷺ عتاب بن أسيد مكة، وعمره دون عشرين سنة ﷺ .

وولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأحماس باليمن، وولى عمرو بن العاص رضي الله عنه عُمان وأعمالها.

وولى رضي الله عنه أبا بكر إقامة الحج سنة تسع من الهجرة، وأردفه بعلي بن أبي طالب عوناً له ومساعداً، وليقرأ على الناس سورة براءة، رضي الله عنهم أجمعين.

وولى رضي الله عنه لكل قبيلة وال يقبض صدقاتها ويُفرقها على أهلها .
• حداته رضي الله عنه :

حداته الذين كانوا يحدون بين يديه في السفر بالأشعار التي تزيد في النشاط، وتطرد الكسل هم :

عبد الله بن رواحة، وأنجشة، وعامر بن الأكوع، وعمه سلمة بن الأكوع، رضي الله عنهم أجمعين.

• من كان يضرب الأعناق بين يديه رضي الله عنه :

الذين كانوا يضربون أعناق الكفار والمجرمين ومن عليه حد بين يديه هم :
علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، ومحمد بن مسلمة، والمقداد بن عمرو، والضحاك بن سفيان الكلابي، وعاصم بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين.

وكان قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه منه رضي الله عنه بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير.

٩- الخزانة التاسعة

محبة النبي ﷺ وتوقيعه :

خص الله عز وجل رسوله محمداً ﷺ من بين الأنبياء والرسل بخصائص كثيرة وصفات كريمة وأخلاق رضية وآداب جمّة ورحمة عامة ومحاسن جليلة وعلم واسع وقدوة حسنة وشمائل رفيعة وأقوال حسنة وأعمال حسنة وعبودية كاملة .

ولأجل ذلك كله أثنى عليه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ [القلم:٤] .

ولهذه الخصائص والصفات والمكرّمات اختاره الله ليكون سيد الأولين والآخرين ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، وسيد الثقليين ، وسيد المتعبدين والمتقين ، وسيد الدعاة والعلماء ، وسيد المجاهدين والمتقين : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران:١٦٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨] .
ولذلك كله يدعو كل مسلم أن يحب ﷺ ويوقره ويعظمه ويعظم سنته بقلبه ولسانه وجوارحه كما جاء في سنته ﷺ من غير إطراء ولا غلو ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا فَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء:٦٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ﴿٨٠﴾ [النساء: ٨٠] .

ولعظيم ما جاء به ﷺ من الحق من ربه وعظمة ما قام به من إبلاغ لأُمَّته وعظمة ما تحمل من الصبر والأذى في سبيل ذلك فقد أثنى الله عليه وأخبر أنه يصلي عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالإكثار بالصلاة والسلام عليه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا » . أخرجه مسلم (١) .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وأصح المخلوقات مزاجًا هو بنو آدم ، وأصح بني آدم مزاجًا هم المؤمنون ، وأصح المؤمنين مزاجًا هم الأنبياء والرسل ، وأصح الأنبياء والرسل مزاجًا هم أولي العزم: ﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

وأصح أولي العزم مزاجًا هم الخليلان إبراهيم ومحمد ، وأصحهما مزاجًا سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خلقًا وخلقًا وكان خلق القرآن يتأدب بأدابه ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهة ويحل حلاله ويحرم حرامه ويمثل أوامره ويجتنب نواهيه ويصدق أخباره: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [التوبة: ٣٣] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٠٨) .

النبي ﷺ نبي الرحمة ونبي الهداية بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة
وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا
عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فسبحان ربي الكريم الذي خلقه وجمله ظاهراً وباطناً وأرسله إلى الناس
كافة وملاً قلبه توحيداً وإيماناً وعلماً ورحمة وحكمة وأرسله بالحق للناس
كافة ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

وأخبر أنه جمع فيه محاسن الأخلاق كلها كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى
خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

فهو أكمل الناس في أداء حقوق الله وفي أداء حقوق عباده وفي التعبّد بين
يدي الله وفي الدعوة والتعليم والإحسان بين يدي خلقه .

وقد اختار الله عز وجل لرسوله محمد ﷺ اسم محمد وأحمد وهما اسمان
مشمّلتان على الحمد والثناء .

وهو ﷺ محمود عند الله تعالى ومحمود عند ملائكته ومحمود عند إخوانه
الأنبياء والمرسلين ومحمود عند أهل الأرض كلهم لأن صفاته محمودة عند
كل ذي عقل وإن كابر وجاحد محمد رسول الله: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ
مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وهو ﷺ أحمد أهل الأرض والسماء لربه وأحسنهم ثناء عليه وحمداً له وتمجيذاً له وأعظمهم ذكراً له وتكبيراً له وتواضعاً له وافتقاراً إليه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦].

وهو أحمد الخلق للخلق وأرحم بهم من أنفسهم وأنفع لهم وأنصح لهم: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].
صدق الله العظيم الذي أثنى على خلقه العظيم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وصدق ﷺ حين قال عن نفسه: «أَنَا سَيِّدٌ وَلِدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» . أخرجه مسلم^(١) .

ومما يحمد عليه ﷺ ما جبله عليه من مكارم الأخلاق وكريم الشيم وهو خير الناس أخلاقاً وأحسنهم شمائل وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثاً وأشدهم تواضعاً وأجودهم إنفاقاً وأقواهم صبراً وأحسنهم حلماً وأعظمهم عفواً وأوسعهم مغفرة والرسول ﷺ أفصح الخلق بياناً وأحسنهم تعبيراً .

والرسول ﷺ أفصح الخلق بياناً وأحسنهم تعبيراً وأكملهم توقيراً ، والرسول ﷺ أعظمهم براً وأوفاهم عهداً وألينهم معاملة وأجملهم إحساناً .

وهو ﷺ أصبر الخلق في مواطن الصبر وأكرمهم في مواطن الجود وأصدقهم في مواطن اللقاء وأعظمهم إثارة على نفسه وأكملهم مكافأة على الجميل بأضعافه .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٧٨).

وهو ﷺ أقوى من الناس بما يأمر به وأتركهم لما ينهى عنه وأوصل الخلق لرحمه وأعظمهم استجابة لأمر ربه .

وهو ﷺ أكرم الخلق لأصحابه وأعدلهم مع أعدائه وأشد الخلق ذباً عن أصحابه وحماية لهم ودفاعاً عنهم وأعظمهم نفعا لأتباعه في دينهم ودنياهم ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة : « أَجَلٌ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٤٥] ﴿ [الأحزاب: ٤٥] ، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ الْمَتَوَكَّلَ لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ ، بَأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمَيَّا ، وَآذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا » . أخرجه البخاري (١) .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢١٢٥) .

• الأسباب الجالبة لمحبة النبي ﷺ وتوقيره :

الذي يدفع المسلم لمحبة الرسول ﷺ وتعظيمه أمور :

الأول : معرفة صيغته ﷺ الحسنة ، ومعرفة أخلاقه العظيمة ، وشمائله الكريمة ، ومعرفة عظيم رحمته بالأمة ، ومعرفة جهاده وصبره ، ومعرفة عظمة صدقه وحرصه على هداية أمته ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن ذلك معرفة روح رسالته : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٤٥] وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَشَرَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعَّ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيْلًا ﴿٤٨﴾ [الأحزاب: ٤٥- ٤٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فمن عرف سيد الأولين والآخرين بهذه الصفات ، ولا الأخلاق أحبه ووقره ، وأكثر من الصلاة والسلام عليه ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

الثاني : موافقة مراد الله جل جلاله في محبته للنبي ﷺ وثنائه عليه ،
وتعظيمه ، وتوقيره ، وقد أثنى الله عليه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ ﴾
﴿ [القلم: ٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا
عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨ ﴾ ﴿ [التوبة: ١٢٨] .
وأكرمه بعظم الكرامات بقوله : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ١ ﴾ ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ
٢ ﴾ ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ٣ ﴾ ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ٤ ﴾ ﴿ [الشرح: ١-٤] .

فلا يذكر أحدٌ في الدنيا ، ولا يثنى عليه كما يذكر نبينا ﷺ ويثنى عليه ،
وأقسم الله بحياته تعظيمًا لشأنه فقال : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ٧٢ ﴾ ﴿
﴿ [الحجر: ٧٢] .

وذكرى الله بعقله ولسانه وقلبه بقوله : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١ ﴾ ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا
غَوَىٰ ٢ ﴾ ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ٣ ﴾ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤ ﴾ ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ٥ ﴾ ﴿
﴿ [النجم: ١-٥] .

واتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ومحبة رسول الله ﷺ تابعة
لمحبة الله وتعظيمه فالمؤمن يحب الله ، ومن يحبه الله من رسوله وأوليائه .
فالمؤمنون يحبون رسول الله ﷺ لمحبة الله له ، ويعظمونه ، ويجلُّونه
لإجلال الله له ، ومحبة أهل العلم والإيمان ، ومحبة الصحابة الكرام
وإجلالهم كل ذلك تابع لمحبة الله ورسوله ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣١ ﴾ ﴿ [آل عمران: ٣١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ
اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ ﴿ [البقرة: ١٦٥] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » . متفق عليه (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا ، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » . أخرجه مسلم (٢) .

الثالث : أن محبة النبي ﷺ وتعظيمه من شروط إيمان العبد ، وكذا محبة ما جاء به من الوحي فحب الرسول ﷺ وتعظيمه ، وتوقيره ، وطاعته فيه يكون قيام الدين كله ، وبضد ذلك يكون السقوط ديني كله ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

وقال عز وجل : ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

الرابع : معرفة ما خصه الله به من شرف النسب وكرم الحسب ، وكمال الصفات ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٤).

سُوقِهِ يَعْجِبُ الزَّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].
فمن عرف ذلك زاد إيمانه بالله ورسوله ، وسارع لإتباع رسوله ﷺ ، وامتلاء قلبه بمحبته . ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ، وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الخامس : معرفة شدة محبته ﷺ لأمته ، وعظيم شفقتة عليها ، وشدة رحمته لها ، وفرحه بفضل الله عليها ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

السادس : معرفة قدر الثواب والأجر الحاصل بإتباعه وطاعته : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧١].
فكل خيرٍ وهدى في هذه الأمة ، وكل فلاحٍ وسعادة ، وكل كرامةٍ وعزة ، وكل أجرٍ وثواب لا يمكن أن يحصل لأحدٍ من البشر إلا بالإيمان بالله ورسوله ، وأتباع الرسول ﷺ وطاعته ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ، وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فكل خير وفلاح في هذه الأمة إنما جاء من طريق الرسول ﷺ الذي يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم ، ويحل لهم الطيبات ،

ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم الأصنام والأغلال التي كانت عليهم ﴿ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

• وجوب محبة النبي ﷺ :

الإيمان بالله ورسوله ، ومحبة الله ورسوله ، وطاعة الله ورسوله أعظم أصول الإيمان فلا إيمان لمن لم يكن الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَءَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اقرءوا إن شئتم ﴿ التِّي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ ﴾ [الأحزاب: ٦] . « . متفق عليه (١) .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ ، وَجَدَ بَهْنَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ » . متفق عليه (٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَوْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » . متفق عليه (٣) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٨١) ، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (١٦١٩) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦) ، ومسلم برقم (٤٣) واللفظ له .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥) ، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (٤٤) .

وباعث المحبة ، وقوتها يكون بحسب معرفة ما في المحبوب من كمال ، وجلال ، وجمال الذات . والله تعالى وحده أحق بهذه المحبة ؛ لكمال ذاته ، وأسماءه وصفاته ، وأفعاله ، والرسول ﷺ أحق من يتلوه في هذه المحبة ؛ لأنه أكرم الخلق عند ربه ، وأعظمهم أخلاقاً ، وأحسنهم عبودية لله ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

وإن كان باعث المحبة للغير بسبب ما يصل إليك من الغير من المنافع ، والنعم ، والخيرات الله تعالى أحق بهذه المحبة ؛ لأن نعمه تجري على العباد في كل حين ، وكل نعمة منه -جل جلاله- ﴿ وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] . وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] . والرسول ﷺ أحق من يتلوه في هذه المحبة فهو الرسول الكريم الرحيم الذي أكمل الله به الدين ، وأتم به النعمة ، وأخرجنا الله به من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالات إلى الهدى ، واستنقذنا به من النار فليس بعد الله أحدٌ آمنٌ علينا منه ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢] . وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال الله عز وجل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

اللهم إن نشهدك ، ونشهد جميع مخلوقاتك أننا نحبك ، ونحب أنبياءك ورسلك ، ونحب دينك ، ونحب المؤمنين والمؤمنات: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

ومن أحب الله ، وأحب أن يحبه الله ، ويغفر ذنوبه ؛ فليتبع رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

ومحبة الرسول ﷺ على قسمين :

الأولى : فرض وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله ، وتلقيه بالمحبة ، والقبول ، والرضا ، والتعظيم والتسليم ، وحسن إتباعه له فيما أرسله الله به ، وتصديقه فيما أخبره ، وطاعته فيما أمره ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، ونصرة دينه ، وجهاد من خالف ما جاء به ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع . فهذه المحبة تبعث على امثال أوامره ، والانتها عن معاصيه ، والرضا بما جاء به ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥] .

فهذا القدر لا بد منه ، ولا يتم إيمان العبد لله به : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تضيبهم فتنة أو يضيبهم عذاب أليم ﴾ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] .

الثانية : فضل وهي المحبة التي تقتضي حسن التآسي به ، وتحقيق الاقتضاء بسنته ، وأخلاقه ، وآدابه ، ونوافله ، وأكله وشربه ولباسه ، وحسن معاشرته ، وسائر تطوعاته : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ﴿٦٩﴾ [النساء: ٦٩] .

وأكمل الناس ديناً من جمع في الإتيان بين الفرض ، والفضل : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٢١﴾ [الحديد: ٢١] .

والتعظيم بالمحبة حقان واجبان للرسول ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٨﴾ لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ﴿٩﴾ [الفتح: ٨-٩] .

فها الحق المشترك بين الله ورسوله : ﴿ لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الفتح: ٩] .

والخاص بالله وحده : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ﴿٩﴾ [الفتح: ٩] .

والخاص بالرسول ﷺ : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح: ٩] .

وتعزيره ﷺ نصره ، ونشر ما جاء به ، وتأيده ، ومنعه من كل ما يؤذيه .

وتوقيره إجلاله ، وإكرامه ، وتعظيمه ، وتبجيله لما له من حُرمةٍ ومكانةٍ يعظم من أجلها . والتعظيم أعلى من المحبة ؛ لأن المحبوب لا يلزم أن

يكون معظمًا فالولد الصغير يحب والده محبةً تدعوه إلى تكريمه لا تعظيمه ، والولد يحب أباه محبةً تدعوه إلى تعظيمه وإكرامه .
وكيف نحقق محبة النبي ﷺ وتعظيمه ؟ .

محبة النبي ﷺ وتعظيمه عبادة نتقرب إلى الله سبحانه بها، كما قال سبحانه :
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

والعبادة التي يريدتها الله - عز وجل من العبد ويحبها ويرضاها هي ما ابتغي به وجه الله ، وكانت على الصفة التي شرعها الله ورسوله ﴿ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

فالإخلاص هو ابتغاء وجه الله في العمال وهو مقتضى شهادة " أن لا إله إلا الله " ؛ لأن معناها لا معبود بحقٍ إلا الله ، ومتابعة النبي ﷺ في كل ما جاء به من ربه ومقتضى شهادة " أن محمدًا رسول الله " ؛ لأن معنى الشهادة له بأنه رسول الله يحق طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبره ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

وفي هذا كمال المحبة له ﷺ ، وكمال التعظيم له ، وكمال التوقير له ، وكمال الهداية بالإيمان بالله ورسوله ، وكمال الإيمان والتقوى والإخلاص والمتابعة ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدُّ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

أما من لم يؤمن برسالته ﷺ أو شك في خبره أو استنكف عن طاعته أو ارتكب مخالفته أو ابتدع في دينه أو عبد الله من غير طريقه أو جحد ما جاء به أو استهزئ به فهو بعيد عن الإيمان به بعيد عن محبته ، وتعظيمه بعد الأرض عن السماء ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن نصيبهم فتنة أو يُصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: ٦٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .
وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤] .

ولهذا من سلك في عبادة الله سبيلاً لم يشرعها رسول الله ﷺ فقد ضل وأضل ، وعمله مردوداً وغير مقبول : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَنَكانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ۖ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (١) .

ولهذا أنكر الله عز وجل على من عبد غير الله أو عبد الله بما لا يشرعه الله ورسوله وتوعدهم بالعذاب الأليم فقال عز وجل : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٦] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧١٨)، واللفظ له.

وقال الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتَقْتَهُ لَّهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٦٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٢١]

إن محبة الرسول ﷺ وتعظيمه وتوقيره من أصول الإيمان ، وهي عبادة من العبادات التي نتقرب إلى الله بفعلها في كل حال ، والعبادة محلها القلب واللسان والجوارح ، ويتحقق تعظيم النبي ﷺ بالقلب بتقديم محبته على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين فلا يتم الإيمان إلا بذلك ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتِبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكِتِبِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

ولا توقير ، ولا تعظيم بلا محبة الله والرسول ﷺ ، ولا تعظيم ولا محبة إلا بعد معرفته ، ومعرفة سيرته ، ومعرفة قدره ومحاسنه . وإذا استقرت محبته الصادقة في القلب أثمرت تعظيمه ﷺ وطاعته ، وإتباعه والافتداء به في جميع ما جاء به من ربه بعبادة تظهر على القلب واللسان والجوارح : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦٢].

أما أحوال الصحابة في محبة وتعظيم النبي ﷺ فإن الله عز وجل أكرم الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- بشرف لقاء النبي ﷺ والإيمان به ومحبته ،

وتعظيمه ، وصحبته فكان من النصيب الأكمل والأوفى من محبته
وتعظيمه ، والافتداء به مما سبقوا به غيرهم ، ولن يدركهم فيهم من بعدهم
فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنْ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿١٠٠﴾

[التوبة: ١٠٠] .

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟
قال : « والله أحب إلينا من أموالنا ، وأولادنا ، وآبائنا ، وأمهاتنا ، ومن الماء
البارد على الظمأ »^(١) .

(١) انظر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى برقم: (٢ / ٣٨٥) .

١٠ - الخزانة العاشرة

دلائل محبة الرسول ﷺ وتعظيمه :

لمحبة الرسول ﷺ وتعظيمه دلائل وأمارات تدل على ذلك ، ومن ذلك :
أولاً : تقديم النبي ﷺ ، وتفضيله على كل البشر .

فقد فضل الله نبيه محمد ﷺ على جميع الخلق ، أولهم ، وآخرهم ، فهو خاتم الأنبياء ، والمرسلين ، وسيد الخلق أجمعين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » . أخرجه مسلم (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنَا سَيِّدٌ وَلَدَ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرَ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » . أخرجه مسلم (٢) .

لهذا يجب علينا إذا عرفنا فضائله ، حبه ، وتوقيره ، واستشعار هيئته ، وجلال قدره ، وعظيم شأنه ، واستحضار مكانته ، ومحاسنه ، ومعرفة

الأمور الجالبة لحبه ، والعلم بسيرته ، وسنته ، وحسن الاقتداء به : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

﴿ [الأحزاب: ٢١] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٧٦) .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٧٨) .

ومتى كان حب النبي ﷺ وتعظيمه مستقرًا في القلب ، فإن آثار ذلك ستظهر على اللسان ، والجوارح لا محالة ، فترى اللسان يجرى بمدحه ، والثناء عليه ، وذكر محاسنه ، والإكثار من الصلاة ، والسلام عليه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

وسترى بقية الجوارح مستجيبة لمجابهة ، تتبع شرعه ، وتمثل أوامره ، وتجتنب نواهيه ، وتؤدى حقه من الحب ، والتعظيم ، والتكريم ، والطاعة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

فمن فضل الأئمة من آل البيت عن النبي ﷺ فقد ضل ، ومن فضل الأولياء ، والأقطاب عن النبي ﷺ فقد ضل ، ومن فضل أحد من البشر على النبي ﷺ فقد كفر ، وألحد ، وخالف النصوص الشرعية القطعية ، وإجماع الأمة ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

الثاني : حسن الأدب معه ﷺ

ويتحقق ذلك بالأمر الآتية :

حسن الثناء عليه ﷺ بما هو أهله ، وأكمل ذلك ما اثني عليه به ربه جل جلاله ، وما اثني به هو على نفسه ﷺ ، وأفضل ذلك الصلاة والسلام عليه لأمر الله عز وجل بذلك وتوكيده ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

ولعظيم مقام عبد الله ، ورسوله محمد ﷺ أخبرنا الله عز وجل أنه يثنى عليه في الملائكة الأعلى ، وأن الملائكة تصلى عليه ثم أمرنا بالصلاة والسلام عليه ؛ ليجتمع الثناء عليه من ربه العظيم ، ومن أهل العالم العلوي ، ومن أهل العالم السفلي .

هذه الآية تدل على وجوب الصلاة عليه ، وأبخل الناس ، وأذلهم ، وأحقرهم من ذكر عنده ، فلم يصل عليه .

عن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ » أخرجه أحمد والترمذي (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ أَبُوَيْهِ عِنْدَ الْكَبِيرِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ » أخرجه أحمد والترمذي (٢) .

والصلاة من الله عز وجل والثناء عليه ﷺ في الملائكة الأعلى ، والصلاة من الملائكة ، والمؤمنين سؤال الله الثناء عليه ، وثمرات الصلاة على النبي ﷺ كثيرة منها :

أنها سبب في حصول الحسنات ، ومحو السيئات ، ورفع الدرجات ، وإجابة الدعوات ، وحصول الشفاعة ، والنجاة من البخل ، وصلاة الله على العبد ، ودوام محبة النبي ﷺ ، وغير ذلك من الفوائد ، والثمرات .

لهذا رغب النبي ﷺ بالصلاة عليه بقوله : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا » . أخرجه مسلم (٣) .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٧٣٨) ، والترمذي برقم (٣٥٤٦) .

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٧٤٠٢) ، والترمذي برقم (٣٥٤٥) .

(٣) أخرجه مسلم برقم : (٤٠٨) .

والصلاة عليه ﷺ مشروعة في كل وقت ، ومشروعة في عبادات كثيرة تزيد على أربعين موطنًا ومن ذلك :

الصلاة عليه فالتشهد في الصلاة ، الخطبة في الجمعة ، وبعد الأذان ، وفي صلاة الجنازة ، وعند الدعاء ، وعند سماع اسمه ، وغير ذلك .

وأفضل صيغة للصلاة عليه ﷺ علمه لأصحابه اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد .

ثانيًا : الإكثار من ذكره ﷺ ، وذكر محاسنه ، وفضائله ، ومعجزاته ، ودلائل نبوته ، وتعليم الناس سنته ، ودوام تذكيره ، ومكانته ، وتذكيرهم بحقوقه ، وصفاته ، وأخلاقه ، وتذكيرهم بدعوته ، وسيرته ، وجهاده ، وغزواته ، وصبره ، فالعبد كل ما أكثر من ذكر المحبوب ، واستحضر في قلبه محاسنه ، وفضائله ، تضاعف حبه له ، وزاد شوقه لرؤيته ، وكملت طاعته له ؛ ولهذا أمرنا الله بالإكثار من ذكره في كل وقت ، كما قال سبحانه : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] .

وأمر الله سبحانه بالصلاة والسلام على نبيه بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

الثالث : حسن الأدب عند ذكر اسمه ﷺ ، فلا يذكر باسم مجرد ، بل يوصف بالنبوة ، والرسالة ، وقد خصه الله في القرآن من بين الأنبياء ، فلم يذكره باسمه مجرد ، بل نداه بقوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْزُوقُ ﴾ ﴿ ﴿١﴾ ﴾

وحين قال: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ قال بعدها: ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قال بعدها: ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومن كمال الأدب معه ، أنه ينادى ، ويذكر بوصف النبوة ، والرسالة ، لا بغير ما ورد في القرآن ، والسنة : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

الرابع : حفظ حرمة بلده المدينة النبوية ، فأنها مهاجرة ، ودار نصرته ، وبلد أنصاره ، ومحل إقامة دينه ، وفيها قبره ﷺ ، وفيها مسجده أفضل المساجد بعد المسجد الحرام ؛ لهذا يجب على من سكنها ، أو زارها ، أو دخل فيها ، مراعاة حسن المجاورة فيها ، وحسن التأدب ، وفعل الطاعات ، واجتناب المعاصي .

الخامس : حسن الأدب عند دخول مسجده ﷺ ، وكذا عند زيارة قبره ، وترك اللغط ، ورفع الصوت هناك : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحجرات: ٢-٣].

السادس : توقير حديثه ﷺ ، وحسن سماعه ، والوقار عند دراسته ، وحسن قرأته ، وتعظيم سنته ، ومحبة حديثه ، والمسارة إلى العمل به تعظيماً له : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم: ١-٥].

وكان مالك بن أنس رحمه الله إذا أراد أن يخرج ، يحدث توضأ وضوئه للصلاة ، ولبس أحسن ثيابه ، ولبس قلنسوة ، ومشط لحيته ، فليل له في ذلك ، فقال : أوفّر به حديث رسول الله ﷺ .

• دلائل محبة الرسول وتعظيمه :

لمحبة الرسول ﷺ دلائل وبراهين وأمارات منها :

أولاً : تقديم النبي ﷺ وتفضيله على كل البشر .

الثاني : حسن الأدب معه ﷺ .

الثالث : تصديق النبي ﷺ فيما أخبر .

فمن أصول الإيمان الأساسية ، الإيمان ببعثة النبي ﷺ من الكذب والبهتان ، وتصديقه في كل ما أخبر به عن الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، والجفاء

كل الجفاء بل الكفر كل الكفر اتهامه ﷺ فيما أخبر وتكذيبه وقد رد الله في

كتابه على من كذبه بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ

تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ

أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَفَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٨)

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ

كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٩) [يونس: ٣٧-٣٩] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ

نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٢) [السجدة: ٣] .

التوحيد يقوم على ركنين :

الأول : توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده سبحانه بالعبادة

والاستعانة والخضوع والذل والتوكل والإنابة كما قال سبحانه : ﴿ وَإِلَهُكُمْ

إِلَهُهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١١٣) [البقرة: ١٦٣] .

الثاني : توحيد الرسول ﷺ بالإتباع والانقياد لأمره والتسليم لحكمه

والإذعان لطاعته ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا فَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥) ﴿

[النساء: ٦٥] .

وبهذا وهذا يكمل التوحيد ويتحقق الإيمان توحيد ﷺ بالإتباع ، وتوحيد من أرسله بالعبادة : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢] .

الرابع : التحكيم إلى سنته ﷺ تحكيم سنة النبي ﷺ في كل حال وشأن أصل من أصول الإيمان به ، ومحبته وإتباعه ، فلا إيمان لمن لم يحتكم لشريعته ويسلم له تسليماً مطلقاً ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

ومن أعرض عن ما جاء به النبي ﷺ ورضي بحكم غيره ، فتلك حقيقة النفاق : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيم سنته ، وارتفاع الحرج عن الصدر بحكمه ، والتسليم المطلق لما حكم به هبة واختباراً ومحبه ، وقد بين الله عز وجل أن من علامات الزيغ والنفاق والإعراض عن سنة النبي ﷺ هو ترك التحكيم إليها، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [٦١] فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء: ٦١-٦٢] .

الخامس : إتباع النبي ﷺ وطاعته الأصل في أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأخلاقه وأحواله إنها للإتباع والتأسي به مطلقاً كما بين سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

ويستثنى من ذلك ما خصه الله به دون غيره ، وقد أمر الله عز وجل بطاعته وطاعة رسوله في آيات كثيرة فقال : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠] .

وأمرنا الله عز وجل عند التنازع أن يرد ذلك إلى الله والرسول فقال : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] .

فعلينا جميعاً أن نتعبد لله عز وجل بإتباع النبي ﷺ وطاعته والافتداء به والاهتداء بهدية ، وتحكيم سنته وتصديق خبره ، وتعظيم أمره ونهيه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

السادس : الذب عن النبي ﷺ الدفاع عن الرسول ﷺ ونصرته وحمايته من أعظم البراهين والدلائل على محبته وإجلاله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٨] ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُعْزِرُوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٩] [الفتح: ٨-٩] .

وقد ضرب أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثلة في الزاد عن الرسول ﷺ وفداءه بالأنفس والأموال والأولاد ، وفي العسر واليسر ، وفي المنشط والمكروه ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [٨] وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ
 أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾
 ﴿الحشر: ٨-٩﴾ .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا ، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً » . متفق عليه (١) .

ومن الزاد عنه ﷺ الزاد عن سنته ويكون بحفظها وتنقيحها وإخراج ما ليس منها، وحمايتها من تأويل الجاهلين وتحريف المغالين، وانتحال المبطلين ، ورد شبهات الملا حدة والزنادقة الطاعنين في سنته، وبيان أكاذيبهم وأبطالهم ودسائسهم ، والرد على شبهات المستهزئين بما جاء في سننه من قولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد ، كما يستهزئوا مثلاً باللحية أو الحجاب أو السواك أو رفع الإزار أو الميراث ، والاستهزاء بالسنة الصحيحة كفر يخرج من الملة كمال قال سبحانه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٩٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٠٩).

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٨ - خزائن السيرة النبوية

القسم الثاني :

ويشتمل على ما يلي :

- | | |
|---------------------|----------------------|
| ١ - الخزانة الأولى | ٦ - الخزانة السادسة |
| ٢ - الخزانة الثانية | ٧ - الخزانة السابعة |
| ٣ - الخزانة الثالثة | ٨ - الخزانة الثامنة |
| ٤ - الخزانة الرابعة | ٩ - الخزانة التاسعة |
| ٥ - الخزانة الخامسة | ١٠ - الخزانة العاشرة |

٢٨ - خزائن السيرة النبوية

القسم الثاني

١ - الخزانة الأولى

• دلائل محبه النبي ﷺ وتعظيمه :

لمحبه النبي ﷺ وتعظيمه دلائل وأمارات وعلامات ومن ذلك :

• الذب عن سنه النبي ﷺ :

ومن الذب عنه ﷺ الذب عن سنته ويكون بحفظها وتنقيحها وإخراج ما ليس منها وحمائتها من تأويل الجاهلين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين ، ورد شبهات الملاحدة والزنادقة الطاعنين في سنته ، والتهاون في الذب عن الرسول ﷺ وعن شريعته من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان المسلم أو زواله ، فمن ادعي حب النبي ﷺ ولم تظهر عليه الغيرة على حرمة وعرضه وسنته فهو كاذب في دعواه ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

واحذر أن يكون خصمك يوم القيامة رسول الله ﷺ فيقول لك : بلغتك سنتي فلماذا لم تعمل بها ؟ ولماذا لم تنشرها ؟ ولماذا لم تدافع عنها ؟ .

والرب العظيم سوف يسأل كل رسول وكل من أرسل إليه : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَايِنَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

[الأعراف: ٦-٩] .

فالمحامي عن السنة الذاب عن حماها كالمجاهد في سبيل الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقد كان جبريل عليه السلام وحسان بن ثابت يؤيده فيما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشعاره ، فكذلك من ذب عن سنته ودينه من بعده .

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِحِسَّانَ : « اهْجُهِمْ - أَوْ هَا جِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ » . متفق عليه^(١) .

ومن تمام محبه النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه الحرص على إبلاغ ما جاء به من ربه كما قال سبحانه : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا أُولَئِذِ الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

والحرص على نشر سنن النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وإبلاغها للناس كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » . أخرجه البخاري^(٢) . وقوله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ » . متفق عليه^(٣) .

وحرص المسلم على نشر السنة وإبلاغها وتعليمها باب عظيم من أبواب محبه النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، وباب كبير من أبواب كسب الأجر والثواب ورضوان الله عز وجل ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاَهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا ، فَرَبٌّ حَامِلٌ فِقْهِي إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » . أخرجه داود والترمذي بسند صحيح^(٤) .

فإبلاغ السنة وتعليمها ونشرها والعمل بها هي روح رسالة النبي صلى الله عليه وسلم والبرهان القاطع على محبته وتعظيمه وتعظيم سنته ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢١٣)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (٢٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٠٤)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (١٣٥٤).

(٤) صحيح / صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٣٦٦٠)، والترمذي برقم (٢٦٥٦).

إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾
 [يوسف: ١٠٨].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». متفق عليه (١).

ومن مقتضيات ذلك الحرص على إمامته الضلالات والبدع المخالفة لهدي النبي ﷺ وأمره فالابتداع في دينه من خوارم محبته وتعظيمه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾
 [النور: ٦٣].

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ». متفق عليه (٢).

ومحبه النبي ﷺ وتعظيمه تقتضي التسليم بالحبيب ﷺ والانقياد لأمره وتبوع آثاره، والوقوف عند أمره ونهيه، وعدم النقص أو الزيادة في دينه ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ [النساء: ١١٥]. تلك بعض أمارات حب النبي ﷺ وتعظيمه نسأل الله أن يرزقنا وإياكم العمل بموجبها ما بقينا.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٩)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (٢٢٨٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (١٧١٨).

السابع : ولا شك أن الذب عن النبي ﷺ يقتضي الزاد عن أصحابه رضي الله عنهم

فهم ثقات عدول ، وهم خير القرون وهم أفضل الأمة بعد نبينا ﷺ وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه كمال قال سبحانه : ﴿ وَالسَّيِّقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨] .
وقال الله عز وجل : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرزِعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩] .

وعن عمران بن حصيب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يحيي قوم : تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » . متفق عليه (١) .

وعن أبي سعيد الخضري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ، ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ، ولا نصيفه » . متفق عليه (٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥١) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٣٥) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣) ، ومسلم برقم (٢٥٤١) واللفظ له .

• لذلك فحقوق الصحابة علينا كبيرة جد ومنها :

الأول : محبتهم والتراضي عنهم والاستغفار لهم وحسن الشناء عليهم: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] .

الثاني : الاقتداء بسنتهم والاهتداء بهديهم

عَنْ الْعَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « .. فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ » أخرجه أبو داود والترمذي (١).

والقدح في الصحابة وسبهم قدح في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم خاصته وأصحابه وبطانته الذين آمنوا به ونصروه وأطاعوه وجاهدوا معه ، ونقلوا للأمة سنته وشريعته رضي الله عنهم أجمعين .

وأعظم من طعن في الصحابة وسبهم وباطن الأمر الطعن في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقول قائل رجل سوء كان له أصحاب سوء ، ولو كان رجل صالحا لكن أصحابه صالحين: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ بِتِجَارَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

فما أعظم جرمهم وما أقبح افتراءهم ، وما أسوء كذبهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِمًّا لَمْ يَكُونُوا فَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ ۗ وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠] .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧) وهذا لفظه، والترمذي برقم (٢٦٧٦).

ثامناً : ومن الذب عن النبي ﷺ الذب عن عرضه وعرض أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهم خاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أحبوا النساء إليه وأحفظهن لسنته وأكثرهن رواية لحديثه ، والتي برأها الله عز وجل من فوق سبع سموات بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١] .

ومن سب عائشة رضي الله عنها بعد هذه البراءة ، قتل لأنه كافر مخالف لنصوص القرآن ، وجميع أمهات المؤمنين مؤمنات طيبات نقيات نقيات ، ولهذا سماهن الله أمهات المؤمنين بقوله : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] .

والوقية في زوجات النبي ﷺ واتهامهن بالباطل من أعظم الإيذاء للنبي ﷺ والقدح في دينه وعرضه وأهله ، وذلك كفر من فاعله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧] . وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

• دلائل عظمة قدر الرسول ﷺ :

النبي ﷺ أعظم الناس قدراً ، وأحسنهم ديناً وأكملهم توحيداً ، وأقواهم إيماناً ، وأفضلهم حديث وأكثرهم علماً وأقومهم نفساً ، وأعلاهم شئناً ، وأعزهم مكانة ، وأشرفهم نسباً ، وأحسنهم خلقاً .

ودلائل عظمة قدر الرسول ﷺ كثيرة جدًا وهذه أهمها :

الأول : أن الله عز وجل اصطفاه واختاره ليقوم بأعباء الرسالة العالمية من بين سائر الناس : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [٢٨] ﴿ [الفتح: ٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [١٠٧] ﴿ [الأنبياء: ١٠٧] .

الثاني : أن الله سبحانه جمع لمحمد ﷺ بين النبوة والرسالة كما قال سبحانه : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [١٥٨] ﴿ [الأعراف: ١٥٨] .

الثالث : أنه ﷺ من أولي العزم من الرسل ، فهو أفضلهم وسيدهم وأولي العزم من الرسل خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد ذكرهم الله في قوله سبحانه : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [١٣] ﴿ [الشورى: ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا لَوْلَا الْعَزْمُ مِنَ الرَّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] .

الرابع : أن الله عز وجل خصه من بين الأنبياء بآيات معجزات تدل على صدق نبوته ، ويؤمن بسببها الناس وأعظمها القرآن الكريم : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَابِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [٨٧] ﴿ [الحجر: ٨٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [١٠] ﴿ [الأنبياء: ١٠] .

ومعلوم أن آيات الأنبياء انتهت بموتهم أما القرآن العظيم فأية خالدة باقية إلى قيام الساعة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٩] ﴿ [الحجر: ٩] .

الخامس : أن الله عز وجل أنزل عليه أحسن كتبه وهو القرآن العظيم ﴿اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] .

وأحوى إليه بالسنة التي هي أفضل الشرائع وأحسنها وأكملها وأيسرها كما قال سبحانه : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ١-٥] .

السادس : أن الله عز وجل أتم به بنيان الأنبياء ولهذا سمي بخاتم الأنبياء، كما قال سبحانه : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « إِنْ مَثَلِي وَمَثَلِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلَا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ ؟ قَالَ : فَأَنَا اللَّبْنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ » . متفق عليه (١) .

السابع : أن الله عز وجل فضل النبي ﷺ على جميع الخلق ، فهو سيد الأولين والآخرين وسيد الأنبياء والمرسلين ، وسيد الناس أجمعين .
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه (٢) .

الثامن : أن الرسول ﷺ أعلم الخلق بربه ، وأخشاهم له وأتقاهم له وأحمدهم له كما قال ﷺ : « أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمُ لَهُ » متفق عليه (٣) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٣٥)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (٢٢٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧١٢)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (١٩٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٤٠١).

التاسع : أن الله عز وجل أتخذه خليلاً، والخلة أعلى درجات المحبة .
 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا
 لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا» متفق عليه (١).

عاشراً : ومن دلائل عظمة قدره ﷺ أن الله جمع فيه ما تفرق به غيره من
 الأنبياء ، وهو الخلة والكلام والنبوة والرسالة وأفضل الأخلاق والشمائل
 وغيرها : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
 حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].
 وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

الحادية عشرة : أن الله عز وجل خصه بالإسراء إلى بيت المقدس والمعراج
 إلى ما فوق السماء السابعة ، وتكليمه بالوحي كما قال سبحانه : ﴿ سُبْحَانَ
 الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا
 حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].
 وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ [١٤] عِنْدَهَا جَنَّةُ
 الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ [النجم: ١٣-١٥]

الثانية عشرة : أن الله عز وجل جعل محمد ﷺ قدوة وأسوة لجميع الناس
 في أقواله وأفعاله وأخلاقه وجميع أحواله، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ
 لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا
 ﴾ [٢١] [الأحزاب: ٢١].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٤)، ومسلم برقم (٢٣٨٢) واللفظ له.

الثالثة عشرة : أن الله عز وجل أكرمه بشق صدره ، واستخراج حظ الشيطان منه ، وغسل قلبه وملئه إيماناً وحكمه .

وقد حصل شق صدر النبي ﷺ مرتين :

الأولى : وهو غلام صغير في بادية بني سعد .

والثانية : قبيل الإسراء والعروج به إلى السماء .

الرابعة عشرة : أن الله ﷻ أرسله للناس كافة الإنس والجن، بينما أرسل غيره من الأنبياء إلى أقوامهم خاصة، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِّنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ » متفق عليه (١) .

الخامسة عشرة : أن الله ﷻ جعله رحمة للعالمين في العالم العلوي ، وفي العالم السفلي ، وفي الدنيا ، وفي الآخرة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء / ١٠٧] .

للْعَالَمِينَ ﴿ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء / ١٠٧] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٣٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (٥٢١) .

٢ - الخزانة الثانية

ومن دلائل عظمة قدر الرسول ﷺ:

السادسة عشرة: أن الله تعالى وهب نبيه ﷺ أحسن الأخلاق ، وأثنى على عظيم خلقه فقال له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

فكان خلقه القرآن، يتمثل أوامره، ويتجنب نواهيه، ويصدق أخباره ، ويتأدب بآدابه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه ، ويبلغ أحكامه ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٩].

وقد أجمل ﷺ بعثته كلها في مكارم الأخلاق بقوله : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ » أخرجه أحمد^(١).

ومكارم الأخلاق قسمان :

الأول : حسن الخلق مع الخالق بتوحيده والإيمان به وعبادته وحده لا شريك له .

والثاني : حسن الخلق مع المخلوق بالإحسان إليه وكفى الأذى عنه .

وكان ﷺ أعظم الناس أخلاقاً في هذا وهذا : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن. أخرجه مسلم^(٢).

وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ " أخرجه أحمد ، وأبو يعلى^(٣) .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٨٩٥٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦).

(٣) صحيح / أخرجه أحمد برقم: (٢٥٨١٣) واللفظ له، وأبو يعلى برقم: (٤٨٦٢).

وإذا كان خلقه القرآن ، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩] .

فسبحان ما جملة بالأخلاق ظاهراً وباطناً ، وأرسله لتجميل الناس بالإيمان والتقوى ومكارم الأخلاق ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

فالدين كله حسن الخلق ، مما يجعل الأخلاق العظيمة هي البعثة، كما قال سبحانه : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

وقد جمع الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الدين كله بأقسامه الثلاثة :

١- الإيمان بالله وملائكته إلى آخره .

٢- والإسلام من صلاة وزكاة إلى آخره .

٣- والإحسان من وفاء وصدق وصبر وتقوى لله عز وجل .

فمن أكمل هذه الأخلاق في الدنيا كان أقرب الناس منزلة من النبي ﷺ يوم القيامة ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » فَسَكَتَ

الْقَوْمُ ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَقَالَ الْقَوْمُ : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا » . أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد بسند صحيح (١) .

السابعة عشرة : أن الله عز وجل أكرم رسوله ﷺ بكرامات وشرح صدره ووضع عن وزره ورفع ذكره رفعاً عظيم كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ أَلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح: ١-٤] .

فجعل الله سبحانه أسم نبيه ﷺ جزء من شهادة التوحيد ، فلا يذكر الله تعالى إلا وذكر معه النبي ﷺ في الأذان والإقامة وفي الصلاة وفي التحيات وفي التشهد وفي الخطب وكثير من الأدعية والأذكار . فذكر النبي ﷺ يدوي في كل مكان في العالم العلوي والعالم السفلي ، والله وملائكته والمؤمنون يصلون ويسلمون عليه في كل آن ، ومنارات المساجد تهتف بذكره في كل يوم وليلة خمس مرات في كل وقت وفي كل بلد .

فليس بشر في الدنيا يذكر ويثنى عليه كما يذكر النبي ﷺ ويثنى عليه . الثامنة عشرة : أن الله عز وجل أمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ، وأخبر سبحانه أنه يصلى عليه وملائكته فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] . والصلاة والسلام عليه مشروعة في كل حال ، ومشروعة في أحوال خاصة كالتشهد في الصلاة وفي صلاة الجنازة وفي الخطبة ، وبعد الأذان وعند الدعاء وغيرها من المواطن والمناسبات ، ولعظمة قدره ﷺ رتب الأجر

(١) صحيح / أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٥) . وأخرجه أحمد برقم (٦٧٣٥) ..

العظيم على من صلى عليه ، وأخبر ﷺ أن من صلى عليه واحد صلى الله عليه بها عشرة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا » . أخرجه مسلم^(١) .

فالله عز وجل يصلى عليه وأمر الملائكة بالصلاة والسلام عليه ، وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه لعظمة مكانته ومنزلته وقدره ، لهذا اجتمع أهل عالم العلوي والعالم السفلي على الصلاة والسلام عليه ، فصلوات الله وسلامه عليه .

التاسعة عشرة : أن الله عز وجل ميزة بشرف النسب وكريم الحسب ، وصفاء النشأة فهو خير الناس بيتاً وخيرهم نفساً ، عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » . أخرجه مسلم^(٢) .

العشرون : من دلائل عظمة قدرة ﷺ وخصه الله به من خصائص ذاته وخصائص شرعيه :

الخصائص الذاتية : التي تتعلق بدنه ومنها أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه ، وما جعل الله فيما أنفصل من جسده من بركة كعرقه وريقه وشعره وماء وضوئه وهذا خاص به .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٠٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٧٦).

ومن ذلك أن الله خص أمته ﷺ بكرامات وخصائص ليست لغيرها ومن ذلك :

أما خصائصه الشرعية : فمتعددة ومنها لا يورث ومن تركه صدقه ، ومنها أن الصدقة محرمة وعلى آل بيته ، ومنها أن الله أباح له النكاح من أكثر من أربع نسوة ، ومنها جواز الوصال في الصوم في حقه وأنه لا يجب عليه القسم في الليالي بين نساءه ، ومع ذلك يقسم لكمال خلقه ﷺ : ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّئِ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا تَحْزَنْ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥١] .

الحادي والعشرون : من دلائل عظمة قدرة ﷺ ما أختص الله به أمته من خصائص وكرامات أهمها أن الله جعل أمته خير الأمم كما قال سبحانه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

ثانياً : أن الله اجتباها من بين الأمم ، كما أصطفى الأنبياء واجتباهم من بين الناس : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] .
الثالثة : أن الله عز وجل جعل أمته أمة وسطا ، وجعلهم شهداء على الناس : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وعن بن سعيد الخضري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِنُوحٍ : هَلْ بَلَغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ : هَلْ بَلَغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ ، قَالَ : مَنْ يَشْهَدُ

لَكَ ، قَالَ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، قَالَ : فَانجِيْءُ فَشَهِدْ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . « . والوسط العدل أخرجه البخاري (١) .

فهذه الأمة أمة وسط وعدل ، وصفهم الله بالوسط لتوسطهم في الدين ، فلهم أهل غلوا في الدين غلوا النصراني ، الذين غلوا في الترهيب وغلوا في نبينهم عيسي ، فقالوا إنه الله أو ابن الله ، ولا هم أهل تقصير في الدين كتقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وحرفوا وقتلوا أنبياءهم ، وكذبوا على ربهم وكفروا به ، وقالوا على الله غير الحق : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُمِبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَّا بِمَا قَالُوا بِالْيَدِ الْمَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤] .

الرابع : أن الله عز وجل جعل أُمَّتَهُ ﷺ لها خير ما في الدنيا السابقون يوم القيامة في الحساب ودخول الجنة ، فهم الآخرون زماناً الأولون منزلة ، فهم أول من يحشروا وأول من يحاسب وأول من يدخل الجنة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نَحْنُ الْأَخْرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، بِيَدِ أَنْتَهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَاخْتَلَفُوا ، فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، هَدَانَا اللَّهُ لَهُ - قَالَ : يَوْمَ الْجُمُعَةِ - فَالْيَوْمَ لَنَا ، وَغَدًا لِلْيَهُودِ ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى » . متفق عليه (٢) .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٣٣٩) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦) ، ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له ..

الخامسة : أن أمته ﷺ أول من يجوز من الأمم على الصلاة يوم القيامة .
 عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث الرؤية: « وَيُضْرَبُ
 الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُحْيَى » متفق عليه (١) .
 السادسة : أن الله هدى أمته ﷺ إلى يوم الجمعة سيد الأيام ، فأتمه ﷺ
 يجتمعون للعبادة يوم الجمعة ، واليهود يوم السبت ، والنصارى يوم
 الأحد .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نَحْنُ الْأَخِرُونَ
 الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، بِيَدِ أَنْتَهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ
 مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَاخْتَلَفُوا ، فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ
 الْحَقِّ ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، هَدَانَا اللَّهُ لَهُ - قَالَ : يَوْمَ الْجُمُعَةِ -
 فَالْيَوْمَ لَنَا ، وَغَدًا لِلْيَهُودِ ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى » . متفق عليه (٢) .

وخلق الله آدم يوم الجمعة ، والإنسان إنما خلق للعبادة فناسب أن يشتغل
 أكثر في العبادة فيه ، لأن الله أكمل فيه خلق الموجودات وخلق فيه الإنسان
 التي ينتفع بها فناسب أن يشكر ربه على ذلك بالعبادة فيه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ
 خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة: ٩] .

سابعاً : أنه أمته ﷺ لا تجتمع على ضلاله : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
 وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦)، ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.

وَعَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِي اللَّهِ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي،
أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١).

ثَامِنًا: أَنَّ أُمَّتَهُ ﷺ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مَحْجَلِينَ مِنْ أَثَارِ الْوُضُوءِ.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا
مَحْجَلِينَ مِنْ أَثَارِ الْوُضُوءِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٢).

التاسع: أَنَّهُ أُمَّتُهُ ﷺ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ أَكْثَرُ.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ
أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا نَعَمْ قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ
الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا نَعَمْ.
قَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا
نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ
الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٣).

العاشرة: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا
عَذَابٍ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ،
فَأَجِدُ النَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الْأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفْرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشْرَةُ،
وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَانظُرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا
جَبْرَيْلُ، هَؤُلَاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْأَفُقِ، فَانظُرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ
كَثِيرٌ. قَالَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدَّمَاهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢١).

عَذَابَ. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ،
وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». متفق عليه^(١).

الحادي عشرة: مضاعفة أجور هذه الأمة، فالحسنة بعشر أمثالها إلى
سبعمائة ضعف إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة كما قال سبحانه:
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾ [١٦٠: الأنعام].

وقال الله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
﴾ [٣٦١: البقرة: ٢٦١].

وقال الله عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا
كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢٤٥: البقرة: ٢٤٥].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [١٠: الزمر: ١٠].
وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ
الْكِتَابِينَ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى
نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ
النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ
لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطِينَ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا، وَأَقَلَّ عَطَاءً، قَالَ: هَلْ نَقَصْتُمْ
مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ» أخرجه البخاري^(٢).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٢٦٨).

وعن أبي ذر رضي الله عنه في قصة الإسراء والمعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَفَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَارْجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَارْجَعْتُ إِلَى مُوسَى قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا. فَقَالَ: رَاجِعْ رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ فَارْجَعْتُ. فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَارْجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. فَارْجَعْتُهُ فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ» متفق عليه (١).

فهذه الأمة أمة مكرمة ذنوبها مغفورة ، وعيوبها مستورة ، وأعمالها مضاعفة ، وأعمارها قصيرة ، لأن الله عز وجل شرفها كالأنبياء بالدعوة إلى الله والعبادة كما قال سبحانه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

الثانية عشرة : أن أمته صلى الله عليه وسلم لا يعمها الهلاك العام ، كالأمم السابقة بغرق أو خسف أو جذب ، فهي باقية إلى يوم القيامة ، كما هلك الله تعالى الذين كذبوا رسله من قال كما قال سبحانه : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا ، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ ، وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً ، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦٣).

فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ
بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِهَا» أخرجه مسلم (١).

الثالثة عشرة : ومن خصائص أمة محمد ﷺ بقاء طائفة منها على الحق
ظاهرين إلى يوم القيامة ، جعلنا الله وإياكم وجميع المسلمين منهم .
عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي
قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ
ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ » متفق عليه (٢).

الرابعة عشرة : أن الله عز وجل أكرم هذه الأمة بحسن الشريعة وكمالها ،
فقد حوت جميع محاسن الشرائع الإلهية المتقدمة ، ورفع عنها ما لا يلائمها
كرفع الحرج ، والعفو عند الخطأ ، والنسيان والإكراه ورفع الآثار والأغلال
وحديث النفس كما قال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ
إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ أَجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾
[الحج: ٧٨] .

الخامسة عشرة : أن الله هيا لأمة محمد ﷺ من يجدد لها دينها على رأس
كل مائة سنة ، ليحفظ لها دينها على مر القرون إلى يوم القيامة .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١) ، ومسلم برقم (١٠٣٧) واللفظ له .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» أخرجه أبو داود (١).

السادسة عشرة: أن الله عز وجل اختص أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالشرعية السمحة ، ويسر في التشريع وحل لها بعض ما حرم على الأمم من قبلها .
عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأَحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه (٢).

وغير ذلك من الخصائص والكرامات التي خص الله بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهذه ستة عشر كرامة خص الله بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٢٩١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٥٢١).

٣- الخزانة الثالثة

ومن دلائل عظمة قدر النبي ﷺ:

الثاني والعشرون : من دلائل عظمة قدره ﷺ أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأنه أول من يُفبق .

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَضَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى » متفق عليه (١).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَضَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفبقُ » متفق عليه (٢).

الثالث والعشرون : أن الله سبحانه وتعالى خصه من بين الرُّسل بالشفاعة العظمي لبدل الحساب يوم القيامة تشریفًا لمقامه وإظهارًا لمكانته إذ جعله ربه شفيعًا لجميع الخلائق لبدل الحساب العباد كلهم مؤمنهم وكافرهم حين يطول منهم الموقف يوم القيامة ويعتذر جميع الأنبياء عن الشفاعة من نوح عيسى عليهم الصلاة والسلام فيذهبون إلى محمد ﷺ فيقول : « أَنَا لَهَا ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي ، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ ، وَسَلْ تُعْطَى ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ » متفق عليه (٣).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤١٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٧٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩١٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٧٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٩٢).

فالنبي ﷺ أعظم الخلق جاهًا وقدرًا عند الله ، لما قام به من جهد البلاغ والرسالة ، والصبر على أداء الأمانة ولهذا فهو أول شافع وأول مشفع .
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد الناسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه (١).

ومن دلائل عظمة قدره عند الله أن الله خصه يوم القيامة بثلاث شفاعات غير العظمي المتقدمة في أهل الموقف وهي :

الأولي : شفاعته ﷺ لعصاة المؤمنين من أهل الكبائر من أمته ممن استحق النار أن يدخلها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا ، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ» متفق عليه (٢).

الثانية : شفاعته ﷺ للمؤمنين في دخول الجنة فإذا شفع فُتحت لهم أبواب الجنة فدخلوها .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَمْتِحُ ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» أخرجه مسلم (٣).

فالشفاعة الأولى لزوال الكرب والغم ليرتاح الناس من كروبات الحشر والانتظار الطويل ، والشفاعة الثانية لعصاة المؤمنين ليُريحهم من الهم والغم ، والثالثة في دخول الجنة لينال المؤمنون الفرح ، والفرج والسرور بدخول الجنة ﷺ.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢) ، ومسلم برقم (١٩٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٩٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

الثالثة : شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبو طالب ليخفف عنه العذاب جزاء إحسانه إليه ، ودفاعه عنه .

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ ، وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ : «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» متفق عليه (١).

فهذه الشفاعات خاصة به صلى الله عليه وسلم وهناك شفاعاة خامسة ولكنها مُشتركة بينه وبين المؤمنين والملائكة ، وهي الشفاعاة في المؤمنين الذين استحقوا النار أن يخرجوا منها .

الرابعة والعشرون : أن الله عز وجل قرن حقه بحق الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة مواطن :

في الإيمان .. وفي طاعته .. وفي محبته .

فالإيمان به في قوله سبحانه : ﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٨) [التغابن: ٨] .

وطاعته في قوله سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٣٢) [آل عمران: ١٣٢] .

وفي المحبة قوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٤) [التوبة: ٢٤] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٠٩).

الخامسة والعشرون : من دلائل عظمة قدر الرسول ﷺ قبيل بعثته ﷺ ،
 حُرثت من استراق الشياطين للسمع لئلا يختلط الواحد بكذب الشياطين ،
 وهذا حدثاً عظيماً فقد كان الشياطين يسترقون السمع ثم يلقونه للكُهَّان ثم
 يلقينه الكُهَّان علي الناس بعدما يزيدون فيها كذباتٍ ، كما قال سبحانه عن
 الجن : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۗ ﴾ (٨) وَأَنَا كُنَّا
 نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقْعَدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَحِدُّ لَهُ، شَهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ [الجن: ٨-٩] .
 وعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ
 تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ
 الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ ، فَتَسْمَعُهُ فَتُوجِّهِهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ
 عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » متفق عليه (١) .

السادسة والعشرون : من دلائل عظمة قدر النبي ﷺ تسليم بعض الجمادات
 عليه كالحجر الذي كان يُسلم عليه في مكة قبل البعثة
 عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا كَانَ
 يَسْلُمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ » أخرجه مسلم (٢) .
 السابعة والعشرون : توقيف بعض الحيوانات له ﷺ في قصة الجمل الذي خر
 ساجداً بين يديه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ أَهْلُ بَيْتِ مِنَ الْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونَ
 عَلَيْهِ ، وَإِنَّ الْجَمَلَ اسْتُضِعِبَ عَلَيْهِمْ فَمَنْعَهُمْ ظَهْرَهُ ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ جَاؤَا إِلَى
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نُسْنِي عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ اسْتُضِعِبَ عَلَيْنَا ،
 وَمَنْعَنَا ظَهْرَهُ ، وَقَدْ عَطَشَ الزَّرْعُ وَالتَّخْلُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : «

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢٢٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٧) .

قَوْمُوا» ، فَقَامُوا فَدَخَلَ الْحَائِطَ وَالْجَمَلَ فِي نَاحِيَتِهِ ، فَمَشَى النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَهُ . فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلْبِ ، وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ ، فَقَالَ : « لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ » فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ ، حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، هَذِهِ بِهَيْمَةَ لَا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ ، وَنَحْنُ نَعْقِلُ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ ! فَقَالَ : « لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرَوْحِهَا مِنْ عِظْمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا » أخرجَه أحمد (١) .

الثامنة والعشرون : محبة بعض الجمادات له كجبل أحد .

عن أبي حميد رضي الله عنه قال : أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ ، قَالَ : « هَذِهِ طَابَةٌ ، وَهَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » متفق عليه (٢) .

التاسعة والعشرون : طاعة بعض الجمادات له رضي الله عنه فحين صعد النبي صلى الله عليه وسلم

علي جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم الجبل ، فضربه صلى الله عليه وسلم برجله ، وقال : « اثْبُتْ أُحُدٌ ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » أخرجَه البخاري (٣) .

الثلاثون : تعظيم بعض الكفار له صلى الله عليه وسلم وإن لم يتبعوه وهذا مُشاهد معلوم في الماضي والحاضر أما في الحاضر المعاصر فكم كتب الكفار المعاصرون في عُظَمَاءِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَجَعَلُوا نَبِيْنَا مُحَمَّدًا ﷺ أَوْلَ الْعُظَمَاءِ ، أَمَا فِي الْمَاضِي فَكَمَا رَوَى أَنَّ هِرْقْلَ عَظِيمَ الرُّومِ تَأَثَّرَ مِنْ كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَوْشَكَ أَنْ يُسْلِمَ

(١) حسن / أخرجَه أحمد برقم (١٢٦١٤) .

(٢) متفق عليه ، أخرجَه البخاري برقم (٤٤٢٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٣٩١) .

(٣) أخرجَه البخاري برقم (٣٦٨٦) .

ووضع كتابه له في قصبة من ذهب تعظيماً له وأنه لا يزال حُكَّام الروم يتوارثونه كابراً عن كابر ودامت دولته الروم أكثر من دولة الفُرس .

الحادية والثلاثون : أنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ» أخرجه مسلم (١) .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ» أخرجه مسلم (٢) .

الثانية والثلاثون : إنه ﷺ كان إمام الأنبياء في الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج بيت المقدس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي الْحَجْرِ وَأَنَا أُخْبِرُ قُرَيْشًا عَنْ مَسْرَائِي قَالَ : فَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا ، قَالَ : فَكُرِبْتُ كَرَبًا مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، قَالَ : فَرَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، مَا سَأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ ، قَالَ : وَرَأَيْتَنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرَبَ جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ، وَإِذَا عِيسَى قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، قَالَ : وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ ، قَالَ : فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قِيلَ لِي : يَا مُحَمَّدُ ، هَذَا مَالِكُ صَاحِبِ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ» أخرجه مسلم (٣) .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٦) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٦) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧٢) .

الثالثة والثلاثون : أنه ﷺ أكثر الأنبياء جهداً وصبراً وأعظم الناس أجراً وثواباً يوم القيامة قال الله سبحانه وتعالى ﴿ لَنِكَرُ الْمُرْسَلِينَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكُمْ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ ﴾ [التوبة: ٨٨].

عَنْ أَبِي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» أخرجه مسلم (١).

الرابعة والثلاثون : أن قرنه ﷺ خير قرون بني آدم كما أنه خير قرون أمتِهِ .
عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنَا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ» أخرجه البخاري (٢).
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ : «الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ ، ثُمَّ الثَّانِي ، ثُمَّ الثَّلَاثُ» أخرجه مسلم (٣).

الخامسة والثلاثون : أن الله عز وجل أخبر النبي ﷺ بأنه عُفِرَ لَهُ ما تقدم من ذنبٍ وما تأخر وهو حيٌّ يمشي علي الأرض، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۗ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتَبَّعَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَضْرِبُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝٣ ﴾ [الفتح: ١-٣].

ولم يُنقل أن الله عز وجل لم يخبر أحدًا من الأنبياء بمثل ذلك والظاهر أنه سبحانه لم يخبرهم لأنهم في مقام الشفاعة في الموقف ذكر كل واحدٍ منهم خطيئته التي أصابها ، ثم اعتذر عن الشفاعة ولو علم بغفران خطيئته لم يوجل منها وشفع .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٩٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣٦).

السادسة والثلاثون : أن الله سبحانه أقسم بحياته إظهارًا لعظيم قدره

ومكانته : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢]

والإقسام بحياته يدل علي شرف حياته وعزتها ، وقدرها عند المُقسم بها ،

وأن حياته ﷺ جديرة أن يُقسمُ اللهُ بها ، لما فيها من البركات العظيمة ،

والمنافع الجمة ، والجُهد العظيم ، والصبر الجميل الذي بذله ﷺ في إعلاء

كلمة الله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٤ - الخزانة الرابعة

ومن دلائل عظمة قدر النبي ﷺ:

السابعة والثلاثون : أن عز وجل وقر النبي ﷺ في ندائه فلم يُخاطبه باسمه ،
محمد مجرداً بل ناده بوصف الرسالة والنبوة بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
﴾ [المائدة: ٤١] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٤٥﴾
[الأحزاب: ٤٥] .

في حين نادي جميع الأنبياء بأسمائهم كما قال سبحانه : ﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ
يَتَّابِرْهِيمُ ﴾ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ [الصفات: ١٠٤-
١٠٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَمْوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا
ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَبْحَثِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَّءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ﴿١٢﴾
[مريم: ١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١١٠] .

وهذا خاص بالنبى دون غيره من الأنبياء ولما أخبر عنه : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا
أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

قال بعدها : ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ ﴿٤٠﴾
[الأحزاب: ٤٠] .

أما الأنبياء من قبله فقد نادهم بأسمائهم كما مر معنا .

الثامنة والثلاثون : أنه ﷺ أول من يُجيزُ عن الصراط وأول من يقرع باب الجنة وهو خاصٌ به دون غيره.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث الرؤية: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». متفق عليه^(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ» أخرجه مسلم^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمْرٌ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» أخرجه مسلم^(٣).

التاسع والثلاثون : من دلائل عظمة قدره كثرة أسمائه ﷺ وتنوعها وكُلها أسماء مدح وكمالٍ وصفاتٍ قائمة به مثل : محمد ، أحمد وغيرها .
وأسماء النبي ﷺ نوعان :

الأول : خاصًا به لا يشاركوه في معناه غيره من الرسل ك محمد ، وأحمد ، والعاقب ، والحاشر والمقفي ، ونبي الملحمة محمد رسول الله ﷺ : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦] .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « لِي خَمْسَةٌ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ». متفق عليه^(١).

الثاني : يشاركه في معناها غيره من الرُّسُل لكن له منها الكمال فهو مُخْتَصَّاً بكماله دون أصله ، كرسول الله ونبي الله وعبد الله والشاهد والمبشر والناذير ونبي الرحمة ونبي التوبة والمتوكل والأمين والقاسم وغيرها ، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] .

وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ [الأحزاب: ١] .

وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ [المائدة: ٦٧] .

وأما إن اشتققنا له ﷺ من كل وصفٍ من أوصافه اسماً فإن أسمائه ﷺ تتجاوز المائتين كالرؤوف الرحيم ، والصادق المصدق ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨] .

فهو ﷺ حمد كثير الخصال التي يُحمد عليها الذي يحمد أكثر من غيره الذي يحمده أهل السماء وأهل الأرض وهو ﷺ أحمد فهو أحمد الخلق لربه وأكثر من حمد غيره لربه وهو أحق الناس وأولاهم بأن يُحمد لكثرة خصال الخير فيه وهو ﷺ المتوكل الذي توكل على الله في إقامة الدين ، وفي كل أموره توكلًا لم يُشاركه فيه غيره .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٥٤).

وهو ﷺ الحاشر الذي يحشر الناس علي قدمه فكأنه بُعث ليحشر الناس ، وهو ﷺ العاقب الذي جاء بعد الأنبياء كلهم فليس بعده نبي ، وهو ﷺ الماحي الذي يمحو به الله الكُفْرَ والشرك وهو ﷺ المقفى الذي قفى على آثار من تقدمه من الأنبياء وهو خاتمهم وآخرهم وهو الأمين فهو أمين الله علي وحيه ودينه وهو أمين من في السماء وأمين من في الأرض ، وهو ﷺ الضحوك القتال وهما اسمان مزدوجان لا يُفرد أحدهما عن الآخر فهو ضحوك في وجوه المؤمنين وقتال لأعداء الله المكابرين والمستكبرين لا تأخذه فيهم لومة لائم .

وهو ﷺ الفاتح الذي فتح الله به أبواب الهُدي وفتح به أمصار الكُفار ، وفتح به أبواب الجنة وفتح به العلم النافع والعمل الصالح ، وفتح به القلوب والأسماع والأبصار والأمصار .

وهو ﷺ نبي التوبة ، الذي فتح الله به أبواب التوبة علي أهل الأرض ، وكان ﷺ أكثر الناس توبةً واستغفارًا وأكملهم .

عن الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَي قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم ^(١).

وتوبة أُمَّتِهِ ﷺ أكمل من توبة سائر الأمم وأيسرها وكانت توبة من قبلهم من أصعب الأشياء حتى كانت توبة بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم ولكرامة توبة هذه الأمة جعل الله عز وجل توبتها الندم ، والإقلاع عن المعصية ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

وهو ﷺ الذي أرسله الله رحمةً للعالمين ، رحم الله به أهل الأرض جميعاً مؤمنهم وكافرهم ، فالمؤمنون نالوا النصيب الأكمل والأوفر من الرحمة في الدنيا والآخرة ، أما الكفار فمن دفع الجزية عاش في ظله وعدله وشرعه ومن قُتل من الكفار فإنه تعجل للنار واستراح من الحياة الطويلة التي لا تزيد إلا شدة العذاب في الآخرة .

وهو ﷺ نبي الملحمة الذب بعثه الله لجاهد أعدائه من الكفار الذين أذوه وحاربوه وأصروا علي كفرهم ، فجاهدهم بنفسه وماله ولسانه ويده: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣] .

ولم يجاهد نبي وأُمَّته مثل جاهد النبي ﷺ فهو ﷺ البشير الذي بشر من أطاعه بالجنة ، النذير الذي أُنذر من عصاه بالنار: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] .

وهو ﷺ عبدُ الله وقد شرف الله بهذا الاسم في أعظم المقامات كما قال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] .

هذا في مقام التنزيل .

وفي قال الإسراء سبحانه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] .

وقد وصف الله رسوله بالعبودية في تسعة مواضع من القرآن .

الأربعون : ومن دلائل عظيم قدره ﷺ أن الله نصره بالرعب مسيرة شهر ، حيث ألقى -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الرُّعب في قلوب أعدائه مسيرة شهر حتى لو كان وحده بدون عسكر .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه^(١).

الحادية والأربعون : أن النبي عليه الصلاة والسلام رأي في المنام أنه أتى مفاتيح خزائن الأرض ووضعت في يده وحصل كما رأي وورثت أمته كنوز كيسري وقيصر وغيرها من الممالك وما زالت أمته تمثل من تلك الخزائن .
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ فِي صُورَتِي» . متفق عليه^(٢).

الثانية والأربعون : أن أتباع النبي ﷺ كانوا في ازدياد فلم يمر يوم إلا ودخل داخل في دين الإسلام بخلاف الأنبياء الآخرين ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣] .

الثالث والأربعون : أن الشيطان لا يتمثل به ﷺ في المنام فمن رآه في المنام وأكرر للذي رآه كما جاء في صفاته المذكورة في السنة فقد رأي شخصه حقًا ومنع الله الشيطان لئتمثل في صورته لئلا يكذب على لسانه في النوم .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٢١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٦٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي» . متفق عليه^(١).

الرابعة والأربعون : ما بين بيته صلى الله عليه وسلم ومنبره روضة من رياض الجنة (أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة)
وحصول الخير والسعادة بما يحصل فيها من الأعمال الصالحة أو أن العبادة فيها تؤدي إلي الجنة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي » متفق عليه^(٢).

الخامسة والأربعون : ومن دلائل عظمة قدره صلى الله عليه وسلم عصمته من الشرك والخطأ في مجال التبليغ وعصمة نسبه من السفاح وعصمته من كبائر الذنوب ، وعصمته من ردائل الأخلاق : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۗ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم: ١-٥] .

السادسة والأربعون : أن الصدقة محرمة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيت لأنها أوساخ الناس ولهذا كان بذلها طهرةً للمال والشخص .
عَنْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: اجْتَمَعَ رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَا : وَاللَّهِ لَوْ بَعَثْنَا هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ - وَفِيهِ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَةُ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ » أخرجه مسلم^(٣).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٦٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٨٨٨) ، ومسلم برقم (١٣٩١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٠٧٢).

السابعة والأربعون : أن الله عز وجل أعانه على قرينه من الجن فأسلم فلا يأمره إلا بخير

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ » قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « وَإِيَّايَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » أخرجه مسلم ^(١).

الثامن والأربعون : من دلائل عظمته صلى الله عليه وسلم تحريم نكاح زوجاته من بعده أبداً كما قال سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

التاسعة والأربعون : أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو آياً من الأنبياء فعقوبته القتل ، سواء كان مسلماً أو كافراً .

عَنْ عَلِيِّ رضي الله عنه أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَتَقَعُ فِيهِ ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَمَهَا . أخرجه أبو داود ^(٢).

الخمسون : من دلائل عظم قدره النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا ينبغي عنده التنازع .
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ : « لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ ، قَالَ : ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَلُّوا بَعْدَهُ ، قَالَ عُمَرُ : إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا ، فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ ، قَالَ : قَوْمُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ ، فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، يَقُولُ : إِنَّ الرِّزِيَّةَ كُلَّ الرِّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبَيْنَ كِتَابِهِ » . متفق عليه ^(٣) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٤).

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٣٦٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦٣٧).

بل إن رفع الصوت فوق صوته موجب لحبوط العمل، كمال قال سبحانه
وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ،
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢﴾
[الحجرات: ٢].

الحادية والخمسون : من دلائل عظم قدره ﷺ أن أشد الناس عذاباً يوم
القيامة رجل قتل نبي أو قتل نبياً .
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامًا ضَلَالَةً، وَمُمَثِّلًا مِنَ الْمُمَثِّلِينَ » أخرجه
أحمد^(١).

هذه إحدى وخمسون من دلائل عظمة قدره ﷺ ذكرناها على وجه الإيجاز
والاختصار .

(١) حسن / أخرجه أحمد برقم (٣٨٥٨).

٥ - الخزانة الخامسة

حقوق النبي ﷺ:

الأول: إن الإيمان بالله عز وجل يقتضي توحيده وطاعته وتعظيمه وتكبيره وحمده وشكره والإيمان به وعبادته وحده لا شريك له وغيره من الحقوق العظمى الواجبة لله عز وجل وكذا الإيمان بالرسول ﷺ يقتضي توحيده بالإتباع وتصديقه وطاعته والإيمان به وغير ذلك من الحقوق الواجبة له ﷺ والقيام بحقوق النبي ﷺ هو الركن الأعظم في الدين بعد القيام بحقوق الله عز وجل: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم^(١).
والنصيحة للرسول ﷺ تكون بتحقيق الأمور والحقوق الآتية:

- ١- تصديقه برسالته ونبوته، الإيمان بكل ما جاء به.
- ٢- تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر.
- ٣- واجتناب ما نهى عنه وضجر، وألا نعبد الله إلا بما شرع.
- ٤- ونصرته حياً وميتاً، ومولاة من ولاءه ومُعَاذة من عاده.
- ٥- وتعظيمه وتوقيره وتعظيم سنته، وإحياء دينه وطريقته.
- ٦- وبث دعوته ونشر شريعته، والتفقه في دينه والتلطف في تعليم سنته وتعليمها والدعوة إليها والذب عنها والتأدب عند قراءتها وتعظيمها وتجليلها ونفي التهمة عنها وعدم الكلام فيها بغير علم وإجلال أهلها

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

لانتسابهم إليها ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ [الفتح: ٨-٩] .

الأول : من حقوقه ﷺ التخلق بأخلاقه الكريمة والتأدب بأدابه الجميلة
ومحبته ﷺ ومحبة آل بيته ومحبة أصحابه ومجانبة من الابتداع في دينه ،
وهجر من تعرض لأحد من أصحابه : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

ومن حقوقه ﷺ الانقياد والتسليم لأمره وبذل النفوس والأموال دونه في
حياته وإحياء سنته بعد موته : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن
كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٣١﴾ [الأحزاب: ٢١] .

الثاني : حقوقه ﷺ كثيرة والمؤمن حق من أداها كما جاءت في القرآن
والسنة واتبع ﷺ في خمسة أمور تجمع الحقوق كلها :

١- إتباعه ﷺ في توحيده وإيمانه .

٢- وفي نيته وفكره .

٣- وفي أقواله الحسنة .

٤- وفي أعماله الصالحة .

٥- وفي أخلاقه الكريمة .

وهذه حقوق النبي ﷺ كما جاءت في القرآن والسنة وهي ثمانية عشر حقاً
نسأل الله عز وجل أن يعيننا علي أدائها ويرزقنا حسن العمل بموجبها وإعلام
الناس بها : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى
اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا
تُطِعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴿٤٨﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨] .

ومن أعظم حقوقه ﷺ الإيمان به والتصديق بنبوته وبما جاء به من الرسالة :
 ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
 وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [١٥] [الحجرات: ١٥] .

وقد أمرنا الله عز وجل الإيمان به وبرسوله في آيات كثيرة كما قال سبحانه :
 ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ
 ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ ءَ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
 ءَ وَيَوْمَ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [١٣٦] [النساء: ١٣٦] .

الثالث : من حقوقه ﷺ تصديقه ﷺ فيما أخبر وتصديق النبي ﷺ بما جاء به
 من ربه عز وجل هو شرط الإيمان به ؛ لأن الإيمان به ﷺ له ركنان :

١- تصديق ما جاء به من الأخبار .

٢- والانقياد لما جاء به من الأوامر .

قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
 يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٦٥] [النساء: ٦٥] .

وتصديق النبي ﷺ يتضمن التصديق بكل ما جاء به من أمور التوحيد
 والإيمان والشرائع والأحكام والأخبار والآداب ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ
 رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي
 ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢] [الجمعة: ٢]

فكل ما جاء به ﷺ من الوحي حقاً يجب التصديق والإيمان به وإتباعه : ﴿
 وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ ٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا
 وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ٥ ﴾ [النجم: ١-٥] .

الإيمان بالنبى ﷺ

الإيمان بالأنبياء والرسل أحد أركان الإيمان الستة كما في حديث جبريل أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » أخرجه مسلم (١).

والإيمان بالنبى ﷺ هو التصديق بنبوته ، وبما جاء به من الرسالة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ ﴾ [١٥] [الحجرات / ١٥] .

وقد أمرنا الله ﷻ بالإيمان بالله ورسوله في آيات كثيرة كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ؕ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [١٣٦] [النساء / ١٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ؕ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [١٥٨] [الأعراف / ١٥٨] .

وقال جل جلاله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٨] [التؤمّنوا بالله ورسوله و تعزّروه و توقّروه و سبحوه بكرة و أصيلاً] [٩-٨ / الفتح / ٩-٨] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

تصديقه ﷺ فيما أخبر

تصديق النبي ﷺ فيما جاء به من ربه ﷻ هو شرط الإيمان به ، فإن الإيمان به له ركنان:

تصديق ما جاء به من الأخبار .. والانقياد لما جاء به من الأوامر : ﴿ فَلَآ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٦٥] ﴿ [النساء/ ٦٥].

وتصديق النبي ﷺ يتضمن التصديق بكل ما جاء به من أمور التوحيد والإيمان ، والشرائع والأحكام ، والأخبار والآداب : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢] ﴿ [الجمعة/ ٢].

فكل ما جاء به ﷺ من الوحي حق يجب الإيمان به ، وتصديقه ، واتباعه : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم/ ١-٥].

فالنبي ﷺ جاء بالوحيين القرآن والسنة ، وهما أصدق الحديث ، وهو ﷺ أصدق الخلق ، ومن آمن به فيجب عليه أن يصدق بما جاء به : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [٤٤] ﴿ [النحل/ ٤٤].

وأعظم من آمن به ﷺ وصدقه من هذه الأمة أبو بكر الصديق ﷺ ، فقد آمن به حق الإيمان ، وصدقه حق التصديق ، ثم اتبعه في كل ما جاء به ﷺ ، فهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ، لكمال إيمانه وتصديقه واتباعه ، ولذلك سمي أبو بكر الصديق : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [٣٣] ﴿ [الزمر/ ٣٣].

فعلينا أن نؤمن به ﷺ ونصدق، ونتبعه ، لنسعد في الدنيا والآخرة ، ونكون ممن يرافقه في الجنة مع الأنبياء والمؤمنين : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [٦٩] ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

﴿ [النساء / ٦٩ - ٧٠] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءُونَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال: «بلى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ». متفق عليه^(١).

و ضد التصديق للنبي ﷺ التكذيب والشك والإعراض ، وذلك كله من نواقض تصديقه : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [١١٥] ﴿ [النساء / ١١٥] .

فليحذر العبد من ذلك ، لينجو من عقوبة ذلك : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [٦٣] ﴿ [النور / ٦٣] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٦)، ومسلم برقم (٢٨٣١)، واللفظ له.

طاعته ﷺ فيما أمر

والإيمان بالرسول ﷺ يقتضي طاعته في كل ما جاء به ﷺ وقد قرن الله طاعة رسوله بطاعته في آيات كثيرة تأكيداً لوجوب طاعته ﷺ، فقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن نَنزَعْنَم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِن لَّا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقد ذكر الله عز وجل طاعة النبي في ثلاثين موضعاً من القرآن الكريم، وأكد الله عز وجل أن من أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله بقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ﴿٨٠﴾ [النساء: ٨٠]. وقال النبي ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِي الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وِرَائِهِ وَيَتَّقَى بِهِ، فَإِن أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ، فَإِن لَّهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِن قَالَ بِغَيْرِهِ، فَإِن عَلَيْهِ مِنْهُ». متفق عليه^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبِي؟، قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي» أخرجه البخاري^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ» متفق عليه^(١).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠).

فيجب على كل مسلم الانقياد لسنته، والمصارعة إلى طاعته في كل حال ،
والاستجابة لأمره إذا علم به .

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمَعْلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ،
قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي. قَالَ: «أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ "اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ"» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي
الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟» فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ لَأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ. قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ» أخرجه البخاري
(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ ، فَقَالَ : «
ذُرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ
عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالشَّيْءِ ، فَخُذُوا بِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ
شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ» . أخرجه مسلم (٣) .

فيجب علي كل مسلم ومسلمه المصارعة إلى طاعته في كل حال والاستجابة
لأمره إذا علم به : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾
[الأَنْفَال: ٢٤] .

الرابع : من حقوق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجتناب ما نهى عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزجر ، فالطاعة ضد
المعصية وطاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضدها معصيته وكما أمر الله عز وجل بطاعته

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٥٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم: ١٣٣٧ .

وطاعة رسوله ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٣٢) .

كذلك نهى عن معصية الله ورسوله في آيات كثيرة منها :

قال عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِمٌ ﴾ (١٤) [النساء: ١٤] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ﴾ (٣٦) [الأحزاب: ٣٦] .

وقال عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٢٧) [الفرقان: ٢٧-٢٨] .

كان أبو هريرة رضي الله عنه يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ » . متفق عليه (١) .

ومعصية النبي ﷺ أربعة أنواع :

صغائر .. وكبائر .. وبدع .. وكفر .

ودوافع معصية الرسول ﷺ في الأنواع السابقة ثمره ثلاثة أمور :

- ١- إتباع الهوى .
- ٢- والقول بالرأي .
- ٣- والتقليد بالأعمى .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٨)، ومسلم برقم: (١٣٣٧)، واللفظ له.

كما قال سبحانه : ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦] .

وقال عز وجل : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠] .

وإتباع هوي النفس يقود للاستكبار عن الحق ورد الأمر على الأمر كما فعل إبليس حين أمره إله -جَلَّ وَعَلَا- بالسجود لآدم فامتنع ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

ومن حقوقه ﷺ ألا يُعبدُ الله إلا بما شرع ، فمن أعظم حقوقه ﷺ الاعتصام بسنته والحذر من البدع في دينه ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَىٰ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » . متفق عليه (١) .
وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه (٢) .

فحديث عائشة هذا ميزان لأعمال الظاهرة وحديث عمر رضي الله عنهم يزان لأعمال الباطنة ، ودين الإسلام كله يقوم علي هذين الأصلين العظيمين

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

فكُلُّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ لَا ثَوَابَ فِيهِ ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ مُرَدُّدٌ عَلَى عَامِلِهِ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]

ومن حقوقه ﷺ تعظيم سنته وتعظيم العمل بشريعته والاقضاء بسنته وامثال أوامره وتحكيم كل ما جاء به والرضا بحكمه والتسليم له ، والسعي في إظهار دينه وإبلاغ رسالته لناس ودعوتهم إلى الإيمان بالله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥] .

ومن تعظيم سنته طاعته فيما أمر تصديقه وفيما أخبر واجتناب فيما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١﴾ ﴾ [الفتح: ٨-٩] .

ومن تعظيم سنته تعلم ما جاء به والعمل به وتعليمه لناس : ﴿ كُونُوا رَبَّنِيذِينَ إِيْمَانًا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .
ومن تعظيم سنته توقيف حديثه والتأدب عند سماعه والوقار عند دراسته ، والإصغاء لحديثه كأنه يتكلم به وتوقيف مجلس الحديث والتحفظ لاستباق العمل به تعظيمًا له .

ومن تعظيم سنته نصر ما جاء به ، والذب عن سنته والدفاع عنها : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

ومن حقوقه ﷺ التحاكم إلى شريعته ﷺ فالإيمان بالنبى ﷺ يقتضى التحاكم لشريعته ، والرضاء بحكمه والتسليم لأمره ﴿ فَلَآ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا » . أخرجه مسلم (١) .

لهذا يجب التسليم التام والانقياد التام لما حكم به الله ورسوله ، وليس في ذلك الاختيار بل الواجب السمع والطاعة والانقياد والتسليم لكل ما جاء في الشريعة: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١] .

فيجب على كل من آمن بالله ورسوله السمع والطاعة وعدم مخالفة أمر الله ورسوله لأن ذلك من موجبات الإيمان بالله ورسوله ، ومن حقوقه ﷺ علي أمته مجانية الراغبين عن سنته من أهل الهوى والبدع والضلال حتى لا يلبسوا على المسلم دينه أو يغمسون في ضلالتهم ، وليكون في هجره لهم تأديباً لهم لعلهم يتوبون من بدعتهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨] .

وقال عز وجل: ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٤) .

والصاحبُ صاحبُ إلي سُنّه أو بدعه ومن جالس الصالحين زاد صلاحَ وحسن دينه ومن جالس أهل الزجر والفساد زاعَ قلبه وفسد دينه ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ﴿٦٣﴾ . [النور: ٦٣] .

وعن أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » . متفق عليه (١) .

ومن حقوقه ﷺ حُبُّ النبي ﷺ وتوقيره وتَعْظِيمُ سُنَّتِهِ وإِتِّبَاعُهُ مِنْ لُؤَازِمِ الْإِيمَانِ بِهِ وَمِنْ أَصُولِ الدِّينِ الَّتِي أَوْجَبَهَا إِلَهُ عَلَى الْعِبَادِ ﴿ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وتكون محبة النبي ﷺ بتقديم محبته على محبة النفس والمال والولد والناس أجمعين لأنه ﷺ أولي بكل مؤمنًا من نفسه كما قال سبحانه : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] .

ومن حقوقه ﷺ العمل بما جاء به ونشر في سُنَّتِهِ وإِبْلَاحُ دِينِهِ لِنَاسِ كَافَةٍ كَمَا وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٠١)، ومسلم برقم: (٢٦٢٨) باختلاف يسير.

والدعوة إلي الله أفضل الأعمال كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس: ١٠٨] .

والدعوة إلي إله واجبه علي كل الأمة رجالاً ونساءً كلاً بحسبه : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

ومن حقوقه ﷺ حسن الأدب معه بنداؤه كان حياً بلفظ النبوة أو الرسول إجلالاً له وتعظيماً لشأنه . ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] .

ومن حقوقه ﷺ عدم رفع الصوت واللغط في منزله وعند قبره لأن حرمة النبي ﷺ في حياته وبعد مماته علي حد سواء : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [٢] إِنْ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٢-٣] .

ومن حقوقه ﷺ الذب عن ذاته ﷺ والدفاع عن النبي ﷺ من أعظم دلائل محبته وإجلاله وقد سبق بها الصحابة ومن جاء بعدهم كما أخبر الله عنهم بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨] .

والصحابة من المهاجرين والأنصار أفضل الناس بعد الأنبياء اختارهم الله لصحبة نبيه والقيام معه في إقامة دينه رضي الله عنهم : ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴾

الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠] .

ومن أعظم حقوقه ﷺ الذب عن دينه الذي أرسله الله به : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ﴿٢٤﴾ [فاطر: ٢٤] .

والذب عن دينه ﷺ بحفظه من الضياع وحماية سنته ﷺ انتحال المفترين وتحريف الضالين وتأويل الجاهلين والرد على شبهات المستهزئين ، والرد على الطاعنين في القرآن والسنة من أعظم الجهاد والمُحامي عن السنة كالذاب عنها كالمُجاهد في سبيل الله : ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٥٢﴾ [الفرقان: ٥٢] .

ومن حقوقه ﷺ توقير آل بيته وحب آل بيته والتراضي عنهم ، والصلاة عليهم وإكرامهم وتوقيرهم والعناية بهم تنفيذًا لوصية النبي ﷺ فيهم .
 قَالَ زُهَيْرٌ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنِي أَبُو حَيَّانَ ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ ، قَالَ : انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ ، وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ ، إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ : لَقَدْ لَقَيْتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا ، رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ ، وَعَزَوْتَ مَعَهُ ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ لَقَدْ لَقَيْتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا ، حَدَّثَنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي ، وَقَدَّمَ عَهْدِي ، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعْبِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَأَقْبَلُوا ، وَمَا لَا ، فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا ، بِمَاءٍ يُدْعَى حُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَوَعظَ وَذَكَرَ ، ثُمَّ قَالَ : " أَمَّا بَعْدُ ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولَ رَبِّي فَأُجِيبَ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَوْلَهُمَا

كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ " فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَبَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » . أخرجه مسلم (١) .

وآل بيت النبي ﷺ هم الذين تحرم عليهم الصدقة وهم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف فهؤلاء يدخلون في سهم ذوي القربى وتحرم عليهم الصدقة حمايةً لجناب النبوة وتعظيمًا لقدرهم ، لأن الصدقة أوساخ الناس ، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ » أخرجه مسلم (٢) .

وأزواج النبي ﷺ داخلات في آل البيت بنص القرآن، كما قال الله سبحانه :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ﴿٣٣﴾

[الأحزاب: ٣٣] .

ومن حقوقه ﷺ توقير زوجاته ورعاية حرمتهم ، وصيانة أعراضهن ، وبيان فضائلهن وحسن الثناء عليهن والاستغفار لهن والتراضي عنهن والدعاء لهن .

وقد رفع الله عز وجل مقام أزواج النبي ﷺ وبوئهن منزلة عالية بل رفع قدرهن إلى منزلة الأمومة ، لجميع المؤمنين بقوله سبحانه : ﴿ أَلَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَجهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] .

ومن حقوقه ﷺ توقير أصحابه ﷺ :

فمن حقوقه ﷺ على أمته توقير أصحابه والتراضي عنهم والاقتضاء بهم وحسن الثناء عليهم والإمسك عما شجر بينهم ، ومُعَادَة من عادهم والدعاء

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٤٠٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠٧٢) .

لَهُمْ وَالِاسْتِغْفَارَ لَهُمْ وَذَكَرَ فِضَائِلَهُمْ وَمَحَاسِنَهُمْ وَمَحَبَّتَهُمْ ، وَإِجْلَالَهِمْ ﴿۱۰﴾
 وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿۱۰﴾ [التوبة: ۱۰۰] .

وأصحاب الرسول ﷺ كلُّهم عدولٌ مرضيون ثِقاةٌ ، وعدالة الصحابة ثابتة
 معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم ورضاه عنهم وشهادة رسول
 الله ﷺ لهم كما قال سبحانه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
 بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ۱۱۰] .

وقال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
 » . متفق عليه (١) .

وقال ﷺ : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ
 أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلَا نَصِيفَهُ » . متفق
 عليه (٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٢)، ومسلم برقم: (٢٥٣٣)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم برقم: (٢٥٤١)، واللفظ له.

٦ - الخزانة السادسة

أصول الاعتصام بالسنة :

أصول الاعتصام بالسنة والحذر من البدعة كثيرة وهذه أهمها :

الأصل الأول : أن الإسلام مبنياً على أصلين عظيمين هما :

الأول : ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له وهو بمعنى (شهادة أن لا إله إلا الله) .

الثاني : أن نعبد الله إلا بما شرع ، وهو بمعنى أن (شهادة أن محمداً رسول الله) .

فالشرك ضد الأصل الأول ، والبدعة ضد الأصل الثاني ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]

فلا يقبل الله عز وجل أي عمل إلا إذا كان خالصاً صواباً فالخالص لله وحده والصواب ما كان على السنة ، فالفوز والنجاة في التوحيد في السنة والخسران والهلاك في الشرك والبدعة ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٦٥] بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦] .

الأصل الثاني : أن السنة سُنتان :

سنة فعلية .. وسنة تركية .

والسنة الفعلية هي : ما فعله النبي ﷺ أو أقر عليه مثل الأذان للصلوات الخمس ، والتلبية في الحج ونحوها .

والسنة التركية هي : ما تركه ﷺ مع قيام المقتضي لذلك مثل ترك الأذان لصلاة العيدين ، وصلاة الجنازة .

فالترك السنة النبوية كما أن فعل الأول سنة نبوية ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

الأصل الثالث : إن الأصل في العبادات المنع إلا بدليل شرعي من القرآن والسنة أو من أحدهم والأصل في المعاملات والعادات الحل إلا بدليل شرعي يدل على التحريم .

الدليل الأول : قول النبي ﷺ : « مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا هَذَا فَهُوَ رَدٌّ » . أخرجه مسلم (١) .

وقوله ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه (٢) .

الدليل الثاني : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩] .

الأصل الرابع : أن التأسى بالنبي ﷺ يتحقق بستة أمور :

الأول : السبب بأن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها ، فلو زاد أحد صلاة سادسة على الصلوات الخمس عبادته مردودة ، لأن ليس لها سبب شرعي في القرآن والسنة، كما قال سبحانه : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَوَلَّاءٌ لَّهُ الْفَضْلُ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٢١] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (١) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧١٨) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له .

الثاني : الجنس فلو ضحى أحدٌ بفرس فلن تُقبل أضحيته ، إن الشريعة جاءت بالأضحية ، من بهيمة الأنعام فقط (الأنعام والبقر ، والإبل) ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

الثالث : القدر فلو صلى الجمعة ثلاثاً لن تُقبل صلاته لأنها مخالفة للشريعة في قدرها لأن الشريعة جاءت بصلاة الجمعة ركعتين : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١] .

الرابع : الكيفية بأن تكون العبادة موافقة للشريعة في كفيته ، فلو غسل الإنسان رجليه في الوضوء ، ثم مسح رأسه ثم غسل يديه ثم غسل وجهه فهذا وضوئه غير مقبول ، وصلاته غير صحيحة لأنه خالف الشريعة في كيفية الوضوء : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

الخامس : المكان فلو وقف الحاج يوم عرفة بمزدلفة أو طاف بغير الكعبة أو اعتكف في بيته فهذه العبادات لا تصح لأنه خالف الشريعة في مكان العبادة المحدد لها شرعاً .

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » . أخرجه مسلم (٢) .

السادس : الزمان فلو صلى مسلم الظهر قبل الزوال أو صام فرض رمضان في رجب أو حج في صفر فهذا صلاته وصيامه وحجه غير صحيح لأنه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧١٨)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٧١٨) ..

خالف الشريعة في زمانها المحدد لها شرعاً: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ
 أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا
 ﴿١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]

فهذه ستة أوصاف لا تتحقق متابعة للنبي ﷺ إلا باجتماعها في كل عبادة
 فعلى المسلم إتباع ذلك والحذر من مخالفة ذلك ، قال سبحانه : ﴿فَلْيَحْذَرِ
 الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ نُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ نُصِيبَهُمْ عَذَابَ أَلِيمٍ ﴿٦٣﴾
 [النور: ٦٣] .

الأصل الخامس : أن الله عز وجل أكمل الدين ببعثة محمد ﷺ فلا يستطيع
 أحد أن يأتي بشيء يقرب إلى الله غير النبي ﷺ فقط، قال سبحانه : ﴿وَمَا
 ءَأْتِكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾
 [الحشر: ٧] .

الأصل السادس : أن كمال الدين يقتضي بطلان البدع فدين الإسلام كامل لا
 يحتاج إلي زيادة ، كما أنه لا يجوز فيه النقصان، كما قال سبحانه : ﴿الْيَوْمَ
 أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾ [المائدة: ٣] .
 فالله سبحانه يبين كل شيء في كتابه يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم كما
 قال سبحانه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى
 لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩] .

وقال رجل لسلمان الفارسي رضي الله عنه : « قَدْ عَلَّمَكُمُ نَبِيِّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ
 حَتَّى الْخِرَاءَةِ ، فَقَالَ : أَجَلٌ ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ ، أَوْ بَوْلٍ ، أَوْ

أَنْ نَسْتَنْجِي بِالْيَمِينِ ، أَوْ نَسْتَنْجِي بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِي بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ . أخرجه مسلم (١) .

الأصل السابع : أن التشريع حق لله وحده كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠] .

وأنكر سبحانه على من شرع للناس ديناً أضلهم به فقال سبحانه : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١] .

والتشريع قد انقضى بموت النبي ﷺ بعد حجة الوداع بعد أن أنزل الله عليه في يوم عرفة : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] .

فمن أحدث في دين الله وزاد فيه ما ليس منه فقد جعل نفسه مُشرعاً مع الله ومقتضى فعله أن النبي ﷺ أنه لم يتم الرسالة وأنه بدعته جاء ليتم الشريعة وكل ذلك باطل مردودٌ مُعاقبٌ عليه ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (٢) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٢) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له .

والابتداع في الدين ولو بقصد حسن يُعتبر تكذيباً لله عز وجل لقوله سبحانه : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

الثامن : أن الابتداع في الدين تقدم بين يدي الله ورسوله وهذا من الجرأة على الله ورسوله وقد حذر الله ذلك بقوله سبحانه : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَانفُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١] .

التاسع : أن النبي ﷺ دائماً يحذر من البدع في كل خطبة وفي كل جمعة وهذا يدل على عظيم خطر البدع وشدة ضلالها وإن لكل بدعة ضلالة ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَانَهُ نَذِيرٌ جَيْشٍ يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ وَيَقُولُ : بُعِثتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ - ويقرن بين السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى - وَيَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ » . أخرجه مسلم (١) .

الأصل العاشر : أن التعبد لله لا يكفي في معرفة الهدي النبوي فقط بل لابد من معرفة ضده من الشوكيات والبدع ؛ لئلا يقع الإنسان في الشرك والبدع وهو لا يدري كما مر بحديث حذيفة السابق الذي كان الذي يسأل عن البدع مخافة أن يقع أو الشرك أو غيرها من المعاصي مخافة أن يقع فيها ، وقد وقع أناس في الشرك الذي هو أعظم بالبدع فكيف بالبدع ؛ لأن الوقوع فيها

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨٦٧) .

أخف وأسرع ؛ لأن أمرها قد يخفى على الإنسان فيظن أنها سنة وأنها من العمل الحسن ، وأنها تقربه إلى الله وهي لا تزيده من الله إلا بعداً فيكون من قال الله فيهم : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]

الأصل الحادي عشر : أن البدع تكون في الاعتقادات ، والأقوال ، والأفعال وإذا انتشرت اشتهرت وصارت كأنها سنة ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١١٥) [النساء: ١١٥] .

الأصل الثاني عشر : أن البدع درجات وليس في خطورتها على درجة واحدة ، فبعضها يُفضي إلى الكفر كبعض بدع العقائد وبعضها لا يُفضي إلى الكفر ككثير من بدع العبادات القولية ، والفعلية ، والبدع فوق الكبائر في المرتبة وليس فوق البدع إلا الشرك ؛ لأن البدعة هي تعد على الشريعة بزيادة والزيادة تحريف ولا أظلم من ذلك ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ (٣٣) [الأعراف: ٣٣] .

وإثم البدع أعظم من إثم الكبائر من وجوه :
 الأول : أن صاحب البدع يعتقد أنه على صواب فيما يقوم به من عبادات محدثة فلا يفكر في التوبة منها أما فاعل الكبيرة من زنا ، وسرقة ، ونحوه فيعلم أنه مخطئ وربما أحدث التوبة فتاب الله عليه : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١١٠) [النساء: ١١٠] .

وقال عز وجل : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التقصص: ٥٠].

الثاني : أن البدع تؤدي مع مرور الزمن إلى تغيير الدين ؛ لأنها تتطور وتنوع ، وتتفرع ، وتشتهر أما الكبائر فكل واحد يعلم أنها مخالفة للدين وليست منه .
الثالث : أن أهل البدع في الغالب يحاربون أهل السنة إذا أمرهم بالسنة ونهواهم عن بدع ربما فسقوهم أو كفروهم أو اتهموهم ، أم أهل الكبائر فإن من جاء ليذكرهم بالله وعقابه فإنهم إما أن يقبلوا النصيحة ويتوبوا إلى الله وهذا هو الغالب وإما أن يردوا النصيحة مع طلب الدعاء لهم بالهداية .

الرابع : إحياء البدع وإشهارها يؤدي إلى هدم السنة النبوية والعبد عنها : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

الأصل الثالث عشر : أن صغائر البدع تكبر مع مرور الزمن ، وقلة المناصب فتصير كبائر وقوى وتشتد حتى تصبح ديناً يُتبعد الله به فالنجاة في الاعتصام بالسنة والحذر من البدعة وهذا هو الصراط المستقيم الذي قال الله عنه : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والخارجون عن الصراط المستقيم إلى الصراط المعوج اثنان : أحدهما : رجلٌ زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير فهذا لا يقتضى بذلته ؛ لأنها مهلكة : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والثاني : من عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين فهذا ضالُّ مُضل ،
 وشيطان مرید حقُّ على من يعرفه أن يحذر الناس منه لئلا يقعوا أحدهم في
 بدعته : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
 الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

الأصل الرابع عشر : إن من البدع كلها ضلالة وكلها سيئة وكلها مردودة ،
 والبدع ليست من الإسلام ، والبدعة ليست بحسنة .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « جاء ناسٌ من الأعرابِ إلى
 رسولِ الله ﷺ عليهم الصوفُ فرأى سوءَ حالهم قد أصابتهم حاجةٌ فحثَّ
 الناسَ على الصدقةِ فأبطلوا عنه حتى رُئي ذلك في وجهه قال ثم إن رجلاً
 من الأنصارِ جاء بصرَّةٍ من ورقٍ ثم جاء آخرٌ ثم تابَعوا حتى عُرِفَ السُّرورُ
 في وجهه فقال رسولُ الله ﷺ من سنَّ في الإسلامِ سنةً حسنةً فعَمِلَ بها بعدَهُ
 كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرٍ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي
 الإسلامِ سنةً سيئةً فعَمِلَ بها بعدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ
 مِنْ أوزارِهِمْ شَيْءٌ » . أخرجه مسلم ^(١) .

فمن أحيا سنة كانت موجودة فعلمت ثم أحيها وعمل بها الناس بعده فله
 مثل أجر من عمل بها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أن النبي ﷺ قال : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىٰ كَانَ
 لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا
 إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ
 شَيْئًا » . أخرجه مسلم ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٤٧).

فليس في الإسلام إلا السنن لا البدع كما أنه ليس في البدع بدعة حسنة ، فالبدع كلها سيئة مردودة كما قال النبي ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (١) .

الأصل الخامس عشر : أن بدع العقائد أشد خطراً من بدع الأعمال ؛ لأن العقيدة عمل ، وإذا صلح القلب بالعقيدة الصحيحة صلح عمل الجوارح وإذا فسد القلب في البدع المحدثه فسد سائر عمل الجوارح .

عن النعمان بن بشير عن الرسول ﷺ قال : « الْحَلَالُ بَيْنَ ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ حِمَى أَلَا إِنْ حِمَى اللَّهُ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه (٢) .

والبدع في العقيدة كثيرة وقد أخبر النبي ﷺ عن تفرق أمته في باب العقيدة إلى فرقٍ وطوائفٍ نحو من ثلاثٍ وسبعين فرقة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الرسول ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين أو سبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين أو سبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة » . أخرجه أحمد والترمذي (٣) .

ومن أعظم البدع والفرق التي ظهرت في العقيدة :

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له..

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٤٠). وأخرجه أحمد برقم: (٨٣٧٧).

- ١- بدعة الجهمية .
- ٢- وبدعة القدرية .
- ٣- وبدعة المُرجئة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب .
- ٤- وبدعة المعتزلة الذين قالوا أن مرتكبي الكبيرة كالزنا كافر وهو مُخَلَّدٌ في النار ، ومثلهم الخوارج .
- ٥- وبدعة الرافضة الذين طعنوا في الرسالة وصحة القرآن وأنكروا السنة إلا ما وافق مذهبهم وكفروا الصحابة كلهم إلا أفراد لا يصلون إلى العشرة وكذبوا ما نقلوا من الأمة من الأحاديث وعبدوا القبور وحكموا بردة الخلفاء وكفروهم إلا عليًا ، وكفرو أهل السنة وعادوهم وحاربوهم وكانوا دائمًا مع أعدائهم كما حصل منهم مع التتار فشابهوا اليهود في عقيدتهم التي بها كفروا، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥] .
- ٦- وبدعة الخوارج والزيدية من أعظم البدع في باب السمع ، والطاعة لولاة الأمر فاستحلوا الخروج على الأئمة إذا رأوا منهم معصية ، وقد فعل الخوارج ما فعلوا من قتل عثمان وعلي رضي الله عنهم ثم انفتحت أبواب الشر على المسلمين إلى يومنا هذا .
- وفي باب الإيمان بالقدر ضلت الجبرية الذين قالوا : إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه ، نسأل الله السلامة من مثل هذا القول .

ورؤوس أهل البدع الكبرى أربعة :

- الخوارج .
- والرافضة .
- والجهمية .
- والمرجئة .

وأما البدع في العبادات فبحر لا ساحل له ، فلا تكاد تجد عبادة إلا و أضاف إليها أهل البدع زيادةً سواء في آياتها ، أو عددها ، أو وقتها . فما أعظم تلاعب الشيطان بالناس : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨] .

٧- الخزانة السابعة

فقه الإتياع :

الإتياع هو : الاقتداء ، والتأسي ، والافتاء ، والائتمام ، وإتياع النبي ﷺ هو الشهادة له بالرسالة ، وهو الركن الثاني من أركان التوحيد .

التوحيد كله في أمرين :

١- شهادة أن لا إله إلا الله .

٢- شهادة أن محمد رسول الله .

والإتياع في الشرع هو : الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ في خمسة أمور :

١- في توحيده ، وإيمانه .

٢- في نيته ، وفكره .

٣- وفي أقواله الحسنة .

٤- وفي أعماله الصالحة

٥- وفي أخلاقه الكريمة .

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وقال تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧] .

وقال تعالى: ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيفًا ﴾ ﴿٨٠﴾ [النساء: ٨٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤] .

فنوحد الله عز وجل كتوحيد النبي ﷺ لربه، ونؤمن به، ونؤمن بالله كإيمانه، ونذكر الله كذكره، وندعوه كدعائه، ونستغفره كاستغفاره، ونعبد الله كعبادته، ونتوضأ كوضوئه، ونصلي كصلاته، ونصوم كصيامه، ونحج كحجه، ونبيع كبيعه، ونشتري كشرائه، ونجاهد كجهاده، وندعي إلى الله كدعوته، ونعلم شرعه كما علم، وكاد نحسن كإحسانه، ونعفو كعفوه، ونرحم كرحمته، ونحلم كحلمه، ونعطي كعطائه، ونزور كزيارته، وهكذا ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فنقول كقوله ﷺ، ونفعل كفعله ﷺ على الوجه الذي فعله من أجل أنه فعله، كالأدعية، والأذكار، والصلاة، والصيام، والنكاح، والطلاق، والبيع، والشراء، والدعوة، والجهاد، وغيرها، مما جاء عنه ﷺ، وهذه حقيقة التأسى والإتباع: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وخذ الإتباع المخالفة، وتكون في الاعتقاد، والقول، والفعل، والترك: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وكما أن لكل إتباع ثواب، كذلك لكل مخالفة عقاب: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].

لهذا يجب أن نفعل ما فعله ﷺ من جميع الأوامر ، والطاعات بقدر
الاستطاعة ، ونترك ما تركه من أنواع المعاصي ، والمحرمات كلها ﴿
وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٣﴾
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٢ - ١٣] .
وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا
لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شِحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾
[التغابن: ١٦] .

ويجب علينا أن نجتب ما نهى الله ، ورسوله عنه مطلقاً ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧] .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ،
فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ » . متفق عليه (١) .
وأفعال النبي ﷺ من حيث الإتياع ، والتأسي ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الأفعال الجبلية :

كالقيام ، والقعود ، والدخول ، والخروج ، والأكل ، والشرب ، والنوم ،
واليقظة ، ونحو ذلك .

فهذا من حيث الإتياع ، والتأسي نوعان :

الأول : نوع جاء النص الشرعي بإيجابه ، أو ندمه ، كالأكل باليمين ، أو النوم
على الشق الأيمن ، والسلام عند الدخول ، والخروج ، فهذا يشرع التأسي ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٧٢٨٨، ومسلم برقم: ١٣٣٧، واللفظ له.

والاقتداء به ﷺ في ذلك ، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿١١﴾ [الأحزاب: ٢١] .

الثاني : نوع لم يأت به نص ، دال على مشروعيته ، فهو باقٍ على أصل الإباحة ، كالصلاة في موضع صلى فيه النبي ﷺ اتفاقاً ، وكنزوله بالأبطح لما فرغ من مناسك الحج ، فهذا لا يشرع التأسى ، والاقتداء بالنبي ﷺ بفعله ؛ لأنه فعله اتفاقاً لا قصداً له بعينه .

القسم الثاني : الأفعال التعبدية :

وهي جميع العبادات ، والمعاملات التي يقصد بها التشريع ، فهذا يجب الاقتداء بالنبي ﷺ به فعلاً للأوامر ، واجتناب للمناهي ، وهذه هي الأصل في أفعال النبي ﷺ ، كما قال سبحانه : ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿١١﴾ [الأحزاب: ٢١] .
وقال النبي ﷺ : « وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » متفق عليه ^(١) .

القسم الثالث : الأفعال الخاصة به ، وهي التي علمنا شرعاً أنها من خصائصه سواء كانت من المباحات ، أو الواجبات ، أو المحرمات ، أو المكروهات ، فمن المباح له ﷺ به وسلم خاصة مثل : النكاح أكثر من أربع نسوة ، والنكاح بلا مهر ، والنكاح الواهبة نفسها له .
ومن الواجب عليه : وجوب التهجد ، وقيام الليل .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٨)، ومسلم برقم (٦٧٤)

ومن المحرم عليه : الأكل من صدقة ، وأكل ما له رائحة خبيثة من المباح كالثوم ، والبصل .

فهذه خصائص لا يشاركه فيها أحد ، ولا يقتدي ، ولا يتأسى بها أحد ؛ لأنه جاء الخبر بأنها من خصائصه ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

الوسائل المعينة على إتباع النبي ﷺ

الوسائل المعينة على إتباع النبي ﷺ كثيرة وهذه من صورها :

الأول : معرفة سيرة النبي ﷺ ، وسنته ، آدابه ، وأخلاقه ، وجهاده ، وصبره في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٤٥] وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿ [٤٦] وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [٤٧] وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [٤٨] [الأحزاب: ٤٥- ٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .
وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] .

الثاني : تقوى الله عز وجل ، فمن اتقى الله ، وخاف جعل الله له فرقان يميز به بين الحق ، والباطل ، وبين النور ، والظلام ، وبين ما ينفعه ، وما يضره ، فمن اتقى الله أعطاه الله نورًا ، وعلمًا ، وهدى ، يمشي به في ظلمات الجهل ، والضلال ، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨]

والتقوى ، والاستقامة هي أساس الدين كله ، وأساس سعادة الإنسان في الدنيا ، والآخرة : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأفقال: ٢٩] .

الثالث : إخلاص العمل لله ، فمعرفة الحق فقط ، لا تكفي للعبد ، لابد من التجرد لله في طلبه ، وشكره على معرفته ، وطلب عونه في أدائه ، وإبلاغه ، فمن سعى لطلب الحق مخلصاً هداه الله إليه ، وأعاناه على أدائه : ﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

ومن أعرض عن إتباع الحق الذي يعلمه ، فإن ذلك يورثه الجهل ، والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

وقال عز وجل : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

الرابع : إظهار الافتقار إلى الله ، والتضرع إليه ، واللجوء إليه من أعظم الأسباب المعينة ، على الإتيان لما جاء به النبي ﷺ من الهدى ، والنور ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] .

وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يفعل ذلك ، ومن دعائه ﷺ : « اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرِيْلَ ، وَمِيكَائِيْلَ ، وَإِسْرَافِيْلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِمَا
اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ « . أخرجه
مسلم (١) .

ومن دعائه ﷺ: « اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ .
وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ
وَلَا مَنجِي مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي
أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مِتَّ . مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ « . متفق
عليه (٢) .

الخامس : من الوسائل المعينة على إتباع النبي ﷺ تعلم الأحكام الشرعية ،
من القرآن ، والسنة ، فالعمل بأحكام الإسلام فرع عن العلم بها ، فلا بد من
العلم قبل القول ، والعمل ، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (١٩)
[محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١١) [المجادلة: ١١] .
وقال الله عز وجل : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩) [آل عمران: ٧٩] .

فسماع القرآن ، وتلاوته ، وتدبره ، من أعظم الأسباب المعينة على الإتيان ،
لما فيه من تقرير التوحيد ، والإيمان ، وأخبار الأنبياء ، والرسل ، وأحوال

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٧٠) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٧)، ومسلم برقم: (٢٧١٠) .

اليوم الآخر ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩] .

وقال تعالى: ﴿ أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ
﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١-٥] .

عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ
فِي الدِّينِ وَاللَّهِ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ
خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ » . متفق عليه (١) .
عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، وَعَلَّمَهُ » .
أخرجه البخاري (٢) .

السادس : تدبر نصوص القرآن ، والسنة ، وفهم معانيها فهما مصدر تلقي
الحق ، والهدى ، والسنة ، والأحكام : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩١﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٠] .
وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَنْفَكُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢] .

وقد تكفل الله سبحانه بحفظ كتابه من التحريف ، أو التبديل ، أو الزيادة ، أو
النقصان ؛ وذلك لأنه منهج الأمة إلى قيام الساعة ، وقد تكفل به الحفيظ
سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الحجر: ٩] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

وكذلك قيد الله لسنة محمد ﷺ من يكتبها ، ويحفظها ، ويدافع عنها ، ويخرج منها ما ليس منها ؛ وذلك لأن القرآن ، والسنة مصدر الأحكام ، وطريق الاعتصام بالحق ، والأمن من الزيغ ، والضلال: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٤٣] [الزخرف: ٤٣] .

السابع : اتباع طريقة السلف في فهم النصوص الشرعية ، وفي العلم ، والعمل ، فخير قرون هذه الأمة ، وأفضلها ، وأقربها إليه ﷺ ، فأصحاب النبي ﷺ أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » . متفق عليه (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « افترقت اليهود على إحدى ، أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على إحدى ، أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » . أخرجه الترمذي والحاكم (٢) .

الفلاح والنجاة في فهم النصوص الشرعية من القرآن والسنة بفهم سلف الأمة فقط : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ . جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [١١٥] [النساء: ١١٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١٣] وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء: ١٣-١٤] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٩٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٣٣).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي. رقم: (٢٦٤١)، والحاكم برقم: (٤٤٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : « مَنْ كَانَ مُسْتَنَّاً ، فَلَيْسَتْ بِنِجْمَةٍ مَاتَ ،
أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا أَبْرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا ، وَأَقْلَمَهَا
تَكَلُّفًا ، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ » . أخرجه أبو نعيم في الحلية بسند
حسن (١) .

الثامن : الصحبة الصالحة ، صحبة الصالحين ، والأخيار من أهل الإيمان ،
والتقوى ، من أعظم الأسباب التي تعين المسلم على الإتيان ، والتمسك ،
والعمل بما جاء به النبي ﷺ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] .

وقال عز وجل : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا
قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]

وعن أبي موسى رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ
الصَّالِحِ ، وَجَلِيسِ السُّوءِ ، كَمَثَلِ الْمَسْكِ ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ ،
إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ
، إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » . متفق عليه (٢) .

والصاحب صاحب ، إما إلى خير ، أو إلى شر ، وإما إلى سنة ، أو بدعة ،
وإما إلى تقوى ، أو إلى فجور ، وإما إلى جنة ، أو نار .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ
أَحَدَكُمْ مَنْ يَخَالِلُ » . أخرجه أبو داود ، والترمذي (٣) .

(١) حسن / أخرجه أبو نعيم في الحلية ص (٣٠٥ / ١) بلفظ .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٢١٠١) ، ومسلم (٢٦٢٨) باختلاف يسير .

(٣) حسن / أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٣٧٨) .

٨- الخزانة الثامنة

الأصول والقواعد الشرعية :

مصادر الفقه الإسلامي :

١- القرآن .

٢- والسنة .

٣- والإجماع .

٤- والقياس .

فالقران والسنة هما أصل الأدلة الشرعية والإجماع هو اتفاق علماء الأمة على حكم شرعي مبني على الكتاب والسنة كالإجماع على وجوب الصلوات الخمس ، ووجوب صوم رمضان ونحو ذلك .

والقياس هو إلحاق فرع بأصل لعله تجمع بينهما .

مثاله : تحريم المخدرات قياس على تحريم الخمر لعله الإسكار .

أقسام الأحكام الشرعية :

تنقسم الأحكام الشرعية إلى خمس أقسام :

الأول : هي الواجب وهو ما طلب الشرع فعله طلباً جازماً يثاب فاعله امتثالاً ، ويستحق العقاب تاركه كالصلوات الخمس .

الثاني : المستحب وهو ما طلب الشارع فعله طلباً غير جازم يثاب فاعله امتثالاً ولا يُعاقب تاركه ، كأنواع التطوع من صلاة وصيام وصدقات وأذكار ، ونحوها ويسمى المندوب والمسنون والتطوع .

الثالث : المحرم وهو ما طلب الشرع تركه طلباً جازماً ليثاب تركه امتثالاً ويستحق العقاب فاعله كالكفر والشرك والزنا والربا والظلم والبغي ونحو ذلك من الكبائر والمحرمات .

الرابع : المكروه وهو ما طلب الشرع تركه طلب غير جازم يثاب تركه امتثالاً ولا يُعاقب فاعله كالسدل في الصلاة ونحو ذلك .

الخامس : المباح وهو ما لا يتعلق بأمر ولا نهى لذاته وهو ما خير الله المسلم بين فعله وتركه لا ثاب فاعله ، ولا يعاقب تاركه كالأكل من أنواع الطيبات وصيد البر والبحر و أكل طعام أهل الكتاب ونكاح نسائهن .

وقد ينوى بفعل المباح الاستعانة بها على طاعة الله فيؤجر ، وقد يتوصل بالمباح إلى الخير فيلحق في المأمورات ، وقد يتوصل بالمباح إلى الشر فيلحق بالمنهيات كما قال النبي ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه^(١) .

أقسام الأوامر الشرعية :

تنقسم الأوامر الشرعية من حيث الثبات والتغير إلى قسمين :

الأول : أحكام ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا اجتهاد الأئمة مثل الأحكام الواردة بالنص من القرآن والسنة كوجوب الواجبات ، وتحريم المحرمات ، والحدود المقدرة شرعاً ، وأركان الإسلام وغيرها .

الثاني : أحكام تتغير بحسب ابتغاء المصلحة لها زماناً ومكاناً وحالاً ، والمصالح والمنافع تتغير بتغير الزمان والمكان والحال مثل : العادات والأعراف ، ومقادير التعذيرات .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

وهذه أحكام اجتهادية لا تستند مباشرة على نص شرعي ، بل مصدرها عرف أو مصلحة سكتت عنه النصوص الشرعية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن نَنزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] .

وقال الله ﷻ : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] .

حكم فعل الأوامر الشرعية :

أوامر الله ﷻ مبنية على العدل والإحسان والسماحة والرحمة ، فيؤدي العبد الأوامر منها بقدر استطاعته ، ويجتنب المنهيات مطلقاً، كما قال سبحانه : ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ذروني ما تركتكم فإنما هلك الذين من قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم ، ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم » . متفق عليه ^(١) .

فقه أقوال النبي ﷺ وأفعاله :

إذا حث النبي ﷺ عن أمر أو نهى عنه ثم فعل خلافه فهو لبيان الجواز ، لكنه يواظب على الأفضل منه .

ومثاله : حث النبي ﷺ على الوضوء ثلاثة ، وتوضأ مرة أو مرتين ، وزجر عن الشرب قائماً ، وشرب قائماً ، وطاف بالبيت ماشياً وراكباً ، ومشى حافياً ومنتعلاً ، فهذه وأمثاله كله لبيان الجواز ، لكن النبي ﷺ واظب على

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٨)، ومسلم برقم: (١٣٣٧).

الأفضل منه وهو الوضوء ثلاثة ، واشرب جالسًا ، والطواف ماشيًا ،
والمشي متعلًا .

والقول مُقدم على الفعل ؛ لأن الفعل مظنة الخصوصية ، أما القول فهو
قطعيٌ للعموم .

أهم الأصول والقواعد الشرعية في الفقه الإسلامي :

أهم القواعد الشرعية أن اليقين لا يزول بالشك ، ولا ستار في كل شيء إلا
ما دل الدليل على نجاسته ، والأصل براءة الذمة إلا بدليل ، والأصل
الإباحة إلا ما دل الدليل على نجاسته أو تحريمه ، والأصل أن المشقة
تجلب التيسير ، والضرورات تبيح المحظورات ، والضرورة تُقدر بقدرها
وأن الواجبات لا تلزم إلا بعد العلم بها والتمكن من العمل بها .

وأنه لا واجب مع العجز ، ولا محرم مع الضرورة ، وأن الواجبات الشرعية
تلزم المكلفين ، وأن جميع الشروط في العبادات والمعاملات تعتبر حسب
الإمكان ، وأن درأ المفاسد مُقدم على جلب المصالح ، ويختار أعلى
مصلحتين ، ويُرتكب أخف المفسدتين عند التزاحم .

وأن الحكم يدور مع علته ثبوتًا وعدمًا ، وأن الائتلافات تجب على
المكلفين وغيرهم ، والأصل في العبادات الحظر إلا ما دل الدليل عليه ،
والأصل في العادات والمعاملات الإباحة إلا ما ورد الشرع بتحريمه .

والأصل في الأوامر الشرعية الوجوب إلا إذا دل الدليل على الاستحباب أو
الإباحة ، والأصل في النواهي الشرعية التحريم إلا إذا دل الدليل على
الكراهة ، والأصل في المنافع الحلم ، والأصل في النجاسات والمضار
الحرمة .

كل عبادة مركبة من أجزاء فإنه لا بد فيها من أمرين :

الأول : الترتيب .

الثاني : الموالاة .

كالوضوء والصلاة والحج والعمرة وغيرها .

والفرق بين فرض الكفاية وفرض العين ، أن فرض العين يتعلق بالعمل كالمطلوب فعله كالآذان ، وتجهيز الميت ونحوهما ، فإذا قام بذلك أحد سقط الإثم عن الباقي .

شروط قبول الأعمال الصالحة :

أفعال النبي ﷺ ثلاثة أفعال :

الأول : الفعل الجبلي المحض الذي تقتضيه الطبيعة البشرية كالقيام ، والقعود ، والأكل ، والشرب ، والنوم والسهر . فهذا لم يفعله ﷺ للتشريع والتأسي . فلا يقول أحد أقوم واقعد تقرباً إلى الله واقتداءً بنبي ﷺ .

الثاني : الفعل التشريعي المحض كأفعال الصلاة ، وأفعال الحج ، ونحو ذلك من أحكام الشريعة . هذا وأمثاله قد فعله الرسول ﷺ من أجل التأسي به ، ونفعه كما فعله ﷺ وهذا هو الغالب .

يجب علينا الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ في سيرته ، وسريته ، وسنته .

الثالث : الفعل المحتمل التشريعي والجبلي ، وضابطه أن تكون الجبلة البشرية تقتضيه ولكنه وقع متعلقاً بعبادة ، أو في وسيلتها ، كالركوع في الحج ، وجلسة الاستراحة في الصلاة ، والرجوع في صلاة العيد من طريق أخرى ، واضطجع على الجانب الأيمن بين ركعتي الفجر وصلاة الفجر ، والنزول بالمحصب بعد النفر من منى في آخر أيام التشريق ، ونحو ذلك .

هذا وأمثاله محتمل للأمرين ولمن شاء فعله أو تركه ، كما قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وقال عز وجل : ﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

شروط قبول العمل الصالح :

العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور :

الأول : أن يكون خالصاً لله عز وجل لأن الله يقول : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

الثاني : أن يكون موافقاً لما جاء به الرسول ﷺ لأن الله يقول : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (١) .

الثالث : أن يكون فاعله مؤمناً لأن الله يقول : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] .

فإذا اجتمعت هذه الشروط الثلاثة ، قبل الله العمل ، وإذا اختل شرط منها بطل العمل ، قال الله عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له..

وَأَحَدٌ مِّنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

[الكهف: ١١٠]

آفات العمل الصالح :

يعرض للعامل إذا عمل عملاً صالحاً ، كالصلاة ، والصيام ، والصدقات ونحو ذلك ثلاث آفات هي :

١- رؤية العمل .

٢- وطلب العوض عليه .

٣- ورضاه به وسكونه إليه .

فالذي يخلص العبد من رؤية عمله ، مطالعته لمنة الله عليه ، وتوفيقه له ، وأنه من الله وبه ، لا من العبد كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا يَكُفِّرُ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ شَيْئًا وَلَا يَخَافُ إِذِ الْمَوْتُ حَاقًا ﴾ [النحل: ٥٣] .

والذي يخلصه من طلب العوض عليه ، علمه بأنه عبد محض مملوكٌ لسيده ، لا يستحق على الخدمة أجره ، فإن أعطاه سيده شيء من الأجر ، هو إحسان وإنعام من سيده . لا عوضاً عن العمل .

والذي يخلصه من رضاه عن العمل والسكون إليه ، مطالعة عيوب نفسه وتقصيره في نيته ، وعمله ، وما فيه من حظ النفس والشيطان ، وعلمه العظيم بحق الله وأن العبد اعجز واطع من أن يقوم به على الوجه الأكمل ، نسأل الله الإخلاص والعون والاستقامة وحسن العبادة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ [الفاتحة: ٢-٥]

حفظ العمل الصالح :

ليس الشأن في أداء العمل الصالح فحسب ، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ، ويحبطه ، إذا تم فعله . فالرياء وإن دق مفسد للعمل ، وله أبواب كثيرة لا تحصى . وكون العمل غير مقيد بإتباع السنة ، محبط للعمل . والمن به على الله بقلبه مفسدٌ له . وهذا الخلق مُنقصر له . وتعمد مخالفة أوامر الله والاستهانة بها ، مبطل له ونحو ذلك مما يهدم بنیان العمل الصالح ويقود أركانه . فانتبه لنفسك أيها العبد المسلم واعبد ربك الملك الحق الذي يراك ، ويسمعك كما يليق بجلال وجهه وعظمته وكبريائه ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [١١٠] [الكهف: ١١٠]

واعلم أن العمل الصالح ينطلق منك عملاً ويرجع إليك ثواباً : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦] [العنكبوت: ٦] .

والعمل السيئ ينطلق منك عملاً ويرجع إليك عقاباً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [١٢] [محمد: ١٢] .

الصفات التي تؤدى بها الأعمال :

أهمية النية :

النية في الشرع هي العزم إلى فعل العبادة تقرباً إلى الله تعالى ، والنية شرطٌ لصحة العمل وقبوله وأجزائه ، ومحلها القلب وهي لازمة في كل عمل لقوله ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

والنية في قبول العمل ، كالروح في الأجساد لبقاء الحياة ، فلا حياة لجسد بلا روح ، ولا قبول لعمل بلا نية ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]

وتنقسم النية إلى قسمين :

الأول : نية العمل : بأن ينوي المسلم الوضوء والغسل ، أو الصلاة مثلاً .
 الثاني : نية المعمول له : وهو الله عز وجل وهو الغسل ، أو الصلاة ، وغيرها . تقرباً لله وحده . وهذه أهم من الأولى وكلاهما لازم في كل عمل : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣] .

معنى الإخلاص :

الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن بتصفية العمل لله عن ملاحظة المخلوقين ، والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره ، وإذا أخلص العبد ، اجتباه ربه ، وأحيا قلبه ، وقربه إليه . وحب إليه الطاعات ، وكره إليه المعاصي .

بخلاف القلب الذي لم يخلص ، فان فيه طلباً وشوقاً وإرادة ، تارة إلى الرئاسة ، وتارة إلى الشهرة ، وتارة إلى الدرهم والدينار ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]

حكم الإيثار :

الإيثار ثلاث أقسام :

الأول : إيثار ممنوع : وهو أن تؤثر غيرك ممن يجب عليك شرعاً كما لو كان الموضوع الذي لا يكفي إلا لواحد ، فهذا لا يجوز أن تؤثر به غيرك ، لأنه يستلزم إسقاط الواجب عنك .

الثاني : إيثار مباح : كالإيثار في الأمور المستحبة ، كأن تؤثره في الصف الأول الذي أنت فيه وهذا تركه أولى إلا لمصلحة كما لو كان أباك .

الثالث : إيثار مستحب : كأن تؤثر غيرك في أمر غير تعبد ، كما لو أثرته بطعام وأنت جائع ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٩] .

٩ - الخزانة التاسعة

الصفات التي تؤدي بها الأعمال الصالحة :

كل عمل لا بد له من صفات يؤدي به ليكون صالحًا مثمرًا مقبولًا عند الله سواء كان من العبادات كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج وغيرها ، أو كان من المعاملات كالببيع ، والتجارة ، والصلح ، والوكالة ، وغيرها .
أو كان من الآداب ، أو المعاشرات ، أو الأذكار ، أو الأدعية ، وغيرها من أوامر الله عز وجل ، كالدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأهم الصفات التي يجب توفرها في كل عمل ليكون مثمرًا مقبولًا . ما يلي :

الأول : اليقين بأن هذا العمل الذي أمرنا الله ورسوله به فيه فقط قضاء حاجتنا ، وفوزنا ، ونجاتنا ، وفلاحنا في الدنيا والآخرة ، بلا ريب : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) [الأحزاب: ٧١] .

الثاني : إخلاص العمل لله وحده لا شريك له ؛ لأنه هو الذي خلقنا وهدانا وأعاننا عليه ، وهو الذي يثبتنا عليه ، ويثبينا عليه ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) [الأنعام: ١٠٢] .

وقال عز وجل : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣] .

وأعمال الدين غالية ، لا يستطيع أحد أن يدفع قيمتها إلا الله وحده ، فكل من في السموات والأرض لا يستطيعون أن يعطوا أحدًا ، ثواب تسيحة واحدة . فأخلص العمل لمن وعدك بأجره وهو الله وحده ، لا شريك له ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ
أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ [الزمر: ٦٢-٦٤].

الثالث : إتباعه الرسول ﷺ في كل عمل بأن نفعه كما فعله الرسول ﷺ ،
ونستحضره لو كان النبي ﷺ حاضراً أو في مكاني ماذا سيفعل في هذه
الحال فأفعله إن علمت به أو إن جهلت سأسأل من يعلمه .

الرابع : استحضار فضيلة العمل ، فالأعمال الصالحة ثقيلة : ﴿ إِنَّا سُنَّلِي
عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥] .

وإذا عرفنا فضائلها سهل القيام بها ، والمداومة عليها ، والإكثار منها ،
والدعوة إليها ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ
وَأَتَوْا بِهِءَ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

الخامس : استحضار فضيلة العمل الصالح ، فنعرف فضيلة الذكر ،
والصوم ، والحج ، والدعوة إلى الله ، وصلة الرحم ، وغيرها من أعمال البر
ليسهل القيام بها ، والمداومة عليها .

سادساً : الإحسان بأن نؤدي العبادات بصفة الإحسان ، بأن تعبد الله كأنك
تراه فان لم تكن تراه فهو يراك ، فنستحضر أن الله يرانا ويسمع كلامنا ،
ويعلم أحوالنا ، ويراقب تصرفاتنا ، وأنه قادرٌ على قضاء حوائجنا ، وأنه
سوف يستجيب دعائنا .

العبد حق من عمل لله في الخلوة ، أو مع الناس ، على حدٍ سواء ، وتوجه
إلى ربه وحده بقلبه وقالبه ، ولم يلتفت إلى أحدٍ سواه . ومن أحسن عمله لله
بحضرة الناس ، وأساء عمله في الخلوة فقد استحضر عظمة المخلوق

للخالق ، وهذا هو النفاق : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

السابع : المجاهدة ، فلنجاهد أنفسنا لنسارع إلى كل عمل صالح ، ونفطم أنفسنا مما تحب وتريد ، إلى ما يحبه الله ويريده . ونبذل كل ما نملك من أجل رضا الله ، وفعل ما يحب ، واجتناب ما يكره . فالعبد حقاً من قدم مراد الله إلى مراد نفسه ، وقدم ما يحبه الله على ما يحبه نفسه .

فمن وفقه الله لهذا فهو المجاهد حقاً الذي وعده الله بالهداية : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .
وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُم بِظُلْمٍ ءُؤْلَتِكَ لَهُمُ ءَلَامُنٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

وإذا قمنا بالأعمال بهذه الصفات الحسنة ، انتشر العلم والعمل والصفات الطيبة ، وإذا قمنا بالعلم والعمل بدون هذه الصفات ، انتشر العلم والعمل بدون الصفات ، وكثر الجدل والخلاف . وطلب الرخص والكسل والرياء وهبت الفتن ، وانتشرت الفرق والأحزاب : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢] .

ومن قام بالعمل بهذه الصفات ، حصل على موعودات الله في الدنيا والآخرة . ومن قام بالعمل وقد أخلّ بإحدى هذه الصفات ، لم يحصل على الموعود من العمل ، ولم ينجو من الخسارة إلا من أكمل وسائل النجاة أربعة كما قال -سُبْحَانَهُ- : ﴿ وَالْعَصْرُ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣ ﴾ [العصر: ١-٣] .

حقيقة الرسالة :

أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ رحمة بالعالمين ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

فمحمداً ﷺ رحمة للعالمين كلهم ؛ لأنه جاءهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة ، فمن آمن به نال هذا الخير ، ومن لم يؤمن به فهو الذي حرم نفسه ، وضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى المبسوطة لكل أحد ، ولو فجر الله عيناً للخلق غزيرة الماء سهلة التناول ، فمن سقى نفسه ومواشيه وزرعه بمائها صلحت حاله وتتابع عليه النعم ، ومن فرط وكسل عن العمل ضيع نصيبه من تلك العين ، فقد حرم نفسه من منافع تلك العين ، فساءت حاله ؛ لأنه حرمها مما ينفعها ، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۗ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيُبْسِكُونَ الْقَرَارَ ۗ ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩] .

وقال عز وجل : ﴿ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَاذْكُرْ يَوْمَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١] .
وأفضل الخلق على الإطلاق هو سيد الخلق سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ ، وقد ذكر الله من أسماء النبي ﷺ في القرآن اسمين هما محمد وأحمد ، والفرق بينهما في الصيغة أن اسم محمد اسم مفعول يعني محمود ، وأحمد تفضيل ، والفرق بينهما في المعنى في محمد الفعل واقعاً من الناس ، أي الناس يحمدونه لكمال صفاته وأخلاقه .

وفي أحمد يكون الفعل واقعاً منه ﷺ فهو ﷺ أحمد الناس لله - تعالى - ، وهو أحق الناس أن يحمد ولعل هذا هو السر في أن الله ألهم عيسى أن يقول أحمد لبني إسرائيل لأنه أحمد الناس لله - تعالى - ، وهو أحق الناس

بالحمد ، كما قال عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ [الصف:٦] .

فصلوات الله وسلامه عليه ، وأفضل صيغة للصلاة على النبي ﷺ هي ما علمه أصحابه في الصلاة عليه والسلام عليه ، وهي : « قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » . متفق عليه (١) .

أما السلام فيقول كما جاء عن النبي ﷺ في تشهد الصلاة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وأما الصلاة فيصل عليه وعلى آله وأزواجه وذريته وأتباعه إلى يوم القيامة ، فإن الآل تطلق على الأتباع .

ورسول الله ﷺ أرسله ربه رحمة للعالمين ، لقد كان ﷺ أرحم الخلق بالخلق ، وأشفق الخلق على الخلق وأرحمهم لهم ، فقد كان يترك العمل وهو يحب أن يفعله لئلا يعمل به الناس فيفرغ عليهم فيشق عليهم ، ومن ذلك ترك قيام رمضان جماعة في المسجد لئلا يفرض على الأمة ، وترك تأخير صلاة العشاء لوقتها الأفضل ، والوصال لئلا يشق على الأمة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ ﴾

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَدْعُ الْعَمَلَ ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ ، فَيَفْرَضَ عَلَيْهِمْ ، وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا » . متفق عليه (٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٩٧)، ومسلم برقم: (٤٠٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٢٨)، ومسلم برقم: (٧١٨).

فسبحان من خص رسوله ﷺ بالأقوال الحسنة والأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة ، وقد خص الله عز وجل رسوله محمد ﷺ بأشياء ففرض عليه أشياء لم تفرض على غيره ، وحرّم عليه أشياء لم تحرّم على الأمة ، وأحلّ له أشياء لم تحلّ للأمة ، فأما ما فرض عليه فالتهدج بالليل والوتر ، والسواك وقضاء دين من مات معسراً وإذا عمل عملاً أثبتته ، وإنكار المنكر إذا رآه ، وتخيير النساء .

وأما ما حرّم عليه فمن ذلك تحريم الزكاة عليه وعلى آله ، وتحريم صدقة التطوع عليه ، وخائنة الأعين وهي أن يُظهِر خلاف ما يبطن ، وحرام عليه إذا لبس لأمة الحرب أن يخلعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ، وأكل الأطعمة الكريه الرائحة ، التبديل بأزواجه ، وقول الشعر وتعليمه ، وأن يمد عينه إلى ما متّع به الناس من الأزواج والأولاد : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١] .

وأما ما أحلّ له خمس الخمس ، والوصال ، والزيادة على أربع نسوة ، والنكاح بلفظ الهبة ، والنكاح بغير ولي ، والنكاح بغير صداق ، وسقوط القسم بين الأزواج عليه ، ولكنه ﷺ كان أحسن الناس عدلاً وقسماً ، ومما أحلّ له القتال في مكة ، وأنه لا يرث وبقاء زوجيته بعد وفاته ، ولا تنكح أزواجه من بعده فهذا من خصائصه ﷺ .

١٠ - الخزانة العاشرة

فضل هذه الأمة :

هذه الأمة خير أمةٍ أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمن بالله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فهذه الأمة أفضل الأمم ، كما أن النبي ﷺ أفضل الأنبياء والرسول ، فهذه الأمة أفضل من بني إسرائيل ، فقد ابتلى الله أصحاب النبي ﷺ بالخوف ، وابتلاهم بطمع ، وابتلى بني إسرائيل بخوف وابتلاهم بطمع ، فاستجاب أصحاب النبي ﷺ له ﷺ ولم يستجب بنو إسرائيل لأنبيائهم ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ﴾ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

والابتلاء الذي يظهر به الفضل وعدمه إنما يكون بخوف أو طمع ، فابتلى الصحابة في بدر بخوف من عدوهم فصبروا وثبتوا ؛ فنصروا : ﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ الْنَّاسُ فَأَوَّكُوا وَأَيْدِيكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦] .

وابتلى بنو إسرائيل بخوف من الجبارين فجنبوا وخافوا وعوقبوا بالتيه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ مِمَّا تَرْضَوْنَ يَا قَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَى الْأَرْضِ فَغَوَوْا فَنَقَلْبُوا حَسْرِينَ ﴾ ﴿١١﴾ قَالُوا يَا مَوْسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا

فَاتَّأَنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ [المائدة: ٢٠-٢٦].

وابتلى الله عز وجل الصحابة رضي الله عنهم بالصيد وهم محرمون في الحديبية ، فأطاعوا ولم يمسوا أحد منهم : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بَشْيءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٩٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْلُوبُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ [المائدة: ٩٤-٩٥].

وابتلى الله عز وجل بنو إسرائيل بظهور السمك يوم السبت فاعتدوا فمسحوا قرده . كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ [البقرة: ٦٥].

وجعل الله مقتسم بني إسرائيل أعلاهم منه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦].

وجعل سبحانه في هذه الأمة درجة أعلى ، وهي السابق بالخيرات ، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِءَ

وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

[فاطر: ٣٢-٣٥].

والصحابه رضي الله عنهم صدقوا الرسل : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ [الزمر: ٣٣].

وبنو إسرائيل عادوا الرسل وكذبوهم وقتلوهم : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا إِنَّا لَبِئْسَ الْأُمَّةَ كَذَّبُوكُمْ وَإِذَا تَوَلَّوْا كَانُوا مِنْكُمْ كَافِرِينَ ﴾ ﴿٧٠﴾ [المائدة: ٧٠].

ولهذا الله عز وجل رضي عن هذه الأمة ، وعن القرن الأول خاصة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ مِنْهُمُ الْمُهَجَّرِينَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

مشاورة النبي ﷺ لأصحابه :

أرسل الله رسوله محمد ﷺ رحمة للعالمين وأمره بمشاورة أصحابه ؛ لأنهم سيرثون العمل بالدين والدعوة إليه وتعليم شرعه من بعده فقال سبحانه : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالدين عظيم والدعوة إلى الله عظيمة ونشر الدين في العالم يحتاج إلى بذل الأوقات والأنفس والأموال وترك الشهوات ، والأوطان والأهل من أجل

إبلاغ دين الله كما أمر الله عز وجل بقوله : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذْكَرُوا أُولَئِكَ الَّذِينَ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

والأمة سترت هذا العمل العظيم بعد النبي ﷺ وإبلاغه للناس كافة إلى يوم
القيامة لهذا أمر الله نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه في أمر الدين وكيفية انتشاره ،
ورغبتهم في بذل الأوقات والأنفس والأموال في سبيل إعلاء كلمة الله ﴿
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ
يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٧٢] لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣] .

فبالمشاورة يعلم الإنسان خير الأمور وشرها وأفضلها وأحسنها وقد أمر الله
رسوله ﷺ بمشورة أصحابه لأمر :

الأول : إن مشورة النبي ﷺ لأصحابه توجب علو شأنه ورفع مقامهم وذلك
يوجب شديد محبتهم له ولزوم طاعته وشعورهم بمسئوليتهم عن هذا الدين
من بعده .

الثاني : إن النبي ﷺ وإن كان أكمل الناس عقلا إلا أن علوم الخلق متناهية
فلا يبعد أن يختار ببال أحدهم من وجوه المصالح ما لا يختار بباله خاصة في
أمور الدنيا فقد قال ﷺ : « : أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ . » (١) .

الثالث : أن الله أمر رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه ليقتردي به غيره في
المشاورة ويصير سنة في أمته، ويتعبد لله بالشورى في سبيل إعلاء كلمة الله .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٣٦٣)

الرابع : أنه ﷺ شاورهم في الخروج إلى أحد فأشاروا عليه بالخروج فحصل ما حصل من رفع النصرة عن الصحابة فأمره الله عز وجل بمشاورتهم بعد ذلك ليدل على أن قلبه لم يبق به أثر من تلك الغزوة .

الخامس : وشاورهم في الأمر لا لتستفيد منهم رأياً وعلماً ، لكن لتعلم مقدار عقولهم و أفهامهم ، ومقدار حبهم لك ، وطاعتهم لك لتمييز عندك الفاضل من المفضول ، فتستعمل طاقتهم في خدمة الدين كل بحسبه .

السادس : وشاورهم في الأمر لا لأنك محتاج إليهم ولكن ليجتهد كل واحد منهم إلى استخراج الرأي الشديد لمصلحة الدين ؛ لأنهم سيحملون أمر الرسالة والدعوة بعدك .

السابع : أن الله عز وجل أمره بمشاورتهم ليعلمهم أن لهم عند الله قدرًا وقيمة فهذا يفيد أن لهم قدرٌ عند الله وعند الرسول وعند الخلق : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨] .

الثامن : أن الملك العظيم لا يشاور في المهمات العظيمة إلا خواصه والمقربين منه فالصحابه -رضي الله عنهم- أنصح الخلق للرسول ﷺ ولهذا الدين وهذا الدين لهم فشاورهم فما يتعلق بنشره والدفاع عنه ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

فإذا حصل الأمر المتأكد فلا تعتمد عليه بلا اعتمد على الله وحد ، والمشاورة لا تكون فيما نزله من الوحي بالإخبار والأحكام ، بل تكون فيما تتطلب الاجتهاد في حسن الاختيار وقد شاور الرسول ﷺ أصحابه في عدة مناسبات في غزوة بدر وغيرها من المناسبات .

حكم الصلاة على النبي ﷺ وغيرها :

الصلاة على النبي ﷺ مشروع بالقرآن والسنة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

وقال النبي ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا » . أخرجه مسلم ^(١) .

وإما الصلاة على غير النبي ﷺ فلها ثلاث حالات :

الحالة الأولى : إما أن تكون على أهله وأزوجه وذريته فهذه مشروعة مع الصلاة عليه وجائزة مفروضة .

الحالة الثانية : أما أن تكون الصلاة على الملائكة أو الأنبياء وأهل الطاعة عموماً فهذه جائزة فتقول اللهم صلى على ملائكتك المقربين ، وأهل طاعتك أجمعين .

الحالة الثالثة : أما أن تكون الصلاة على شخص معين أو طائف معين فهذه تجوز لكن بشرط ألا تتخذ شعار يداوم عليه .

أما ثمرات الصلاة على النبي ﷺ

فالنبي ﷺ أفضل بني آدم وخاتم الأنبياء والرسل وأعرف الخلق بربه وأعظمهم عبادة لله وأكملهم أخلاقاً وأعظمهم جهاد في سبيل الله وأعظمهم دعوة إلى الله وتعليماً لشرعة وإحسان إلى خلقه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٠٨) .

لهذا استحق ﷺ أن يُحمد في السماء والأرض فهو أحمد الخلق لربه وهو محمودٌ في السماء والأرض والله وملائكته يصلون عليه كما قال سبحانه :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

وقد أمرنا الله بالإكثار من الصلاة عليه لما خاص الله به من هذا الجهاد العظيم في إبلاغ دين الله - عز وجل - واتصافه بأحسن الأخلاق حتى أثنى عليه ربه بقوله وإنك لعلی خلق عظیم وفوائد الصلاة عليه ﷺ كثيرة منها امتثال أمر الله سبحانه بالصلاة عليه وموافقة الله بالصلاة عليه وموافقة الملائكة بالصلاة عليه وحصول عشرة صلوات لمن صل عليه مرة وأن يرفع للمصلی عليه عشرة درجات ويكتب له عشرة حسنات ويمح عنه عشرة سيئات وأنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها بين دعائه هي سبب لغفران الذنوب وسبب لقرب العبد منه وسبب لشفاعته له ﷺ وسبب لصلاة الله وملائكته عليه وسبب لرد النبي عليه وسبب لطيب المجلس ، وسبب لنفى البخل عن ما صل عليه ، وسبب لخروج العبد عن الجفاء ، وسبب لنيل رحمة الله وسبب لدوام محبته ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٩- خزائن الأعمال الصالحة

القسم الأول

ويشتمل على ما يلي:

- | | |
|---------------------|----------------------|
| ١ - الخزانة الأولى | ٦ - الخزانة السادسة |
| ٢ - الخزانة الثانية | ٧ - الخزانة السابعة |
| ٣ - الخزانة الثالثة | ٨ - الخزانة الثامنة |
| ٤ - الخزانة الرابعة | ٩ - الخزانة التاسعة |
| ٥ - الخزانة الخامسة | ١٠ - الخزانة العاشرة |

٢٩- خزائن الأعمال الصالحة

القسم الأول

١- الخزانة الأولى

فقه الأعمال الصالحة :

الأعمال الصالحة هي كل ما أمر الله ورسوله به سواء كان امتثالاً للأوامر كالأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام وغيرها من أنواع العبادات والطاعات ، أو كان اجتناباً للنواهي كالأمر باجتنب الكفر والشرك ، والكبائر والفواحش ، والمعاصي والبدع .

وسواء كانت أقوالاً كالأدعية والأذكار، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، والنصح للمسلمين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

أو كانت أفعالاً كالوضوء والصلاة والحج والجهاد ، وسواء كانت أعمالاً قلبية كالإيمان والتوحيد ، والخوف والرجاء ، والحب لله ، والتعظيم له ، والذل له والتوكل عليه : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣] .

أو كانت أعمالاً تخص اللسان كالأدعية والأذكار ، والدعوة إلى الله ، وتعليم
 شرع الله ، والنصح لكل مسلم ، أو كانت أعمالاً تخص الأبدان كالصوم
 والصلاة والجهاد والحج ونحو ذلك من الأعمال الصالحة : ﴿ مِّنْ عَمَلٍ
 صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ﴿٤٦﴾ [فصلت: ٤٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۗ ﴾
 [الإسراء: ٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ
 مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ
 ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
 الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّادِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
 وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ﴿١٧٧﴾ يتأيتها الذين ءامنوا
 كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ۗ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۗ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ
 مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاِتِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ
 فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يَتَأُولَىٰ
 الْآلِبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٧-١٧٩] .

ونية المؤمن خير من عمله عند العذر ، والنية لا تنفك عن الفعل ، ومقصود
 جميع الأعمال الصالحة تنوير القلب بمعرفة الله ، ومعرفة عظمته وقدرته ،
 وتطهيره مما سوى الله ، والقصد من تكرار الأعمال الصالحة ؛ أن يذكر
 القلب ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم يحبه ويكبره ويعظمه ويطيعه .
 والقلب أشرف من الجسد ، وفعله أشرف من فعل الجسد ، والجسد ياتمر
 بأمر القلب ، فكانت النية أفضل من العمل .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه (١) .

وعن النعمان بن بشير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه (٢) .

أنواع الأعمال التي يباشرها الإنسان :
الأعمال ثلاثة أنواع :

١- طاعات .

٢- ومعاصي .

٣- ومباحات .

فالطاعات مرتبطة بالنية في الأصل وفي الفضيلة ، فالأصل أن ينوي بها المسلم عبادة الله وحده لا شريك له ، فإن نوى بها الرياء صارت معصية : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٥] .

وأما الفضيلة فبكثر النيات تكثر الحسنات في كل عملٍ صالح ، فمن نوى إذا دخل المسجد بالصلاة ركعتين ، ركعتي الوضوء وتحية المسجد والسنة الراتبية ، كتب الله له أجر تلك النيات : ﴿ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة : ٥] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩/١٠٧).

وكذا المباحات وكل شيء مباح ، إذا نوى به العبد التقرب إلى الله صار طاعةً يؤجر عليها ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

فالنية تجارة العلماء يربحون على الله فيها ما لا يربحه غيرهم .
أما المعاصي فلا تتغير بالنية ؛ فالمعاصي لا تنقلب طاعات بالنية ، فالذي يسرق ويتصدق فعله كله معصية ، لأن طيب لا يقبل إلا طيباً .

أقسام المؤمنين في النيات :

نيات الناس في الطاعات أقسام :

منهم من يعبد الله خوفاً منه ، ومن عذابه ، ومنهم من يعبد الله طمعاً في ثوابه وهو الرغبة في الجنة : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

ومنهم من يعبد الله ؛ لأنه العظيم الذي يستحق أن يعبد لذاته وجماله وجلاله ، وإنعامه وإحسانه ؛ راجياً لثوابه ، خائفاً من عقابه .

وهؤلاء هم أولو الأبواب المقربون ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] ﴿ ٣ ﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿ ٤ ﴾ [الأنفال: ٢- ٤] .

وثواب الناس بقدر نياتهم ، فأعبد الله ، لأنه أهل أن يُعبد ، وأهل أن يذكر ، وأهل أن يوحد ، وأهل أن يُشكر ، لتتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم ويفوز بالجنة والرضوان : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿ ٢٢ ﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿ ٢٣ ﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

ونسبة اللذة بنعيم الجنة إلى لذة النظر إلى وجهه الكريم ، كنسبة نعيم الجنة إلى وجه الله الكريم .

ثواب الأعمال الصالحة :

الأعمال الصالحة : هي كل قول أو فعلٍ أمر الله ورسوله به ، وأداه العبد ؛ ابتغاء مرضات الله ﷻ ، وامتنالاً لأمره : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأتوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيَةَ مِنَ ءَامَنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أُحْدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا قَائِمُونَ ﴾ [النساء: ٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق: ١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] .
 خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف: ١٠٨] .
 وغير ذلك من الآيات الواردة في كتاب ربنا ﷻ .

فقه العمل الصالح :

العمل الصالح يشمل كل قول وفعل .

العمل أعم الأحداث ، وهو تعلق الجارحة بما نيظت به ؛ فالقلب جارحة عملها النية ، واللسان جارحة عملها القول ، والعين جارحة عملها الرؤية .

أما الفعل : فهو تعلق فعل غير اللسان بما نيظ به ، أما تعلق اللسان فهو قول ؛ فالقول والفعل يسمى عملاً : ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣] .

وقال الله ﷻ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] .

وأعظم صفة رابحة هي الإيمان، والأعمال الصالحة؛ فالدنيا وقتها محدود، ودنيا كل احد بقدر عمره ، وعمره فيها مظنون لا يدري متى يموت ؟ وورزق الإنسان في هذه الدنيا بقدر ما قسم الله له ؛ فالأرزاق مقدرة مكاناً وزماناً وكميةً ونوعية : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا
وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

أما الآخرة فعملها مطلق ، وعمر الإنسان فيها مطلق ، والنعيم فيها على قدر
عطاء الخالق : ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤].

والرابع حقاً من استعمل الدنيا وما وهبه الله في سبيل الوصول إلى رضوان
الله والفوز بالجنة : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فحياة الإنسان في هذه الحياة الدنيا إيمان وعمل وعبادة لله وحده لا شريك
له ، قيامٌ بالعمل ، ودعوة إلى الأعمال الصالحة : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أُرْكُعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

وقال الله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/ ١-٣].

والعمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة شروط :

الأول : أن يكون خالصاً لله وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا
أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ
الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥].

وقال الله تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ [

الزمر: ٢-٣].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشْرَكَهُ » . أخرجه مسلم (١) .

الثاني : أن يكون مطابقًا لما جاء به النبي ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿٧﴾ . [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] .

الثالث : أن يكون ذلك العمل مبنياً على أساس الإيمان ؛ لان العمل كالسقف لا بد له من أساس يثبت عليه وإلا انهيار كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف: ١١٠] .

فهذا العمل الصالح هو الذي يقبله الله ، وينفع صاحبه يوم القيامة ويدخل العبد بسببه الجنة ، فإذا اختل أحدٌ من هذه الأمور لم يكن عملاً صالحاً كالذي يعمل الكفار يريدون به وجه الله : كبر الوالدين ، ومواساة الفقراء ، وإعانة المظلوم ، لا تنفعهم تلك الأعمال يوم القيامة ، لفقدتها شرط الإيمان كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ﴿٣٩﴾ [النور: ٣٩] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٨٥ / ٤٦) .

وقال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

لكن هذه الأعمال إن وقعت صالحة خالصة تنفعهم في الدنيا ، وأثابهم الله عليها في الدنيا مالا أو ولدا أو صحة ونحو ذلك ؛ لأن الله لا يضيع عنده شيء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠] .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، وَيَجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يَجْزَى بِهَا » . أخرجه مسلم ^(١) .

والعمل الصالح لا ينفع صاحبه إلا إذا تقبله الله منه ، ولا يعمل المؤمن عملاً صالحاً إلا إذا وفقه الله إليه وأعان عليه : ﴿ وَمَا يَكُفُّمْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ فِيمَنْ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] .
والعمل الصالح إنما صار سبباً لدخول الجنة ؛ لأن الله تقبله ، ووفق صاحبه إليه ، وأعان عليه ؛ ولهذا صار دخول الجنة بفضل الله ورحمته ، وصار العمل الصالح سبباً لدخول الجنة كما قال سبحانه : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

(١) أخرجه مسلم برقم : (٢٨٠٨ / ٥٦) .

أما التوفيق والعمل الصالح فهو فضلٌ من الله على من شاء من عباده كما قال النبي ﷺ: « لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ ». قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ، سَدَّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرَوْحُوا وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ وَالْقَصَدِ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا ». متفق عليه^(١) .

والقرآن الكريم بحر العلوم ، بين الله فيه كل شيء ، وهو بحر لا ساحل له ، جمع الله فيه علوم الأولين ، وعلوم الآخرين ، وعلوم الدنيا ، وعلوم الآخرة : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

والسنة النبوية قطرةٌ من بحره ؛ لأن جميع ما جاء به الرسول ﷺ يدخل في قوله سبحانه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وأبواب السماء تفتح لأعمال المسلمين ، ودعائهم ، وأرواحهم ، كما قال سبحانه : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠] . أما الكفار ، والمكذبون لله ورسله ، والمستكبرون عن عبادته سبحانه ، فلا تفتح لهم أبواب السماء ؛ لا تفتح لأحدهم أبواب السماء ، لأن أعمالهم مردودة غير مقبولة ، ولا تفتح لدعواتهم أبواب السماء ، لأنها غير مستجابة للشرك المانع من قبول الدعاء ، ولا تفتح لهم أبواب السماء بالبركات لكفرهم ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

ولا تفتح أبواب السماء لأرواح الكفار إذا ماتوا لأنهم كفار ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتِحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٦٣) ، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٨١٦/٧١) .

الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾

[الأعراف: ٤٠-٤٢].

حكم أفعال العباد .

انقسم الناس في كسب العبد إلى ثلاث أقسام :

الأول : قومٌ قالوا : إن العبد يخلق أعمال نفسه بلا تأثيرٍ لقدرة الله فيها ، وهذا مذهب باطل ؛ لأن الله يقول : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات: ٩٦] .

وهذه الطائفة غلت في التفريط ، حتى سلبوا الله قدرته ، وأوقعوا في ملكه ما لا يريد ، ومحالٌ أن يقع في ملك الله شيء إلا بمشيئته .

وهذا مذهبٌ باطل لأن الله خالق كل شيء : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

الثاني : قوم قالوا : إن الفعل فعل الله ، والعبد مجبور على أفعاله ، فلا خيار له ، ولا يعذب بفعل الله .

وهذا مذهب باطل ؛ لأن الله خلق الإنسان مخيراً ليؤمن أو يكفر ، أو يطيع أو يعصي ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: ٢] .

الثالث : وهم أهل الحق الذين قالوا : إن الله خلق للعبد قدرة ، فهو القادر الذي أقدر كل قادر من إنسان وحيوان ، ونبات وجماد .

فالله خلق للعبد قدرة وإرادة ومشية ، ولكنها لا تنفذ إلا بمشيئة الله ، ويصرفها الله إلى ما سبق به العلم الإلهي ، فيأتيه العبد طائعاً مختاراً .

وهذا هو المذهب الحق ، فإن الله خلق العباد ، وخلق أفعالهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات: ٩٦] .

ولا يقع في ملكه سبحانه إلا ما يشاء ، وقد مكن الكل من أسباب الهداية ، وتفضل بها على من شاء ، ومنعها من شاء وهو سبحانه أعلم حيث يجعل

رسالته وهدايته : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهْتُولَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٣] .

هدى سبحانه من شاء بفضله ، وأضل من شاء بعدله : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٢٧] لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿ ٢٨ ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢٩ ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٩] .

فالله خلق الخلق وأمرهم ، وسيوفق كله منهم إلى ما سبق له علمه الأزلي . قال النبي ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مِمَّنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ

مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَمُكُّ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ فَقَالَ : مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ

السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَقَالَ : اَعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ

الشَّقَاوَةَ فَيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَوَى ۝٥ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى ۝٦ فَسَنِيْرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَبَ بِالْحَسَنَى ۝٩ فَسَنِيْرُهُ لِّلْعُسْرَى ۝١٠ ﴾ [الليل: ٥-١٠] . . متفقٌ عليه (١) .

والطبع والختم على قلوب الكفار ما كان إلا بسبب ذنوبهم ، فإن الله يسبب للإنسان الضلالة بسبب ارتكاب الذنوب ، كما يسبب له الهدى بسبب الطاعات ، فالعبد إذا سار على الكفر ، وتكذيب الرسل ، عاقبه الله بأن زاده الله ضلالاً على ضلاله ، وجاءه الطبع والختم بسبب كفره وبغيه كما قال سبحانه : ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّيثَقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِثَائِتِ اللَّهِ وَقَلْبِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً ۝١٥٥ ﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيْمًا ۝١٥٦ ﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٦] .

وقاله سبحانه عن الكفار : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ ﴾ [الصف: ٥] .

وقال سبحانه عن المنافقين : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠ ﴾ [البقرة: ١٠] .

والحسنة والطاعات سبب لزيادة الهدى كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝١٧ ﴾ [محمد: ١٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك شر ما قضيت .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٤٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦/٢٦٤٧) .

٢ - الخزانة الثانية

شروط العمل الصالح :

لابد لكل عمل صالح من ثلاثة أمور :

١ - أن يكون خالصاً لله ﷻ .

٢ - ومشروعاً في الدين .

٣ - مؤدى على سنة رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ

إِلَهُ وَحْدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴿

[الكهف: ١١٠] .

فإذا لم يكن العمل خالصاً لله لم يقبل ؛ لأنه شرك : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿ [البينة: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴿ [النساء: ١١٦] .

وإذا لم يكن العمل على ما شرع الله لم يقبل ؛ لأنه بدعة في أصله كما قال

النبي ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (١) .

وإذا لم يكن على سنة رسول الله ﷺ لم يقبل ؛ لأنه بدعة في كفيته : ﴿ فَمَنْ كَانَ

يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴿ [الكهف: ١١٠] .

فنصلي لله وحده ؛ لان الله شرع الصلاة وإتباعاً لسنة النبي ﷺ في تلك

الصلاة ، حيث قال ﷺ : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » . متفق عليه (٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له..

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٠٨)، ومسلم برقم: (٦٧٤).

أثر الحلال على العمل :

الأكل من الحلال له أثر في العمل الصالح ، وإجابة الدعاء ؛ لهذا أمر الله الرسل بالأكل من الطيبات والعمل الصالح: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [٥١] [المؤمنون: ٥١] .

ومن أكل الحرام فإن دعاءه لا ينفعه ؛ لأنه لا يأكل الحلال ، ولم يشرب منه ، ولم يركبه ، ولم يلبسه ، فأنى يستجاب لمثل هذا ؟

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [١٧٢] [البقرة: ١٧٢] .

وقد نهى الله ورسوله عن المعاصي وهي كبائر ، وصغائر .

والكبائر كل ذنبٍ توعد الله عليه بنارٍ أو بغضبٍ أو عذابٍ أو حد .

والكبيرة أعظم من مطلق المعصية ، ويدل عليها تغليظ التحريم وتوكيده .

والكبائر غير محصورة ، والصغائر غير محصورة كذلك .

والمعاصي كبائر وصغائر ، غير أنه لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع

الاستغفار: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [٣١] [النساء: ٣١] .

وكبائر الإثم ليست محدودة في عدد معين ، ومنها السبع الموبقات وهي :

الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، واكل الربا ،

واكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات

المؤمنات .

ومن الكبائر قتل الولد ، والزنا بحليلة الجار ، وشهادة الزور ، وعقوق

الوالدين ، واستحلال حرمة البيت الحرام ، والرجوع إلى البادية بعد

الهجرة ، وشرب الخمر ، والسرقة ، واليمين الغموس ، ومنع فضل الماء ،

ومنع فضل الكلام ، وتسبب الرجل في سب و الدية ، والوقوع في عرض المسلم ، والجمع بين صلاتين من غير عذر ، والأضرار في الوصية ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، وسوء الظن بالله ، والغلو ، والذين اشتروا بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً .

فليجتنب العبد هذه الأعمال المهلكة ، ويحذر منها : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١٣] وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء: ١٣-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩-٧٠] .

اقسام الطاعات :

الطاعات أقسام .

فالطاعة : هي كل ما يحبه الله ويرضاه .

والطاعات أقسام :

قوليه ، وفعليه ، ظاهرة وخفية ، لازمة ومتعدية .

فالطاعات القولية : كتلاوة القرآن ، والأذكار ، والأدعية والدعوة إلى الله

﴿عَلَيْكُمْ﴾ ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة للمسلمين : ﴿ يَأْتِيهَا

الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]

. [٤٢]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

- والفعلية : كالصلاة ، والحج ونحوهما من العبادات .
- والظاهرة : كالصلاة ، وتلاوة القرآن .
- والباطنة : كالإيمان والتوحيد وحب الله ، والتوكل عليه .
- واللازمة : كالصلاة والصوم ونحوهما .

والمتعدية : كصلة الأرحام والإحسان : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

أقسام المعاصي :

الذنب كل معصية لله عز وجل .

والذنوب قسمان :

صغائر .. وكبائر .

فالكبائر : كالشرك والقتل ، والصغائر : تيسير الرياء .

والذنوب قسمان كذلك :

١- لازمة .

٢- ومتعدية .

فاللزامة : ما كان قاصراً على الإنسان وحده ، سواء كان فيما بينه وبين الله كالتقصير في العبادات ، أو التقصير فيما بينه وبين الناس كالنظرة المحرمة ، والمتعدية وهي أعظم : كالقتل والزنا والرشوة ونحو ذلك .

والذنوب قسمان كذلك :

١- ظاهرة .

٢- وباطنة .

فالظاهرة : كترك الصلاة ، وشرب الخمر ونحوهما .

والباطنة : كالشرك والحسد والنفاق ونحو ذلك .

والذنوب قسمان كذلك :

١- قوله .

٢- وفعلية .

فالقولية كالكذب والغيبة والنميمة ، والفعلية كالقتل والزنا والسرقه ونحو

ذلك ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ، يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا

فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤] .

أصل العمل .

سر الحياة ليس بمعرفة الزمان والمكان والمخلوق ، وإنما سرها الوحيد

معرفة خالق الكون ، وعبادته وحده لا شريك له ، وطاعته وطاعة رسوله

ﷺ : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوِيكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقد جعل الله معرفة المخلوقات سبيلاً وطريقاً إلى معرفته وعبادته، كما قال

سبحانه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ

اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

وإذا عرفتم ذلك كبرتم الله وعظمتموه وحمدتموه وشكرتموه وأحببتموه :
﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣] .

والزمان والمكان والمخلوق وسيلة لمعرفة ، وموسم ومكان للقرب منه وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١] .

الزمان موسم ، والمكان موطن ، للقرب منه جل جلاله بأي عمل صالح ، وليس القصد في الشعيرة من صلاة وزكاة وصيام وحج ونحوه ، بل المقصود الأكبر تعظيم الشعيرة ، لأن الله أمر بها : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعِيرَةً اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢] .

وليس القصد العمل ، إنما المقصود قبول العمل ؛ فالمنافقون كانوا يصلون مع النبي ﷺ ، وهم في الدرك الأسفل من النار ، وابني آدم كلاهما قاما بالعمل ، وقربا قربانا ، فقبل الله من قدم العمل لله بالتواضع والانكسار ، ورد من قدم العمل بالاستعلاء والاستكبار : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لِنِ بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣٠] .

وكل عمل تتقدم به إلى الله ، وتعمله لله ، إن نسبته إلى نفسك وقوتك وعقلك وجهدك لم يقبل ، لأن جميع النعم من الله ، ومنها الهداية : ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣] .

فكل شيء بأمر ربي وحده ، وكل شيء بفضل ربي وحده ، صاحب الفضل والإحسان في كل عباده ؛ ولهذا حسن الاستغفار بعد كل عبادة من العبادات الكبار: كالصلاة والصيام والحج؛ لإزالة أوساخ الالتفات إلى غير الله وقت العمل : ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [٢] ﴿أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣] . وكلما زاد الإيمان جاء التواضع ، كالسنبلة كلما امتلأت بالحب تواضعت ومالت إلى الأسفل ، وكلما كانت فارغة زادت استعلاء وشموخا .

وإذا نسبت العطاء لوأهلك زادك منه ، وإذا نسبته إلى نفسك حرملك منه : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٧] ﴿إبراهيم: ٧﴾ .

والذي يقول : لا أملك شيئاً ، يملكه الله ما يشاء ، والذي يقول : أنا املك وعندي كذا ، الله لا يعطيه ؛ ولهذا قال سبحانه لرسوله ﷺ : ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْرَثُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

والله ﷻ حكيم عليم شاء إن يذكر ويشكر ، فخلقنا لنذكره ونشكره ولا بد مع هذا من الصبر ، فإذا ذكرناه سبحانه ذكرنا ، وإذا شكرناه زادنا ، وإذا صبرنا على ما يحبه ويرضاه أحبنا ، وكان معنا ، فالذكر والشكر والصبر أعظم

الصفات التي يحبها الله ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٦) .
[آل عمران: ١٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] .

والشكر وحده لا يكفي ، بل لا بد معه من الصبر ؛ لأننا في دار الامتحان
والابتلاء ونبتلى بالخير والشر : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) [إبراهيم: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي اذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (١٥٢) ﴿١٥٣﴾
[البقرة: ١٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالْثَمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ
﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] .

ففي حال الخير نحتاج إلى الشكر ، وفي حال الشر نحتاج إلى الصبر ،
فالمؤمن الحق إن أصابه خير حمد ربه وشكره ، وإن أصابه شر حمد ربه
وصبر ، كما في حديث صهيب أن النبي ﷺ قال : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ
أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَتْ
خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ » . أخرجه مسلم (١) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٤ / ٢٩٩٩) .

ولكي تأتي فينا هذه الصفات نحتاج إلى ثلاثة أمور :

تخليه ..

ثم التزكية ..

ثم تحليه .

فالنفس كالإناء لا بد أن تفرغ من الشر ، ليتمكن ملؤها بالخير ، والنفس بطبيعتها إمارة بالسوء: ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

فجاهد نفسك على فعل الخير ، واجتناب الشر ، تعطى الهدية : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

٣- الخزانة الثالثة

فقه الأعمال الصالحة :

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، هو الكبير قبل أن نكبره ، وواحد قبل أن نوحده ، ومحمود قبل أن نحمده ، لا يزداد بتكبيرنا كبرياء ، ولا بتعظيمنا له عظمة ؛ لأنه كامل الذات والأسماء والصفات : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨] .

هو الغني سبحانه عن كل ما سواه ، لا ينفعه إيمان المؤمنين به ، ولا يضره كفر الكافرين به سبحانه : ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨]

وإنما نفع الإيمان والطاعات والأعمال الصالحة يعود على المؤمنين ، وضرر الكفر والمعاصي يعود على الكافرين : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦] .

ومن عمل صالحاً أو سيئاً ، قطف ثمرته ، أو نال عقوبته : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [٢٩] إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [٣٠] أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [٣١] [الكهف: ٢٩-٣١] .

فاجتهد أن تكون صالحًا ومصلحًا ، وذاكرًا ومذكرا ، وعالمًا ومعلما ، تفوز بأعلى الدرجات عند ربك الكريم : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] .

واجتهد على نفسك بكمال الإيمان والتقوى ، واجتهد على غيرك بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان لخلق الل، يهديك الهادي إلى سبل رضاه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

أفضل حياة :

أفضل حياة في العالم هي حياة الأنبياء والرسل ، وأفضل حياة الأنبياء والرسل هي حياة النبي ﷺ ، ومدتها ثلاث وعشرون سنة ، وكلها تشريع ، ولهذا هي الحياة المحفوظة بالكامل من بين سائر الأنبياء، لأنها أفضل حياة، وأجمل حياة ، وأطهر حياة أمر الله البشر بالافتداء بها كما قال سبحانه : ﴿ فَاعْمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وحياة النبي ﷺ هي الدين ، وهي المقبولة عند الله ، ولا سعادة للإنسان إلا بالافتداء بها ؛ لأنها أسهل حياة ، وأطهر حياة ، ومراد الله أن نمشي على هذه الحياة : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٤٥] ودَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ

وَالْمُنْفِقِينَ وَدَعَّ أذْنَهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨].

وهناك أربعة شروط لقبول هذه الحياة ، وهذه الشروط الأربعة تسمى جهد الأنبياء وهي :

الأول : التضحية بكل شيء ، من اجل إعلاء كلمة الله .

الثاني : الاستقامة على أوامر الله في كل حال .

الثالث : السابقة إلى كل عمل صالح .

الرابع : الدعاء والاستعانة بالله وحده لا شريك له .

فمن أكمل هذه الشروط جاءت حياة النبي ﷺ في حياته ، وهي مزاج جميع الأنبياء ، وبها يحفظ الله الأمة .

فالتضحية والمجاهدة كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

والاستقامة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

والسابقة والمسارة إلى الخيرات ، كما قال سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

وقال تعالى عن الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْأَخْيَارِ وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

والدعاء والاستغاثة والاستعانة بالله كما قال سبحانه : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٧] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] .

وقال الله تعالى عن نوح ﷺ : ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ٩١ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ٩٢ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنَمِرٍ ٩٣ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ٩٤ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ٩٥ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ٩٦ ﴾ [القمر: ٩-١٤] .

فالله بيده كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء : ﴿ فِقِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة :

المحرمون من نظر الله إليهم يوم القيامة أصناف هم :

الصنف الأول : من يشتركون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧] .

الثاني : من حلف بالله كاذباً ، ومن منع فضل ماء عن غيره .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ : رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ

كَاذِبٌ ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ « . متفق عليه (١) .

الثالث : الحاكم الذي يحتجب عن رعيته ، ولا ينظر في حاجتهم وفقدهم .
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا ، فَاحْتَجَبَ دُونَ خَلَّتِهِمْ ، وَحَاجَّتِهِمْ ، وَفَقَرِهِمْ ، وَفَاقَتِهِمْ ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُونَ خَلَّتِهِ ، وَفَاقَتِهِ ، وَحَاجَّتِهِ ، وَفَقَرِهِ « . أخرجه أبو داود وأحمد والترمذي (٢) .

الرابع : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ » . أخرجه مسلم (٣) .

الخامس : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ ، وَالْمُرَاةُ الْمُتَرَجِّلَةُ ، وَالِدَيْوُثٌ ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أُعْطِيَ » . أخرجه النسائي وأحمد (٤) .

السادس : عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا » . أخرجه الترمذي والنسائي (٥) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٢١٢)، ومسلم (١٠٨) باختلاف يسير.

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود (٢٩٤٨) واللفظ له، والترمذي (١٣٣٢)، وأحمد (١٨٠٦٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٧).

(٤) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٢٥٦٢) واللفظ له، وأحمد برقم: (٦١٨٠).

(٥) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١١٦٥)، والنسائي برقم: (٩٠٠١).

السابع : عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَارًا قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ » . أخرجه مسلم ^(١) .

فهؤلاء جميعاً لا ينظر الله إليهم يوم القيامة .

اللهم أرنا الحق حقاً ، وارزقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً ، وارزقنا اجتنابه ، اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت .

حكم أفعال العباد :

كل شيء في هذه الحياة واقع بمشيئة الله وقدره من الطاعات والمعاصي ، ومن الحسنات والسيئات ، وأفعال العباد كلها مخلوقة لله ، واقعة بمشيئة الله ؛ فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣] .

والعبد فاعل لفعله حقيقة ، يستوجب على فعله المدح أو الذم ، والثواب والعقاب ، ولكن كل أفعاله واقعة بمشيئة الله وإرادته : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦] .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١/١٠٦) .

فأفعال العباد كلها مخلوقة لله ، وان كان لهم كسب ، يحاسبون عليها لأنهم اختاروها ، ولا ينسب الخلق لغير الله من أحد من الخلق فيكون شريكاً لله في الخلق، كما قال سبحانه : ﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ ﴿١٩١﴾ . [الأعراف: ١٩١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .
أشرف الأعمال :

أشرف وظيفة يعمل بها العبد ، وأشرف مهنة يقوم المسلم هي الدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه ، وتفسير كتابه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٣] .
 وقال الله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤] .
 وقال الله تعالى : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

والصناعات تشرف بأحد ثلاثة أمور :

الأول : شرف موضوعها :

نحو أن يقال : الصياغة اشرف من الدباغة ، فإن موضوع الصياغة الذهب والفضة ، وهي أنفس المعادن ، وهي أشرف من موضوع الدباغات التي موضوعها الجلود .

الثاني : شرف صورها ، نحو أن يقال طبع السيوف أشرف من طبع القيود .

الثالث : شرف أغراضها ، كصناعة الطب التي غرضها الصحة فإنها اشرف من صناعة الكُناسة التي غرضها النظافة .

وبهذا نعلم أن تفسير القرآن العظيم ، وتعليم الأحكام الشرعية ، والدعوة إلى الله ، أشرف الأعمال ، وقد حصل لها الشرف من الجهات الثلاث .

فموضوع التفسير كلام الله الذي هو أحسن الكلام ، وينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، وصورة فعله إظهار خفيات ما أودعه الله فيه من أسرار ،

وغرضه التمسك بالعروة الوثقى ، والوصول للسعادة التي لا فناء لها : ﴿

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا

يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

٤ - الخزانة الرابعة

الأعمال بالخواتيم

المؤمن ضربان :

الأول : مؤمن يحبه الله ويواليه ، وهو من علم الله أنه يوافي ربه مؤمناً .

الثاني : مؤمن لا يحبه الله ولا يواليه ، وهو من علم الله أنه يموت كافراً ، هذا يبغضه الله لا لأجل إيمانه ؛ بل لأجل كفره الذي مات عليه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣] .

والكافر ضربان :

الأول : كافر يعاقب لا محالة ، وهو من مات كافراً ، فالله يبغضه ويسخط عليه لكفره الموافي به ربه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ [البقرة: ١٦١-١٦٢] .

الثاني : كافر لا يعاقب ، وهو من عاش كافراً ، ثم مات مؤمناً بالله في آخر حياته ، فالله يحبه ويرضى عنه ، لا لكفره وإنما لإيمانه الموافي به ربه : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٩) ﴿٣٩﴾ [المائدة: ٣٩] .

فالأمر بالخواتيم ، وبما كتبه الله في اللوح المحفوظ من الأقدار ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما سيكون : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

فالله سبحانه راضٍ عن عمر رضي الله عنه في الوقت الذي كان يعبد الصنم ، ومريد لثوابه ودخوله الجنة لا لعبادته للصنم ، بل لإيمانه الموافي به ربه . والله ساخط على إبليس في حال عبادته ، لكفره الموافي به ربه ، فالله سبحانه عالم بما يوافي به إبليس من الكفر بالله ؛ ولهذا لعنه الله .

والله عالم بما يوافي به عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولهذا رضي الله عنه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] .

والله سبحانه محب لمن علم أنه من أهل الجنة ، وساخط على من علم أنه من أهل النار ، والأعمال بالخواتيم ، فنسأل الله أن يثبتنا على الحق وإياكم : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨] .

وعن عبد الله قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيَوْمَئِذٍ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بَكَّتَبَ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ

بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ
بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» . متفق عليه (١) .

فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، ويا مصرف القلوب صرف
قلوبنا على طاعتك ، واستعملنا في عبادتك ، يا ذا الجلال والإكرام .
مقصود الأعمال الصالحة :

المقصود من كل عمل صالح ، تحصيل الصفات التي يحبها الله ، وعبادة الله
وَعِبَادَتُهُ بِمَوْجِبِهَا ، فإذا لم تظهر تلك الصفات بعد العمل فلا زال القلب مريضاً .
وكل صفة من الصفات الطيبة تخرج مرضاً من أمراض القلب .

فاليقين يخرج الشك ، وهدى النبي ﷺ يخرج هوى النفس ، والصلاة
بخشوع وخضوع تخرج الغفلة ، والنسيان ، والعلم يخرج الجهل ، والذكر
يخرج النسيان ، والإخلاص يخرج الرياء ، وحسن الخلق يخرج سوء
الخلق ، وهكذا : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ
الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٨)، ومسلم: برقم (٢٦٤٣) باختلاف يسير.

والشيطان يجتهد على المسلم، لئلا يقوم بأي عمل صالح من دعوة، وعبادة، أو تعلم، أو تعليم، أو إحسان إلى الخلق، فإن قمنا بذلك تسلط علينا الشيطان بإضاعة الأوقات، فإن لم يقدر اجتهد علينا لتكون أعمالنا لغير الله. فإن لم يقدر اجتهد لإفساد أخلاقنا، لتحصل العداوة وسوء الظن بيننا؛ حتى لا نجتمع.

فإن لم يقدر علينا كجماعة اجتهد على كل فرد بإشغاله بالمباحات، ثم ينقله إلى الصغائر، ثم ينقله إلى الكبائر، ثم ينقله إلى الردة، هذه خطوات الشيطان في إضلال بني آدم فاحذرها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيْبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].
سماحة الإسلام:

ما أعظم سماحة الإسلام، فجميع الأوامر الشرعية في مقدور كل إنسان، بل نحن نقدر على أكثر مما أمرنا الله به، لكن الله رحيم بخلقه، لم يكلف نفساً إلا وسعها كما قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فالصلوات الخمس هي الركن الثاني بعد الشهادتين تستغرق من المسلم ساعة تقريباً من كل يوم، والوقت الباقي كله للعبد. والزكاة لا تجب على أي أحد، بل تجب على من عنده مال معين، وحال عليه الحول، ومقدار الواجب جزء من واحد من أربعين جزءاً، وهو ربع العشر غالباً، والمال الباقي كله للعبد.

والصوم ثلاثون يوماً من ثلاثمائة وستين يوماً، والباقي كله للعبد. والحج لا يجب على كل أحد، بل يجب على المستطيع في العمر مرة واحدة وباقي العمر كله لك.

فله الحمد على أن أمرنا بالقليل من العمل ، وجزانا بالعظيم من الثواب ،
 وأعطانا العمر كله للتقرب إليه بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال
 والأخلاق، والفرائض والسنن : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .
 وقال الله عز وجل : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
 الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البجائية: ٣٦-٣٧] .
 هذا كله للدين ، أما جهد نشر الدين فله كل الأوقات ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو
 إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿

[يوسف: ١٠٨] .

كيفية حياة المسلم

حياة المسلم لا بد أن تكون مطابقة لحياة النبي ﷺ ؛ ليسعد في الدنيا
 والآخرة ، والمطلوب والواجب إتباع النبي ﷺ في خمسة أمور :

- ١- إتباعه في نيته وفكره .
- ٢- وفي توحيده وإيمانه .
- ٣- وفي أقواله الحسنة .
- ٤- وفي أعماله الصالحة .
- ٥- وفي أخلاقه الكريمة .

قال الله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَكَلِمَاتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ ﴿ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
 وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿ [الأحزاب: ٢١] .

وهذا الفساد العظيم في العالم ؛ سببه فساد اليقين ، وفساد الأعمال ، الذي سببه ترك الدعوة إلى الله ، التي هي سبب لصلاح الأفراد والجماعات : ﴿ العنكبوت: ٦٩ ﴾ .
 وقال الله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥] .

وحتى يصلح اليقين ، وتصلح الأعمال ، لابد من أخذ العلاج من القرآن والسنة ؛ حتى يزول الفساد في العالم ، وذلك بالقيام بثمانية أعمال هي مجموع أعمال الرسول ﷺ التي قام بها بين أصحابه ، وجعلها الله سبباً لإزالة الفساد ، ونزول الهداية ، في كل زمان ومكان وهذه الأعمال هي :
 أولاً : الدعوة إلى الله :

وهي أول عمل ، وأعظم عمل للمسلم في كل يوم ، فأما أن نتكلم أو نسمع عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه وإحسانه ، رجالاً ونساءً وأطفالاً ، ونتكلم عن الغيبات وأركان الإيمان الستة ، حتى يزيد الإيمان في قلوبنا ، وتحصل الهداية لنا ولغيرنا : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

ثانياً : الجلسة الإيمانية :

بتذكر سبعة أمور هي :

الكلام عن الله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسوله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره . والبعث بعد الموت ؛ ليزيد في قلوبنا الإيمان بالغيب ، وتأتي في قلوبنا الرغبة في الأعمال الصالحة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ
 دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

ثالثاً : حلقة فضائل الأعمال :

لتكون دافعاً للقيام بالأعمال الصالحة القولية ، والعملية مع المؤمنين ، مع
 الانقطاع عن أهل الغفلة : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
 وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ
 أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

رابعاً : ذكر الله وتلاوة القرآن في وقت معين كل يوم بالمحافظة على الأذكار
 والأدعية والتسبيحات المختلفة في أوقاتها ومقاديرها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].
 وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ
 الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَلِيلٍ فَتَهَجَّدَ بِهِ ، نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
 مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

هذه الأعمال هي الأساسية في كل يوم ، وإذا قمنا بها الله يرزقنا نور هذه
 الأعمال ، وبعد القيام بهذه الأعمال ، يأتي فينا حب الله ، وحب العمل
 الصالح ، ويزداد نور الإيمان في القلب ، فنؤدي الصلاة بالخشوع والخضوع
 لله فرضاً أو نفلاً ، ويستجاب دعاؤنا : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا
 بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [التجافى جنوبهم
 عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ
 مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

وقال الله تعالى عن الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

وهذه الصلاة تكون قوية ، إذا أقيمت بعد القيام بتلك الأعمال الأربعة معاً
انفرادية أو اجتماعية : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾ [المؤمنون: ١-٣] .

انفرادية : كالأذكار ، والأدعية ، وتلاوة القرآن ، والنوافل .

أو اجتماعية : كالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

فإذا قيمت الصلاة بعد القيام بتلك الأعمال الأربعة التي تزيد الإيمان في
القلب ، فنؤديها قوية بنور تلك الأعمال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ
دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

خامساً : كسب الحلال ، واجتناب كسب الحرام :

فلقمة من الحرام تضيع أجور الأعمال الصالحة ، فلا نعمل ولا نكسب إلا
بسنة ؛ لنحصل على البركة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

سادساً : الاقتداء بالرسول ﷺ في أخلاقه مع كافة الخلق :

فالله ﷻ فرق الأخلاق الحسنة في الأنبياء :

ثم جمعها في سيد الأنبياء ، ثم فرقها في امة سيد الأنبياء كما قال عن رسوله
ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم: ٤] .

وقال عز وجل عن أمته : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا
لَّهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

سابعًا: اجتناب العصبية لبلد ، أو قوم ، أو مذهب ، أو غير ذلك من أعمال
الجاهلية فالمسلم يفتخر بأنه من أمة الرسول ﷺ فقط : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا
مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

يفتخر المسلم بأنه من أمة الرسول ﷺ فقط ، وأن عليه مسئولية العالم ،
وبهذا تكون معنا نصره الله وعملنا يؤثر في كل مكان : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ
وَلِيُنذِرُوا بِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذُكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

٥- الخزانة الخامسة

فقه الإنفاق في سبيل الله

الإنفاق في سبيل الله يشمل كل شيء أمر الله بالإنفاق فيه ومنه ابتغاء وجه الله
ومن أعظم وجوه الإنفاق :

١- الدعوة إلى الله .

٢- وتعليم شرع الله .

٣- والإحسان إلى الخلق .

قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ رَبُّهُ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ١- ٣] .

فمن أعطاه الله مالاً فلينفق منه على المحتاجين ، ومن أعطاه الله علماً فلينفق
منه على أهل الجهل ، ومن أعطاه الله قدرة بدنية فلينفق من ذلك بمساعدة
المحتاجين ، وهكذا وجوه الإنفاق تتعدد : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي
السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٤] .

ومن الإنفاق المالي :

١- الإنفاق على النفس والزوجة والأولاد والفقراء واليتامى والمساكين .

٢- والإنفاق في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله .

فهذه الوجوه وأمثالها الإنفاق فيها عبادة يؤجر عليها العبد : ﴿وَأَنْفِقُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

[البقرة: ١٩٥] .

والشح بالمال سفه في العقل ؛ لأن هذا المال إما أن يفنى في حياتك فتعدمه ، وإما أن يبقى بعد موتك فيرثه صالح فيكون أسعد به منك ، أو يرثه فاسد فتكون خلفت له ما يستعين به على الفساد .

و أفضل أوقات الإنفاق عند شدة الحاجة إلى الدعوة ، وإلى العلم ، وإلى المال ؛ ولهذا لا يستوي من أنفق من قبل الفتح ، وهو صلح الحديبية في ذي القعدة في سنة ست من الهجرة بمن أنفق بعده : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَدْ أُولِيَكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠] .

وذلك لأن الأولين أنفقوا وقاتلوا وسبقوا وكان الإسلام في حاجة إليهم ولإنفاقهم فأنفق مما أعطاك الله من العلم ، والخلق ، والمال ، وغير ذلك مما وهبك الله ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

ومن الأعمال الصالحة التي يحبها الله .
الشفاعة ، وهي جلب الخير للغير ، بالتوسط للغير بجلب منفعة ، أو دفع مضرة فشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة لأهل الجنة أن يدخل الجنة من جلب المنفعة ، وشفاعته ﷺ فيمن يستحق النار ألا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها من دفع المضرة : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا ﴾ [٨٥] وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِمَّا أَوْ رَدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [٨٦] .
[النساء: ٨٥-٨٦] .

والمؤمن عبد لله ، وليس عند العبد عمل إلا امتثال أوامر سيده بفعل الأوامر ، واجتناب النواهي : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]

ويجب على الإنسان أن يأكل من الطيبات ، لأمر الله بذلك ، ولحفظ حياته ، وليحمد الله عليها ، وليتعبد لله بذلك : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

ومن امتنع من أكل الطيبات لغير سبب شرعي فهو مذموم ، لأنه ترك ما أباح الله له ، والسبب الشرعي :

إما أن يتعلق ببدنه كمن يمتنع من أكل اللحم ، لأن بدنه لا يقبله .
 وإما أن يتعلق بدينه كمن يترك اللحم ، لأنه يخشى أن تتسلى به نفسه ، ويكون ذلك أكبر همه : ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ لَيقُونَ عِقَابًا ﴾ [مريم: ٥٩] .

وإما أن يمتنع عنه مراعاة لغيره كما ترك عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكل الطيبات عام الرمادة ، واكتفى بالخبز والزيت حتى اسود جلده ، فالمؤمن إذا وجد أكل ، وإذا لم يجد صبر : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣٢]

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ٣٢-٣٣] .

وقال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيْبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١٦٨﴾ [البقرة: ١٦٨] .
أما الخبيث فيحرم أكله ، والخبيث نوعان :

الأول : خبيث لذاته : كالميتة ، والخنزير ، والدم المسفوح ونحو ذلك .
والثاني : خبيث لكسبه ، كالمأخوذ من طريق الغش ، أو الربا ، أو السرقة ، أو الغصب .

فالأول محرم على جميع الناس أكله ، والثاني محرم على مكتسبه ، وليس محرماً على غيره إذا اكتسبه بطريقٍ مباح كما كان النبي ﷺ يعامل اليهود ، ويشترى منهم ، فقد مات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧] .

فقه الأوامر الشرعية :

الفطرة من حيث هي فطرة تقبل الحق : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الروم: ٣٠] .

لكن إذا وجد موانع لم تتمكن من الهدى ، وكل أمر لا يحصل إلا بوجود سببه ، وانتفاء موانعه : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] .

وقال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ [البقرة: ٨٦] .

والإيمان وحده لا يكفي لدخول الجنة ، بل لابد من عمل صالح يكون من علاماته ، وثمراته ، والعمل الصالح وحده لا يكفي لدخول الجنة بل لابد أن يكون صادراً عن إيمان بالله فلا بد من الأمرين معاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ ﴾ [١٠٧] ﴿ [الكهف: ١٠٧] .

والدين ركنان :

١- عبادة الحق .

٢- والإحسان إلى الخلق .

فلا بد من هذا وهذا : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء: ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] .

وقرابة الإنسان ومن يجتمعون معه إلى الأب الرابع فما دون .

والإحسان إليهم يتفاوت بحسب القرب منه ، فكل من كان أقرب فهو أولى بالإحسان : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

فيجب عليك أيها المسلم من صلة العم أكثر مما يجب عليك من صلة أولاد العم وهكذا .

والإحسان عام يشمل : الإحسان بالقول ، والفعل ، والمال ، والجاه ، ويشمل : الإحسان إلى القريب ، والبعيد ، والإنسان ، والحيوان :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ

عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

ما يجب على المسلم :

الواجب على المسلم : القول الحسن ، والعمل الحسن .

والقول الحسن مركب من أمرين :

قول حسن في هيئته بأن يكون بلطف ، ولين ، وعدم شدة ، أو غلظة : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣] .

الثاني : قول حسن في معناه بأن يكون خيرًا ، لأن كل قول حسن فهو خير : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣] .

ومن ذلك الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتعليم شرع الله : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

وكل نعمة ، وكل خير من الله وحده لا شريك له ، وكل شر فمن النفس ، ومن الشيطان : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩] .

وما يحصل للإنسان بسبب معلوم له صور :

الأولى : أن يضيفه العبد إلى الله وحده فيقول : هذا من الله ، هذا من فضل ربي ، لكمال يقينه على أن كل شيء من الله عَلَيْكَ : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْئُرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] .

الثانية : أن يضيفه إلى الله مقروناً بسببه المعلوم كأن يقول : لولا أن الله أنجاني بفلان لغرقت .

الثالثة : أن يضيفه للسبب المعلوم وحده ، مع اعتقاد أن الله هو المسبب كقول النبي ﷺ لعمه أبي طالب : « لَوْلا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » . متفق عليه (١) .

الرابعة : أن يضيفه إلى الله مقروناً بالسبب المعلوم ب (ثم) كأن يقول : لولا الله ثم فلان لهلكت .
وهذه الأربع كلها جائزة .

الخامسة : أن يضيفه إلى الله ، وإلى السبب المعلوم ب (الواو) فهذا شرك كقوله : لولا الله و فلان لغرقت والصحيح أن يقول : لولا الله ثم فلان لغرقت ؛ لأن فلاناً سبب ، والله بيده جميع الأسباب : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال: ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٨٨٣)، ومسلم برقم: (٢٠٩).

٦ - الخزانة السادسة

فقه الأعمال الصالحة :

الحق هو الشيء الثابت ، والحق هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ من ربه إلى البشرية كافة : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩].

والحق إن وُصف به الحكم الشرعي فهو العدل ، وإن وُصف به الخبر فالمراد به الصدق ، وكل دين الإسلام على هذا ، فأخباره صدق ، وأحكامه عدل : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

والعمل الذي يصدر من الإنسان نوعان :

الأول : عمل القلب ، لأن القلوب لها أعمال كالجوارح مثل : المحبة ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل على الله ﷻ ، ونحو ذلك مما لا يُدرك بالرؤية : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

الثاني : عمل بدني يُدرك ، وهو نوعان :

الأول : قولي وهو ما يصدر من اللسان من الكلام : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].
وقال الله تعالى : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

والثاني : فعلي وهو ما يصدر من البدن : كالصلاة ، والجهاد ، والأكل ، والشرب ، ونحوهما ، والمؤمن يتعبد لله بكل ذلك ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

والذنوبُ نوعان :

الأول : إذا كان الذنب في حق الله كترك واجب ، أو فعل محرم ، فإن الله لا يجمع للعبد فيه بين عقوبتين في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] .

الثاني : إذا كان الذنب في حق العباد إما اعتداء عليهم ، أو منع لحقهم ، فإن الله قد يجمع لفاعله بين العقوبتين :
عقوبة في الدنيا ، ليشفي قلب المظلوم المعتدى عليه .

وعقوبة في الآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا حَافِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣] .

فإن حقوق الله مبنية على المسامحة ، وحقوق الخلق مبنية على المشاحة .
والله سبحانه له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ،
والمثل الأعلى ، ويحب من عباده أن يتصف بصفاته على شاكلة العبودية ،

كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فإن الله كريم يحب من يكرم الناس ، وهو عفو يحب العافين عن الناس ، وهو رحمن يحب من يرحم الناس ، وهو محسن يحب المحسنين .
فقه القرض الحسن :

والقرض الحسن هو ما وافق الشرع بالأمور الآتية :

الأول : أن يكون القرض قرضاً خالصاً لله ﷻ ، لا رياء فيه ، ولا سمعة ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥] .

وقال النبي ﷺ : « أنا أغنى الله عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي ، غري تر كتته وشركه » . أخرجه مسلم ^(١) .

الثاني : أن يكون من مالٍ حلال ، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧] .

الثالث : أن تكون نفسه طيبة به ، بحيث يفرح بالأجر أعظم مما يفرح المعطي بالعتاء ، كما كان ﷺ ، فالله أعطاك لتعطي ، والله جعلك اليد العليا ، وجعل غيرك اليد السفلى ، فلتطب نفساً بما تقدمه لإخوانك المسلمين : ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٨٥ / ٤٦) .

الرابع : أن يكون الفرض ، في مرضات الله كأن يتصدق به على فقير ، أو مسكين ، أو مصالح عامة ، ونحوها ، لا فيما يغضب الله : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

الخامس : أن لا يتبع ما أنفق منّا ولا أذى ، فإن أتبعه منّا أو أذى بطل ثوابه ، كما قال سبحانه : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

فقه تفاضل الأعمال الصالحة :

تفاضل الأعمال الصالحة يكون بعدة أمور :

- ١- بحسب العمل : جنسه أو نوعه .
- ٢- وبحسب العامل .
- ٣- وبحسب الزمان .
- ٤- وبحسب المكان .
- ٥- وبحسب الكيفية ، والمتابعة .
- ٦- وبحسب الإخلاص لله .
- ٧- وبحسب الحال .

فمثال العمل الصالح بحسب العمل جنسه ونوعه : كالصلاة أفضل من الزكاة ، والزكاة أفضل من الصيام ، هذا باعتبار الجنس .

ومثاله بحسب المكان : الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة ، والصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة ، والصلاة في سائر المساجد جماعة بسبع وعشرين صلاة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » . متفق عليه (١) .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ » . أخرجه أحمد وابن ماجه بسند صحيح (٢) .

ومثال العمل الصالح بحسب الكيفية : كالخشوع في الصلاة كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾ [المؤمنون: ١-٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ ﴾ [الملك: ١٢] .

ومثال العمل الصالح بحسب المتابعة : أنه كلما كان الإنسان أتبع للرسول صلى الله عليه وسلم كان عمله أفضل وأزكى كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٩٠)، ومسلم برقم: (١٣٩٤).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٤٦٩٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم: (١٤٠٦).

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧] .

ومثال العمل الصالح بحسب الإخلاص : أنه كلما كان المسلم أشد إخلاصًا لله كان أكمل ممن خالط عمله شيء من الشرك أو الرياء : ﴿ فَأَعْبُدْ

اللَّهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] .

ومثال العمل الصالح بحسب الحال : العبادة بين أهل الغفلة ، والإعراض أفضل من العبادة بين أهل الطاعة والإقبال ، ولهذا كان للعامل في أيام الصبر أجر خمسين من الصحابة ، والعفة من الشباب أفضل من العفة من الشيخ « ومن يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين » . متفق عليه ^(١) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

اللهم فقهنها في الدين ، واجعلنا هداة مهتدين ، يا رب العالمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم : (٧١) ، ومسلم برقم : (١٠٣٧) .

٧- الخزانة السابعة

فقه الأعمال الصالحة :

الواجب على المسلم عندما يأمره الله ﷻ بالعمل أن ينظر إلى ثلاثة أمور :

١- مقام الربوبية .

٢- ومقام الألوهية .

٣- وذلة العبودية .

فينظر العبد إلى مقام الألوهية يفعل هذا العمل الصالح تعبدًا لله سبحانه وتعالى ، لأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (٦٤) ﴿ وَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٦٥) ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦٦) [الزمر: ٥٤-٦٦] .

وبنظرة إلى مقام الربوبية يحذر المخالفة ؛ لأن الرب هو الذي له الخلق ، والملك ، والتدبير ، والتصريف فيجب على العبد أن يخافه فيتخذ التقوى عبادة لله ربه كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ [آل عمران: ١٠٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٠٣) ﴿ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

وبنظره إلى ذلة العبودية يعلم أن الله غني عن كل ما سواه ، وقادر على كل شيء ، وعليم بكل شيء ، ومحيط بكل شيء ، والعبد محتاج إلى ربه في

كل حال : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر: ١٥] .

أحكام الطاعات والمعاصي :

والعبد مأمور بطاعة ربه في كل حال فإن الله خلقه كما شاء وسبح بحمده ، وخلق الإنس والجن لعبادته وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤] .

والمؤمن مأمور بفعل الطاعات ، واجتناب المعاصي .

ومن همَّ بالشيء المحرم من المعاصي والسيئات ، ثم تركه ، فله أربع حالات :

الأولى : أن يترك المحرم لله ، فيثاب على هذا الترك ، وتكتب له حسنة كما قال النبي ﷺ : قال الله ﷻ : « إذا تحدثت عبدي بأن يعمل حسنةً ، فأنا أكتبها له حسنةً ما لم يعمل ، فإذا عملها ، فأنا أكتبها بعشر أمثالها ، وإذا تحدثت بأن يعمل سيئةً ، فأنا أغفرها له ما لم يعملها ، فإذا عملها ، فأنا أكتبها له بمثلها . وقال رسول الله ﷺ : قالت الملائكة : رب ، ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئةً ، وهو أبصر به ، فقال : ازقبوه فإن عملها فآكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فآكتبوها له حسنةً ، إنما تركها من جرائي . وقال رسول الله ﷺ : إذا أحسن أحدكم سيئةً يعملها تكتب بمثلها حتى يلقي الله . » . متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم : (٤٢) ، ومسلم برقم (١٢٩) .

وقال رسول الله ﷺ : « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً ، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ ، فَإِذَا عَمِلَهَا ، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا ، فَإِذَا عَمِلَهَا ، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا . وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : رَبِّ ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ ، فَقَالَ : ارْزُقُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا ، وَإِنْ تَرَكَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّأِي . وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةٍ ضِعْفٍ ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهُ . » متفق عليه (١) .

الثانية: إذا همَّ العبد بفعل السيئة ، ثم تركها عزوفاً عنها ، فهذا لا له ولا عليه ، لعدم نيته كما قال النبي ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه (٢) .

الثالثة: أن يتمنى فعل المحرم ، ويحرص عليه ، ولا يعمل الأسباب التي يحصلها بها ، فهذا يُعاقب على نيته السيئة ، دون عقاب من فعلها ، فمن نوى خيراً أو سيئاً ، لكن لا على النية لا على الفعل كما قال النبي ﷺ : « فَهَمَّا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ » . أخرجه أحمد وابن ماجه (٣) .

الرابع: أن يعزم على فعل المعصية ، ويفعل الأسباب ، ولكن يعجز عنها ، فعليه إثم فاعلها كمثل قال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال : « إِنْ اللهُ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ . ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم: (٤٢)، ومسلم برقم: (١٢٩) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

(٣) صحيح/ أخرجه ابن ماجه برقم: (٤٢٢٨)، وأحمد برقم: (١٨٠٢٤).

كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ ﷺ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ . وَإِنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمَلَهَا ، كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً . متفق عليه (١) .

ومن عزم على فعل المعصية ، وفعل الأسباب ، لكنه عجز عن فعل المعصية فعليه إثم فاعلها .

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ نَفِيعِ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمُقْتُولُ فِي النَّارِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمُقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ». متفق عليه (٢) .

حكم النسيان والجهل

النسيان ذهول القلب عن معلوم ، والجهل ارتكاب المخالفة بغير قصد المخالفة ، ويسمى الخطأ ، وقد رفع الله المؤاخذة بالنسيان ، والخطأ كما
 ١١٠٠٠ ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] . « قَالَ :
 قَدْ فَعَلْتُ » . أخرجه مسلم (٣) .

ولا يلزم من رفع المؤاخذة سقوط الطلب بأداء العمل ، فمن ترك الواجب
 . اِنَّا أَوْ جَهْلًا وَجِبَ عَلَيْهِ قِضَاؤُهُ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « مَنْ نَسِيَ صَلَاةً أَوْ نَامَ
 عَنْهَا فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا » . أخرجه مسلم (٤) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٩١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٧٥)، ومسلم برقم: (٢٨٨٨)

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٢٦/٢٠٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٧)، ومسلم برقم (٦٨٤) باختلاف يسير.

وقول النبي ﷺ للمسيء بصلاته : « اَرْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ » . متفق عليه (١) .

ومن فعل منهيات جاهلاً أو ناسياً فلا إثم عليه ولا كفارة .
عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلَيْتَمَّ صَوْمَهُ ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ » . متفق عليه (٢) .

ولو أكل المسلم وهو صائم جاهلاً بالحكم أو الوقت فصومه صحيح .
عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت : « أَفْطَرْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ غَيْمٍ ، ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ قِيلَ لَهُشَامُ : فَأَمُرُوا بِالْقَضَاءِ ؟ قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ قَضَاءٍ وَقَالَ مَعْمَرٌ : سَمِعْتُ هِشَامًا لَا أَدْرِي أَقَضُوا أَمْ لَا » . أخرجه البخاري (٣) .

ومن فعل المحرم عالماً بالتحريم جاهلاً بما يترتب عليه من الحكم لم يسقط عنه الإثم ، ولا ما يترتب عليه .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكْتُ . قَالَ : مَا أَهْلَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي ، وَأَنَا صَائِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ قَالَ : أَيُّنَ السَّائِلِ ؟ قَالَ : أَنَا . قَالَ : خُذْ هَذَا ، فَتَصَدَّقْ بِهِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : عَلَى أَفْقَرِ مِنِّي : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلٌ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٧) واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٩٧) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٦٩)، ومسلم برقم: (١١٥٥) واللفظ له .

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٩٥٩) .

أَطْعَمَهُ أَهْلَكَ . متفق عليه (١) .
: أَهْلُ بَيْتِي فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أُنْيَابُهُ . ثُمَّ قَالَ :

والطاعات محبوبات رب العالمين ، والمعاصي يبغضها الرب سبحانه .
أسباب المعاصي :

المعاصي سببها أمران :

الأول : إتباع هوى النفس ، والنفس أمانة بالسوء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

والثاني : الشيطان ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] .

وقال ﷺ : ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨] .

فإذا اجتمعت النفس ، والشيطان ، على الإنسان انحرف إلى معصية الله بأنواع المعاصي ، والفواحش ، والكبائر : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠] .

والمعاصي نوعان :

١- معصية يوحى بها الشيطان .

٢- ومعصية تُصِرُّ عليها النفس .

فمن حدثته نفسه بمعصية ، ولم تتراجع عنها ، بل أصرت عليها نفسها ، فهذه معصية من النفس ، كمن يصر على شرب الخمر ، أو الزنا ، أو غيرهما ؛

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم: (١٩٣٦) ، ومسلم برقم: (١١١١ / ٨١) ، واللفظ له .

لأن النفس تريد المعصية من هذا اللون فقط ، لأنه يحقق لها الشهوة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧-١٠] .

أما الشيطان فهو يريد الإنسان عاصياً لربه بأي شكل ، فإن عز عليه في باب من أبواب المعصية طرق عليه باباً آخر فيصيده به : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٨] .

فالشيطان يجر الإنسان من المباحات ، إلى الصغائر ، إلى الكبائر ، حتى يرتد عن دين الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٠-٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦] .

وأفضل أحوال العبد أن يكون عابداً لربه ، ممثلاً لأوامره ، مجتنباً لنواهيه : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨] .

وحسن الأدب وكماله أن تُسَمَّى الله على كل عملٍ صالحٍ ، وتستغفر الله عن تركها فيما مضى ، وتستغفر الله عن كل عبدٍ نسيها إذا عمل .

وكذلك تحمد الله على كل نعمة أنعم الله بها عليك وعلى غيرك ، وتستغفر الله عن تركها على ما مضى من النعم ، وتستغفر الله عن كل عبد ترك ذكرها . وبذلك تحصل لك بركة هذا وهذا ، فكل فعل يفعله العبد ، أو يفعله الله ، له مكان ، وزمان ، وفاعل ، ومفعول ، وسبب ، وقدرة : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فهذه ستة أمور لا يملكها إلا الله وحده ، فحين أريد فعل شيء أستعين بالله ، وأعلقه بمشيئة الله ، وأقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، فتُسمي التسمية عند الأكل ، وعند الجماع ، وكذا عند تلاوة القرآن . وحين أرى فعل الله ، ونعمه ، وإحسانه أقول : الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله ، فنسمي الله على ما نريد أن نفعل مستعينين بالله القادر على كل شيء ، ونحمد لله على ما فعل الله لنا : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الجاثية / ٢٦-٣٧] .

٨- الخزانة الثامنة

فقه الفساد في الأرض :

الله جل جلاله جمّل الكون بآياته الكونية ، وجمّل الإنسان بأحكامه الشرعية : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ

كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج:٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطِينِ وَأَعْتَدْنَا

لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ [الملك:٥] .

وجمّل الإنسان بأحكامه الشرعية : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً

وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ [البقرة:١٣٨] .

وصلاح الإنسان بفعل ما أمره الله به ، واجتناب ما نهاه الله عنه : ﴿ وَمَا

ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

[الحشر:٧] .

والفساد في الأرض يكون بتغيير ما خلق الله .

وفساد الحياة البشرية يكون بنقل مجال الأمر ، وجعله في مجال النهي ،

بنقل مجال افعال في لا تفعل ، ومجال لا تفعل في افعال ، أما المباح فلا

يترتب عليه فساد ولا صلاح .

فقمة الفساد في الأرض أن تترك الواجبات ، وترتكب المنهيات ، أن تخرج

ب افعال ، ولا تفعل ، عما شرع الله ، فتعوق شرع الله أن يحكم الناس ،

فيحصل الفساد ، لأن هذا يفعل كذا ، وذاك يفعل كذا ، فيحصل التصادم

والفساد في الأرض : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا

وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف:٥٦] .

فالصلاح بإتباع الهدى ، والفساد باتباع الهوى : ﴿ قَالَ أَهَيْطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَى ۚ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَنْ حُشِرْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَى ۚ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۚ ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَابِتُنَا
فَنَسِينَهَا ۗ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۚ ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ
مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۚ ﴿٥٠﴾
[القصص: ٥٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ۚ ﴿٢١٣﴾
[الشعراء: ٢١٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۚ ﴿٢٢﴾
[الإسراء: ٢٢] .

فمن نقض العهد ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، فقد أفسد في الأرض ،
وخسر ديناه ، وآخرفته ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ
مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوءُ الدَّارِ ۚ ﴿٢٥﴾ [الرعد: ٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ
وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۚ ﴿١٥﴾ [الزمر: ١٥] .

فمن أفسد الحياة والدين فقد خان الأمانة ، وعطل القلوب والألسن عن
الحمد ، والثناء على الرب العظيم الذي له ملك السماوات والأرض ، وله
ما في السماوات ، والأرض ، وله خزائن السماوات ، والأرض ، وله كل
شيء ، ذو الفضل ، والأنعام ، والإحسان ، الذي أحسن خلق كل شيء

وَأَنْزَلَ أَحْسَنَ الْهُدَى وَالْدِينِ : ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ
 نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ
 ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾
 [الزمر: ٢٣].

وكل جميل يُنسب إلى الله ، ويحمد عليه الرب ، من الأقوال ، والأعمال ،
 والأخلاق ، والأسماء ، والصفات ، وكل قبيح يُنسب إلى العبد ، ويذم عليه :
 ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ
 قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦].

وأصل ، كل ، فساد في الكون إخراج الشيء عن حده إلى ضده ، وأول اعتدال
 في الكون هو التوحيد ، والعبادة لله وحده لا شريك له : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ
 ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].

فأول اعتدال في الكون هو توحيد الله بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ،
 وتوحيده بعبادته وحده لا شريك له ، فمن صرف ذلك لغير الله ، فقد فسد
 وأفسد ؛ لأن كل إنسان سوف يمشي على هواه ، والأهواء مختلفة ،
 فيحصل الفساد منك ، ومن غيرك ، ثم يكون الفساد العام ، وأول ظاهرة من
 ظواهر الفساد أن الأمر صادر عن هوى الإنسان : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ
 وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾
 [الروم: ٤١].

أقسام الناس في الدنيا :

الناس اثنان :

١ - منهم من أدى الأمانة ، وهم المئة منه .

٢ - ومنهم من خان الأمانة ، وهم الكفار ، والمنافقون : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣] .

والدنيا كالجسد الكبير ، وروحها الدين ، وإذا خلت الدنيا من الدين أقام الله الساعة ، فلا سعادة للبشرية أبداً إلا بالإيمان بالله ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ (٣١) نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧) ﴿ [النحل: ٩٧] .
والله ﷻ أمرنا بالعمل بالدين ، ونشر الدين ، فالعمل بالدين هو أن يجعل المسلم حياته مطابقة لحياة النبي ﷺ : ﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (١٣٨) ﴿ [البقرة: ١٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١) ﴿ [الأحزاب: ٢١] .

والله ﷻ له أوامر على عباده يمثلونها مع زيادة الإيمان ، ويخالفونها مع نقص الإيمان ، ومن هنا وجب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله ، لتبقى الحياة آمنة مستقرة للجميع ، فيعان صاحب الخير ، ويؤخذ على يد صاحب الشر : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُم بِظُلْمٍ ءُوَلَّتِكَ لَهُمُ ءَلْمَنٌ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وبالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، تتحقق المنفعة ، وتزول المضرة ، والمنحرف عن سواء السبيل كسر حدًا من حدود الله نؤمن به ، فلا بد من إعادته إلى الاستقامة بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وكذلك من سكت عن منكر يراه ولم ينكره لم يمته الله حتى يفعل ذلك الشيء ، ويراه غيره ، ولا يُنكره عليه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، مَا أَضْرَبْنَا بِأَيْدِينَا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجُوا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجُوا ، وَنَجُوا جَمِيعًا » . أخرجه البخاري (١) .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٩٣) .

الأصول التي تؤدي بها الأعمال الصالحة :

كل عمل صالح نقوم به لا بد له من صفات يؤدي بها سواء كان صلاة أو ذكرًا أو صومًا أو زكاة أو صدقة أو حجًا أو تعليمًا أو دعوة أو أي أمر من أوامر الله في العبادات ، والمعاملات ، والآداب او غيرها : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

ومقصود العلم :

الخشية : لأن الخشية هي التي تدفع للعمل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

فنقوم بأي عمل بست صفات ليكون صالحًا مقبولًا عند الله عز وجل :

الصفة الأولى : اليقين ، فنقوم بأي عمل صالح باليقين على أن في هذا العمل الصالح قضاء حاجتي ، وحل مشكلاتي : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

الثانية : الإتيان ، فنقوم بالعمل بطريقة النبي ﷺ ، ونفعله كما فعله النبي ﷺ ، ونستحضر لو كان النبي ﷺ حاضرًا أو في مكانه ، ماذا سيفعل ، في هذه الحال فأفعله كما فعله ﷺ إن علمت ، وإذا لم أعلم أسأل العلماء : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (١)

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له..

الثالثة : استحضر فضيلة العمل ، فالأعمال ثقيلة على النفوس ، وإذا عرفنا فضائلها ، وأجورها ، سهل القيام بها ، وتكرارها ، والمداومة عليها ، فنعرف فضائل الذكر ، والتسبيح ، والصلاة ، والصوم ، والحج ، والدعوة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وصلة الرحم وغيرها ليسهل القيام بها : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

١١ ١١ . ﴿ وَاللَّهُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ ﴾ ان : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » متفق عليه . (١) .

وقال ﷺ في الصلاة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾ [المؤمنون: ١-٣] .

الرابعة : التوجه والمراقبة والإحسان ، بأن نستحضر أن الله يرانا ، ويسمع كلامنا ، في كل عمل ، فنراقب الله ، ونحسن له العمل ، ونعبده كأننا نراه ، سواء كنا في الخلوة أو مع الناس ، ونستحضر أن الله ﷻ مطلع علينا ، وسيجازينا بأعمالنا ومن أحسن عمله بحضرة الناس ، وأساء في الخلوة ، فقد استحضر عظمة المخلوق لا الخالق ، وهذا هو النفاق .

فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فالكيفية واحدة والله مطلع عليك في الحالين ، فأحسن العمل لله وحده ، فالعبد حقاً من عمل لله بخلوة أو عند الناس على السواء : ﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢-٣] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

وإذا اتصفنا بالصفات التي يحبها الله انتشرت الصفات الإيمانية ، وإذا بينا العلم انتشر العلم بدون صفات ، فصارت فتنة : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا اَلْكِتَابَ اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩] .
 وقال تعالى : ﴿ اِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ اِنَّكَ اللّٰهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

الخامسة : الإخلاص ، فنخلص العمل لله وحده لا شريك له ، لأنه الذي وفق، إليه ، وهو الذي أعان عليه ، وهو الذي يُثب عليه ، فأعمال الدين غالية ، وثمانية لا يستطيع أحد أن يدفع قيمتها إلا الله وحده : ﴿ وَمَا أُمِرُوا اِلَّا لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكٰوةَ وَذٰلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

والنية تجارة العلماء ، يربحون على الله ما لا يربحه سواهم ، فنصحح النية ، ونوسعها ، والأجور بفضله ، الله علم ، النيات لا علم الأعمال فقط ، فمن نوى شيئاً من الخير ولم يتمكن منه كتب الله له أجره : ﴿ اِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤] .

وكما م، في السماوات والأرض ، لا يستطيع أن يعطيك ثواب تسيحة واحدة فاخلص العمل لمن وعدك بأجره ، وهو الله وحده : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهٖ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهٖ اٰحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا اَلْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَمَسٰكِنَ طَيِّبَةً فِيْ جَنَّٰتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّٰهِ اَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

السادسة : المجاهدة ، فُجَاهِدْ أَنْفُسَنَا لِنَسَارِعَ إِلَى كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ ، فَنُعْظِمَ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَحِبُّ وَتُرِيدُ إِلَى مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيُرِيدُ ، وَنَبْذِلُ كُلَّ مَا نَمْلِكُ مِنْ أَجْلِ رِضَا اللَّهِ ، وَنَحِبُ مَا يَحِبُّ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ ، وَفِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَلْقِهِ مِنَ الْمَعَامَلَاتِ ، وَنَقُومُ بِالِدَعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتَعْلِيمِ الدِّينِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٦٩] العنكبوت : ٦٩ .

وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [٧٨] الحج : ٧٨ .

فمن قَدَّمَ مراد الله على مراد نفسه ، فهو العبد حقاً .

ومن قام بالعمل بهذه الصفات الست التي ذكرناها تحصل على موعودات الله في الدنيا ، والآخرة ، ومن قام بالعمل ، وقد أخل بإحدى هذه الصفات لم يحصل له الموعود على العمل .

ولا يخرج من الخسارة إلا من حقق أربعة أمور كما قال سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرُ ﴾ [١] إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر / ١-٣] .

٩ - الخزانة التاسعة

أسرار الاستعادة :

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

﴿ ٨ ﴾ [طه: ٨] .

وكل مخلوق مطبوع على أربع صفات ، ضعيفٌ فقيرٌ عاجزٌ محتاجٌ ، والله وحده هو الغني من كل وجه ، القادر من كل وجه ، القوي من كل وجه .

وأعوذُ بالله من الشيطان الرجيم عروجٌ من الخلق إلى الخالق ، ومن العبيد إلى الملك ، وأعوذُ إقراراً من العبد على نفسه بالعجزِ والحاجةِ والفاقة ،

وبالله إقراراً من العبد بأن الله وحده قادر عليه ، إعطاء كل الخيرات ، ودفع كل الآفات ، فيفر العبد من نفسه ، ومن غيره إلى ربه ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ

نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿ ٥٠ ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿ ٥١ ﴾

[الذاريات: ٥٠-٥١] .

ومن عرف نفسه بالفقرِ ، والعجزِ ، والضعف عرف ربه بالقدرة ، والقوة ، والغنى : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس:

٦٨] .

فسبحان من خلق المخلوقات ، ليدل على كمال قوته وقدرته ، وكمال حلمه وإحاطته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوْنَ أَنَّ

اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

ومن عرف نفسه بالجها ، عرف ربه بكمال العلم ، ومن عرف نفسه بالظلم والسوء عرف ربه بكمال الجلال ، والجمال : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩] .

والقرآن العظيم من أعظم مجامع الخيرات ، والبركات ، ومن قرأ القرآن أفاده عبادة الرحمن ، ومن تفكر في وعده وعيده ، وآياته ، وبيناته ، ازدادت رغبته في الطاعات ، ورهبته من المحرمات ، فلهذا صارت قراءة القرآن من أعظم الطاعات ، ومن أجل هذا أمر الله ﷻ بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن كما قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨-٩٩] .

والقرآن العظيم : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩] .
والقلب إذا تعلق بغير الله تنجس ، واللسان إذا جرى بغير ذكر الله تنجس ، وحصل فيهما نوع من اللوث ، وطهورهما بأعوذ بالله ، فإذا طهر صار الإنسان مهيناً للتعبد بذكر الله فيقول : بسم الله الرحمن الرحيم .
أعداء الإنسان :

لكل إنسان عدوان :

- ١- ظاهر من الإنس .
- ٢- وباطن من الجن .

والعبد مأمور بمحاربتهم ، ومحاربة العدو الباطن أولى من محاربة العدو الظاهر ، لأن العدو الظاهر إن وجد فرصة ففي متاع الدنيا ، والعدو الباطن إن وجد فرصة ففي نقض التوحيد ، والإيمان ، وترك الأعمال الصالحة .
والعدو الظاهر إن غلبنا كنا مأجورين ، والعدو الباطن إن غلبنا كنا مفتونين .

ومن قتله العدو الظاهر كان شهيداً ، ومن قتله العدو الباطن كان طريداً ، فكان الاحتراز من العدو الباطن أولى ، وذلك لا يكون إلا بأن يقول الإنسان بلسانه وقلبه : أعوذ بالله من الشيطان الرحيم ، هذا هو العدو الباطن .

وإذا حاربت عدوك الظاهر كان ممدك الملك : ﴿ بَلِّغْ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥] .

وإذا حاربت عدوك الباطن كان مددك الملك جباراً جلاله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢] .

وقلب المؤمن أشرف البقاع ، لما فيه من الإيمان والتوحيد ، ومعرفة الله بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، والخضوع ، والخشوع لربه ، فهو يطالع كل آن جلال الربوبية ، ويرى في نفسه ذلة العبودية ، فيثمر ذلك الحب ، والتعظيم ، والذل لربه العظيم ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

ولهذا صار القبر روضة من رياض الجنة ، لأنه صار مكان عبد صالح ميت ، وقد جعل الله لكل مؤمن جنتين : جنة في الدنيا ، هي جنة المعرفة ، والإيمان بالله ، وعبادته وحده ، وجنة في الآخرة وهم الجنة ، ورضوان الرب ، ورؤيته ، ومن دخل جنة الدنيا أدخله الله جنة الآخرة : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال عن جنة الآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧] .

وقال عنهما معاً : ﴿ وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن: ٤٦] .

وكما أخرج الله إبليس من الجنة إكرامًا لآدم ﷺ وإسعاده ، فيجب على العبد في الدنيا أن يخرج عدوه الشيطان من قلبه ، لئلا يعطله عن عبادة ربه ، وعليه أن يستعين بربه ، ليحميه من عدوه : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٦] .

والشيطان عدو الإنسان في كل حال ، فلا يليق بالمؤمن أن يكره الشيطان بقلبه ، ويطيعه فيما أمره به بجوارحه ، بفعل المحرمات ، ويخالفه في فعل الخيرات ، والإنسان يوافقه في كل المراتب : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦] .

فلا يغرنك الشيطان بسوسه ، فقد أقسم لأبيك آدم أنه له من الناصحين ، ثم سعى في إخراجه وزوجه من الجنة لما أكلا من الشجرة : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١] .

وأما في حقك أيها الإنسان فقد أقسم بالله أن يضللك ويغويك : ﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْوَِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٨٢] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [٨٣] [ص: ٨٢-٨٣] .

فإذا كانت هذه معاملة الشيطان مع من أقسم أنه له ناصح فكيف ، تكون معاملته مع من أقسم أنه يضلله ويغويه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا ﴾ [١١٦] ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ [١١٧] ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾ [١١٨] ﴿ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَتَّيْنَتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلَئِمَّ بَكُنَّ إِذْ أَدَاكَ الْأَنْعَامِ وَالْأَمْرَ مِنْهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [١١٩] ﴿ يَعْذِبُهُمْ وَيَمْتَنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [١٢٠] ﴿ أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [١٢١] ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّلِيحَاتِ سَكُنْدَ خِلْمِهِمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٣٢﴾ ﴿النساء: ١١٧-١٢٢﴾ .

فلا إله إلا الله كم أضل الشيطان الخلق : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ
تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿يس: ٦٢﴾ .

فقه الاستعاذة :

المؤمن أسعد ما يكون إذا كان بجوار الرحمن : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ
﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿القمر: ٥٤-٥٥﴾ .

المؤمن أسعد ما يكون إذا كان بجوار الرحمن الذي خلقه ، وأنعم عليه ،
وهاداه ، ولا يرضى بجوار الشيطان ، لأن الشيطان عاصى الله ورسوله ،
ويأمر بمعصية الله ورسوله ، والمؤمن لا يرضى بجوار العاصي ، فكيف
يرضى بجوار عين المعصية : ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ
فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴿النساء: ١١٩-١٢٠﴾ .

وإنما نفذ كيد الشيطان في بني آدم ، لأنه يراهم وهم لا يرونه : ﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ
لَا يَفْنَدَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
سَوْءَ تَرِيهِمَا إِنَّهُ يَرِنَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا
يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿الأعراف: ٢٧-٢٨﴾ .

فليتوجه العبد في دفع شر الشيطان عنه إلى ربه الذي يرى الشيطان ، ولا يراه
الشيطان : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴿الذاريات: ٥٠-٥١﴾ .

والمؤمنون أولياء الرحمن ، والكفار أولياء الشيطان ، وأكثر الناس غرهم الشيطان فاتبعوه إلا القليل : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠] .

والله رحمن رحيم أرسل رسله ، وأنزل كتبه ، رحمة للعالمين ، وإبليس شيطان رجيم ، فإذا أردت أن تقرأ كتاب الرحمن الرحيم ، فابتعد عن الشيطان الرجيم ، لتصل إلى الرحمن الرحيم ، وقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم .

ولك أيها الإنسان عدو غائب عنك لا تراه ، لكنه ليس بغافل عنك ، فإذا كسرك العدو الغائب ، فافزع إلى الحبيب الغالب : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سبأ: ٦٠] وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿ ٦١ ﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿ ٦٢ ﴾ [يس: ٦٠-٦٢] .

والمؤمن إذا قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فإنما يستجير بالله ، ويلجأ إلى رحمة الله وعظمته ، ويتصل بفضل الله ورحمته .
والاستعاذة هي التجاء إلى الله في جلب المنافع ، ودفع المضار .
أركان الاستعاذة بالله :

لا تتم الاستعاذة بالله إلا بثلاثة أمور :
علمٌ .. وحالٌ .. وعملٌ .

فالعلم أن يعلم العبد أنه عاجز عن جلب المنافع الدينية والدينية بنفسه ، وأنه عاجز عن دفع المضار الدينية والدينية بنفسه ، ويعلم أن الله وحده هو القادر على ذلك كله : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١] .

فإذا حصل هذا العلم تولد في القلب حال الانكسار بالتضرع إلى الله ،
والخضوع له ، واللجوء إليه ، والاستعاذة به من عدوه ، ولا يستعيذ بالله
حقاً إلا من عرف عزة الربوبية ، وذلة العبودية ، وحينئذ يحصل في قلبه
الطلب ، وفي لسانه النطق بذلك الطلب : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ
دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

ولا خلاص ، من ظلمات الكفر والشرك ، والضلالات إلا بإيمان العبد برب
الأرض والسموات : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا
مُرَشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٧] .

فكل عبد محتاج إلى ربه في خلقه ، ورزقه ، وهدايته ، وعلمه ، وعمله : ﴿
يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] .

وقد ركب الله في كل إنسان هذه الحواس الخمس التي تجر القلب من عالم
العلويات والروحانيات ، إلى عالم السفليات والجسمانيات ، ولا خلاص له
من هذه الظلمات إلا بعون الله وتوفيقه ، اللهم اهدنا الصراط المستقيم حتى
نقول بقلوبنا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾
[الفاتحة : ٥-٦] .

أقسام اللذات العاجلة :

اللذات العاجلة في هذه الدنيا قسمان :

أحدها : اللذات الحسية من مأكول ، ومشروب ، ومركوب ، ومسكون ،
ومنكوح ، ونحوها من الشهوات .

الثانية : اللذات الخيالية : كلذة الرئاسة ، والمناصب .

والإنسان كلما كان أقل حظاً من هذه اللذات لم يلتذ بها ، ولم يشعر بها ، وإذا لم يشعر بها قلت رغبته فيها ، وكلما كان أكثر فوزاً بتلك المطالب التذُّ بها ، وقويت رغبته في تحصيل الزائد منها ، وذلك يحرمه من المطالب الدنسة العالة ، فلا خلاص له منها إلا بالاستعاذة بربه على تحصيل ما

ينفعه ، ودفع ما يضره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ﴿ [

الفاتحة: ٢-٧] .

فقه المستعاذ به :

المستعاذ به ورد في القرآن علمه ، وجهين :

الأول : أن يقول العبد : أعوذ بالله كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّمَا يَزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿ [فصلت: ٣٦] .

الثاني : أن يقول : أعوذ بكلمات الله التامات ، وكلمات الله هي أوامره الملكية ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿ فُسَبِّحْنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿ [يس: ٨٢-٨٣] .

والأولم ، أكمل ، لأن من عرف الله لم يستعد إلا به ، لأنه لا يري أحد سواه ، ولا رب إلا هو : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ [التوبة: ٥١] .

ولابد للعبد عند قراءة القرآن أن يتعوذ بالله ، لأن العبد قد ينجس لسانه بالكذب ، والغيبة ، والنميمة ، فأمره الله بالتعوذ ، ليصير لسانه طاهراً : ﴿

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿ [النحل: ٩٨-٩٩] .

١٠ - الخزانة العاشرة

فقه الأعمال الصالحة :

الأعمال الصالحة هي كل ما يُقرب إلى الله مما جاء في القرآن والسنة ، والله سبحانه كريم يُعطي على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .

كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمثلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَأْ أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ [التغابن: ١٧] .

والأعمال التي لا تدخل الموازين يوم القيامة لعظيم أجرها ثلاثة :

الأول : الصبر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ [الزمر: ١٠] .

الثاني : العفو ، كما قال سبحانه : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ [الشورى: ٤٠] .

الثالث : الصوم

قال النبي ﷺ : « قال الله : كُلِّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصَّيَّامَ ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصَّيَّامُ جُنَّةٌ » . متفقٌ عليه (١) .

وكل عملٍ صالحٍ لا يقبل إلا إذا كان مبنياً على أساس الإيمان بالله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] .

وأعمال الجوارح مربوطةٌ بأحوال القلوب :

وأعجب ما في الإنسان قلبه ، لأن فيه مواد من الحكمة وضدها ، إن سرح له الرجاء أولهه الطمع ، وإن هاج له الطمع أهلكه الحرص ، وإن سجنه اليأس قتله الأسف ، وإن أصابه الغضب اشتد به الغيظ ، وإن ناله الخوف شغله الحزن ، وإن أصابته المصيبة قتله الجزع ، وإن وجد مالا أطغاه كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لُّغِي ﴿٦﴾ أَنْ رَّأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ ﴾ [العلق: ٦-٧] .

فإن وجد مالا أطغاه الغنى ، وإن عضته فاقة شغله البلاء ، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف : ﴿ وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] .

فكل حالةٍ من أحوال القلب مستندةٌ إلى حالةٍ قبلها خيراً أو شراً .

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفقٌ عليه (٢) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٤) ، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١١٥١/١٦١) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم: (٥٢) ، ومسلم برقم: (١٥٩٩/١٠٧) .

ولا خلاص له إلا بتفويض أمره إلى ربه ، والتسليم لحكمه ، وإتباع شرعه :
﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ
مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥) ﴿
[النساء: ٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١١٢) ﴿ [البقرة: ١١٢] .

ولا طمأنينة للعبد ، ولا سكون لقلبه إلا بتقديم ما يحبه ربه على ما تحبه
نفسه ، والاشتغال بذكره عن الانغماس في شهوات نفسه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢٨) ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجْرُهُمْ ﴾ (٢٩) ﴿ [الرعد: ٢٨-٢٩] .

والدين إيماناً وعمل ، وثوابٌ أو عقاب :

وليس الدين بالأمني والأكاذيب ، ولكن لكل عملٍ حكم شرعي ، كما قال
سبحانه : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ
بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١٢٣) ﴿ [النساء: ١٢٣] .

ومن أماني العرب الكاذبة : ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ
﴿٣٥﴾ ﴾ [سبأ: ٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٢٩) ﴿
[الأنعام: ٢٩] .

ومن أمانى أهل الكتاب : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٠) بَكَّىٰ مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ وَأَحْطَتْ بِهِ ۗ حَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٨١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٨٢) [البقرة: ٨٠-٨٢] .

فقه الكمال الإنساني :

كمال الإنسان من حيث هو إنسان يكون بأمرين :

الأول : التخلي عن الرذائل .

الثاني : التحلي بالفضائل .

وكمال المسلم يكون مع هذا بأمرين : أن يكون صالحًا في نفسه ، ومُصلحًا لغيره ، كالثلج باردٌ في نفسه مُبردٌ لغيره ، وكالمصباح مُضيءٌ بنفسه مضيءٌ لغيره ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر/ ١-٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٥) [الأعراف: ٣٥] .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي له الخلق والأمر ، وإليه يُرجع الأمر كله ، ولا يقبل الله من أعمال العباد إلا ما كان صالحاً ، وتحققت فيه ثلاثة شروط :
أولاً : أن يكون خالصاً لله : ﴿ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ٥ ﴾ [البينة: ٥] .

ثانياً : وأن يكون مشروعاً بالسنة النبوية : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر: ٧] .

ثالثاً : وأن يكون صاحبه مؤمناً كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٧ ﴾ [النحل: ٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ١١٠ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٢٧ ﴾ [المائدة: ٢٧] .

وأما الكافر فينتفع بعمله الصالح في الدنيا : كبر الوالدين ، وصلة الرحم ، وإكرام الضيف ، والإحسان إلى الجار والفقير ، فيعطى في الدنيا صحةً وأموالاً وأولاداً حسب مشيئة الله ﷻ ، أما في الآخرة فليس له إلا النار بفقده الإيمان كما قال سبحانه : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ٢٣ ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَّدْحُورًا ١٨ ﴾ [الفرقان: ١٨] وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَّشْكُورًا ١٩ ﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٢٠ ﴾ [الإسراء: ١٨-٢٠] .

والله سبحانه سوف يسأل كل إنسان عما عمل إخلاصًا ومتابعة :

فَيُسْأَلُ الْإِنْسَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ أَعْمَالِهِ جَوَارِحِهِ فَيُقَالُ : لِمَ سَمِعْتَ مَا لَا يَحِلُّ لَكَ سَمَاعَهُ ، وَلِمَ نَظَرْتَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، وَلِمَ عَزَمْتَ عَلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ الْعِزْمَ عَلَيْهِ ؟ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] .

وَتُسْأَلُ الْجَوَارِحُ وَتَشْهَدُ بِمَا فَعَلَ صَاحِبُهَا :

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥] .

وَيُسْأَلُ الْإِنْسَانَ عَنْ كُلِّ مَا عَمِلَ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] .

وَإِذَا عَرَفَ الْعَبْدُ أَنَّهُ سَيُسْأَلُ عَنْ هَذَا بَادَرَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِ ، وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتَهُ كَالْأَنْبِيَاءِ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

وَمِنْ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ أَنْ أَمَرَ كُلَّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ بِلُزُومِ الْبَيْئَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ لِيَقْوَى عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ لُزُومُ الْبَيْئَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ لِيَزِيدَ إِيمَانَهُ ، وَيُنْشِئَ صَدْرَهُ لِلْإِقْبَالِ عَلَى الطَّاعَاتِ ، وَالْبَعْدِ عَنِ الْمَعَاصِي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] .

فالبينة الإيمانية بيئة الأعمال الصالحة يستفيد منها المسلم خمس كرامات :

الأولى : يتعلم الدين .

الثانية : يعمل بالدين .

الثالثة : يثبت على الدين .

الرابعة : يترقى في الدين .

الخامسة : يدعو إلى الدين .

وإذا كان المسلم عالماً أو كبيراً فعليه أن يوقر أهل الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإن كانوا فقراء أو ضعفاء ، ويُسلم عليهم ، ويرفق بهم ، ولا ينفّرهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٥١ - ٥٢].

وقال ﷻ : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۗ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وهذه البينة الإيمانية محل سخرية الكفار ، وقد جعلها الله فتنة لهم :

كما قال سبحانه : ﴿ قَالُوا اتُّؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الشعراء: ١١١].

وقال سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَن اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقال سبحانه : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقد خلق الله الإنسان وكرمه بأن سخر له ما في السماوات وما في الأرض ؛ ليتفرغ لعبادة ربه ، ويتجاوز المخلوقات إلى خالقها : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠] .

وخلق الله مع الإنسان مخلوقاتٍ عظيمة هي الملائكة والشياطين ، فالملائكة تقوى في الجو الإيماني ؛ لأنهم لا يعرفون إلا الطاعات ، فهم : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] .

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَّا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: ٦] .

فالملائكة تقوى في الجو الإيماني ، وتفر من الجو الغافل . والشياطين تقوى في الجو الغافل ، وتفر من الجو الإيماني : ﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨] .

الجو الإيماني :

الجو الإيماني جو ملائكي ، لا سلطان للشياطين عليه ، إنما سلطان الشيطان في جو الغفلة والمعاصي ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢] .

وقال ﷺ عن الشيطان : ﴿ إِنَّمَا إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ١٠٠] .

والدعوة إلى الله تقلب الأجواء الغافلة إلى أجواء إيمانية ذاكرة ، المربي فيها هو الله سبحانه ، وإذا تركنا الدعوة إلى الله ابتلينا بالشياطين ، والحرمان من حضور الملائكة ، وكثرة المصائب والمعاصي ﴿ قَالَ فَبِعَرْنَاكَ لَأُعَوِّبَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وإذا كنا في الجو الإيماني سعدنا بالملائكة ، وسلمنا من الشياطين ، وكثرت الطاعات ، وصلحت الأحوال ، وقلت المعاصي .

وفي الجو الإيماني يزيد الإيمان ؛ لأننا فيه نسمع عن الله ، وعن اليوم الآخر ، نسمع طاعة ، ونرى طاعة ، ونعمل بطاعة ، ونعلم طاعة ، فالزم ذلك: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

الجو الغافل :

وفي الجو الغافل نسمع الباطل ، ونرى معصية ، ونعمل بمعصية ، وندعو إلى معصية ، فينقص الإيمان فاحذر ذلك: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنسِينُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تُقْعَدْ بَعْدَ الذِّكْرِ ۚ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨].

فالمؤمن ينأى بنفسه عن الأجواء الغافلة ، ويحركها إلى الأجواء الذاكرة: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ ﴿١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠].

فسوق الطاعات في الجو الإيماني قائمة ، وسوق المعاصي خاسرة ،
والدعوة إلى الله تجعل الجو الإيماني عالمياً ينفع كل البشرية ، فإن كان
جهد الدعوة محلياً أو وطنياً سهل على العدو ضربه ، وإذا انتشر في العالم
دمغ الباطل ، ولم يتمكن العدو من القضاء عليه : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا
بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾
[الإسراء: ٨١] .

والدين سهلٌ كتقوى ، صعبٌ كفتوى :
وفي عهد النبوة مدرستان :

الأولى : مدرسة التقوى لعامة الصحابة ، فهم يتعلمون من النبي ﷺ
ويعملون .

الثانية : مدرسة الفتوى خاصة بأهل العلم والفتوى ، كالخلفاء الأربعة ،
ومعاذ بن جبل ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم من كبار الصحابة رضي
الله عنهم .

فعموم الصحابة أخذوا صفات النبي ﷺ وعمله ، أما علمه فأخذه خواص
الصحابة الذين ورثوا علمه ؛ ليلغوه أمته .
فقه الدين :

بالدعوة إلى الله ينتشر الإيمان في العالم : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

والسعادة في الدنيا والآخرة تحصل للناس بشيئين :

الأول : عبادة الخالق وحده لا شريك له .

الثاني : حُسن الخُلُق مع الخلق بالأخوة والمحبة : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦] .

وهذه هي الشريعة ، والشريعة لها غاية ، هي رضا الله ، ودخول الجنة ، ولها وسيلة وهي الإيمان ، والأعمال الصالحة ، وحسن الخُلُق مع الخلق .

وأُنفَع الناس للناس هو الداعي إلى الله ؛ لأنه يدلهم على كل خير ، ويحذرهم من كل شر ، ومن دعا إلى الله وذكره وعبده في الأرض ، ذكره الله في الملائكة الأعلى ، واستغفرت له الملائكة : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣٠] نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ [٣١] نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

أفضل الأعمال :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦] .

والباقيات الصالحات كل عمل صالح يرضي الله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا

﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال ﷻ : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

لهذا يجب علينا فقه الدنيا ، وفقه الآخرة ، يجب علينا معرفة الدنيا والواجب فيها ، ومعرفة الآخرة وكيف نعمرها : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَتُهُمْ وَتَفَاخُرُهُمْ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يهيج فترثه مصفراً ثم يكون حطماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ [الحديد: ٢٠].

وإذا عرفنا ذلك ، فيجب أن نبادر ، ونُسارع ، ونُسابق إلى الأعمال الصالحة، كما قال سبحانه : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]- [١٣٤].

فالمؤمن حقاً هو من بادر إلى امتثال أوامر الله تعظيماً لله ، وتعظيماً لأوامره ،
ومسارعة إلى طاعته : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٧١﴾
[الأحزاب: ٧١] .

ولأن الله ﷻ أمرنا بالمبادرة إلى طاعته ، وأثنى على من فعل ذلك ، ووبخ
من لم يُبادر إلى ذلك ، وتخويفه بالموت الذي قد يهلكه قبل الفعل بغته ﴿
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجَدُوا وَعَابَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

وقال تعالى عن المؤمنين : ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ ﴿٦١﴾
﴿ [المؤمنون: ٦١] .

وقال الله تعالى عن الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ
لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ ﴿٣٦﴾
[الأحزاب: ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ﴿١١٥﴾
[النساء: ١١٥] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٩ - خزائن الأعمال الصالحة

القسم الثاني

وتشتمل على ما يلي:

- | | |
|---------------------|----------------------|
| ١ - الخزانة الأولى | ٦ - الخزانة السادسة |
| ٢ - الخزانة الثانية | ٧ - الخزانة السابعة |
| ٣ - الخزانة الثالثة | ٨ - الخزانة الثامنة |
| ٤ - الخزانة الرابعة | ٩ - الخزانة التاسعة |
| ٥ - الخزانة الخامسة | ١٠ - الخزانة العاشرة |

٢٩- خزائن الأعمال الصالحة

١- الخزانة الأولى

فقه خلق الدنيا والآخرة :

الله ﷻ خالق كل شيء ، وخلق الله كله في منتهى الحكمة والرحمة ، والعدل والإحسان .

خلق الله الدنيا وعجلها ، وخلق الآخرة وأخرها ، فالدنيا تأنيث الأدنى ، وهي في غاية الدناءة والدنو ، فهي عرض عاجل الآن ، وهي دنيا قليل ما فيها بالنسبة لما في الآخرة ، فكانها كالميتة بالنسبة للآخرة التي كلها حياة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [فاطر: ٥] .

فالله الذي خلق الدنيا أخبرنا عنها ، وأمرنا فيها بتكميل محبوباته من الإيمان والتقوى والأعمال الصالحة ، والله ﷻ يكمل محبوبات المسلم في الآخرة بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] .

ففي الدنيا نكمل محبوبات الرب جل جلاله من جميع أنواع الأعمال الصالحة ، والله ﷻ يكمل محبوباتنا في الآخرة : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وكل ما يفعله الإنسان في الدنيا أثره راجع إلى نفسه ، فإن كان شراً فهو يجني شراً على نفسه ، وإن كان خيراً فهو يجلب الخير لنفسه ، كما قال سبحانه : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ ﴿٧﴾ . [الإسراء: ٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم: ١٤-١٦] .
 وجميع حركات الإنسان في الدنيا إنما يبني بها مسكنه الذي سيصل إليه يوم القيامة ، ويخلد فيه .

فالإنسان قائماً ، وقاعداً ، متكلماً ، وسامعاً ، مُعطيّاً ، ومانعاً ، إنما يبني بهذه الحركات منزله ، ومقره النهائي ، يبني له إما قصرًا من قصور الجنة يخلد فيه ، أو يبني به سجنًا من سجون جهنم يخلد فيه : ﴿ إِن الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُمَّ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ ﴿٦٨﴾ [التوبة: ٦٨] .
 فعلى المسلم أن يحفظ أوقاته في طاعة الله ، وأن ينظر في أقواله وأفعاله ، فيختار الطيب على الخبيث ، والحق على الباطل ، والحسن على القبيح ، فليس للإنسان إلا ما جناه ، ولا حصاد له إلا من زرعه : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم: ٣٩-٤١] .

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٤٦] .

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦] .

فقه العمل :

الأعمال جمع عمل ، والعمل هو ما يصدر عن الإنسان من خير كالطاعات ،
أو شر كالمعاصي ، والعمل الذي يزينه الشيطان ، ويثاب الإنسان على
تركه ، ويُعاقب على فعله ، أربعة أقسام :

الأول : فعل الجوارح كالقتل ، والزنا ، والغصب ، والسرقه ونحو ذلك .

الثاني : القول ؛ لأن القول فعل اللسان ، كما قال سبحانه : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا
تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّنَفْسِكُمْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ إِنَّ الَّذِينَ
يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٧-١١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

الثالث : العزم المصمم ؛ لأن عزم الإنسان وتصميمه على الفعل بحيث لا
يمنع منه إلا العجز عنه فعلٌ ، كما قال النبي ﷺ : « إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ
بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » . قيل : هذا القاتلُ فما بال المقتولِ ،
قال : « إنه كان حريصًا على قتل صاحبه » . متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٧٥)، ومسلم برقم: (٢٨٨٨).

أما الهم بالفعل ، ثم يتركه خوفاً من الله ، فهذه سيئة تُكتب له حسنة .
 الرابع : الترك ، فترك المأمور به أفعال يزيناها الشيطان ، يدخل صاحبها بها النار ، ويثاب بفعالها ، فيدخل الجنة ، فترك الأمر بالمعروف فعل ، كما قال سبحانه عن أهل الكتاب : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ (٦١) وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦١-٦٣] .

وترك النهي عن المنكر فعل يُذم فاعله ، كما قال سبحانه : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩] .

فعلى الإنسان أن يتفقد نفسه ، ويسارع إلى امتثال أوامر ربه ، واجتناب نواهيهِ ؛ لئلا يكون من الغافلين ، فيسرقه الشيطان ، ويدخل في حصنه ، ويتبع خطواته : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩] .
 فقه الغفلة :

الغفلة هي الشرود عن الشيء ، وخروجه عن الذهن للاشتغال بغيره ، وإذا غفل الإنسان أسره الشيطان ، وأدخله في حصنه ، وإذا غفل الإنسان فاته مطلوبه ، ووقع في الخطأ : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]

والله ﷻ لا يغفل أبداً ، فعلمه محيطٌ بكل خلقه . ﴿ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

فالله لا يغفل عما يفعله الظلمة ، ولكنه يُمهّل ولا يُهمل ؛ ليزداد الظلمة إثماً ، ولعلهم يتوبون ؛ ولتكون عقوبتهم أشد يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] .

وكما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١] .

فكل ما يعمل الكفار والظلمة ، فالله مدخره لهم ، ومجازيهم عليه ، وليس الله بغافل عما يعمل المسلمون من الخير والحسنات ، وهو مدخره لهم ، ومجازيهم عليه : ﴿ يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ [٦] ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [٧] ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [٨] [الزلزلة: ٦-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ [٢٥] ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [٣٦] [الغاشية: ٢٥-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهَمَّ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١٦٠] ﴿ [الأنعام: ١٦٠] .

فجميع الأعمال خيرها وشرها ، تحفظ عند الله ، ويجازي بها أهلها يوم القيامة : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٣٢] ﴿ [الأنعام: ١٣٢] .

أعظم أنواع الغفلة :

الغفلة عن الله، والغفلة عن أوامر الله ، والغفلة عن اليوم الآخر : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعِينٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [١٧٩] ﴿ [الأعراف: ١٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٦] ﴿ [الروم: ٦-٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِّنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [٢٠٥] ﴿ [الأعراف: ٢٠٥-٢٠٦] .

محبة العمل الصالح :

من رحمة الله بعباده أن حُب إليهم الحق والخير والفضائل ، وكره إليهم الباطل والشر والرذائل : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [٧] ﴿ [الحجرات: ٧-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾ . [النحل: ٩٠] .

والله ﷻ من رحمته بعباده أن خلق في نفوسهم محبوباتٍ مختلفة ، كمحبة الإيمان والتوحيد ، ومحبة الصدق والعدل والإحسان ، ومحبة الرحمة والرأفة ، ومحبة العفو عن أهل الجنایات ، ومحبة العلم والمعرفة ، ومحبة أداء الأمانة وصلة الرحم ، فهذه الأعمال والحركات يتنعم بها الحي ، ويسعد بها ، ويلتذ بها ، ويجد بها فرحاً وسروراً ، كما يلتذ بسماع الأصوات الجميلة ، ورؤية الأشياء البهيجة ، وشم الروائح الطيبة : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ . [يونس: ٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ﴿٢٨﴾ . [الرعد: ٢٨] .

وكما يلتذ الإنسان بأكل وشرب ونكاح ، يلتذ بما تفعله نفسه من العلوم والمعارف ، وما يتحلى به من مكارم الأخلاق ، وما في قلبه من الإيمان والتقوى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ . [الأنفال: ٢-٤] .

وهذه الأمور التي تحبها النفوس والقلوب بفطرتها هي المعروف ، والتي تبغضها هي المنكر : ﴿ فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ . [الروم: ٣٠] .

٢ - الخزانة الثانية

وجوه انتفاع المسلم بعمل غيره :

الأصل أن الإنسان يعمل لنفسه : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: ٧] .

والمسلم ينتفع بعمل نفسه وبعمل غيره من وجوه :

الأول : أن المسلم ينتفع بدعاء غيره كما قال النبي ﷺ : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » . أخرجه مسلم (١) .

والنبي ﷺ يشفع في أهل الموقف في الحساب ، ثم يشفع لأهل الجنة في دخولها ، ولأهل الكبائر في الخروج من النار .

الثاني : والملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض : ﴿ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧] .

الثالث : والله يخرج من النار برحمته من لم يعمل خيرا قط .

الرابع : وأولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤ / ١٦٣١) .

الخامس : وينتفع المسلم بصلاح أبيه ، وهو ليس من سعيه .

السادس : وينتفع الحي والميت بالصدقة عنه والدعاء له .

السابع : ويسقط الحج عن الميت بحج وليه أو ولده عنه ، وقضاء الدين عنه يسقطه ، وصلاة الجنازة عليه ، ومن عليه دين حلله صاحبه وانتفع به ، وسقط عنه .

الثامن : وأن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم .

التاسع : والجمعة والجماعة كثرة أجورها تحصل بكثرة العدد ، وهو انتفاع بعمل الغير .

العاشر : والله يرفع العذاب عن بعض الناس بسبب بعض ، وذلك انتفاع بعمل الغير ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١] .

وغير ذلك من وجده الانتفاع فما أعظم رحمة الله بعباده !

قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢٦] وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [٢٧] يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [٢٨] [النساء: ٢٦-٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥] .

عظمة الإسلام :

الإسلام نظم حياة الإنسان ، وحياة المجتمع ، وحياة الأمة ، ودل الإنسان على كل عمل صالح ، ورغبه فيه ؛ لأنه يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

[البقرة: ٢١-٢٢] .

وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨] .

والسياسة هي تدبير الأمور بأحسن التدابير ؛ لتحقيق المصالح ودفع المضار .

والسياسة الشرعية تنقسم إلى قسمين :

الأول : سياسة خارجية ، ومدارها على أربعة أصول هي :

الأول : إعداد القوة اللازمة لقمع العدو ، وحفظ البلاد : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ءَعَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

الثاني : الوحدة الشاملة حول تلك القوة كما قال سبحانه : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

الثالث : الحذر من العدو ، والتحرز من مكائده كما قال سبحانه : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء: ٧١] .

الرابع : تجنب المواجهة ، وإيثار الصلح عند المصلحة كما قال سبحانه : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١] .

الثاني : سياسةٌ داخلية :

وبها يتحقق للأمة الأمن والطمأنينة ، والسعادة في الدنيا والآخرة ، وتقوم على ستة أصولٍ هي :

- ١- حفظ الدين .
- ٢- حفظ الأنفس .
- ٣- حفظ الأعراض
- ٤- حفظ العقول .
- ٥- حفظ الأنساب .
- ٦- حفظ الأموال .

قال الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

فمصالح البشرية التي تحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة ، تدور على ثلاث أصول هي :

أولاً : درء المفساد : وهو حفظ الضرورات الست السابقة .

ثانياً : جلب المصالح بالمعاملات الحسنة ، وتحقيق المصالح العامة على وفق الشرع .

الثالث : التحلي بمكارم الأخلاق ، ويسمى بالتحسينات ، برعاية خصال الفطرة ، واجتناب الرذائل والمحرمات ، والتحلي بأحسن الأخلاق الإسلامية : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وكما أن الأرض قابلة لما يغرس فيها من حلٍ ومر ، فكذا أرض الفطرة رحبة قابلة لما يغرس فيها ، فمن غرس شجرة الإيمان والتقوى جنى حلاوة الأبد ، ومن غرس شجرة الكفر ، والجهل ، والشرك ، والكبر ، والمعاصي ، فكل الثمر مر ، وسيجني شقاوة الأبد: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ كَذَلِكَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ ﴿١١٣﴾
[الشعراء: ٢١٣].

وقال الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعَدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ ﴿١٢٢﴾
[الإسراء: ٢٢].

مذمومًا : لا حامد لك ، مخذولًا : لا ناصر لك ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾
[الذاريات: ٥٠-٥١].

فالمؤمن حقًا من حفظ وقته ونفسه وجوارحه فيما يرضي الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ومن لم يكن مع الرحمن جره الشيطان إلى حصنه ، واستعمله فيما يسخط ربه ، وأضاع عمره وأوقاته فيما يضره ولا ينفعه: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٥﴾
[الزمر: ١٥].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

الأشياء الضائعة في حياة الإنسان :

هناك عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها :

١- علمٌ لا يعمل به .

٢- وعملٌ لا إخلاص فيه .

٣- ومالٌ لا ينفق منه في وجوه البر .

٤- وقلبٌ فارغٌ من الإيمان .

٥- وبدنٌ معطلٌ عن طاعة الله .

٦- ووقتٌ معطلٌ عن اغتنامٍ برٍّ وإحسان .

٧- وفكرٌ يجول فيما لا ينفع

٨- وخدمة من لا تقربك إلى الله خدمته .

٩- وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله .

قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ

أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ [هود: ١١٢-١١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴿

[المؤمنون: ١١٥]

٣- الخزانة الثالثة

أقسام الناس في العمل :

لكل عمل هيئة ، ومقصد ، وثمره ، وثواب ، أو عقاب .

فالصلاة عمل ، ومقصدها أن تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتذكر العبد

بربه : ﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴿

[العنكبوت: ٤٥] .

والصوم عمل ، ومقصده التقوى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴿ [البقرة: ١٨٣] .

والزكاة عمل ، ومقصدها تطهير الإنسان من الشح والبخل ، ومواساة الفقير ،

والحج عمل والمقصد التقوى .. وهكذا : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ

وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴿

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ

دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴿ [الأنفال: ٢-٤] .

والناس في العمل والمقصد أربعة أقسام :

الأول : من الناس من يهتم بصورة العمل ، والمقصد من العمل ، وهؤلاء

بأرفع المنازل ، فيؤدون العمل على وفق السنة ، خالصًا لوجه الله ﷻ : ﴿

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ

دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ ﴿ [البينة: ٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

الثاني: من الناس من يهتم بالعمل، دون المقصد من العمل، فيطبق السنة في العمل، ويغفل عن المقصود من العمل.

الثالث: من الناس من يهتم بالمقصد، دون العمل، فلا يقيم السنة كما جاءت عن النبي ﷺ في العمل.

الرابع: من الناس من لا يهتم بالعمل، ولا بالمقصد، وهؤلاء أدنى الأقسام.

وأفضل هؤلاء هم القسم الأول، الذي يهتم بالعمل والمقصد من العمل: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

فالعمل الصالح هو الموافق لسنة النبي ﷺ، والإخلاص لله ﷻ بأن لا يشرك بعبادة ربه أحدًا: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال سبحانه: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

والله ﷻ نَوْع العبادات رحمةً منه بعباده ، لئلا يملوا ويسأموا ، فجعل حياة المسلم كلها طاعات وعبادات : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

والله سبحانه أمرنا بالإكثار من ذكره ، وعلمنا الله ورسوله كيفية الذكر ، وأنواعه ، ومقاديره : ﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

أنواع الذكر :

الذكر أوسع أبواب العبادات ، فهو مسنون كل وقت .

وأنواع الذكر ثلاثة :

أولاً : ذكر الله ، ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله ، ومعرفة معانيها ، والثناء على الله بها ، والتعبد لله بها : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ثانياً : ذكر آلاء الله ونعمه وإحسانه إلى عباده : ﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظِفَكُمُ النَّاسُ فَاوْتَكُمُ وَأَيْدِكُمْ بِبَصْرِهِ وَرِزْقِكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٦].

ثالثاً : ذكر الأمر والنهي ، والحلال والحرام ، والمبادرة إلى امتثال الأمر ، واجتناب النهي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

والدروس والمحاضرات، والتأليف، والنشر إنما هو لتزيين شجرة الدين، وهي بمنزلة الأغصان، والأوراق، والثمار، ولكن ذلك لا ينفع إلا إذا صحت الجذور، وسقيت بماء الإيمان والتقوى، كما قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

ويتم ذلك بما يلي :

نفخ روح الإيمان في قلوب الناس، وأن يكون بالعمل لا بالدعاية، وأن يكون ميدان الداعي نفسه أولاً، ثم الناس ثانياً ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

وقال الله تعالى عن الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

أقسام الظلم :

على المسلم أن يجتنب الظلم لنفسه أو لغيره ، فإن للظلم عند الله يوم القيامة ثلاثة دواوين :

الأول : ديوان لا يغفر الله منه شيئاً وهو الشرك بالله كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦] .

الثاني : ديوان لا يترك الله منه شيئاً ، وهو ظلم العباد بعضهم لبعض : ﴿ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [٤١] إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ [الشورى: ٤١-٤٢] .

الثالث : ديوان لا يعبأ الله به شيئاً ، وهو ظلم العبد لنفسه فيما بينه وبين ربه ، وهذا أخف الدواوين ، وأسرعها محوًا ، فإنه يمحي بالتوبة والاستغفار من الرحمن الرحيم ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٩] .

وديوان الشرك لا يمحي إلا بالتوحيد ، وديوان المظالم يستوفى ولا يمحي إلا بالخروج من تلك المظالم ، أو استحلال أهلها .

قال النبي ﷺ : « اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أخرجه مسلم (١) .

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٨/٥٦ .

٤ - الخزانة الرابعة

فقه قبول العمل الصالح :

الأعمال الصالحة تتفاضل بحسب ما في القلوب من الإيمان، والتوحيد، ومحبة الله، وتعظيمه، وإخلاص العمل له، وتتفاضل بتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، فأفضلها ما كان الإخلاص والإتباع فيه أكمل، كما قال سبحانه : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) ﴿الكهف: ١١٠﴾ .

وتتفاضل كذلك إذا كان أحد العاملين أحب إلى الله في نفسه ، كالجهد ، وبذل النفس لله ، والصلاة ، وتلاوة القرآن ، ونحو ذلك . والعمل الأحسن هو الموافق لمرضاة الله ومحبته، وهذا يحبه الله دون الأكثر الخالي من ذلك، فالفضل يكون بحسب رضا الرب سبحانه بالعمل : ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) ﴿التوبة: ٦٢﴾ . فالفضل يكون بحسب رضا الرب سبحانه بالعمل ، وقبوله له ، وفرحه به ، ومحبته له ، كما يفرح بتوبة التائب أعظم من فرح التائب .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَأْسِ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاحٍ، فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجْرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَأْسِ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَاخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ

شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ. « . متفقٌ عليه^(١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . متفقٌ عليه^(٢) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « سألت النبي صلى الله عليه وسلم أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله ؟ قال : الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا ، قلتُ : ثمَّ أيُّ ؟ قال : بُرُّ الوَالِدَيْنِ ، قال : ثمَّ أيُّ ؟ قال : الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قال : حدَّثني بهنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو استزدتُهُ لزادني » . متفقٌ عليه^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ : أيُّ العملِ أَفْضَلُ ؟ قال : إيمانٌ بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهادٌ في سبيلِ اللَّهِ ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حجٌّ مبرورٌ » . متفقٌ عليه^(٤) .

وقبول العمل الصالح يختلف بحسب رضا الرب سبحانه بالعمل ، والقبول ثلاثة أنواع :

الأول : قبولٌ يوجب رضا الله سبحانه بالعمل ، ومحبته له ، ومباهاة الملائكة به ، وثناءً على العامل في الملاء الأعلى ، كموقف الحجاج في عرفة ، وقيام الليل ، وصدقة السر ونحو ذلك .

الثاني : قبولٌ يترتب عليه كثرة الثواب والجزاء فقط ، لكنه دون الأول ، كمن يتصدق بمائة ألف ريال من ماله الكثير ، إما ليتخلص من حفظه ، وإما ليجازي

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٠٩)، ومسلم برقم: (٢٧٤٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٥/١٨٨٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٩/٨٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٣).

عليه بمثله أو غير ذلك ، وآخر تصدق برغيفٍ هو قوته لا يملك غيره ، أثر به غيره محبةً لله ، وطلباً لمرضاته ، والله قبل هذه وهذه ، ولكل نيته وأجره .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفقٌ عليه ^(١) .

لكن قبول الأولى قبول جزاءٍ وثواب ، والثانية قبول رضا ومحبةٍ ومباهاةٍ ، وبينهما من الفضل ، والقبول ، ومحبة الله ، ما لا يحصيه ولا يعلمه إلا الله ، فقبول العطاء والثواب حاصلٌ لأكثر الأعمال ، أما قبول الرضا والمحبة ، فهذا شيءٌ آخر خاص بأهل المعرفة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك: ١٢] .

الثالث : قبول إسقاط العقاب فقط ، وإن لم يترتب عليه ثواب ، كقبول صلاة من لم يحضر قلبه في شيء منها ، فهي تسقط عنه الفرض ، لكنه لا يثاب عليها ، وكذلك من أتى عرافاً ، صلاته لا تقبل إذا صدقه ، لكن لا يؤمر بالإعادة .

وكل الناس يبدأ يومه من الغداة بالعمل .
فالمسلم أول ما يغدو يذكر الله ، ويتوضأ ، ويصلي ، فيبدأ يومه بعبادة الله ، وتوحيده ، وطاعته تحقيقاً لقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٥/١٩٠٧).

وَمَمَّا قَفَّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فهذا باع نفسه بيعاً أعتقها فيه من النار .

قال النبي ﷺ: « كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُؤَبِّقُهَا ». أخرجه مسلم (١) .

أما الكافر فيغدو إلى العمل بما فيه هلاكه ؛ لأنه يبدأ يومه بمعصية الله ، حتى ولو بدأ بالأكل والشرب ، فإن أكله وشربه يعاقب عليه يوم القيامة ، فكل لقمة ، وكل شربة ، وكل لباس ، وكل مركوب ، وكل نعمة ، فسوف يحاسبه الله عليها ويعاقبه ؛ لأنها لا تحل له ، وإنما تحل لمن آمن بالله وأطاعه ، فالله رزقنا الطيبات ، لنستعين بها على طاعته : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣] .

وقال سبحانه : ﴿ فُورِيكَ لِنَسْعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] .

وقال النبي ﷺ: « لا تزولُ قَدَمًا عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن : عَن عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَن جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَعَن مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَن عِلْمِهِ مَاذَا عَمَلَ بِهِ ». أخرجه الترمذي (٢) .

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٢٣ .

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٤١٧) .

فقه المجاهدة :

المجاهدة هي بذل الجهد في سبيل الله ، ابتغاء مرضات الله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

والمجاهدة تنقسم إلى قسمين :

الأول : مجاهدة الإنسان نفسه .

الثاني : مجاهدة الإنسان غيره .

ولا تتم مجاهدة الغير إلا بمجاهدة النفس أولاً ، أما مجاهدة النفس فتكون بأن يجاهد الإنسان نفسه على شيئين :

الأول : على فعل الطاعات .

الثاني : وعلى ترك المعاصي .

وذلك لا يتم إلا بالعلم بالله ، والعلم بأوامره : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

فيجاهد الإنسان نفسه على الإخلاص لله في العمل ، ويجاهد نفسه على فعل الطاعات الشاقة كالصلاة والزكاة ، والصيام والحج ، والجهاد في سبيل الله ، ويجاهد نفسه على ترك المعاصي والمحرمات التي يشق على الإنسان تركها ابتغاء مرضات الله .

وفعل الطاعات ، وترك المحرمات ، كل ذلك ثقل على النفوس ؛ لأن النفوس لها حظوظ وشهوات بهيمية : ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

ثانياً : أما مجاهدة الإنسان غيره فهي قسمان :

الأول : مجاهدة بالعلم والبيان .

الثاني : مجاهدة بالسلاح والسنان .

الأول: فأما المجاهدة بالعلم والبيان فتكون بالدعوة إلى الله لجميع البشر

والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ

وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وتكون بتعليم شرع الله لمن آمن ببيان أحكام الدين ، وتكون ببيان الشبه

التي يثيرها المرتابون ، وكشف بطلان البدع التي يحدثها المبتدعة ، فهؤلاء

نجاهدهم ببيان الحق ؛ لأنهم مسلمون يظهرون الإسلام ، وإن كانوا مبتدعة

أو منافقين ، وتكون بالحكمة والموعظة الحسنة للمسلم الفاسق ليكون

صالحاً ، وللغافل ليكون ذاكراً ، وللصالح ليكون مصلحاً : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ

بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

الثاني : أما الجهاد بالسيف والسلاح فيكون لأعداء الدين من الكفار

واليهود والنصارى الذين يظهرون عداوة الدين والمسلمين ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا

فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]

﴿ [النحل: ١٢٥] .

وقال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [التحریم: ٩].

وثمره هذه المجاهدة الهداية لنا ، والهداية لغيرنا ، وزوال فتنة الكفر : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣].

وعلى المسلم ان يجتهد على نفسه وعلى غيره ، ويصبر على الطاعات ، ويصبر عن المعاصي ، ويصبر على أقدار الله المؤلمة ؛ فالصبر عبادة من أعظم العبادات : ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ومعية الله مع الصابرين : ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦].
وقال الله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].
وأذى الناس للإنسان له أسباب متعددة :

فإن كان السبب طاعة الله ، والجهد في سبيله ، والدعوة إليه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فالإنسان يثاب على ذلك من وجهين :

الأول : يثاب على الأذى الذي يحصل له : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

الثاني : ثبات على صبره على الطاعة التي أودى في الله من أجلها : ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٣٧-٤٣].

فعلى الإنسان أن يصبر ، ويعفو ويغفر ، لمن أساء إليه إن كان في ذلك إصلاح ؛ لأن الأجر من الله خيرٌ من أخذك معاوضة من أعمال من آذاك : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٤٠].

والله سبحانه غني كريم ، لا يقبل من العمل ، ولا ينصر صاحبه إلا إذا توفرت فيه ثلاثة شروط :

١- أن يقوم بالعمل لله : ﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿ [الزمر: ٢-٣] .

٢- وأن يقوم به مستعيناً بالله .

٣- وأن يقوم به في الله على سنة رسول الله .

فيقوم به لله مخلصاً له العبادة ، ويقوم به بالله مستعيناً بالله ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن: ١٣] .

ويقوم به في الله متبعاً لشرعه كما قال سبحانه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاحة : ٥-٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فإياك نعبد قياماً لله ، وإياك نستعين قياماً بالله ، واهدنا الصراط المستقيم قياماً في الله أي في شرعه الموصل إليه ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ ﴿٥﴾ [البينة: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

٥ - الخزانة الخامسة

أقسام الأعمال :

الأعمال تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

قسمٌ ينفع الإنسان .

وقسمٌ يضره .

وقسمٌ لا ينفع ولا يضر .

فالعاقل هو الذي يفعل ما ينفع ، ويجتنب ما يضر ، ويزهد فيما لا ينفع ولا يضر ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] .

وإذا تعارضت منفعتان إحداهما أعلى من الأخرى قدمنا العليا ، فإذا اجتمع صلة عم وأخ ، ولا يمكن أن نصلهما معاً ، قدمنا صلة الأخ ؛ لأنه أقرب وأنفع وأفضل .

وإذا اجتمع محرمان أحدهما أشد من الآخر ، قدم الأخف منهما ، فالأوامر يقدم فيها الأعلى والمناهي يقدم فيها الأخف ضرراً : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [يخض برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم] [آل عمران: ٧٣ - ٧٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

أعظم سؤال في القرآن :

الهداية أعظم شيء في خزائن الله ، والهداية أعظم سؤال يسأله العبد ربه كما قال سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة : ٢-٧] .

والهادي هو الله ﷻ ، وطلب الهداية من الله يشمل الهداية إلى الصراط المستقيم ، و الهداية للطريق الحسن الحسي .

فالهداية إلى الدين هي الهداية للصراط المستقيم الموصل إلى رضوان الله والجنة كما قال سبحانه : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة : ٦] .

وقال ﷻ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

و الهداية إلى الطريق الحسي كأن يضل الإنسان في أرض ، ولا يعرف الطريق ، فيطلب من الله أن يهديه كما قال موسى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القصص: ٢٢] .

ونحن محتاجون إلى الهداية في الطريقين :

هداية الطريق المعنوي : وهو سلوك الصراط المستقيم ، والهداية إلى الطريق الحسي .

قال الله ﷻ في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ » . (١) أخرجه مسلم (١) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧/٥٥) .

وفي الهداية إلى الصراط المستقيم غذاءٌ للقلب بالعلم والإيمان ، وغذاءٌ للجوارح بالأعمال الصالحة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

والمسلم يستطيع ربه بالقول أو الفعل ، فالقول أن نسأل الله ﷻ أن يطعمنا ويرزقنا ، فهو سبحانه الذي يُطعمُ ولا يُطعم .
أما الفعل فله جهتان :

الأولى : الإيمان والعمل الصالح كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

وقال ﷻ : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠-١٢] .

الثانية : الأسباب الحسية بحرث الأرض وزعها وسقيها ، مع الاعتماد على الله وحده في حصول الرزق كما قال سبحانه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُٗٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٧] .

وقال ﷻ في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطَعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمْتُكُمْ » . أخرجه مسلم (١) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧/٥٥) .

فإذا ملك الإنسان شيئاً من غرسٍ أو زرعٍ أو نحوهما ، فإذا انتفع الناس به ، فلصاحبه أجرٌ ، سواء نوى أو لم ينو ، فإذا أكل منه طيرٌ أو حيوانٌ أو إنسان كان له صدقة ، ولو سرق منه سارق فهو له صدقة ، فجميع المصالح والمنافع ، انتفع الناس بها كانت خيراً لصاحبها وأجرًا وإن لم ينو .

فإن نوى زاد خيراً على خير ، وأتاه الله من فضله أجرًا عظيمًا : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ ، وَلَا دَابَّةٌ ، وَلَا طَيْرٌ ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أخرجه مسلم ^(١) .

وينبغي للمسلم أن يكون مقتصدًا في جميع أموره الدينية والدينية ؛ لأنه إن قصر فاته خيرٌ كثير ، وأن شدد فسوف يكل ويعجز ، ويتعب ويقعد : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩] .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأةٌ ، قال : من هذه؟ قالت : فلانةٌ ، تذكرُ من صلاتها ، قال : مه ، عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يملُ الله حتى تمكُّوا وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبُه . متفقٌ عليه ^(٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، يَسْأَلُونَ عَنِ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا ، فَقَالُوا : وَآيَنَ »

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٠٠٢) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم: (٤٣) ، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧٨٢) .

نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَنْزَوْجَ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : « أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمُ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَنْزَوْجَ النِّسَاءِ ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » . متفقٌ عليه (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ قال : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ » . متفقٌ عليه (٢) .

والأصل في العبادات المنع إلا ما أمر به الشرع ، والأصل في المعاملات والعادات الحِلُّ إلا ما حرمه الشرع : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّتُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [١١٦-١١٧: النحل] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٣١] .

[الشورى: ٢١]

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ [٣٣] .

[الأعراف: ٣٣] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٠١/٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨١٦).

وكل مسلم يكتب له أجر الطاعات ، ويكتب عليه أجر المعاصي : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) ﴿[الأنعام: ١٦٠] .

أما من كان دون البلوغ من صبيٍّ ومميز وغيرهما ، فهذا يكتب له الأجر على الطاعة ، ولا يكتب عليه الوزر إذا تركها ، فمن فعل طاعةً من الصبيان فله أجرها ، ولا يكتب عليه وزرها إذا تركها ؛ لأنه قد رفع عنه القلم ، فليس كالمكلف ، لكن يضمن ما أتلفه : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) ﴿[الأنعام: ١٦٠] .

وعن ابن عباس ، أن النبي ﷺ لقي ركبًا بالروحاء ، فقال : « مَنْ الْقَوْمُ ؟ » . قالوا : المسلمون ، فقالوا : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : « رَسُولُ اللَّهِ » . فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا ، فَقَالَتْ : أَلْهَذَا حَجٌّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، وَلَكَ أَجْرٌ » . أخرجه مسلم (١) .

(١) أخرجه مسلم برقم : (٤٠٩ / ١٣٣٦) .

٦ - الخزانة السادسة

أقسام الناس في الهدى والعلم :

الناس بالنسبة لما بعث الله به رسوله محمداً ﷺ من الهدى والعلم ثلاثة أقسام :

الأول : من فقه في دين الله ، فعلم ، وعمل ، وعلم غيره .

فهذا مثل الأرض الطيبة ، التي قبلت الماء ، وأنبت العشب الكثير والزرع ، فانتفع الناس بها .

الثاني : من حمل العلم والهدى للناس ، ولكن لم يفقه ما فيه من الهدى ، فهؤلاء رواة العلم الذين حفظوه وبلغوه الناس .

فهؤلاء كالأرض القيعان التي أمسكت الماء ، فاستقى الناس منه ، لكن الأرض نفسها لم تنبت .

الثالث : من لم يرفع بالهدى والعلم رأساً ، وأعرض عنه .

فهذا لم ينتفع ولم ينفع غيره ، فهو كالأرض السبخة التي ابتلعت الماء ، ولم تنبت الكلاء .

وخير الأقسام الأول ؛ لأنه فقه وعلم ؛ لينتفع ، وينفع غيره ، ويليه الثاني وهو من علم وحفظ ، والثالث لا خير فيه فهو شر الأقسام ؛ لأنه علم ولم يعمل ولم يعلم ما علم للناس .

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ ، قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى ، إِنَّمَا

هي قيعانٌ لا تمسك ماءً ولا تئبت كلاً ، فذلك مثلٌ من فقهه في دين الله ،
ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثلٌ من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل
هُدي الله الذي أرسلت به » . متفقٌ عليه (١) .

وإذا كثرت الخبث في الأمة هلك الصالحون والفاسدون ، وبُعِثَ كُلُّ عَلَى
نيتة .

والخبث يطلق على شيئين :

الأول : الأعمال الخبيثة : وهي ضد الأعمال الصالحة .

الثاني : البشر الخبيث : وهو ضد البشر الصالح .

فإذا كثرت الأعمال الخبيثة السيئة من زنا ، وربا ، وفواحش بين المسلمين ،
فقد عرضوا أنفسهم للهلاك ، وإذا كثرت الكفار بين المسلمين فقد عرضوا
أنفسهم للهلاك والانحراف ، ولهذا حذر النبي ﷺ من بقاء اليهود
والنصارى والمشركين في جزيرة العرب ، حذراً من ذلك الخبث والهلاك .

عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ « دخل عليها يوماً فرعاً يقول : لا
إله إلا الله ، ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب ، فُتِحَ اليومَ من ردمٍ يأجوج
ومأجوج مثلُ هذه ، وحلقت بإصبعيه الإبهام والتي تليها : قالت زينب بنتُ
جَحَشٍ : فقلتُ : يا رسولَ الله ، أفنهلكَ وفينا الصالحونَ ؟ قال : نعم ، إذا
كثرت الخبثُ » . متفقٌ عليه (٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٨٢/١٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٤٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨٨٠/١).

وعن عمر بن الخطاب ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدْعُ إِلَّا مُسْلِمًا » . أخرجه مسلم (١) .

ولزوال الخبث ، وأهل الخبث ، أوجب الله الأمر بالمعروف ، والنهي عن
المنكر ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وتغيير المنكر يكون من كل ذي سلطةٍ قادرة ، كالأمير على رعيته ، والرجل
في أهل بيته ، والمعلم مع طلابه ، والمرأة في بيتها كما قال النبي ﷺ : «
مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا ، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ
فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » . أخرجه مسلم (٢) .

فهذا له السلطة أن يغير بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلمه .
أما الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فهو واجبٌ بكل حال ؛ لأنه ليس
فيه تغيير ، بل فيه أمرٌ بالخير ، ونهيٌ عن الشر ، وهو سببٌ عظيمٌ لزوال
الباطل من العالم : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

ولهذا جعله الله وظيفة كل الأمة كما قال سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧٦٧/٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٤٩/٧٨) .

أفضل الإنفاق :

الإنفاق على الأهل أفضل من الإنفاق على غيرهم ، فهو أفضل من الإنفاق في سبيل الله ، وفي الرقاب ، وعلى المساكين ؛ وذلك لأن الأهل أوجب الله عليك نفقتهم ، فالإنفاق عليهم فرضٌ عين ، والإنفاق على ما سواهم فرض كفاية ، وفرض العين أفضل من فرض الكفاية .

والإنفاق عليهم صدقةٌ ، وصلة ، وعفافٌ ، وكفافٌ ، وقد يكون الإنفاق على من سواهم على وجه التطوع ، والفرض أفضل من التطوع ، لكن الشيطان يخدع المسلم ويرغبه في التطوع ، ليشغله عن الواجب ، فتجده يحرص على الصدقة على الناس ، ويدع الواجب ، وهذا سفةٌ في العقل ، وضلالٌ في الشرع ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دينارٌ أنفقته في سبيلِ الله ، ودينارٌ أنفقته في رقية ، ودينارٌ تصدقت به على مسكين ، ودينارٌ أنفقته على أهلك ؛ أعظمهما أجراً الذي أنفقته على أهلك » . أخرجه مسلم ^(١) .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ دينارٍ يُنفقُهُ الرجلُ ؛ دينارٌ ينفقُهُ على عياله ، ودينارٌ ينفقُهُ الرجل على دابَّته في سبيلِ الله ، ودينارٌ ينفقُهُ على أصحابه في سبيلِ الله ، قال أبو قلابة : وبدأ بالعيال ، ثم قال أبو قلابة : وأي رجلٍ أعظمُ أجراً من رجلٍ ينفقُ على عيالٍ صغارٍ يُعفِّهم ، أو ينفعهم الله به ، ويغنيهم » . أخرجه مسلم ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم برقم : (٣٩ / ٩٩٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم : (٣٨ / ٩٩٤) .

وعن خيشمة قال : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، إِذْ جَاءَهُ قَهْرَمَانٌ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ: أَعْطَيْتَ الرَّقِيقَ قُوَّتَهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَانْطَلِقْ فَأَعْطِهِمْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْسَبَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ. « . أخرجه مسلم (١) .

والإنفاق ابتغاء وجه الله زكاةً أو صدقةً أو هدية ، ليزيد مال المنفق بركةً ، وكميةً ، وكيفيةً ، في الدنيا والآخرة ، فيبارك الله في مال المنفق ، ويخلف عليه أكثر منه في الدنيا ، ويعطيه الله الأجر في الآخرة ، ويضاعفه له ؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وأحسنهم خلقًا ، وأجزلهم عطاءً : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « انْقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ. » . أخرجه مسلم (٢) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٩٦/٤٠) .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٨٨/٦٩) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة . وعن عبد الله ، حدثنا معمر بهذا الإسناد نحوه ، وروى أبو هريرة ، وفاطمة رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ : أن جبريل كان يعارضه القرآن . « . متفق عليه (١) .

والعمل الصالح بأنواعه هو كل ما أمر الله ورسوله به ، فتسبيحة واحدة في صحيفة الإنسان من هذا العمل خير من الدنيا وما فيها ؛ لأن الدنيا وما فيها تذهب وتزول ، والتسبيح والعمل الصالح يبقى ، ويضاعف ثوابه : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾ [الكهف: ٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١٦٠] ﴿ الأنعام: ١٦٠ ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٩٦] ﴿ النحل: ٩٦ ﴾ .

والشريعة أوامر ونواهي ، وحرام وحلال ، وعلى الإنسان امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وأخذ المباح ، وترك الحرام .

والله ﷻ أحاط الشريعة بسياج محكم ، فحمى الناس من كل محرم يضرهم في دينهم ودنياهم ، وإذا كان الشيء مما تدعوا إليه النفوس شدد السياج حوله كالزنا ، والربا .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٢٠) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٣٠٨) .

فالزنا سببه قوة الشهوة ، والنفس تدعو إليه ؛ لأنه جبلةٌ وطبيعة ، فجعل الخالق سبحانه حوله سياجاً يبعد الناس عنه ، من نظرٍ ، أو لمسٍ ، أو محادثةٍ ، أو خلوةٍ فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] .

والربا تطلبه النفوس ، لما فيه من الفائدة ، وحرم كل ذريعةٍ إليه من حيلٍ ونحوها ، فقال : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

فجعل سبحانه للمحارم حمىً تمنع الناس من الوقوع فيها وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الْحَلَالُ بَيْنَ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَزْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ. » . متفقٌ عليه ^(١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩/١٠٨).

٧- الخزانة السابعة

فقه الإصلاح بين الناس :

الصلح بين الناس من أعظم الأعمال الصالحة ، لما يتحقق به من الخير ، ويندفع به من الشر ، وكلما كان المتخاصمان أقرب صلةً بعضهما من بعض كان الصلح بينهما أوكد وأكثر أجراً ، كصلح بين الأب وأولاده هو أفضل من الصلح بين الرجل وصاحبه ، وكلما كانت القطيعة أعظم كان الصلح بين المباعدين والمتقاطعين أكمل وأفضل وأكبر ، والصلح كله خير ومن ابتغى به وجه الله فله ثوابٌ عظيم، كما قال سبحانه : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء: ١٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤] .

فإذا لم يتبين وجه الصواب مع أحد الطرفين ، فلا سبيل للإنسان إلا الإصلاح ، فيصلح بينهما بقدر ما يستطيع من العدل : ﴿ وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] .

والكلمة الطيبة تنقسم إلى قسمين :

١- كلمة طيبة بذاتها .

٢- وكلمة طيبة بغايتها .

فالكلمة الطيبة بذاتها : هي ذكر لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ونحو ذلك من الكلم الطيب .

والكلمة الطيبة بغايتها : هي الكلام مع الناس بقصد إيناسهم ، وإدخال

السرور عليهم ؛ لأن إدخال السرور على إخوانك مما يقربك إلى الله : ﴿

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ

عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٤] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ

صَدَقَةٌ ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ ، يَعْدُلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ

عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ،

وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » .

متفق عليه ^(١) .

والمؤمن عبدٌ يأخذ من مولاه ما ينفعه ، ويجتنب ما يضره ، فالحلال يأخذه ،

والحرام يجتنبه ، والمشتبه يتورع عنه ، وكل ما نشك فيه نجتنبه ، ولا نأخذ

إلا بما تيقننا حله ، وهذا أصل الورع أن نترك الشك إلى اليقين ، فمن شارك

أحدًا ، ووجد في نصيبه زيادة ، وشك فيها فليدعها ، وإذا شك فيها صاحبك

وتركها فتصدق بها تخلصًا منها ، أو تجعلها صدقةً معلقة فتقول : اللهم إن

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم : (٢٩٨٩) ، واللفظ له ، ومسلم برقم : (١٠٠٩) .

كانت لي فهي صدقة أتقرب بها إليك ، وإن لم تكن لي فهي مالٌ أتخلص بالصدقة به من عذابه.

قال النبي ﷺ « دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ ». أخرجه أحمد والترمذي (١).
وعن أنس رضي الله عنه ، قال :. مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِتَمْرَةٍ مَسْقُوطَةٍ، فَقَالَ: « لَوْلَا أَنْ تَكُونَ مِنْ صَدَقَةٍ لَأَكَلْتُهَا. » . متفق عليه (٢).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ. » . متفق عليه (٣).

أفضل الناس :

أفضل الناس مؤمنٌ يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، وينفع الناس ، ويصبر على أذاهم ، فالمؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم ، أحب إلى الله من المسلم الذي لا يخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣)
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤] .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، وأحمد (١٧٢٣) واللفظ لهما.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠٥٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩ / ١٠٨).

وإذا فسدت أحوال الناس ، فالعزلة أفضل ، العزلة زمن الفتن والشر والخوف من المعاصي ، خيرٌ من الخلطة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ » . أخرجه البخاري (١) .

فمخالطة الناس ، ودعوتهم إلى الله ، ونصحهم ، ونفعهم ، هو الأصل والأفضل ، فإذا فسد حال الناس ، وتضرر الإنسان ، من مخالطتهم في دينه ، فالتفرغ للعبادة ، والبعد عن الناس ، والعزلة عنهم ، أفضل له ، وكل حالة لها حكمٌ وفصل : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧٣) يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٣١) [البقرة: ٢٦٩] .

وقد أمر الله ورسوله بكل خير ، وبكل حق ، ونهى الله ورسوله عن كل شر ، وعن كل باطل : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) [الأحزاب: ٧١] .

فيجب على المسلم امتثال الأوامر ، واجتناب المناهي ، والحذر من ارتكاب ما نهى الله ورسوله عنه ، وألا يغلبه الأمن من مكر الله ، والتهاون بمعصية الله ورسوله ، والشيطان يغري بعض الناس ويقول له : افعل المعصية واستغفر الله فالله غفور رحيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٩) .

وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ [النور: ٢١].

ويقول كذلك : افعَل المعصية ، ورحمة الله سبقت غضبه ، ويقول : افعَل المعصية ، وربك واسع المغفرة ، وغير ذلك من الآمال الكاذبة التي يغر الشيطان بها بني آدم : ﴿ يَعِدُّهُمْ وَيُمَيِّتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ [النساء: ١٢٠-١٢١] .

فلا يجوز للإنسان أن يغر بإمهال الله تعالى له ، ويرتكب المعاصي والمحرمات ، بناءً على أن الله لم يعاجله بالعقوبة : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥] .

والله سبحانه يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩] .

فإن الله يغار على دينه وعباده وخلقه : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء: ١١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذته أليم شديد ﴿١٠٢﴾ [هود: ١٠٢] .

أما ما يقول ويفعل من ارتكب منهياً عنه « كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » . أخرجه الترمذي وأحمد ^(١) .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وأحمد (١٣٠٤٩) واللفظ لهما.

فمن نزغه الشيطان وأزه لمعصية الله ، فليستعد بالله من الشيطان الرجيم ليحميه من عدوه : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٦] .

وإذا وقع في الذنب ، فعليه بالتوبة والاستغفار ، والندم على ما حصل منه : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [١٣٤] وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ [١٣٥] أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ [١٣٦] ﴿ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] .

والقول لا بد أن يصدقه الفعل ، وإلا كان فتنةً ولغوًا ، فالكلام على العفو سهل ، ولكن العفو أصعب شيء ، والكلام عن الإحسان أسهل شيء ، ولكن الإحسان أصعب شيء ، والكلام عن الرحمة أسهل شيء ولكن الرحمة أصعب شيء ، والكلام عن العدل أسهل شيء ، ولكن العدل أصعب شيء ، والكلام عن الحب في الله أسهل شيء ، ولكن الحب في الله

أصعب شيء : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢-٣] .

ومقصود الأعمال الصالحة ، وجميع العبادات والأوامر ، أن يأتي اليقين
على الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم يأتي اليقين على قوله ، وقول رسوله
ﷺ ، ثم يأتي اليقين على وعده ووعيده ، فإذا جاء اليقين على ذات الله
وأسمائه وصفاته ، فعبد المسلم ربه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه ،
جاء اليقين على قوله ، ثم جاء اليقين على وعده ووعيده ، فإذا جاء اليقين
على الوعد والوعيد ، أقبلت النفس على الطاعات ، والأعمال الصالحة ،
ونفرت من المعاصي والسيئات ، وسارعت إلى فعل الخيرات : ﴿إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾
أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

ولا يمكن الحصول على هذا اليقين إلا بالتضحية بكل شيء من أجل الله ،
وترك كل شيء من أجل الله ، وبحسب كثرة التضحيات مع الإيمان والتقوى
يكون كمال اليقين ، والناس متفاوتون في اليقين بحسب تضحياتهم من أجل
الله ، ومن أجل إعلاء كلمة الله : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ
لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقال الله ﷻ : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا
بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤] .

٨ - الخزانة الثامنة

حقيقة المجاهدة :

رأس مال الإنسان ثلاثة أشياء :

الإيمان .. والفكر .. والوقت :

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] .

فمن حفظها حفظه الله ، ومن أضاع واحدة أضاع البقية ، فقوة امتثال أوامر الله مبني على قوة الإيمان ، وقوة الإيمان مبنية على المجاهدة : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وكلما قويت المجاهدة قوي اليقين ، وكلما قوي اليقين قويت الأعمال القلبية ، وكلما قويت الأعمال القلبية قويت الأعمال البدنية ، وكلما قويت الأعمال الانفرادية قويت الأعمال الاجتماعية : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١] .

والحب الفطري ، والخوف الفطري ، في المجاهدة يتحول إلى حب تعبدية ، وخوف تعبدية ، فنترك المحبوب الأدنى وهو الشهوات ، من أجل

المحسوب الأعلى وهو امتثال أوامر الله ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦٢] .

ونرقي الخوف الفطري إلى الخوف التعبدي ، بالخوف من الله ، ومن عذاب الله ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٩-٥٠] .

ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، والله غني عنه وعن عمله : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦] .

وأصل المجاهدة من أجل حفظ الإيمان ، وحفظ الإيمان بحفظ الجوارح ، وحفظ الجوارح بحفظ الوقت بالطاعات ، والأعمال الصالحة ، وحفظ الوقت يملئه بأنواع الأعمال الصالحة ، وحفظ الأعمال يكون بالبحث عن بيئة الأعمال ولزومها : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] .

ومن ضحى بشهواته من أجل الله ، أعطاه الله اليقين ، وحسن العبادة ، ولحصول ذلك لا بد من ترك بيئة المألوفات ، والمحجوبات ، والشهوات ، والغفلات ، ولزوم بيئة الإيمان ، والذكر ، والطاعات ، والأعمال الصالحة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وبسبب العكوف في بيئة المحبوبات ، والشهوات ، والمألوفات ، قلت المجاهدة من أجل الحصول على الهداية ، ولما قلت المجاهدة ، نقص منسوب الإيمان ، ثم قلت الشهية للأعمال الصالحة ، وزادت الرغبة في الشهوات ، وزاد التعلق بالدنيا ، فبدأ ينقص الدين في حياتنا ، ثم زالت هيبتنا ، وصرفنا طاقتنا في تكميل شهواتنا ، فاختفت العبادات القلبية ، وظهرت الشهوات الحيوانية ، فنزلت العقوبات الإلهية : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَا ۗ ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۗ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥] .

فالهدى هو التجرد من الهوى ، والعزيمة على الاستقامة على القرآن والسنة ، والهوى هو التحرر من قيود الشريعة لفساد القلب ، وترك الهدى ، كما قال سبحانه : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ۗ هُوَ أَفْأَنَّتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۗ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۗ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ۗ هُوَ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِشْوَةً ۖ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البجائية: ٢٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

فالمجاهدة التي يريد بها الله هي ترويض النفس وتذليلها ، لتعيش تحت قيود الشريعة: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

ومن جاءت الصفات التي في سورة العصر في حياته أكرمه الله بثلاث جوائز : يقين وإيمان في قلبه ، والاهتمام بأعمال الدين في حياته ، والإحساس بالمسئولية : ﴿ وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣ ﴾ [العصر: ١-٣].

والأصل في الإنسان أن الله هيأه ، وهياً له ، وأعد له ، وقسم له ، فمن هيأ نفسه لله ، وعبده كما أمر ، متعه بما هيأ له : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلًا ١٠٧ ﴾ [الكهف: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فمن هيأ نفسه لعبادة الله وحده لا شريك له ، متعه الله بما هيأ له ، وسهل له ما هيأ له ، وأوصله إلى ما أعد له ، وأشغله بعبادته عما قسمه له ، وورقه الهداية والرضا : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْهُمُ الْمُتَّقُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُوا مِنْكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ أَسْرَفُوا مِنْكُمْ فِي الْغُلَامِ وَالَّذِينَ كَانُوا يُضِلُّونَ عَنْ سُبُلِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ السَّالِفُونَ وَأُولَئِكَ فِي أَعْيُنِ اللَّهِ سَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

ومن لم يهيئ نفسه لله ، لم يمتعه بما هيا له ، وعسر عليه ما هيا له ، وتباعد عنه ما أعدّه له ، وأشغله بما قسم له ، ونزع منه الرضا والهدى : ﴿قَالَ أَهِيْطًا مِنْهَا جَمِيْعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّيْ هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىْ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [١٢٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِيْ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَنْ يَنْصُرْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا﴾ [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَانَا فَتَسِينَهَا﴾ [١٢٦] ﴿[طه: ١٢٣-١٢٦] .

٩- الخزانة التاسعة

فقه محاسبة النفس :

لابد لمن أراد الترقى في دينه وديناه من المحاسبة ، فيحاسب الإنسان نفسه ، هل هو يربح أو يخسر ؟ ، يحاسب التاجر عماله ؟ ، فإن لم يحاسبهم سرقوه ، وخسر أمواله ، وهل يحاسب المؤمن نفسه ، فإن لم يحاسبها سرقها الشيطان ، وبماذا يحاسب الإنسان نفسه ؟ .

ويجب أن يحاسب الإنسان نفسه على خمسة أشياء :

١- ما مدى استعدادي للعمل بالدين ؟ .

٢- هل شكرت ربي على فعلى الطاعات ، وترك المعاصي ؟

٣- وما مدى استعدادي لجهد الدين ؟ .

٤- هل استغفرت ربي من الذنوب والمعاصي ؟ .

٥- وما مدى كمال الصفات لدي ؟ .

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨] .

والصفات الحسنة هي وسيلة التقوى ، فلا تقوى إلا بالصفات ، والمتقى هو الذي يرى المعصية في ترك أمر الله ، أما غير المتقى فيرى المعصية بارتكاب المنهي عنه ، وثمره التقوى الاعتصام بحبل الله ، وائتلاف القلوب ، والشعور بالإخوة الإيمانية : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ

مَنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴿آل عمران: ١٠٢-١٠٣﴾ .

ومن ترك جهد الهداية أصيب بثلاث آفات :

الأولى : يتسرب إلى قلبه اليقين الفاسد ، فيشرك بالله .

الثانية : ويتحول جهده للدنيا لا للدين .

الثالثة : ويتسلط عليه الباطل وأهله ، حتى يدخل في عُقر داره ، وقوة البلاد

في حفظ حدودها ، فإذا تجاوز العدو الحدود تحكّم في البلد وسيطر على

خيراتها ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿

[سبأ: ٢٠] .

وكل من عاش في الغفلة فهو مهزوم قطعاً ، مهزوم أمام شهواته ، ومهزوم

أمام زوجته ، وأولاده ، وجيرانه ، وأصدقائه وأعدائه: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ

إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿[الإسراء: ٢٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ ﴿٢١٣﴾ ﴿

[الشعراء: ٢١٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿[النساء: ٣٨] .

فالمؤمن حقاً جميع أوقاته لله : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا

مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١٦٣﴾ ﴿[الأنعام: ١٦١-

. [١٦٣]

حفظ الأوقات في حياة المسلم :

ينبغي على العاقل أن يقسم أوقاته إلى أربعة أقسام :

١- وقتٌ يناجي فيه ربه بصلاةٍ أو دعاءٍ أو ذكر .

٢- ووقت يحاسب فيه نفسه فيحمده على الطاعة ، ويستغفره من المعصية .

٣- ووقت يتعلم دينه ويعلمه .

٤- ووقت يخلي فيه بين نفسه ولذاتها فيما يحل ، وكل ذلك طاعة ،

وعبادة ، وسنة ﴿ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ [الحشر: ١٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِذْبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِّصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢] .

ويقدم في كل عمل صالح الواجب على المستحب ، والأحسن على الحسن ، وما نفعه متعدد على ما نفعه قاصر . : ﴿ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾

﴿ [الحج: ٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال الله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

والوقت كالإنياء من وضع فيه خيراً وجده ، ومن وضع فيه شراً وجده ، ومن تركه فارغاً ندم على فواته ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

وقال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٥﴾ [الزمر: ١٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣].

اللهم أحفظ أوقاتنا في طاعتك ، وعبادتك ، والدعوة إليك ، وتعليم شرعك ، والإحسان إلى خلقك في كل حال .

• أبواب النجاة وأبواب الهلال :

الطاعات أبواب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

والفراغ باب من أبواب المعاصي ، والمعاصي أبواب الشقاء والهلاك : ﴿قَالَ أَهِيطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١٢٤﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء: ١٣- ١٤] .

وأربع فيها النجاة :

طاعة الله عز و ل .. وطاعة الوالدين .. والصحة الطيبة .. وحفظ الوقت .

ففي طاعة الله سبع كرامات :

- ١- نور في الوجه .
- ٢- ونور في القلب .
- ٣- ونور في القبر .
- ٤- وزيادة في الرزق .
- ٥- وقوة في الذهن ، وصفاء في العقل .
- ٦- وقوة في البدن .
- ٧- ومحبة في قلوب الخلق .

وفي معصية الله عكسها : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) [الأحزاب: -٧١] .

وطاعة الوالدين :

أمر الله بها بعد عبادة الله ﷻ ، فطاعة الوالدين أمر الله بالإحسان إليهما قولاً وعملاً بعد الأمر بالتوحيد مباشرة فقال سبحانه : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء: ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] .

فالدين ركنان :

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق .

والصحبة الطيبة أن الصاحب صاحب ، إما أن يأخذ بيدك إلى الجنة ، وإما أن يجررك إلى النار : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩-٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩] .

وحفظ الوقت بالأعمال الصالحة من أهم المهمات ، أما الفراغ فهو باب المعاصي ، ومن لم يشتغل بالطاعة ، شغلته نفسه والشيطان بالمعصية : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

قال عَنكَ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦] .

١٠ - الخزانة العاشرة

فقه الأعمال الصالحة :

الإسلام كله أخبار وأوامر ، وخيرات وبركات ، وعلى قدر الهدف يكون الانطلاق ، والمشي ، والمسارة .

ففي طلب العلم نطلب الزيادة من ربنا دائماً ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤) ﴿ طه: ١١٤ ﴾ .

وفي طلب الرزق نمشي في الأرض ، وننتشر لطلب الرزق ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (١٥) ﴿ الملك: ١٥ ﴾ .
وقال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٠) ﴿ الجمعة: ١٠ ﴾ .

وفي طلب الصلاة ، والمسارة إليها : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٩) ﴿ الجمعة: ٩ ﴾ .

وفي جهد الهداية ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله جعله الله مطلقاً في الزمان ، والمكان ، والحال ، فله كل الأوقات كما قال سبحانه : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ ﴾ [الحج: ٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥) ﴿ النحل: ١٢٥ ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٨) ﴿ يوسف: ١٠٨ ﴾ .

وقال الله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

وفي طلب الجنة نسارع إلى كل عمل صالح ، ونسابق للوصول إلى رضوان الله ﷻ والفوز بالجنة : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَالِي وَالسَّافِرِ وَالْبَاقِي وَالْمُتَّقِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

وقال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] .

وأما إليه سبحانه ، فنفّر ونعجل إلى كل عمل يرضيه : ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢] .

وقال الله تعالى: ﴿فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [٥٠] وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال موسى ﷺ: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] .

والموت ميقات العباد ، فليبادر كل إنسان إلى التوبة إلى الله ، وأداء الأعمال الصالحة ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨] .

• فقه الدعوة إلى الله :

الهداية أعظم شيء في خزائن الله ، وهي أول وأعظم سؤال في القرآن ، كما جاء في فاتحة الكتاب : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧ ﴾ [الفاتحة: ١ - ٧]

وبسبب فكر الهداية يظهر الله الحق ، ويبطل الباطل ، وينصر أوليائه ، ويخذل أعداءه : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ٨١ ﴾ [الإسراء: ٨١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ٥١ ﴾ [غافر: ٥١] .

وبسبب فكر الهداية القاتل والمقتول في الجنة ، وبسبب فكر الهداية يبذل الإنسان نفسه ليقتل في سبيل الله ، ويحيا الدين ، فجهد الهداية له كل الأوقات : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

والقتال في سبيل الله له بعض الوقت ، ففكر الهداية ينتشر الدين ، وبفكر الشهادة لا ينتشر الدين ، وحب الشهادة من ثمرات الهداية .

فأول عمل ، وأفضل عمل ، فكر الهداية قبل فكر الشهادة ، وبفكر الهداية من قاتلك قاتل معك ، فأبو سفيان ، وخالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعمرو بن العاص ، هؤلاء كفار قاتلوا المسلمين ، ثم قاتلوا معهم ، بسبب فكر الهداية ، لما هداهم الله .

والله تعبدنا بالمشي في الشوارع للدعوة إلى الله قبل المشي إلى الصلاة في المساجد والجوامع فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

والدعوة إلى الله من أول يوم ، أما الصلاة ففرضت في السنة العاشرة قبل الهجرة ، والصوم في السنة الثانية من الهجرة ، والزكاة في السنة الثانية ، والحج في السنة العاشرة ، والجهاد في السنة الثانية .

فبسبب فكر الهداية ، الله ﷻ يعطيك الشهادة ، فالله تعبدنا بجهد الدعوة أولاً ، لأنه أقوى عبودية ، وأكبر عبودية ، وأوسع عبودية : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالعابد فقط أخذ عناوين قليلة من الإسلام ، منها الوضوء والصلاة والصيام ، والزكاة والعمرة والحج وغيرها ، لكن الداعي أخذ هذه العناوين وأخذ أكبر العناوين ، في الدين ، فأخذ حياة النبي ﷺ ، وجهد النبي ﷺ ، وفكر النبي ﷺ ، يوم كيومه ، وأقوال وأعمال وأخلاق كأقواله وأعماله وأخلاقه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فليس من يصرف أوقاته وأمواله في سبيل نشر الهداية ، كمن يصلي وينام ، ويصوم وينام ، ويتصدق وينام : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال الله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

[التوبة: ٧١].

والله سبحانه ذكر موسى ﷺ وذكر مساوي أصحابه ، وذكر محمداً ﷺ ،
 ومجد أصحابه فقال : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
 تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ
 ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
 فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
 بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ
 وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
 عُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وتعليق الآمال بالأعمال سنة الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي
 الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠] .
 وتعليق الأعمال بالأسباب طريق الكفار والأشقياء : ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ
 أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ [سبا: ٣٥] .

فحياة المسلم كلها عبادة ودعوة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-
 ١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

والله سبحانه جعل فواصل كبيرة بين الصلوات الخمس ، ليقوم المسلم فيها بالدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله ، ومن كانوا قبلنا كانوا يصلون خمسين صلاة في اليوم واللييلة ؛ لأن هذه الأمة مكلفة بالدعوة والعبادة كالأنبياء ، فتعليق الآمال بالأموال والمناصب غرور ، وتعليق الآمال على الكبير المتعال عزة وفلاح ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن: ١٣] .

والله سبحانه أعطى أوليائه الأعمال الصالحة التي ينصرهم ويسعدهم بها ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الذِّينَ ٤٠] الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١] .

وهناك أربع مهلكات للعبد : أنا ، ولي ، وعندى ، وبيدي ، وهذه كلها لله لا للعبد .

والنجاة أن نتقل من أنا لهو ، وهو الله الذي بيده ملكوت كل شيء : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

وَأَنْتَقِلَ مِنْ لِي إِلَىٰ لِه : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

وَمِنْ عِنْدِي إِلَىٰ وَعِنْدَهُ : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأَنْعَامُ: ٥٩] .
 وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] .

وَنَنْتَقِلُ مِنْ بِيَدِي إِلَىٰ اللَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ [الملك: ١] .

فَالدَّاعِي غَيْرُ الْمَقَاتِلِ ، فَالْمَقَاتِلُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ سِلَاحٍ يَدْفَعُ بِهِ الشَّرَّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَيَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ فَقُوَّتَهُ فِي سِلَاحِهِ ، أَمَّا الدَّاعِي لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ أَسْبَابِ مَادِيَةٍ فَإِنَّ مَعَهُ قُوَّةَ اللَّهِ الَّتِي لَا يَقِفُ لَهَا شَيْءٌ : ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [٤٣] فَقَوْلًا لَهُ : ﴿قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [٤٤] قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ [٤٥] قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [٤٦] [طه: ٤٣-٤٦] .
 وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] .
 وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

فَالدَّعْوَةُ قُوَّةٌ مِنْ غَيْرِ سِلَاحٍ ، وَغِنَىٌّ مِنْ غَيْرِ مَالٍ ، وَعِزٌّ مِنْ غَيْرِ جَاهٍ ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٨] [المنافقون: ٨] .
 فَامَلَأْ قَلْبَكَ الصَّغِيرَ ، وَلِسَانَكَ الصَّغِيرَ ، وَعَمْرَكَ الْقَصِيرَ ، بِمَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ ، يَمَلَأْ لَكَ حَيَاتِكَ فِي الدُّنْيَا أَمْنًا وَطَمَآنِينَةً وَسَعَادَةً ، وَيَمَلَأْ لَكَ الْجَنَّةَ بِكُلِّ مَا تَحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ مِنْ أَلْوَانِ النَّعِيمِ ، وَرِضْوَانِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : ﴿الَّذِينَ

ءَامِنُوا وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ
ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَى ﴿٢٩﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامِنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَآمَنٌ وَهُمْ
مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ﴿١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

في مكة قبل الهجرة الصحابة يبيتون ، ليلاً ليهجدون ، ويمشون في الدعوة
إلى الله ، فالليل دعاء بالهداية ، وبالنهار جهد الهداية على الكفار ، ليس فيه
صلاة ولا صوم ولا حج : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا
﴿٦٤﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤].

وجهد الدعوة إلى الله أعظم مقوم للعبودية ، وامثال أوامر الله في كل حال ،
والمطلوب إيجاد حضارة الأعمال والأخلاق في البشرية ، لا حضارة
الأموال ، والأشياء ، والشهوات : ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ
الْمُتَحِفُونَ الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

وبهذه الأعمال والأخلاق تكون السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ
الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾
[الأحزاب: ٣٥].

والدعوة إلى الله لها بذل وتضحية فمن أذل نفسه في سبيل الله ، ذل الله له يوم القيامة فواكه الجنة ، ومن سقى وأطعم وأكرم من أجل هداية الناس ، سقاه الله من الرحيق المختوم ، وأطعمه الفواكه ، وأنواع الطعام ، وأكرمه برؤيته ، وأنواع النعيم : ﴿ لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكُمْ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة: ٨٨] .
 وقال الله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣] .
 فقه فعل الأسباب :

الأول : الدنيا لها أسباب ، والآخرة لها أسباب ، ودخول الجنة له أسباب من الإيمان والأعمال الصالحة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧] .

ودخول النار له أسباب : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤] .
 والأسباب كلها عبادة إذا كانت مشروعة ، وامثلنا أمر الله فيها : ﴿ وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولَ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

فالدنيا دار الأسباب ، وفي الآخرة تنتهي الأسباب ، ونرى قدرة الله تفعيل مباشرة ، ونحن في الدنيا نفعل الأسباب بجوارحنا ، ونتوكل على الله بقلوبنا ، لأن الأمر كله لله ، والله قدر الثواب والعقاب مربوطاً بأسبابه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣] .
 وقال الله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] .

فالأخذ بالأسباب إسلام ، والتوكل على الله إيمان ، وترك الأسباب رهبانية ، والاعتماد على الأسباب يهودية ، وإنكار الأسباب إلحاد .

والله سبحانه شرع الأسباب لحكم عظيمة منها :

أولاً : إن الله سبحانه يريد بكثرة الأسباب تنويع العبودية لله في كل حال من حياة الإنسان ، كالأكل ، والشرب ، والصوم ، والصلاة ، وغير ذلك من الأسباب ، وكالبيع ، والشراء ، والزراعة ، والصناعة ، حتى في الذنوب فإذا ضعف الإيمان ، ثم وقع الإنسان في المعصية ، شرع له الاستغفار والتوبة ، وهي من الأسباب : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظِلْمَ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ

اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] .

وقال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ » . أخرجه مسلم^(١) .

ثانياً : أن الله سبحانه أحوج الخلق كلهم إليه ، في خلقهم وأرزاقهم ، وشرع لهم أسباباً لرضاه ، ليفتقر كل أحد إليه ، سواء كان غنياً أو فقيراً ، قادراً أو عاجزاً ، ولو كان فينا من يرزق بغير الأسباب ، لتعلق الناس به ، وعبدوه من دون الله ، وصار فتنة للناس ، كما فتن الناس بعيسى بن مريم ﷺ ، لما جاءهم ببعض الآيات؛ كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ، والأبرص .

ثالثاً : أن الله ﷻ جعل الأسباب الدنيوية في مقابل الأوامر الشرعية ، فابتلى الله الناس بالأسباب ، لكي ينظر من يقدم الأسباب الدنيوية على أوامر الله الشرعية ، أو يقدم أوامر الله على الأسباب ، فطلب الرزق مشروع ، ولكن إذا جاء وقت الصلاة ، هل نتركه ونصلي ؟ وهذا هو محل الابتلاء ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٤٩/١١) .

ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

رابعاً : إذا تعارضت الأسباب مع أمر الله ، هل يلغي الإنسان السبب ؟ أم
يترك أمر الله ، كما يدفع الإنسان الرشوة لإنجاز عمل أو حاجة له ، فهذا
سبب حرام ، فإذا دفعها فقد عصى الله ، ومن تركها فقد نجح في الاختبار :
﴿ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

خامساً : أن الله خلق الأسباب فتنة ، لينظر سبحانه من يتعلق به ، ممن يتعلق
بغيره ، ومن يتوجه إليه ، ممن يتوجه إلى غيره : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ
يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وقال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا
تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال سبحانه : ﴿ وَلَنَبَلُّوكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٣٠- خزائن الأحكام العامة

القسم الأول

ويشتمل على ما يلي:

- | | |
|---------------------|----------------------|
| ١ - الخزانة الأولى | ٦ - الخزانة السادسة |
| ٢ - الخزانة الثانية | ٧ - الخزانة السابعة |
| ٣ - الخزانة الثالثة | ٨ - الخزانة الثامنة |
| ٤ - الخزانة الرابعة | ٩ - الخزانة التاسعة |
| ٥ - الخزانة الخامسة | ١٠ - الخزانة العاشرة |

٣٠- خزائن الأحكام العامة

القسم الأول

١ - الخزانة الأولى

في هذه الخزائن الكبرى بينا بفضل الله وحده الأحكام ، والأصول ، والعلم ،
النفيس المتين من أحكام التوحيد ، والإيمان ، والعبادات ، والمعاملات ،
وفقه القلوب ، وفقه الجوارح ، وجعلناها متنوعة من جميع أبواب الشريعة ،
لثلاث تمل النفوس من نوع واحد ، فهي أغذية طيبة للقلب والعقل ، يستنير بها
المسلم ، ويتعبد لله بموجبها .

فهي بستان القلوب ، و العقول ، يقطف منها طالب العلم ما لذ وطاب من
ثمرات العلم ، والهدى ، ويتعبد لله به ، ويتزين به ، ويزين الناس به : ﴿
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾
[النحل: ٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢] .

قال الله تعالى : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ
﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧] .

فقه إحسان العمل :

والمؤمن بعد إيمانه يجب أن يعبد الله ﷻ بصفة الإحسان ، فإحسان العمل هو الذي خلق الله الخلائق من أجل الاختبار فيه كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ [هود: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ [الكهف: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢ ﴾ [الملك: ١-٢] .

والطريق التي يصح بها الإحسان ، ويكمن ، هو الواعظ الأكبر في القرآن الكريم ، وهو مراقبة الله ﷻ ، وعلم العبد أنه كأنه يرى وينظر إلى ربه جل وعلا حين يقف بين يديه في جميع أحواله ، وأنه إن لم يكن يراه فالله بلا شك يراه في جميع أحواله فإذا علم العبد أنه بين يدي جبار السموات والأرض ، وأنه بين يدي الرحمن الرحيم ، وأنه يراه ، أحبه وخافه ، ورجاه ، وأحسن عمله لربه كالأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ۝١٠ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فإن من كان أمام ملك جبار من ملوك الدنيا ، لا بد أن يحسن عمله أمامه ، ويطيعه بامثال أوامره ، واجتناب نواهيه ؛ ولهذا أرسل الله سبحانه جبريل إلى محمد ﷺ لئيبين للمسلمين الطريقة التي يصح بها الإحسان حين سأله

عن الإيمان ، والإسلام ، ثم سأله عن الإحسان فقال : « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . متفق عليه^(١) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝١٢٤ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦ ﴾ [النساء: ١٢٤-١٢٦] .

وامتثال أوامر الله ورسوله في كل حال ، وطاعة الله ورسوله في كل أمر ، وحسن الأدب مع الله ورسوله ، بكمال الإيمان ، والتقوى ، كل ذلك سبب لرحمة الله ، ومغفرته ، وتحقيق لصفة الإحسان ، والله يحب المحسنين : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .
وقال الله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧ ﴾ [الحج: ٧٧] .

والدنيا دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب ، والآخرة لا تصلح للمفائيس ، لا تصلح للفقراء ؛ لأنه ليس فيها عارية ، ولا صدقة ، ولا خلة ليس فيها للإنسان إلا ما قدّم من عمله : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۝٤١ ﴾ [النجم: ٣٩-٤١] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩/٥).

وقال الله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُم مَّا لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١٦٠] ﴿ [الأنعام: ١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦] ﴿ [العنكبوت: ٦] .

فاستبقوا الخيرات علماً ، وعملاً ، وأخلاقاً ، وإخلاصاً ، وصدقاً وإحساناً :
﴿ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [٥] ﴿ [البينة: ٥] .

فقه الأحكام الشرعية

الحكم الشرعي : هو ما دَلَّ عليه خطاب الشرع المتعلق بأفعال المُكلفين من طلب ، أو تخيير ، أو وضع .

فالطلب نوعان :

فعلٌ .. وتركٌ .

فطلب الفعل : هو الواجب والمستحب، وطلب الترك : هو المحرم والمكروه، والتخير : هو المباح الذي يستوي فعله وتركه .

والوضع ما وضعه الشارع سبباً لشيء ، أو شرطاً له ، أو مانعاً له .
أقسام الأحكام الشرعية :

الأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين :

الأول : أحكامٌ تكليفية

الثاني : أحكامٌ وضعية

والأحكام التكليفية خمسة أنواع :

١- الواجب .

٢- والمندوب .

٣- والمحرم .

٤- والمكروه .

٥- والمباح .

والأحكام الوضعية سبعة :

١- السببُ .

٢- والشرطُ .

٣- والمانعُ .

٤- والصحةُ .

٥- والفسادُ .

٦- والرخصةُ .

٧- والعزيمةُ .

وهذا بيانٌ للأحكام التكليفية :

١- الأول : الواجب ، والواجب : هو ما يُثاب فاعله امتثالاً ، ويستحق العقاب تاركه ، مثاله : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣] .

وأقسام الواجب ثلاثة :

القسم الأول : باعتبار الوقت ، وهو قسمان :

الأول : واجب موسع : وهو ما كان وقته متسعاً له ولغيره من جنسه .

مثاله : أوقات الصلاة ، فإن أوقاتها مُتسعة للفرائض ، والنوافل .

الثاني : واجبٌ مُضيق : وهو ما كان وقته لا يتسع لغيره من جنسه .

مثاله : صوم رمضان فهو شهر واحد لصيام رمضان، لا يتسع لصيام آخر معه .

القسم الثاني : باعتبار المُكلف ، وهو قسمان :

الأول : واجب عيني : وهو ما طلب الشارع من كل واحدٍ من المُكلفين فعله

بعينه ، مثل : الصلوات الخمس ، والصيام ، والحج ، والدعوة إلى الله ،

ونحو ذلك فهذا يجب على كل فردٍ مُكلف أن يأتي به : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

الثاني : واجبٌ كفائي : وهو ما طلب الشارع من المُكلفين فعله ، وإذا قام

به من يكفي سقط الإثم عن الباقيين ، وإذا لم يقم به أحدٌ أثموا جميعاً .

مثاله : الجهاد في سبيل الله ، وتعليم الناس أمور دينهم ، وإفتاء الناس فيما يُشكِل عليهم ، والأذان ، والقضاء بين الناس ، ونحو ذلك ، فإذا قام بذلك من يكفي سقط الإثم عن الباقيين .

القسم الثالث : باعتبار المُكلف به ، وهو قسمان :

الأول : واجبٌ معين : وهو ما طلب الشارع من المُكلف فعله بعينه ، مثل : الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، ونحوها ، فهذه عبادات أمر الله المُكلف أن يأتي بها بعينها ، ولا يجوز أن يأتي ببدل عنها .

الثاني : واجب مُخيَّر : وهو ما طلب الشارع من المُكلف أن يأتي بأمر واحد من أمور معينة .

مثاله : كفارة اليمين ، وفدية الأذى ، ونحوهما ، فالواجب على المُكلف أن يأتي بواحدٍ من كفارة اليمين ، أو فدية الأذى ، وتبراً ذمته .

٢- الثاني : المندوب : وهو ما يُثاب فاعله امتثالاً ، ولا يُعاقب تاركه .

مثاله : كتابة الدين ، فإن الله أمر به ثم قال : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الْأَذَىٰ أَوْ تَمِنَ أَمْنَتَهُ ۗ وَلَيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] .

فدلَّ على أن الأمر بالكتابة للندب لا للوجوب .

٣- الثالث : المُحرَّم : وهو ما يُثاب تاركه امتثالاً ، ويستحق العقاب فاعله ،

مثاله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] .

٤- الرابع : المُكروه : وهو ما يُثاب تاركه امتثالاً ، ولا يعاقب فاعله .

مثاله : كراهة الشرب قائمة .

٥- الخامس : المُباح : وهو ما خيَّر الشارع بين فعله وتركه ، مثل : إباحة

الطيبات كما قال سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ۗ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ ﴾ [المائدة: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنَّ خِفْتُمْ آَلَا نَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدَنَىٰ آَلَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النساء: ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [المائدة: ٢] .

فهذا الأمر فيه للإباحة .

فهذه أقسام الأحكام التكليفية .

والأحكام الوضعية سبعة وهي :

السبب ، والشرط ، والمانع ، والصحة ، والفساد ، والرخصة ، والعزيمة ، وهذا بيان للأحكام الوضعية .

الحكم الوضعي : هو ما دلَّ عليه خطاب الشرع بجعل الشيء سبباً لشيء ، أو شرطاً له ، أو مانعاً له ، أو كونه صحيحاً ، أو فاسداً ، أو رخصةً ، أو عزيمة ، فالحكم يوجد بوجود سببه ، وتوفر شرطه ، وانتفاء مانعه ، ويتنفي بضد ذلك .

أقسام الحكم الوضعي :

الحكم الوضعي سبعة أقسام :

الأول : السبب : وهو ما يلزم من وجوده الوجود ، ويلزم من عدمه العدم لذاته ، فإذا وجد السبب ، وجد الحكم ، وإذا تخلف السبب بطل .

مثاله : الوقت فقد جعله الله سبباً لوجوب إقامة الصلاة ، فإذا دخل الوقت وجب إقامة الصلاة المفروضة ، وإذا لم يدخل الوقت لم يصح الفعل .

الثاني : الشرط : وهو ما يلزم من عدمه العدم ، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته .

مثاله : الطهارة للصلاة شرطٌ لصحتها ، فإذا انعدمت الطهارة لم تصح الصلاة ، وإذا وجدت الطهارة لا يلزم من وجودها وجود الصلاة .

الثالث : المانع : وهو ما يلزم من وجوده العدم ، ولا يلزم من عدمه وجود .
ومثاله : الحدث مانعٌ من صحة الصلاة ، ولا يلزم من عدم الحدث وجود الصلاة .

الرابع : الصحة : وهو ما ترتب آثار فعلية عليه ، سواءً كان في العبادات ، أو المعاملات .

فالصحيح من العبادات كل عبادة أداها المُكلف امتثالاً لأمر الشارع ، تامة الشروط ، منتفية الموانع .

مثاله : أن يؤدي المسلم صلاة المغرب في وقتها ، تامة الشروط ، والواجبات ، والأركان .

والصحيح من المعاملات ، والعقود ، ما ترتب الأثر المقصود من العقد عليه ، ولا يكون العقد صحيحاً إلا بتمام شروطه ، وانتفاء موانعه .

مثاله : أن يشتري بيتاً بماله ، فيباح له التصرف فيه ، والانتفاع به .

الخامس : الفساد : وهو ما لا تترتب آثار فعله عليه في العبادات ، والمعاملات ، فالفساد من العبادات كل عبادة أداها المُكلف على وجه غير موافق للشرع .

مثاله : أن يصلي العصر في غير وقتها ، أو من غير وضوء ، أو لغير القبلة ، فلا تصح ، وعليه إعادتها بشروطها .

والفساد من المعاملات والعقود كل ما لا يترتب الأثر المقصود من العقد عليه ، بأن يفعله غير تام الشروط ، أو مع وجود بعض موانع صحته .

مثاله : أن يشتري سيارة بغير رضا صاحبها ، فلا يصح البيع ، ولا يُباح له الانتفاع بها ، ويحرم على المسلم أن يفعل العبادات ، والمعاملات ،

والعقود الفاسدة ، لأن ذلك من تعدي حدود الله ، واتخاذ آيات الله هزواً : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [البقرة: ٢٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [الطلاق: ١] .
وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .
وعن عائشة رضي الله عنها « قَالَتْ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةً ، حَمِدَ اللَّهُ ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ فَهُوَ بَاطِلٌ ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ ، كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ ، وَشَرْطُ اللَّهِ أَحَقُّ » . متفق عليه^(١) .

السادس : العزيمة : وهي الحكم الشرعي الثابت بدليل شرعي خالٍ عن معارض .

مثاله : الصلوات الخمس في أوقاتها ، وصوم رمضان للمقيم ، وجواز البيع ، وتحريم الخمر ، ونحو ذلك .

والعمل بالعزيمة واجب ، لأنها الأصل : ﴿ وَمَا ءَأَنُكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

السابع : الرخصة : وهي ما ثبت على خلاف دليل شرعي ، لمعارض راجح .
مثالها : قصر الصلاة الرباعية في السفر ، وإباحة أكل الميتة للمضطر ، وجواز المسح على الخفين ، ونحو ذلك .

وأَسْبَابُ الرُّخْصَةِ سَبْعَةٌ :

الأول : السفر : كقصر الصلاة الرباعية في السفر .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠٤٧)، ومسلم برقم: (٨/١٥٠٤)، واللفظ له.

الثاني : المرض : كالتيمم عند المرض .

الثالث : الإكراه : كالعفو عن التلفظ بكلمة الكُفْرِ مع اطمئنان القلب
بالإيمان عند الإكراه .

الرابع : الجهل : كمن شرب الخمر جاهلاً بحكمها ، يدرأ عنه عقوبتها
جهله بحكمها .

الخامس : العُذر ، وعموم البلوى ، كالصلاة مع وجود نجاسة لا يمكن
التخلص منها .

السادس : النسيان : كمن شرب أو أكل وهو صائم ناسياً .

السابع : النقص : كعدم تكليف الصغير، والمجنون، لعدم البلوغ، والأهلية.
فقه المطلق والمُقيد :

المُطلق : ما دلَّ على الحقيقة بلا قيد .

مثاله : الجمل ، الماء ، الكتاب ، ونحو ذلك .

والمقيد : ما دلَّ على الحقيقة بقيد .

مثاله : الجمل الأسود ، الماء الكثير ، الكتاب الأخضر .

أحوال المُطلق والمُقيد في الشريعة :

إذا ورد النص الشرعي مطلقاً في موضع، ومقيداً في موضع فله أربعة
أحوال:

الأول : أن يتحد الحكم والسبب ، فيجب حمل المُطلق على المُقيد .

مثاله : لفظ الدم ورد مُطلقاً في قوله سبحانه : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ
وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ [المائدة: ٣] .

وورد مُقَيِّدًا في قوله سبحانه : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] .

فالحُكْمُ مُتَّحِدٌ ، وهو التحريم ، والسبب متحد وهو الضرر ، فيجب حمل المُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيِّدِ ، فيحرم الدم المسفوح دون الباقي في العروق ، والكيد ونحوهما بعد الذبح .

الثاني : أن يختلف الحُكْمُ والسبب ، فلا يُحْمَلُ المُطْلَقُ عَلَى الْمُقَيِّدِ .
مثاله : لفظ اليد ، وردت مُطْلَقَةً في السرقة في قوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] .

ووردت مُقَيِّدَةً في الوضوء في قوله سبحانه : ﴿ فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة: ٦] .

فالحُكْمُ مُخْتَلَفٌ ، ففي الأولى وجوب القطع ، وفي الثانية وجوب الغسل ، والسبب مُخْتَلَفٌ ، فالأولى في السرقة ، والثانية في الوضوء ، فلا يُحْمَلُ المُطْلَقُ عَلَى الْمُقَيِّدِ ، وَبَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنَّ الْقَطْعَ مِنْ مَفْصَلِ الْكَفِّ .

الثالث : أن يتحد الحكم ، ويختلف السبب ، فيُحْمَلُ المُطْلَقُ عَلَى الْمُقَيِّدِ .
مثاله : الرقبة في كفارة الظهر ، جاءت مُطْلَقَةً كما قال سبحانه : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ﴾ [المجادلة: ٣] .

ووردت مُقَيِّدَةً في كفارة القتل : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء: ٩٢] .
فالحكم واحد ، وهو تحرير رقبة ، والسبب مُخْتَلَفٌ في الأولى في الظهر ، وفي الثانية في القتل ، فيُقَيِّدُ المُطْلَقُ فِي كِفَارَةِ الظَّهْرِ بِالْمُقَيِّدِ فِي كِفَارَةِ القتل ، وَيُشْتَرَطُ الْإِيمَانَ فِي تَحْرِيرِ الرَّقَبَةِ .

الرابع : أن يتحد السبب ، ويختلف الحُكْمُ ، فلا يُحْمَلُ المُطْلَقُ عَلَى الْمُقَيِّدِ .

مثاله : غسل اليد ومسحها ، ورد مسح الأيدي مطلقاً في التيمم في قوله : ﴿ فَاَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ [المائدة: ٦] .

وورد مقيد في آية الوضوء في قول ﷺ : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة: ٦] .

فالسبب مُتَّحِدٌ ، وهو التطهر ، والحكم مختلف ، ففي الأول تيمم ، وفي الثاني الوضوء ، فلا يُحْمَلُ الْمُطْلَقُ عَلَى الْمُقَيَّدِ ، ويكون لكل حالة حكمها .
فقه العام والخاص :

العام هو اللفظ المُسْتَعْرَقُ لجميع أفراده بلا حصر .

مثاله : الرسول ، البر ، الرقبة ، وصيغ العموم مثل : كل ، جميع ، كافة ، عامة ، وأسماء الشرط مثل : مَنْ ، والأسماء الموصولة مثل : الذي ، اللذين ، إلى آخره ، والمُعْرَفُ بـ ال ، والنكرة في سياق الشرط مثل : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦] .

وسياق النهي : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦] .

والنفي مثل : ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ﴾ [الأنعام: ١٠١] .

أقسام العام :

ينقسم اللفظ العام من حيث الدلالة إلى ثلاثة أقسام :

عامٌ يُرَادُ بِهِ الْعَمُومُ مثل : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦] .

الثاني : عامٌ يُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ مثل ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

فلفظ الناس عامٌ ، ومخصوص بغير المُكَلِّفِينَ : كالأطفال ، والمجانين .

الثالث : عامٌ ومخصوص : وهو العام الذي يقبل التخصيص ، وهذا غالب العمومات التي في الكتاب ، والسنة ، ويجب العمل بلفظ العام ، حتى يثبت تخصيصه .

والخاص : هو تفرد الشيء بما لا يشاركه فيه غيره ، وهو كل لفظ وُضع لمعنى واحد على الانفراد ، مثاله : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

فالآية عامة خُصت بقوله سبحانه : ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤] .

والتخصيص بالنص الشرعي له أربع حالات :

الأولى : تخصيص القرآن بالقرآن ، مثل : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ [البقرة: ٢٢١] .

خُصِصَتْ بقوله سبحانه : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ [المائدة: ٥] .

فيجوز نكاح نساء أهل الكتاب .

الثانية : تخصيص القرآن بالسنة ، مثل : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ [المائدة: ٣] . خُصِصَتْ بقوله ﷺ في البحر : « هو الطَّهْرُ مَاؤُهُ ، الحِلُّ مَيْتَتُهُ » . أخرجه الترمذي والنسائي بسندٍ صحيح^(١) .

الثالثة : تخصيص السنة بالسنة ، مثل قول الرسول ﷺ : « فِيمَا سَقَتْ السَّمَاءُ الْعُشْرُ » . متفق عليه^(٢) .

خُصَّ بقول النبي ﷺ : « لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ » . متفق عليه^(٣) .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (٦٩)، والنسائي برقم: (٥٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٨٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٨٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٧٩/١).

الرابعة : تخصيص السنة بالكتاب ، مثل قول النبي ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُفَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ » . متفق عليه^(١) .
 فهذا عام خُصَّ بقول سبحانه : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩] .

فقه : الأمر والنهي :

الأمر : طلب الفعل ، والنهي : طلب الترك .

الأمر هو : استدعاء الفعل بالقول على جهة الاستعلاء .

وصيغة الأمر لها حالتان :

الأولى : أن يكون الأمر مقترناً بما يدل على أنه للوجوب أو لغيره .

مثاله : الوجوب كقول سبحانه : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [النور: ٥٦] .

والاستحباب أن يقترن الأمر بما يدل على أنه للاستحباب .

مثال : قوله ﷺ : « لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي أَوْ عَلَيَّ النَّاسَ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ » . متفق عليه^(٢) .

الثانية : أن يرد الأمر مطلقاً مجرداً من القرائن ، فهو الوجوب ، كما قال

سبحانه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

والنهي هو : القول الدال على طلب الكف الفعلي على جهة الاستعلاء .

وصيغ النهي مثل : لا تفعل ، وأن يوصف الفعل بالتحريم ، أو الحذر ، أو

القبح ، أو نفي الحل ، أو الأمر الدال على الترك ، وذم فاعله ، أو يترتب على

فعله عقاب ونحو ذلك .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢/٣٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٨٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٢/٤٢).

والنهي يقتضي التحريم ، والفساد ، إذا تجرد عن القرائن كما قال سبحانه :
﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

حكم القياس :

أدلة الشرع أربعة :

١- الكتاب .

٢- السنة .

٣- والإجماع .

٤- والقياس .

والقياس : إلحاق فرع بأصلٍ لعلّةٍ بينهما .

ومثال القياس : كقياس النبيذ على الخمر في التحريم ، لعلّة الإسكار ، وقياس
الأرز على البر في إخراج زكاة الفطر؛ لعلّة القوت والادخار ، ونحو ذلك .
وأركان القياس أربعة :

١- الأصل المقيس عليه : كالخمر .

٢- والعلّة الجامعة بينهما وهي : الإسكار .

٣- والفرع المقيس : كالنبيذ .

٤- وحكم الأصل ، وهي : التحريم .

والجامع بين الفرع والأصل ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : قياس العلة : كقياس الأرز على البر في زكاة الفطر ؛ لعلّة القوت ،
والطعم ، والكيل ، والادخار .

الثاني : قياس الدلالة ، وضابطة أن يكون الجمع فيه بدليل العلة لا بنفس
العلّة : كإلحاق النبيذ بالخمر بجامع الشدة المطربة ، وقياس القتل بمثقل

عمداً على القتل بمحدد بجامع الإثم ، وقطع الجماعة في السرقة بالواحد كما يقتلون به بجامع وجوب الدية عليهم في غير العمد .

الثالث : قياس الشبة : كالعبد الرقيق ، لأنه متردد بين أصليين ، فهو يشبه المال ؛ لكونه يُباع ، ويُشترى ، ويوهب ، ويشبه الحر ؛ لكونه إنساناً ينكح ، ويُطلق ، ويُثاب ، ويُعاقب ، لكن شبهه بالمال أكثر من شبهه بالحر ، فيلحق في الأحكام بالأموال ؛ لأنه يشبه المال في الحُكم ، والصفة .

والقياسُ هو : العدل والميزان الذي ذكره الله في كتابه بقوله : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥] .

والقياسُ ينقسم إلى قسمين :

الأول : قياسٌ صحيح ، وهو : الميزان الذي أنزله الله مع كتابه كما سبق .

الثاني : قياسٌ فاسد ، وهو : ما يُضاد القياس الصحيح ، كقياس الميتة على المذكاة ؛ لما يشتركان فيه من إزهاق الروح ، هذا بفعل الله ، وهذا بفعل الآدمي ، وقياس الربا على البيع ؛ لما يشتركان فيه من التراضي ، هذا كله قياسٌ باطل مذموم فاسد : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، و مسلم برقم: (١٧/١٧١٨)، واللفظ له.

فقه الغفلة

الغفلة ضد الذكر ، والغفلة هي الشرود عن الشيء ، وخروجه عن الذهن ؛ للاشتغال بغيره ، وإذا غفل الإنسان فاته مطلوبه ، ووقع في الخطأ ، والله ﷻ لا يغفل أبداً ، فعلمه محيط بكل خلقه : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣] .

فالله سبحانه سميعٌ بصيرٌ عليم ، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء لا يغفل عما يفعله الظلمة ، ولكنه يُمهّل ولا يُهمّل ؛ لعلهم يتوبون أو ليزدادوا إثماً ؛ ولتكون عقوبتهم أشد يوم القيامة كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] .

فكل ما يعمله الكفار والظلمة والطغاة مدخره الله لهم ، ومجازيهم عليه : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [٣٩] وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ [النجم: ٣٩-٤١] .

وليس الله بغافل عما يعمله المسلمون من الخير والحسنات ، فهو مدخرة لهم ، ومجازيهم عليه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ [٦] فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨] .

فجميع الأعمال خيرها وشرها ، تُحفظ عند الله ، ويجازي بها أهلها يوم
القيامة ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا
نفسه : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُومِكُمْ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٣] .

وأعظم أنواع الغفلة : الغفلة عن الله جل جلاله ، والغفلة عن أوامر الله ،
والغفلة عن اليوم الآخر : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ
فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا
قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا
يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

٢ - الخزانة الثانية

فقه القواعد الكلية الشرعية

القاعدة الأولى : اليقينُ لا يزول بالشك .

هذه القاعدة تدخل في جميع أبواب الفقه الإسلامي ، وتُعد مظهرًا من مظاهر اليُسْر والرحمة في الإسلام ؛ لما فيها من رفع الحرج الذي ينشأ عن الوسواس خاصة في باب الطهارة ، والصلاة .

واليقين هو : العلم الجازم المستقر في القلب الذي لا يقبل الشك .

والشك هو : الأمر الذي استوي طرفاه في القلب ، فإذا ترجح أحدهما ولم يُطرح الآخر فهو الظن ، فإذا طرحه فهو غالب الظن ، وهو بمنزلة اليقين ، وإذا لم يطرحه فالمرجوح وهم .

واليقين أعلى مراتب الدين ، وهو ثمرة الفقه في الدين ، والدعوة إلى الله : ﴿



وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾

[السجدة: ٢٤] .

حُكْم الشك :

الشك هو : التردد بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر .

ومحل الشك : إما أن يكون في وجود الشيء وعدم وجوده ، وإما أن يكون في جنسه من أي جنس هو ، وإما أن يكون في بعض صفاته ، وإما أن يكون في سبب وجوده .

ومما له صلة بالشك : الاشتباه ، والوسوسة .

فالاشتباه : الالتباس في أمرٍ من الأمور ، وعدم اتضاحه : كعدم تيقن الحُكْم كونه حلالًا أو حرامًا ، ويُعد الشك سببًا من أسباب الاشتباه .

والوسوسة مرضٌ في القلب ، بأن ينشغل القلب بفكرة تُسيطر على العقل ، فتحمله على أعمالٍ خرقاء خارجة عن المألوف .

أدلة قاعدة اليقين لا يزول بالشك :

اليقين لا يزول بالشك ؛ لأن اليقين أقوى من الشك ؛ لأن في اليقين حُكمًا قطعياً جازماً لا ينهزم بالشك ، والشك لا يقوى على إزالة اليقين ، فالعلم ضد الجهل ، واليقين ضد الشك ، وهذه القاعدة تستندُ إلى أدلة شرعية منها:

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾ (٢٣)

[النجم: ٢٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ

الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (٢٨) [النجم: ٢٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا ، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخْرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لَا ؛ فَلَا يَخْرُجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا » . أخرجه مسلم ^(١) .

أصولٌ عامة :

الأصل ما ثبت بدليل شرعي يُعمل به ، ومن ذلك .

أولاً : الأصل في المياه الطهارة: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ (٤٨)

[الفرقان: ٤٨] .

ثانياً : الأصل في الأرض وما تولد فيها الطهارة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا » . متفق عليه ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٦٢/٩٩) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٣٨) ، ومسلم برقم (٥٢١) .

وقال صلى الله عليه وسلم: « الصَّعِيدَ طَهُورُ الْمُسْلِمِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ ». أخرجه البخاري (١).

ثالثاً : الأصل في الذبائح التحريم إلا ما دل الدليل على حله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمْهُمْ إِنَّكُمْ لَمَشْرُكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١] .

رابعاً : الأصل في الأبخاض ، والفروج التحريم إلا ما دل الدليل على حله ، كالنكاح وملك اليمين كما قال سبحانه : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٣] وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٢٤-٢٣] .

خامساً : الأصل في دماء المسلمين ، وأعراضهم ، وأموالهم التحريم ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣١٧/٦).

يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ [المائدة: ٣٣] .

وقال النبي ﷺ : « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » .
أخرجه الترمذي (١) .

سادسًا : الأصل في الطلاق التحريم إلا عند الضرورة والحاجة والمصلحة :
﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَلَفْتَ أَنْ لَا يَحْسِبُوا أَنَّ الْمَوْتَ أَمْرٌ عَظِيمٌ فَالَّذِينَ حَلَفْتَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْلِ نَخَافُونَ نُشُورَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِبُوهُمْ فَإِنِ اطَّعَنَكُمْ فَلَا نَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤] .

سابعًا : الأصل في المنافع : الحِلُّ والإباحة : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩] .

ثامنًا : الأصل في المضار التحريم .

قال الله تعالى : ﴿ لَا تَضَارَّ وِلْدَةً يُوَلِّدُهَا وَلَا مَوْلُودًا لَهُ يُولَدُهَا وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] .

وقال النبي ﷺ : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » . أخرجه أحمد وابن ماجه (٢) .

تاسعًا : الأصل في الميتة التحريم إلا السمك والجراد فهو جلال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة: ٣] .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (١٩٢٧) .

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم: (٢٨٦٧) ، وابن ماجه برقم: (٢٣٤٠) .

فروع قاعدة اليقين لا يزول بالشك :

يتفرع عن هذه القاعدة الكبرى عدة قواعد منها :

أولاً : الأصل بقاء ما كان على ما كان ، فما كان حلالاً يبقى حلالاً إلا أن يرد دليلٌ على الحرمة ، وما كان طاهرًا يبقى طاهرًا إلا أن يرد دليلٌ يُفيد النجاسة.

ثانيًا : الأصل براءة الذمة ، فالأصل في ذمم الناس فراغها من جميع أنواع التحمل إلا أن يثبت ذلك بدليل ، فالبينة على المدعي ، واليمينُ على من أنكر .

ثالثًا : الأصل في الأمور العارضة : العدم ، فالصفات الطارئة على الشيء يُحكم بعدمها إلا أن يثبت دليل الوجود : كالعيب في المبيع .

رابعًا : لا يُنسب إلى ساكتٍ قول ، لكن السكوت في معرض الحاجة بيان : كسكوت المُتصدق عليه ، وسكوت المدين عند إبراء الدائن له .

خامسًا : إضافة الحادث إلى أقرب أوقاته ، فإذا حصل اختلاف في زمن حدوث الشيء نُسب إلى أقرب الأوقات للحال ؛ لأنه يقين ، ويُترك الأبعد لأنه شك .

سادسًا : لا حجة مع الاحتمال الناشئ عن دليل ، فكل حجة فيها احتمال مستند إلى دليل يجعلها غير معتبرة فهي باطلة ، فلا تُقبل شهادة الأصول والفروع بغضهم لبعض ؛ لتمكن التهمة الناشئة عن القرابة .

سابعًا : لا عبرة بالدلالة مع ، وجود التصريح ؛ لأن دلالة التصريح يقينية ، ودلالة القرائن محل شك ، فالتصريح مُقدمٌ على الدلالة عند التعارض ؛ لأنه أقوى منها .

القاعدة الثانية : قاعدة الضرر يُزال .

هذه القاعدة من أهم القواعد الفقهية ، ولعلها تدخل في نصف الفقه الإسلامي ؛ لأن الأحكام إما لجلب مصلحة ، أو لدفع مضرة ، ويدخل فيها ما يتعلق بالضروريات الخمس ، ويدخل فيها كثيرٌ من القواعد الفرعية : كالضرر يُزال بقدر الاستطاعة ، بقدر الإمكان ، والضرر لا يُزال بمثله ، والضرر الإخلال بمصلحة مشروعة لنفسه أو لغيره ؛ تعدياً أو تعسفاً أو إهمالاً ، فيجب إزالته ورفعته عن النفس والغير .

ويجب رفع الضرر قبل وقوعه وبعده، فإذا وقع وجبت إزالته، وترميم آثاره ، فشرع الجهاد في سبيل الله ؛ لدفع ضرر العدو ، ووجبت العقوبة ؛ للقصاص والحدود ، لقمع الإجرام ، وشرعت الشفعة ، لدفع ضرر الجار أو الشريك .

والضرر : إلحاق مفسدة بالغير مطلقة ، والضرار : إلحاق مفسدة بالغير على وجه المُقابلة .

تأصيل قاعدة الضرر يُزال :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْنَدُوا ﴾ [البقرة: ٢٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا أَوْسَعَهَا لَا تَضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » . أخرجه أحمد وابن ماجه ^(١) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » . متفق عليه ^(٢) .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم: (٢٨٦٧)، وابن ماجه برقم: (٢٣٤٠).

إعمال قاعدة الضرر يُزال :

يُشترط لإعمال هذه القاعدة ما يلي :

أولاً : أن يكون الضرر مُحققاً في الحال أو المستقبل .

ثانياً : أن يكون الضرر فاحشاً .

ثالثاً : أن يكون الضرر بغير حق ؛ بالتعدي ، والتعسف ، والإهمال .

رابعاً : أن يكون الضرر مخلاً بمصلحة مشروعة ، فيجب إزالة الضرر قبل

وقوعه ، وإزالة الضرر بعد وقوعه ، فيجب سد الذرائع المؤدية إلى المضار ،

وقاية من حصول الضرر ، كمنع السفينة من التصرف في ماله وتجب إزالة

الضرر بعد وقوعه ؛ لأن الضرر ظلمٌ يجب إزالته .

أحوال إزالة الضرر :

إزالة الضرر لها ثلاث حالات :

الأولى : أن يكون بإزالة عينه : كالتنوير ، والمطحنة ، والمدبغة التي تؤذي

الجار .

الثانية : أن تكون بالتعوز عنه وهو المُسمى بالضمان ؛ حفظاً للحقوق ،

والأموال .

الثالثة : أن تكون بإيقاع العقوبة على الفاعل من قصاصٍ ، وحِدٍ ، وتعزير .

فروع قاعدة الضرر يُزال :

أولاً : تصرف الإنسان في ملكه الخاص يجوز إذا لم يتضرر به غيره .

ثانياً : تُقدم المصالح إذا كانت غالبية ، وتُقدم المفساد إذا كانت غالبية ، ودرء

المفساد مُقدمٌ على جلب المصالح عند التساوي .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٧٤١) ، ومسلم برقم (١٦٧٩) .

ثالثًا : إذا تعارضت مفسدتان أرتكب أخفهما ضررًا .

رابعًا : تتركب المفسدة الخاصة ؛ دفعًا للمفسدة العامة ، ويُتحمل الضرر الخاص ، دفعًا للضرر العام .

خامسًا : الضرر يُدفع بقدر الإمكان قبل وقوعه ، ويُدفع البعض إذا لم يمكن دفع الكل .

ضوابط قاعدة الضرر يُزال :

أولًا : الضرر لا يُزال بمثله ، أو أشد منه ، وإنما يُزال الضرر بغير إضرار بالغير إن أمكن ، وإلا بأخف منه .

ثانيًا : الضرر يُزال قديمًا كان أو حديثًا ، فلا ضرر ولا ضرار : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

[المائدة:٢]

القاعدة الثالثة : قاعدة المشقة تجلب التيسير :

المشقة تجلب التيسير من أمهات القواعد الفقهية التي عليها مدار الفقه الإسلامي ، فهي أصلٌ للتخفيفات المطلقة ، والرخص الشرعية ، وهي مظهرٌ من مظاهر سماحة الإسلام ووسطيته ، وتكليف الناس بما يطيقون ، ورفع الحرج عنهم : ﴿هُوَ أَجْتَبَنَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] .

معنى القاعدة :

أولًا : المشقة هي : العُسْرُ والعناء الخارجين عن حد العادة في الاحتمال ، ويتصل بالمشقة من الألفاظ : الحرج ، والضرورة ، والحاجة ؛ فالحرج ما فيه مشقة فوق المعتاد ، فهو أشد من المشقة ، والضرورة : بلوغ الإنسان حدًا إن لم يتناول المحذور هلك أو قارب ، وهي أشد من المشقة ،

والحاجة ما تكون حياة الإنسان بدونه عسرة شديدة، فهي أدنى من الضرورة.

ثانياً : التيسير هو : ما كان أيسر وأسهل على الناس ، ويتصل بالتيسير من الألفاظ : التخفيف ، والترخيص ، والتوسعة ، والتعزيم .
فالتخفيف : رفع مشقة الحُكم الشرعي بنسخ ، أو تسهيل ، أو إزالة بعضه ونحو ذلك .

والترخيص : الحكم النازل باليسر بعد العسر ؛ لعذرٍ من الأعذار كسفر أو مرض .

والتوسعة هي : ما يكون به الشيء واسعاً مُيسراً .

والتعزيم : الحُكم الوارد على فعلٍ غير منظورٍ فيه للعذر : كوجوب الصلاة تامة في الأحوال العادية ، وتحريم أكل الميتة .

فالأحكام التي يكونُ فيها حرج على المُكلف في الشريعة تُخففها بما يستطيعه المُكلف دون عسرٍ أو حرج : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

مقصود القاعدة :

المشقة تجلب التيسير المقصود منها رفع الحرج عن العباد بتحقيق مصالحهم بحفظ الضروريات ، والحاجيات ، والتحسينات .

فالضروريات : حفظ النفس ، والعرض ، والعقل ، والمال ، والدين .

والحاجيات هي : التي يحتاجها الناس للتوسعة عليهم ، ورفع الحرج عنهم ، وتمثل في تشريع الرُخص ، وإجازة المُضاربة ، والمسابقات ، وغيرها من المعاملات بين الناس .

والتحسينات هي : ما يقتضيه الأدب الشرعي ، وتمثل في العادات الحسنة ، ومكارم الأخلاق : كالطهارة ، وإزالة النجاسة ، وستر العورة ، ونحو ذلك .
تأصيل قاعدة المشقة تجلب التيسير :

ثبتت هذه القاعدة الشرعية بالكتاب والسنة بأدلة كثيرة منها: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .
وقال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨] .

وقال الله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۚ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۚ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۗ ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح: ١-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ ﴾ [الحج: ٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَعَلَيْكُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَىْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ » . أخرجه البخاري (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِي النَّاسِ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَذَا الْحَاجَةَ » . أخرجه البخاري (٢) .

أسباب وجود المشقة :

الأسباب التي يغلب معها وقوع المشقة كثيرة ومنها :

أولاً : السفر ، وهو : كل ما يسمى سفراً في العرف ، فيُشرع للمسلم الترخُّص برخص السفر بعد مفارقة بنيان بلده في قصر الصلاة ، والفطر في رمضان ، ونحو ذلك .

ثانياً : المرض ، وهو : عرض يطرأ على بدن الإنسان يضعفه عن القيام بالمطلوب على الوجه المعتاد : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣] .

ثالثاً : الإكراه ، وهو : حمل الغير على ما يكرهه بالوعيد ، فمن أكرهه على شيء بغير حق ، فله فعله ما لم يضر غيره : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٣).

رابعاً : النسيان ، وهو : زوال المعلومة عن فكر المُكلف ، فإذا كان النسيان لا يتعلق بحقوق العباد ؛ لأن حقوق العباد لا تسقط بالنسيان ، ولم يكن الحق قابلاً للتدارك : كمن نسي الصلاة ، والزكاة ، أو الكفارة ، فهذه يجب الإتيان بها عند تذكرها .

فالنسيانُ سببٌ من أسباب رفع المشقة ، جالب للتيسير في حقوق الله .
قال النبي ﷺ : « مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا ، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ » . أخرجه مسلم ^(١) .

خامساً : الجهل ، وهو : عدم العلم بالحكم الشرعي ، وهو سببٌ في التيسير ، والتخفيف في حقوق الله ؛ لأن حقوق العباد مضمونة لا تسقط بالجهل .

سادساً : العُسر ، وهو : عموم البلوى : كصحة الصلاة مع وجود النجاسة ، كمن به سلس البول .

سابعاً : النقص ، ويتعلق بثلاثة أمور : العقل ، والحرية ، والذكورة .
فالنقص في العقل خمسة :

الجنون ، والعتة ، والنوم ، والإغماء ، والسُكر .

والنقص الذي يعترض الحرية : الرق ، والنقص الذي يتعلق بالجنس : الأنوثة : كحيض المرأة .

ثامناً : الخطأ ، وهو : ما ليس للإنسان فيه قصد ، وهو عُذرٌ إذا كان في حق الله ، كما قال سبحانه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .
فقال الله : قد فعلت : أخرجه مسلم ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٨٠ / ٣٠٩) .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٢٦ / ٢٠٠) .

أنواع المشقة :

المشقة باعتبار تحمل الإنسان لها تنقسم إلى قسمين :

الأول : مشقة مُعتادة ، وهي التي يستطيع الإنسان تحملها دون ضرر، وهذه من مستلزمات التكليف الشرعية :

كمشقة الوضوء، والغُسل في شدة البرد، والصوم مع طول النهار ، ومشقة الحج ، فهذه المشقة لا اعتبار لها في إسقاط العبادات والطاعات ؛ لأن المصالح كلها منوطةٌ بالتعب ، وعلى قدر التعب تكون الراحة والأجر .

الثاني : مشقة غير مُعتادة ، وهي الزائدة عن العادة ، فلا يتحملها الإنسان عادة ، وتُفسد على النفوس تصرفاتها ، وتُعطل البدن عن العمل غالبًا ، فهذه المشقة تجلب التيسير : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] .

حكمة عدم التكليف بالمشقة :

الله ﷻ رءوف بالعباد ، والإسلام دين يُسر ، وشريعة سمحة ، لم يُكلف العباد بما يشق عليهم ؛ رحمةً بهم ، وخوفاً من الانقطاع في الطريق ، وبُغض العباد ، وكرهية التكليف ، وإدخال الفساد على جسم المُكلف ، وعقله ، وماله ، أو حاله ؛ لأن الله وضع الشريعة المباركة حنيفة سمحة سهلة ، حفظ بها الخلق من كل شر ، فلو عملوا بخلاف السماحة واليسر ، لأصابهم الضرر ، وخوف التقصير عن إكمال العمل .

أنواع الرخصة :

رُخص الله ﷻ لعباده لإزالة المشقة عنهم ، كما يلي :

أولاً: رخصة تنقيص : كقصر الصلاة الرباعية في السفر .

ثانياً: رخصة بدل : كإبدال الوضوء، والغُسل بالميم عند فقد الماء، أو العجز عند استعماله .

ثالثًا : رخصة اضطرار : كأكل الميتة للمضطر .

رابعًا : رخصة تغيير : كتغيير هيئة الصلاة عند الخوف في الجهاد .

خامسًا : رخصة تقديم : كتقديم العصر إلى الظهر، أو العشاء للمغرب عند السفر ، أو المطر، أو المرض .

سادسًا : رخصة تأخير : كتأخير الظهر إلى العصر ، أو المغرب إلى العشاء عند السفر، أو المرض، وتأخير صيام رمضان بسبب المرض ، أو السفر ، ونحو ذلك من الترخيصات، والتخفيفات التي جاءت بها الشريعة : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨] .

فروع قاعدة المشقة تجلب التيسير :

لهذه القاعدة العظيمة فروعٌ منها :

أولًا : الضرورات تبيح المحظورات ، حالة الضرورة أو الحاجة الشديدة تجزئ ارتكاب المحظور شرعًا ، والضرورة تُقدر بقدرها ، وإذا زال العذر زالت الإباحة ، وما جاز لعذرٍ بطل بزواله ، لكن لا يجوز للمضطر فعل ما يضرُّ بغيره : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣] .

ثانيًا : الحاجة تُنزل منزلة الضرورة ، عامة كانت أو خاصة ، فالضرورة ، والحاجة كل منهما يستدعي ويُبيح فعل المحظور ، أو ترك الواجب ، لكن الضرورة أشد من الحاجة ؛ لأن الضرورة حالة مُلجئة تستدعي فعل المحظور ؛ لحماية الضرورات الخمس ، ولا يتخلص منها الإنسان إلا بارتكاب محظور ، أما الحاجة فهي تستدعي التسهيل ، ويسع الإنسان تركها لكن مع ضيقٍ ، وحرَج .

ثالثًا : إذا تعذر الأصل صرنا إلى البدل ، فمن فقد الماء له أن يتيمم ويصلي .

رابعاً : الميسور لا يسقط بالمعسور ، فمن كُلف بالصلاة فقدّر على بعض أركانها ، وعجز عن البعض ، فيأتي بما قدر عليه ، ويسقط ما عجز عنه كما قال النبي ﷺ : « صَلِّ قَائِماً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ » . أخرجه البخاري (١) .

وقال الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] .
وقال النبي ﷺ : « إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ » . متفق عليه (٢) .

القاعدة الرابعة : قاعدة العادة مُحَكِّمة

هذه القاعدة إحدى القواعد الشرعية التي ينبنى عليها الفقه الإسلامي ، وهي العُرف الذي تدور عليه عجلة المعاملات بين الناس ، وهي مظهرٌ من مظاهر التيسير باعتبار ما ألفه الناس واعتادوه من الأمور الصالحة الموافقة للشرعية الإسلامية ، ومقاصدها .

معنى العادة مُحَكِّمة :

العادة هي : ما استمر الناس عليه على حُكم العقول ، وعادوا إليه مرة بعد أخرى ، ويتصل بالعادة من الألفاظ : العُرف ، والسنة ، والدأب .
فالعُرف ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول ، وتلقته الطبائع بالقبول ، والعادة والعُرف مترادفان .

والسُنة هي : الطريقة المسلوكة بين الناس .

والفرق بين العادة والسُنة أن العادة ما يُديم الإنسان فعله متبع لنفسه ، والسنة الشرعية هي : التي جاء بها النبي ﷺ .

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠٦٦) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ، ومسلم برقم (١٣٣٧) .

والدأبُ : هي العادة المُستمرة دائماً مُحكمة هي المرجع عند الخلاف ،
فالتعامل جار بين الناس حجة يجب الرجوع إليه ، والعمل به ما لم يخالف
الشرع .

تأصيل قاعدة العادة مُحكمة :

الأصل في السؤال والخطاب والأحكام أنه يمضي على ما عمَّ وغلبَ إلا
على ما شدَّ ونذر ، ومستند العادة مُحكمة : الكتاب والسنة : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ
الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا
تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] .

وقال النبي ﷺ : « لا طاعة لمخلوق في معصية ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ
» . متفق عليه^(١) .

مقصود العادة مُحكمة :

مقصودها رفع الحرج عن الناس ، وتيسير أمورهم ، وتحقيق مصالحهم
بمراعاة عادات الناس ، وأعرافهم الصالحة النافعة .

أقسام العادة أو العُرف :

تنقسم العادة باعتبار الموضوع إلى قسمين :

الأول : العُرف القولي واللفظي وهو : أن يتعارف قومٌ إطلاق لفظٍ لمعنى
بحيث لا يتبادر عند سماعه إلى غير ذلك المعنى : كلفظ البيت في بعض
البلاد بمعنى الدار ، وفي بعضها بمعنى الغرفة .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٢٥٧) ، ومسلم برقم (١٨٤٠) .

الثاني : العُرف العملي وهو : ما جرى عليه عُرف الناس في معاملاتهم : كعادة الأكل ، والشرب ، واللباس ، والركوب ، والزراعة ، ونحوها ، وكأخذ أجره معينة عند نقل الركاب من مكان إلى مكان ، ونحو ذلك من الأعراف .

وينقسم العُرف باعتبار العموم والخصوص إلى قسمين : الأول : عرفٌ عام وهو : ما يشترك فيه غالب الناس في جميع البلاد : كالبيع بالكيلو، والتعامل بالأوراق النقدية من الريالات، والجنيهات، والدولارات، ونحو ذلك .

الثاني : عرف خاص : وهو ما يختصُ ببلدٍ أو فئة من الناس : كأرباب المهن : كتقسيم أجره المحامي إلى مُعجل ومؤجل ، وتقسيم مهر الزوجة إلى مُعجل ومؤجل ونحو ذلك . وتنقسم العادة إلى قسمين :

عادة شرعية منصوص عليها ، وعادة ليس بها نص شرعي . أولاً : العادات الشرعية ما أمر بها الشارع ، أو نهى عنها ، أو أذن فيها ، بنصٍ من الكتاب ، أو السنة ، وهذه العادات ثابتة أبداً : كالأمر بالصلاة ، وستر العورة ، والبيع ، والإجارة ، والزواج ، والطلاق ، ونحوها .

ثانياً : العادات الجارية مما ليس فيه نص شرعي ، وهي نوعان : الأول : عادات جارية ثابتة للعموم ؛ لأنها تتعلق بفطرة الإنسان : كشهوة الطعام ، والشراب ، وميل الإنسان إلى ما يلائمه ، ونفوره مما لا يلائمه .

الثاني : عادات جارية بين الناس ، مُتبدلة بحسب الزمان أو المكان أو الحال مثل : كشف الرأس ، فإنه حسنٌ في بعض البلاد ، وقبيحٌ لذوي المروءات

في بعض البلاد ، ومثل الأكل في الشارع فهو حسنٌ في بعض الديار ،
وقادحٌ في العدالة في بعض البلاد .

اعتبار العادة في الأحكام الشرعية :

تحكم العادة لإثبات الحكم الشرعي ، فتُفسر بها النصوص المطلقة التي لم
يحددها الشرع ، ولا اللغة ، وتُبنى الأحكام الشرعية عليها فيما لم يرد فيه
نص شرعي ، وإذا تغيرت العادة أو العُرف وجب تغيير الحكم .

والعادة أو العُرف ليست دليلاً مستقلاً ، وإنما تُرد إليها الأحكام الشرعية
بشروط منها : ألا تخالف العادة نصاً شرعياً ، أو أصلاً قطعياً : كالتعامل
بالربا ، وأن تكون العادة مُطرّدة أو غالبية ، وأن تكون موجودة عند إنشاء
التصرف .

تطبيقات العادة مُحكمة :

يُنظر إلى العادة في الحيض ، وثمان الأشياء من دينارٍ ، أو درهمٍ ، أو ريالٍ ،
ونفقة الزوجة والأولاد حسب العُرف ، والعقوبة التعزيرية حسب العادة التي
تحصل بها المصلحة ، وتندفع المفسدة ، وإفتاء الناس حسب العادة
والعُرف ، والقضاء بينهم حسب العُرف الجاري بينهم ما لم يخالف
الشرية .

فروع العادة مُحكمة :

من فروع هذه القاعدة ما يلي :

أولاً : المعروف عُرفاً كالمشروط شرطاً .

فما يتعارف الناس عليه في معاملاتهم لا يحتاج إلى ذكرٍ صريح في العقد ،
لكن بشرط ألا يخالف نصاً شرعياً .

مثالها : البيع بالتعاطي دون إيجابٍ ، وقبول باللفظ .

ثانياً : الكتابُ كالخطاب : فيُصار إليه عند الحاجة ، ويُستدل به على مراد المتكلم ، ويُعمل به سواء أن كان لفظاً ، أو إشارةً ، أو كتاباً ، فالكتاب من الغائب كالخطاب من الحاضر ، تُعقد به العقود ، وكل كتاب محرر على وجه المعروف الموثق يُعد حجة على كاتبه : كالنطق باللسان .

ثالثاً : تتغير الأحكام بتغير الأزمان ، والأحوال ، فما يتغير من العادات يتغير حكمه بتغير العرف والعادة : كالنهي عن ادخار لحوم الأضاحي ، ثم لما زالت العلة أُبيح ذلك .

الأحكام التي تخضع للتغيير :

الأحكام الشرعية نوعان :

أولاً : أحكام مستندة إلى القرآن والسنة والإجماع ، فهذا لا يتغير أبداً : كحرمة المحرمات المطلقة ، ووجوب التراضي في العقود .

ثانياً : أحكام مستندة إلى الاجتهاد أو القياس ، أو العرف ، فهذا النوع محل التغيير والتبديل ، ويجب فيه تحقيق العدل ، وجلب المصلحة ، ودفع المفسدة .

أسباب تغير الزمان ؟ .

الزمان ظرفٌ يجمع عادات الناس ، وأحوالهم ، وعلومهم ، وحاجاتهم ، وهي عادات تختلف بحسب الزمان والمكان .

وأسباب تغير الزمان كثيرة أهمها : أولاً : فساد أخلاق الناس ، وضعف الوازع الديني .

ثانياً : تغير العادات والأعراف التي هي مناط الحكم الشرعي .

ثالثاً : تطور الأوضاع ، والأساليب ، والوسائل التي تستدعي تغير الأحكام المبنية عليها .

رابعاً : حدوث ضرورات وحاجات تتطلبها الحياة المعاصرة مما يستدعي تغيير الأحكام : كأخذ الأجرة على الأذان ، وتعليم القرآن ، ونحو ذلك .
القاعدة الخامسة : قاعدة إعمال الكلام أولى من إهماله .
فالكلمات قوالب المعاني ، واللسان مترجم لما في القلب ، ومظهر لما فيه .
أقسام الكلام :

ينقسم الكلام باعتبار المتكلم إلى قسمين :

الأول : كلام الله تعالى ، وهو أعظم الكلام ، وأفصحه ، وأبينه ، وأنفعه :
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾
[الأنعام: ١١٥] .

تمت صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأحكام .

الثاني : كلام الناس ، وهو الكلام الذي ينطق به اللسان الذي خلقه الله تعالى وهو من أعظم نعم الله على الإنسان : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن: ١-٤] .

والبيان إما إشاري ، أو كتابي ، أو نطقي باللسان .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّتُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧] .

وأعلى كلام البشر ، وأفصحه ، وأبينه كلام النبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم : ﴿ وَالنَّجْوَى إِذَا هُوَ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم: ١-٥] .

وينقسم الكلام باعتبار دلالة إلى : حقيقة ، ومجاز .
 أولاً : الكلام الحقيقي : هو : اللفظ المُستعمل فيما وضع له ابتداءً ، سواء أن كان لغويًا : كالأسد ، أو شرعيًا : كالصلاة ، أو عرفيًا : كالدابة .
 ثانيًا : المجاز : وهو : اللفظ المُستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بينهما مع قرينة مانعة من إيراد ما وضع له ومنه قول سبحانه : ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾ [يوسف: ٨٢] .
 أي أهل القرية .

شروط قبول الكلام :

المتكلم هو الشخص الذي يصدر عنه الكلام ، ولا يُقبل كلام المتكلم ويُنفذ إلا بثلاثة شروط هي :

أولاً : البلوغ ، لكن يُقبل كلام الصبي المميز الذي يُدرك ما يتلفظ به .
 ثانيًا : العقل ، فلا يُقبل كلام المجنون وإقراره ، لزوال عقله .
 ثالثًا : الاختيار ، فلا يُقبل كلام المُكره ، لأنه مسلوب الاختيار .
 ويجب إعمال كلام العُقلاء ، وترتيب الحُكم الشرعي عليه .
 والأصل في الكلام الحقيقة ، وإذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز ، وإذا تعذر إعمال الكلام أُهمل كما لو ادعى من له يدين على رجل آخر أنه قطع يديه ، وطالبه بالدية ، فهنا يقع الكلام لغوًا .

من فروع قاعدة إعمال الكلام أولى من إهماله :

أولاً : التأسيس أولى من التأكيد ؛ لأن التأسيس يفيد معنى جديدًا ، أما التوكيد فهو يكرر اللفظ لتقريره في ذهن المخاطب ، فيجب حمل الكلام على التأسيس ؛ لأن الإفادة خيرٌ من الإعادة .

ثانيًا : المطلق يبقى على إطلاقه ، ما لم يكن دليل التقييد نصًا ، أو دلالة .

ثالثاً : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

رابعاً : ذكر بعض ما لا يتجزأ كذكر كله ، فما لا يقبل التجزئة يكون اختيار بعضه كاختيار كله ، وإسقاط بعضه كإسقاط كله ، كما لو نذر أن يصلي لله ركعة لزم أن يصلي ركعتين ؛ لأن أقل الصلاة ركعتان .

خامساً : السؤال معاد في الجواب ، فالجواب بنعم ، أو بل ، أو أجل مشتمل على مضمون السؤال كما لو قال : هل أخذت من زيد ألف ريال ؟ فقال : نعم .

القاعدة السادسة : الأمور بمقاصدها .

فأفعال العبد مترتبة على نيته صحة وبطلانها ، وقبولاً ورداً .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤] .

٣- الخزانة الثالثة

أقسام القواعد الشرعية :

القواعد الشرعية قسمان :

الأول : القواعد الكبرى ، وهي ست قواعد وهي :

١- اليقين لا يزول بالشك .

٢- الضرر يُزال .

٣- المشقة تجلب التيسير .

٤- العادة مُحكمة .

٥- إعمال الكلام أولى من إهماله ، وقد تقدمت .

٦- الأمور بمقاصدها .

الثاني القواعد الشرعية الصغرى ، وهي أقل شمولاً للمسائل من الكبرى ،

وتدخل في مسائل كثيرة من أبواب الفقه ومنها :

القاعدة الأولى : التابع تبع ، والتابع يُطلق على عدة أمور :

الأول : ما اتصل بغير اتصالاً حقيقياً بحيث يكون جزءاً منه : كالعضو من

الحيوان ، والغصن من الشجرة .

الثاني : ما اتصل بغيره اتصالاً قابلاً للانفصال عنه : كالجنين من الأم ،

والثمرة من الشجرة ، فذكاة الجنين ذكاة أمه .

الثالث : ما اتصل بغيره اتصالاً ضرورياً : كالمفتاح من القفل .

الرابع : ما اتصل بغيره اتصالاً عرضياً : كالنقل ، والتفريغ في الأشياء

المباعة مثل : كرتون الفاكهة ، وصندوق الطماطم ، ويخضع ذلك للعادة

والعرف ، فمن ملك شيئاً ملك ما هو من ضروراته ، فمن ملك داراً ملك ما

هو من لوازمها كطريقها ، وفضائها ، وأعماقها .

والتابع يسقط بسقوط المتبوع ، فإذا سقط الأصل سقط الفرع ، والتابع لا يتقدم على المتبوع ؛ لأنه تابع له فلا يصح تقدم المأموم على إمامه للموقف ، ولا في تكبيرة الإحرام ، ولا الخروج من الصلاة ؛ لأنه إنما جعل الإمام ليؤتم به .

قواعد كلية خاصة بالضمان :

الأولى : الخراج بالضمان ، فمن ضمن شيئاً ، فإنه ينتفع به في مقاباة الضمان ، كما قال النبي ﷺ : « الخراج بالضمان » . أخرجه أبو داود^(١) .

الثانية : العُرم بالغنم ، فالمستفيد من شيء يتحمل خسارة ذلك الشيء .

الثالثة : إذا اجتمع مباشر ، ومتسبب كان الضمان على المباشر ، فمن حفر بئراً لإنسان ليقع فيه ، فجاء آخر فألقاه فيه ، فالضمان على الثاني ؛ لأنه مباشر .

الرابعة : جناية العجماء جبار ، فإذا أتلَف الحيوان شيئاً من تلقاء نفسه بغير تفريط من مالكه ، وليس معه أحد من سائق أو قائد ، فذلك غير مضمونٍ على صاحبه ، كما قال النبي ﷺ : « العجماء جرحها جبار ، والبئر جبار ، والمعدن جبار » . متفق عليه^(٢) .

فجناية البهائم من تلقاء نفسها لا ضمان فيها ، ولكن بشروط :

أن تكون الجناية صادرة من نفس الحيوان ، وأن تكون جناية الحيوان واقعة بدون تعد أو تفريط من مالكها .

قواعد كلية خاصة بالحلال والحرام :

الحلال هو : كل شيء لا يُعاقب عليه باستعماله ، وهو ما أطلق الشرع فعله من كل مباح أذن الشرع في فعله .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم: (٣٥١٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٩١٢).

والحرام هو : الشيء الذي نهى الشارع عن فعله نهياً جازماً .

والتحليل والتحریم حق الله وحده ، والحلال والحرام متقابلان، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (١١٦) مَتَّعَ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ [النحل: ١١٦-١١٧] .

ومن هذه القواعد :

القاعدة الأولى : قاعدة إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام ، فالشرع حريص على اجتناب المنهيات ، أكثر من حرصه على الإتيان بالمأمورات .
عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ الْحَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه (١) .

فإذا اجتمع الحلال والحرام في شيء ، واشتبه الأمر ، وعسر ترجيح أحدهما على الآخر ، غلبنا جانب التحريم .

أسباب الاشتباه :

أسباب الاشتباه ثلاثة :

الأول : تعارض الأدلة الظنية .

الثاني : الاختلاف في إنزال الحكم على الواقع .

الثالث : اختلاط الحلال بالحرام .

(١) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم: (١٠٧/١٥٩٩)، واللفظ له، والبخاري برقم: (٥٢).

والاختلاط قسمان :

القسم الأول: اختلاط امتزاج: كاختلاط المائعات من الدم والخمر والبول ، وهو نوعان :

الأول: أن يختلط حلالٌ بحرام ، ويظهر أثر الحرام في الحلال ، فيحرم تناول الحلال ؛ لأنه امتزج بالحرام ، كما إذا وقعت النجاسة في ماء طاهر ، وغيرت لونه ، أو طعمه ، أو ريحه ، فلاستبراء المسلم لدينه وعرضه يتركه .
الثاني : أن يختلط حرامٌ بحلال ، ويستهلك فيه دون أن يظهر له أثر في الحلال كما إذا اختلطت نجاسة بماء كثيرًا ، ولم يتغير أحد أوصافه ، فهذا الماء لا ينجس ، ويجوز استعماله .

القسم الثاني : اختلاط استبهاًم بحيث يمكن تمييز الأعيان عن بعضها ، لكن لا يمكن تمييز العين المُحرمة من العين الحلال ، فيُغلب جانب الحرام كما لو اختلطت شاة ميتة بعشر شياه مذكاة أو اختلطت رضيعة محرمة بعشر نسوة .

ويشترط لإعمال هذه القاعدة ما يلي :

أولاً : أن يعجز عن إزالة الاشتباه في المسألة .

ثانياً : أن يتساوى الحلال والحرام بلا مرجح .

ثالثاً : أن يكون الحلال متعلقاً بالمباحات لا بالواجبات ، أما إذا تعلق الحلال بالواجبات كان اختلط واجب بمحرم ، فيُغلب الواجب على المحرم، كما إذا اختلطت جثث موتى المسلمين بجثث موتى الكفار ، وجب غسل الجميع والصلاة عليهم بنية المسلمين .

القاعدة الثانية من القواعد الصُغرى : ما حرم أخذه حرم إعطاؤه .

فكما يحرم أخذ الربا يحرم إعطاؤه، ويحرم إعطاء الرشوة كما يحرم أخذها.

القاعدة الثالثة : يحرم التصرف في ملك الغير بغير إذنه ، وإذن الشرع .

والتصرف في ملك الغير نوعان :

الأول : تصرف فعلي : فإن تقدمه إذن سابق حلّ وصحّ ؛ لأنه توكيل ، وإن لم يسبقه إذن ، فإن كان غصباً بوضع اليد فقط ، أو تصرفاً ، أو إتلافاً ، فإن كان غصباً وجب رد العين ، والمال التالف .

وإن كان التصرف بإحداث فعلٍ ذي أثر في العين : كالحفر في ملك الغير بلا إذن ، ضمن النقصان ، وإن كان إتلافاً ضمنه بكل حال .

الثاني : التصرف القولي في ملك الغير : كبيع الفضولي وهبته وإجارته ، فإن كان قولياً محضاً فهو موقوف على إجازة المالك ، وإن كان قولياً يعقبه فعل : كالتسليم كالتصرف غاصباً بالتسليم ضمنه إلا أن يجيزه المالك ، والأمر بالتصرف في ملك الغير باطل ، فمن أمر غيره بإحراق مال زيد مثلاً فأحرقه وهو بالغ عاقل غير مُكره فالضمان على المأمور .

القاعدة الرابعة : لا يجوز لأحد أن يأخذ مال أحد بلا سبب شرعي .

وأسباب التملك الشرعية أربعة :

الأول : إحراز المباحات كحيازة الماء ، والكلاء ، وصيد البر ، والبحر ، ونحوها .

ثانياً : عقود : كالبيع ، والإجارة ، والربا ، والوقف ، ونحوها .

الثالث : الخلفية وهي : حلول شخص محل شخص : كالإرث .

الرابع : التولد من المملوك : كمالك الأصل أو لفرعه ونتاجه من سواه ، كثمرة الشجرة ، ولبن الحيوان .

فالحيوان ولبن الحيوان مملوكٌ لصاحب الأصل ، وما سوى ذلك يُمنع التملك عن طريقه : كالتملك عن طريق الظلم والاستغلال : كالربا ،

والاحتكار ، والقمار ، والغصب ، والسرقه ، والغش ، والرشوة ،
والإتجار بالمُحرمات : كالخمر ، والخنزير ، ونحو ذلك .
فمن أخذ مال غيره بوجه من الوجوه غير المشروعة لزمه رده ، فإن تلف
ضمنه لصاحبه .

قواعد كلية شرعية خاصة بالقضاء :

القضاء : الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام .

القاعدة الأولى : قاعدة البينة على المدعي ، واليمين على من أنكر :

فعلى المدعي إقامة البينة ، فإن عجز عنها وجب اليمين على المدعي عليه
إذا كان مُنكراً للدعوى ، كما قال النبي ﷺ : « لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ ،
لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ » .
متفق عليه^(١) .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، أن النبي ﷺ قال : « البينة على
المدعي ، واليمين على المدعي عليه » . أخرجه الترمذي بسند صحيح^(٢) .

فجانب المدعي ضعيف ؛ لأنه يقول بخلاف الظاهر ، فكل الحجة القولية
هي البينة التي يقوى بها ضعف المدعي ، أما المدعي عليه فهو قوي ؛ لأن
الأصل فراغ ذمته فاكتفي منه باليمين ، وهي حجة ضعيفة ؛ لأن الحالف
يجلب لنفسه النفع ، ويدفع عنها الضرر .

شروط صحة الدعوى :

الدعوى : قول يطلب به الإنسان إثبات حقٍ على غيره ، وشروطها :
أولاً : ألا يسبق من المدعي ما يناقض دعواه .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢٧٧)، ومسلم برقم: (١/١٧١١)، واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٣٤٢).

الثاني : أن يكون المُدعى به بما يحتمل الثبوت ، فلا يصح ادعاء ما هو مستحيل .

الثالث : أن يكون المُدعى به معلوماً .

الرابع : أن تكون الدعوى مُلزِمةً بشيء على الخصم .

الخامس : أن تكن الدعوى في مجلس القضاء .

السادس : أن يكون المُدعى عليه معيناً في الدعوى .

السابع : أن تكون الدعوى محققة مجزوماً بها .

القاعدة الثانية : المرء مؤاخذ بإقراره ، فمن أقرَّ على نفسه بشيءٍ من غير إكراه لزمه ، فالإقرار حجة بالغة ، وهو سيد الأدلة ، وشروطه :

أولاً : أن يكون المُقرَّ بها مميزاً عاقلاً مختاراً غير متهم في إقراره .

ثانياً : أن يكون المقر له معيناً لأهليته للتملك ، مُصدّقاً لما أقرَّ به المقر مستحق للمُقرَّ به .

ثالثاً : أن يكون المقرَّ به معلوماً غير ملك للمُقر .

الرابع : أن تكون صيغة الإقرار جازمة منجزة غير معلقة على المستقبل .

القاعدة الثالثة : من القواعد الكلية الخاصة بالقضاء : البينة حجة متعدية ،

والإقرار حجة قاصرة ، فالبينة حجة قوية إذا أُقيمت على شخص كانت

مُلزِمة له ومُلزِمة لغيره من الناس ، والإقرار حجة قوية ، لكنها قاصرة على

من أقرَّ على نفسه لا تتعداه إلى غيره .

القواعد الكلية الخاصة بالسياسة الشرعية :

السياسة الشرعية : هي تدبير أمور الأمة بما يحقق المصلحة ، ويدفع

المفسدة ، حسب الشرع .

القاعدة الأولى : التصرف عن الرعية منوط بالمصلحة ، فمن كانت له ولاية على غيره فلا تكون تصرفاته نافذة على غيره إلا إذا كانت تحقق المصلحة ، سواء كانت الولاية عامة : كالحاكم ، أو خاصة : كولي الأيتام ، ونحوها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٥٨) [النساء: ٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السَّمِيعِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٣٥) [الإسراء: ٣٤-٣٥] .
وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « أَلَا كُلكُمْ رَاعٍ وَكُلكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلَا فَكُلكُمْ رَاعٍ وَكُلكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » . متفق عليه (١) .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ » . متفق عليه (٢) .

الولاية العامة هي : سلطة تدبير المصالح العامة للأمة : كالملك ، والأمير ، والوزير ، والقاضي ، والولي ، والوصي ، ونحوهم .
أما الولاية الخاصة فهي : سلطة تمكن صاحبها من التصرف عن الغير إما بمباشرة العقود عنه دون توقف على رضاه ، وإما بالتربية والرعاية للصغير : كالحضانة .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٣٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٢٩/٢٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٣١)، ومسلم برقم: (١٤٢/٢٢)، واللفظ له.

ويُشترط لإعمال هذه القاعدة ما يلي :

الأول : أن يتوفر في الولي شروط الوكيل .

ثانياً : أن يتضمن التصرف منفعة للمولى عليه ، ومناط الحكم ، وتحقيق المصالح ، ودفع المضار ، والمفاسد ، ومتى حصل ذلك نفذ التصرف ، وإن ترتب على التصرف مفسدةٌ ، أو مضرةٌ ، أو ظلم ، أو محاباة ، ونحوها لم ينفذ التصرف .

القاعدة الثانية : قاعدة الولاية الخاصة أقوى من الولاية العامة ، فإذا اجتمع الولي والوصي مع السلطان أو الوالي ، فتقدم الولاية الخاصة على العامة كالسلطان ، فليس للحاكم أو القاضي ممارسة صلاحيات البيع ، والشراء ، ونحوها مع وجود الوصي أو الولي .

القاعدة الثالثة : قاعدة من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه ، فإذا كان الشخص يستحق شيئاً بسببٍ لم يحن وقته فلم يصبر وعجل في حصوله بغير وجه حق ، عوقب بحرمانه : كمن قتل مورثه بغير حق ، فإنه يحرم من الميراث كأن يقتله عمداً ، ومن قتل الموصي بغير حق ، حُرم من الوصية .

القواعد الكلية الخاصة بالاجتهاد الفقهي :

الاجتهاد : استفراغ الفقيه وسعه لإدراك حكم ظني شرعي ، ومن ذلك :

القاعدة الأولى : قاعدة لا اجتهاد مع النص ، فلا يجوز من فقيه الاجتهاد في قضية شرعية ورد فيها نصٌ صريحٌ بحكمها ؛ لأن الاجتهاد إنما يكون فيما لا نص فيه ، أو فيه نص ولكن معناه محتمل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .
 أنواع الاجتهاد :

الاجتهاد نوعان :

الأول : اجتهاد في فهم النص من القرآن ، أو السنة ، وتطبيقه ، فإن كان النص قطعي الثبوت ، قطعي الدلالة ، وجب العمل به ، كقوله سبحانه : ﴿

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُوا فِيهِ حَسَبًا

وقال الله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨] .

وإن كان النص ظني الدلالة ، قطعي ثبوت ، وجب الاجتهاد في فهم النص :
 كالقروء في قوله سبحانه : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

هل المراد بالقروء الطهر أو الحيض ؟ .

الثاني : اجتهاد في قياس حكم لا نص فيه ، على حكم منصوص عليه ، فالاجتهاد مع وجود النص الصحيح الصريح حكم بغير ما أنزل الله : ﴿

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَدَاؤُدُّ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦] .

القاعدة الثانية : الاجتهاد لا يُنقض بمثله ، فإذا حكم المجتهد في مسألة لم يرد فيها نص قطعي ، ثم وقعت مسألة أخرى مشابهة ، فبدا له رأي آخر ،

وعدل عن حكم المسألة الأولى بحكم مناقض ، فلا يبطل حكمه الثاني حكمه في المسألة الأولى ؛ لأن ذلك يؤدي إلى عدم استقرار المعاملات ، والأحكام الشرعية .

فالاتجاه حجة شرعية لا يتغير ، ولا يتبدل ، ولو تبدل رأي المُجتهد نفسه ، ويُعمل الرأي الجديد في المستقبل ، لا فيما مضى ؛ رفعاً للحرج ، والمشقة عن الناس .

شروط هذه القاعدة :

يُشترط لإعمال هذه القاعدة عدة شروط :

الأول : أن يكون الاجتهاد صادرًا فيما مضى .

الثاني : ألا يكون الاجتهاد السابق مخالفًا لنصٍ قطعي في القرآن ، والسنة الصحيحة ، أو الإجماع القطعي ، أو القياس الجلي .

الثالث : ألا يكون الاجتهاد السابق مبنياً على خطأ بيّن ، أو ظلم ، أو جور .

الرابع : ألا يكون الاجتهاد السابق متعلقاً بمصلحة عامة ، فلإمام تغييره .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوَلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

الفرق بين خطاب التكليف ، وخطاب الوضع :

أولاً : خطاب التكليف هو : المتعلق بفعل المكلف بإلزامه بما فيه كلفةٌ أو

مشقة وأقسامه خمسة :

الواجب .. والمندوب .. والمحرم .. والمكروه .. والمباح .

ثانيًا : خطاب الوضع هو : الخطاب الوارد بأن هذا الشيء مانعٌ لغيره كالحيض للصلاة ، أو سببٌ لغيره كدخول الوقت للصلاة ، أو شرطٌ لغيره كالطهارة للصلاة .

وعلامه خطاب الوضع أمران :

أحدهما : أن لا يكون في طوق المكلف كالحيض ، ودخول الوقت للصلاة.

الثاني : أن يكون في طوقه لكنه لم يؤمر بتحصيله كنصاب الزكاة .
فخطاب الوضع معناه أن الله ﷻ وضع المنع من الصلاة عند حصول الحيض ، ووضع وجوب الصلاة عند عدم دخول وقت الصلاة .
فقه سد الذرائع :

سد الذرائع له ثلاث حالات :

الأولى : ما يجب سده بالإجماع : كتحرим سب الأصنام إذا كان ذلك يُفضي بعابديها إلى سب الله جل جلاله كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] .

وتحريم حفر الآبار في طرق الناس الذي هو وسيلة لسقوطهم فيها .

الثانية : ما لا يجب سده بالإجماع وهو : ما كانت المصلحة فيه راجحةً على

المفسدة، كغرس شجر العنب الذي هو وسيلة لعصر الخمر منه ، ثم شربه .

الثالثة : ما كان حلالاً في الظاهر ، لكن يُجعل وسيلةً إلى محرم ، فهذا يُمنع سدًا للذريعة .

ومثاله : لو باع الإنسان سلعةً بثمنٍ مؤجل ، ثم اشتراها بعينها بثمنٍ أقل من الأول نقدًا ، فالشراء الثاني مباحٌ في الظاهر ، لكنه وسيلةٌ إلى الربا المحرم ، فيُمنع سدًا للذريعة .

جزاء العمل :

كل إنسان مسلم أو كافر سيجازى بما عمل من خيرٍ أو شرٍ : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ٣٩ ﴿ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى ﴾ ٤٠ ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ ٤١ ﴿ [النجم: ٣٩-٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ ٢٥ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ ٢٦ ﴿ [الغاشية: ٢٥-٢٦] .

فالكافر يرى جزاء عمله الحسن في الدنيا ، ولا حظ له في الآخرة : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ ١٥ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ١٦ ﴿ [هود: ١٥-١٦] .

لكن يكافئ بما عمل من حسناتٍ عملها في الدنيا ، من صحةٍ ، ورزقٍ ، وكثرة مالٍ ، وولد ونحو ذلك .

والمؤمن يرى جزاء عمله السيئ في الدنيا بالمصائب والأمراض والآلام كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ٣٠ ﴿ [الشورى: ٣٠] .

وأما في الآخرة فالمؤمن يرى كل ما قدم من خيرٍ وشرٍ ، فيغفر الله له الشر أو يُعاقبه ، ثم يخرجُه من النار ، ويُثيبه على ما فعل من الخير .

والكافر يرى كل ما قدم من خيرٍ وشر ، فيحبط الله ما قدم من خير كما قال سبحانه : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ ﴿٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣] .

ويُعاقبه الله على ما فعل من شر ، ويحاسبه على ما أعطاه من نعمة .
قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشُنَانًا لِّيرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَهَلِكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ [التكاثر: ١-٨] .

حكم الإسراف :

الإسراف تارةً يكون بالكفر ، فهذا إذا لم يتب الإنسان منه فهو في النار كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ ﴿٤٣﴾ [غافر: ٤٣] .
وتارةً يكون الإسراف في ارتكاب المعاصي التي دون الكفر ، فهذا إن مات ولم يتب فهو تحت مشيئة الله إن كان مسلمًا ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه في النار ثم أخرجته إلى الجنة ، وإن تاب قبل الموت قبل الله توبته كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣] .

حكم تعارض المطلق والمقيد في الشريعة :

للمطلق والمقيد أربع حالات :

الأولى : أن يتحد حكمهما وسببهما معاً كتحریم الدم فقد جاء مطلقاً في ثلاث آيات في البقرة ، والمائدة ، والنحل ، كما قال سبحانه : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾ [المائدة: ٣] .

وجاء الدم مقيداً بالدم المسفوح في سورة الأنعام ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] .

فهنا يُحمل المطلق على المقيد ؛ لاتحاد السبب والحكم معاً ، فيكون المحرم فقط هو الدم المسفوح الخارج عند ذبح الذبيحة .

الثانية : أن يتحد الحكم ، ويختلف السبب ، كعتق الرقبة في الكفارة ، فالحكم في آية التقييد ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ﴾ [النساء: ٩٢] .

فهذا في كفارة قتل الخطأ جاءت مقيدة بمؤمنة ، والحكم في آية المطلق ككفارة الظهر كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ٣] .

ففي كلٍ منهما كفارة ، قتل الخطأ ، وكفارة الظهر ، الحكم واحد ، وهو عتق رقبة في كفارة ، والسبب مختلف ؛ لأن سبب المقيد قتل الخطأ ،

وسبب المطلق الظهر ، فيحمل المطلق على المقيد كذلك ، فتكون الكفارة رقبة مؤمنة .

الثالثة : أن يتحد السبب ، ويختلف الحكم ، ومثاله : كفارة الصيام والإطعام في الظهر ، فسببهما واحد ، وهو الظهر ، وحكمهما مختلف ؛ لأن أحدهما تكفيرٌ بصوم ، والآخر تكفيرٌ بإطعام ، وأحدهما مقيد بالتتابع وهو الصوم ، والثاني مطلق عن التابع وهو الإطعام ، فهذا لا يحتمل المطلق على المقيد ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَُمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ۗ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ [المجادلة: ٣-٤] .

الرابعة : أن يختلفا في الحكم والسبب معاً ، فهنا لا يحتمل المطلق على المقيد ، ويبقى المطلق على إطلاقه ، والمقيد على قيده ، ومثاله : قضاء رمضان جاء مطلقاً بقوله سبحانه : ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤] . وكفارة الصوم في الظهر جاء مقيداً بالتتابع بقوله : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ۗ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ ﴾ [المجادلة: ٤] .

وكفارة صوم المتمتع جاء مفرقاً بقوله : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦] .

فيبقى المطلق على إطلاقه ، والمقيد على قيده كما ورد في النص الشرعي : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ لِيُخَفِّضَ عَنْكُمْ حِمْزُومًا مِنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ
ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ
﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . متفقٌ عليه^(١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٩٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٣٧/٩٨).

٤ - الخزانة الرابعة

فقه الشفاعة :

الشفاعة هي : طلب الخير للغير .

وأحوال الشفاعة ثلاثة :

أحدهما : الشفاعة إما أن تكون من المخلوق إلى الخالق .

الثاني : أو تكون من المخلوق إلى المخلوق .

الثالث : أو تكون من الخالق إلى المخلوق .

الأولى : شفاعة المخلوق إلى الخالق ، وهي نوعان :

شفاعة في الدنيا .. وشفاعة في الآخرة .

فالشفاعة إلى الله في الدنيا تكون بالدعاء للمشفوع له .

والشفاعة إلى الله في الآخرة تكون بدعاء الله ﷻ ، وسؤاله التجاوز عن

المشفوع له ، أو رفع درجته ، وهذه الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ والمؤمنين

والملائكة كما قال النبي ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ

دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ

اللَّهُ ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا » . متفق عليه (١) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ

مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » . أخرجه أبو داود (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ

مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ » . أخرجه البخاري (٣) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٣٦) مسلم برقم: ١٩٩ / ٣٣٨ ، واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٢٥٢٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٩٩).

أما شفاعة الملائكة، فكما قال سبحانه : ﴿ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] .

وشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة سبعة أنواعه :

١- شفاعته ﷺ في أهل الموقف في الإراحة من هول الموقف ، والقضاء
بينهم ، وهي الشفاعة العظمى .

٢- وشفاعته ﷺ في إدخال قوم الجنة بغير حساب .

٣- وشفاعته ﷺ في قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب ألا يعذبوا .

٤- وشفاعته ﷺ في إخراج من أدخل النار من العصاة أن يخرجوا منها .

٥- وشفاعته ﷺ في رفع الدرجات .

٦- وشفاعته ﷺ أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة .

٧- شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب .

وطلب الشفاعة على أربعة أقسام :

الأولى : طلبها من الله ، فهذا طلبٌ من الله ، ودعاءٌ مشروع .

الثاني : طلبها من الشفيع يوم القيامة ، كما يطلبها الناس من الأنبياء يوم
القيامة ليقضي الله بينهم ، فهذا جائز .

الثالث : طلبها في الحياة من المسلم الصالح الحي الحاضر ، وهذا طلبٌ
مشروع .

الرابع : طلبها ممن مات وانتقل إلى عالم الغيب من الأموات ، وهذه لا
تجوز ؛ لما تفضي إليه من الشرك .

الثانية : شفاعة المخلوق إلى المخلوق ، فهذه مشروعة ؛ لأنها من باب
التعاون على البر والخير والتقوى ، إذا كان المشفوع إليه يملك التصرف

فيما طُلب منه ، وفيها أجرٌ وثواب : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿٢﴾ [المائدة: ٢]

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتِنًا ﴾ ﴿٨٥﴾ [النساء: ٨٥] .

الثالثة : شفاعة الخالق إلى المخلوق ، فهذه لا تجوز ؛ لأن الشفيع سائل ، والله مسئول لا سائل ، فلا يُستشفع به على أحدٍ من خلقه ، وإنما يستشفع الفقير إلى الغني : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر: ١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦] .

والناس يوم القيامة يصدرون للمحاسبة ، ورؤية الأعمال ، ثم الجزاء عليها كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦] .

ويصدرون أشتاتاً ، فبعضهم يذهب إلى الموقف ركباً مع الثياب الحسنة ، وبياض الوجه ، وهم المؤمنون ، وهم درجات : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ ﴿٨٥﴾ [مريم: ٨٥] .

وبعضهم يُذهب بهم حفاةً عراة ، سود الوجوه ، مقيدين في السلاسل والأغلال وهم الكفار ، وهم درجات ، فيذهب اليهودي مع اليهودي ، والنصراني مع النصراني ، وكل فريقٍ مع شكله : ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ [الصافات: ٢٢] .

وحسنات الكافر محبطةٌ بكفره ، وسيئات المؤمن مغفورةٌ إما ابتداءً ، وإما بسبب اجتنابه الكبائر : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١] .

وليس من مؤمنٍ ولا كافرٍ عملٌ خيراً أو شراً إلا أراه الله إياه ، فأما المؤمن فيغفر الله سيئاته ، ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ، ويُعذب بسيئاته:

﴿ يَوْمَ يَذِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ [٦] ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [٧] ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [٨] [الزلزلة: ٦-٨] .

وقال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ [٦] ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [٧] ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ [٨] ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [٩] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ [١٠] ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [١١] [القارعة: ٦-١١] .

وهذا هو الحق والعدل ، والكرم والإحسان ؛ لأن المعصية وإن قلت أو صغرت ففيها استخفافٌ بالملك الجبار ، والكريم لا يحتمله ، وفي الطاعة تعظيمٌ للملك ، فهذا التعظيم وإن قل فالكريم لا يضيعه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠] .

وكل ذنبٍ مهما كان فهو في حق الله عظيم ؛ لأنه وقع في حق العظيم سبحانه ؛ ولأنه وقع في مقابلة نعم ربه العظيمة : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [٣٤] [إبراهيم: ٣٤] .

حكم الاستغاثة :

الاستغاثة هي طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة ، وغياث المستغيثين هو الله تبارك وتعالى ، وقد أمر الله بالاستغاثة به في كل شدةٍ وكربٍ ومشقة .
والفرق بين الاستغاثة والدعاء :

أن الاستغاثة لا تكون إلا في الكرب والشدة .

أما الدعاء فيكون من المكروب وغيره فهو أعم .

ومن استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشركٌ كافر : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمَعذِبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

ومن استغاث بالله مخلصًا أجابه كما قال سبحانه : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ [الأنفال / ٩]
فضل التسييح :

تسييح الله ﷻ جاء في القرآن تارةً بمعنى التنزيه ، وتارةً بمعنى التعجب ، فالتنزيه عن الشريك والمثيل والشبيه ، وصفات العيب والنقص كما قال سبحانه : ﴿ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤] .

وقوله ﷻ : ﴿ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ ۗ عَلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [٤٣] تسيح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا نفقهون تسيحهم إنهم كان حليماً غفوراً ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤] .

والتعجب من ترك عبادة العظيم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى المنعم على عباده بكل نعمة ، كما قال سبحانه : ﴿ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [١٨٠] وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢] .

فإذا أردت أيها المسلم رضوان ربك فسبحه : ﴿ وَمِنْ ءَانَايَ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ [طه: ١٣٠] .

وإن أردت الفرج من البلاء والكره فسبحه كما قال يونس : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٧] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] .

وإن أردت الخلاص من النار فسبحه كما قال سبحانه : ﴿ سُبْحَانَكَ قِنَاعًا عَذَابِ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١] .

وكن مع المسبحين ، فكل ما في الكون من الخلائق يُسبح بحمده من الذرات والدواب ، والحجر والرمال ، والجبال والشجر ، والليل والنهار ، والظلمات والنور ، والزمان والمكان ، والجنة والنار ، والأجسام والأرواح ، والقطرات والرياح : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

وقال سبحانه : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة: ١] .

والله سبحانه ليس بحاجة لأحد ؛ لأنه الغني عن كل ما سواه ، لكن إن ذكرته ذكرك : ﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢] .

والله ﷻ حمد نفسه قبل أن يحمده أحد ، وقبل أن يخلق الحامدين له ، فقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٣] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ [٤] ﴾ [الفاتحة: ٢-٤] .

وقال سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ١] .

وقال سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۚ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١] .

وقال سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۙ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۙ ﴾ [الكهف: ١-٢] .

فسبحان ربنا الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَتْ كُلُّ قَدْعِ لِمَ صَلَاتِهِ، وَتَسْبِيحِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور: ٤١] .
وسبحان من بيده كل شيء : ﴿ تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١] .

والرب الذي هذه صفاته أهل أن يعبد ويحمد ويشكر : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] .
وقال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣] .

وقال سبحانه : ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨] .

فقه الأعياد :

العيد اسمٌ لما يعود ويتكرر على وجه معتاد .

والأعياد نوعان :

الأول : أعيادٌ شرعية ، وهي ما حوى عبادةً مشروعة ، وعادةً مُباحة ، فالعبادة كالصلاة والنسك ، والعادة كالترزين باللباس واللعب المباح .

والأعياد الشرعية قسمان :

أولاً : أعيادٌ زمانية ، وهي ما يعود كل زمن ، ويُتقرب فيه إلى الله كعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، والجمعة عيد الأسبوع .

ثانياً : أعيادٌ مكانية وهي : ما يتكرر العود إليها كالمسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، ومشاعر الحج .

الثاني : أعيادٌ بدعية ، وهي : ما يعظمه الناس من مكانٍ أو زمانٍ لم يرد الشرع بتعظيمه ، كتعظيم يوم المولد النبوي ، وليلة النصف من شعبان ، والسابع والعشرين من شهر رجب ، وأعياد تولي السلاطين على الملك ، وعيد الاستقلال ، وعيد الاستيلاء على البلدان ونحوها من الأعياد المحدثه : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: ٦٣] .

فهذه تحرم إقامتها وتعظيمها ؛ لأن الشرع لم يجعلها عيداً فتبقى على أصل التحريم .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه^(١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧) مسلم برقم: (١٧/١٧١٨)، واللفظ له.

أقسام النذر :

النذر هو أن يوجب الإنسان على نفسه شيئاً لم يكن واجباً عليه بأصل الشرع .

والنذر لله تعالى نوعان :

الأول : نذرٌ مأمورٌ به عند وجود سببه ، كهدي التمتع والقران والأضحية إذا عينها ، والعقيقة إذا عينها ، هذا نذرٌ عظيم ، ونسكٌ كريم ، وهو من أجل القرب كما قال سبحانه عن الحجاج : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩] .

الثاني : نذرٌ لا يؤمر بابتدائه ، وإنما يؤمر بالوفاء به بعد عقده ، وهو نذر الطاعة ، وهو الذي قيل فيه : أنه لا يأتي بخير ، وقد مدح الله المؤمنين بالوفاء به بعد عقده بقوله سبحانه : ﴿ يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧] .

حكم السرقة والرشوة :

السرقة والرشوة كلاهما سُحت ، وأقبح شيءٍ يأكله الإنسان ما أخذه برشوةٍ أو سرقةٍ أو ربا ، لكن المرتشي أخس من السارق ؛ لأن السارق يأخذ المال بغير حق ، مع علمه أن فعله خبيثٌ خسيسٌ منهيٌّ عنه ، ولكن غلبته نفسه وشهوته فمد يده إلى الحرام ، ولو انتظر لجهاء رزقه طيباً من ربه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦] .

أما المرتشي ، فإنه يأكل أموال الناس بالباطل ، وهو يزعم أن هذا من دين الله وشرعه ؛ لما يراه من قضاء حاجات الناس .

ومن أعظم أنواع الرشوة خطراً ارتشاء القاضي ، ليحكم بغير الحق ، وبغير ما أنزل الله ، لأجل عرضٍ من الدنيا كما يفعله اليهود والذين اتبعوهم من الذين يأكلون أموال الناس بالباطل فهؤلاء أخس خلق الله كما قال سبحانه : ﴿ فَلَخْفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم: ٥٩] .

فكل قاضي أو مسئول يأكل الرشوة ، ويغير أحكام الله من أجلها ، ويدعي أن الله يغفر له ذلك ، فهذا كله من الجهل ، والجرأة على الله وكتابه وشرعه ؛ لأن الله قد لا يغفر للمُصرين على أكل الرشوة ، لما هم عليه من انتهاك حرمت الله ، وزعمهم أن الله يغفر لهم ، فهذا كله من الغرور ، وصاحبه أخو اليهود في أكل أموال الناس بالباطل : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: ٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَدَىٰ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

أقسام المستحيل :

المستحيل أقسام :

الأول : المستحيل عقلاً ، بأن يكلف الإنسان بالجمع بين الضدين كالبياض والسواد ، أو الجمع بين النقيضين كالعدم والوجود .

الثاني : المستحيل عادة كتكليف المقعد بالمشي ، وتكليف الإنسان بالطيران ونحو ذلك .

فمثل هذا وما قبله لا يقع التكليف به شرعاً إجماعاً : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا
 إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .
 وقال الله تعالى : ﴿ فَانقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] .
 وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] .
 حكم التصوير :

التصوير هو التخليق والتكوين ، والتشكيل والترزين .
 والمصور من أسماء الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ
 الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
 [الحشر: ٢٤] .

والتصوير صفة سبحانه كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ
 كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦] .
 والمصور سبحانه هو الذي خص كل مخلوق بما يميزه عن غيره من
 المخلوقات من جمادٍ ونباتٍ ، وحيوانٍ وإنسانٍ ، وبما تحصل به مصلحته .
 والصورة هي : ما يميز بها الشيء عن غيره .
 والمصور هو الله وحده ؛ لأنه صور المخلوقات على غير مثالٍ سابق .
 والمصورون من أشد الناس عذاباً ؛ لأنهم ينازعون الله في أسمائه وصفاته
 وأفعاله بعملهم ما يُشابه خلقه ، فكانوا بذلك أظلم الناس ؛ لتعديهم على
 سلطان الربوبية ، وتعديهم على خصائص الإلهية ، وإساءة الأدب مع الله .
 فالمصور لما صور الصورة على مثل ما خلق الله ، صار مضاهياً لخلق الله ،
 فكان أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، فإذا اخترع صورةً على غير مثال صار
 متعدياً على جناب الربوبية بتصوير ما لم يسبق إليه ، والله وحده هو الخالق
 البارئ المصور ، فالمصورون من أشد الناس عذاباً يوم القيامة .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ أَشَدِّ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا الْمَصُورُونَ » . متفق عليه (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ شَعِيرَةً » . متفق عليه (٢) .

والتصوير كله محرم ، سواء كان لجمادٍ أو نباتٍ أو حيوان ، لما فيه من مضاهاة خلق الله ، ولما فيه من تعدي حدود الله .

وأشد أنواعه تصوير ذوات الأرواح ، وما صوره المصور من ذي روح يُعذب به يوم القيامة ، حتى يُكمله خلقه بنفخ الروح فيه ، وليس بنافخ ، فيكون ذلك أطول لعذابه .

والتصوير من أعظم وسائل الشرك ، فأول شركٍ وقع في الأرض في قوم نوح، بسبب التصوير، فصوروا صالحهم ، وجعلوهم في مجالسهم ومساجدهم؛ ليتذكروا عبادتهم، ثم في النهاية عبدوهم من دون الله : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ [النور: ٢١] .

والتصوير لذوات الأرواح من المحرمات ، بل من كبائر الذنوب ، سواء كان لها ظل أو لم يكن لها ظل ، وسواء كانت ثابتة أو متحركة كالصور على الجدران والألواح والملابس والنقود والأوراق ، وصور الفيديو ، والتصوير

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠)، ومسلم برقم: (٢١٠٩)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١١١/١٠١).

بآلات التصوير المختلفة ، فتصوير كل ذي روح محرم ، بل هو من كبائر الذنوب ، وله أثره البالغ المشين في إفساد الدين والخلق قديماً وحديثاً .
 فقديمًا التصوير هو سبب أول كفر وقع في الأرض ، وهو تصوير بعض الصالحين من قوم نوح ، وهم ود وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسراً بقصدِ حسن ، ليراهم الناس ، ويتذكروا عبادتهم ، فينشطوا للعبادة ، ثم طال الزمن فعبدوهم من دون الله .

فأول جناية شركية على التوحيد في الدنيا إنما كانت بسبب التصوير الذي كان في قوم نوح .

وحديثًا التصوير الآن سبب فساد الدين، وضياع الأخلاق، وانتشار الرذيلة، والقضاء على مكارم الأخلاق بتصوير النساء عاريات متبرجات، وعرضهن أمام غرائز الرجال؛ ليفسدوا دينهم وأخلاقهم ، وقد عم البلاء وطم حتى صار كأنه مباح ، بل كأنه مشروع ، وهذه أعظم جناية على الدين والأخلاق:
 ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

ودرء المفساد مقدم على جلب المصالح، وما أفضى إلى المحرم فهو محرم، فكيف إذا كان هو محرمٌ ، ثم أفضى إلى محرم .
 وكيف وقد لعن الله المصورين .

وكيف وقد توعد الله المصورين بأشد العذاب .

وكيف وفاعله مخالف لأمر الله ورسوله ؟ :

قال الله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: ٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤] .

وقد محى النبي ﷺ الصور التي في جدران الكعبة عام الفتح بالماء، وما ذلك إلا لأنها محرمة، ووسيلة إلى المحرم ، بتعلق قلوب الناس بها من دون الله : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقد ورد في تحريم التصوير أكثر من أربعين نصًا ، ست آيات ، وأربعة وثلاثين حديثًا عامتها وأكثرها في الصحيحين أو في أحدهما . فسبحان الله كيف تجرأ كثيرٌ من المسلمين على التصوير ، وقد لعن الله المصورين ، وكيف وقد توعد الله المصورين بأشد العذاب ، وكيف وفاعله مخالف لأمر الله ورسوله ؟ : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤] .

وكيف إذا كان التصوير في بيت الله الحرام ، وفي مسجد نبيه ﷺ من الرجال والنساء كما هو حاصل الآن ؟ : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ ». أخرجه مسلم^(١) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلٌ ، فَلَمَّا رَأَاهُ هَتَكَهُ وَتَلَوْنَ وَجْهَهُ ، وَقَالَ يَا عَائِشَةُ :

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢١١٠/٩٩).

أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقَطَعْنَاهُ ، فَجَعَلْنَا مِنْهُ وَسَادَةً أَوْ وَسَادَتَيْنِ « . متفقٌ عليه^(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُفِّفَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » . متفقٌ عليه^(٢) .

والتصوير ، والرسم باليد ، والتصوير بالآلة ، أو الفيديو ، كل ذلك عملٌ محرم ، بل هو من الكبائر .

فالتصوير بالآلة أعظم من التصوير باليد ؛ لسهولة وكثرة انتشاره بين الناس ، وإفساده الأخلاق بين الرجال والنساء كما هو حاصلٌ عيانًا .

والتصوير باليد أعظم وخطر ، لما فيه من مضاهاة خلق الله ، فالله هو المصور الذي يصور كيف يشاء : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾

[غافر: ٦٤] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَشَدِّ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا الْمُصَوِّرُونَ » . متفقٌ عليه^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قَالَ اللَّهُ ﷻ : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ شَعِيرَةً » . متفقٌ عليه^(٤) .

وإذا كانت قد جاءت النصوص القطعية بتحريم التصوير، وأنه من الكبائر، فيجب على المسلم ان يُطيع الله ورسوله : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٤٧)، ومسلم برقم: (٢١٠٧/٩٢)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٦٣)، ومسلم برقم: (٢١١٠/١٠٠)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠) مسلم برقم: ٢١٠٩، واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١١١/١٠١).

وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾

[النساء: ١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فليحذر الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] .

فحذار من اتباع خطوات الشيطان : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ﴿٢٠٨﴾

[البقرة: ٢٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٢١﴾ [النور: ٢١] .

حكم الإقسام على الله :

الإقسام على الله أن يحلف الإنسان على الله أن يفعل كذا .

والإقسام على الله له حالتان :

الأولى : حال التآلي والتكبر والعجب بالنفس .

فهذا فيه تزكية للنفس ، وغمط للناس ، كأن يُقسم بأن الله لا يُعطي فلاناً أو لا يغفر له ، فهذا محرم ؛ لأنه يُنافي كمال التوحيد ، ولما فيه من التحكم على الله ، والتآلي عليه ، والحجر عليه بلا برهان ؛ ولهذا أحبط الله عمل من قاله كما قال النبي ﷺ في الذي قال : « وَاللَّهِ لَا يَعْفُرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ ، فَقَالَ اللَّهُ : وَعَجَلَ قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ » . أخرجه مسلم (١) .

(١) أخرجه مسلم برقم : (١٣٧/٢٦٢١) .

الثانية أن يُقسم على الله معتقداً حُسن ظنه بربه ، أو مُحسناً للظن بربه ، راجياً لطفه وفرجه ، مفتقراً إليه سبحانه ، طامعاً في فضله ورحمته، لحسن ظنه به ، وهذا جائز كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ » .
أخرجه أبو داود (١) .

أصول الاقتصاد الإسلامي أربعة :

الأول : اكتساب المال الحلال .

الثاني : صرفه في مصارفه الشرعية .

وكل واحد من هذين الأصلين لا بد له من أمرين :

الأول : معرفة حكم الله فيه ؛ لأن الله سبحانه، لم يبيح اكتساب المال بأي طريق ، بل أباح بعض الطرق ، وحرّم بعضها كما قال سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

ولم يبيح سبحانه صرف المال في كل شيء ، بل أباح بعض الصرف ، وحرّم بعضه ، فقال في الصرف الحلال : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

وقد وسع الله ﷻ أبواب الإنفاق الشرعي ، ومدح المنفقين ، فقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّْا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِحْسَانِ وَالسَّرَّاءِ وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤] .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم: (٤٥٩٥) .

وقال سبحانه في الصرف الحرام : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأَنْفَال: ٣٦] .

فمن لم يعلم حكم الله في الكسب والصرف ، قد يكتسب المال من وجه حرام ، ويصرفه في حرام .

الثاني : معرفة الطرق الكفيلة باكتساب المال ؛ ليحصل له الربح ، وحسن النظر في أوجه الصرف ، ليحصل للناس النفع والخير .

فإذا كان جواز الصرف في طرق الخير معلوماً ، فإيقاع الصرف على وجه المصلحة لا يعلمه كل الناس ، ومن جمع المال في غير هذه الأصول فلا خير في ماله ، ولا بركة في تجارته ، كما قال سبحانه : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّعْفَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ ﴾ [المائدة: ١٠٠] .

والشركاء في المال ثلاثة :

الأول : القدر ، فأنت ومالك عرضة للفناء والهلاك .

الثاني : الوارث ، ينتظر أن توضع في القبر ، ثم يسوقه إليه وأنت ذميم .

الثالث : أنت ، فقدم من دنياك ما ينفك في أخراك : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٩٢] .

فقه المُلْك :

أعظم المُلْك مُلْك النبوة والرسالة ، والنبوة أعظم مراتب المُلْك ؛ لأن الأنبياء والعلماء لهم أمرٌ عظيمٌ على بواطن الخلق ، والجابرة لهم أمرٌ على ظواهر الخلق : ﴿ أَمْ يُحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا

ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِنْبَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَن ءَامَنَ بِهِءِ وَمِنْهُمْ مَن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ [النساء: ٥٤-٥٥] .

والملك أنواع :

ملك النبوة ، وملك العلم ، وملك العقل ، وملك الصحة ، وملك الأخلاق الحسنة ، وملك المال ، وملك القدرة ، وملك البلاد ، وجميع أنواع الملك بيد الملك الواحد الأحد ملك الملوك سبحانه : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَمْلِكُ تُوْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .
وقال الله تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤] .
﴿ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤] .

وأعظم ملكٍ يُكرم الله به عبده أن يملك نفسه ، ويقهرها عن شهواتها ، ويحملها على طاعة الله ﷻ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ ﴾ [الشمس: ٧-١٠] .
﴿ ٨ ﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧-١٠] .
وأعظم ملكٍ في الآخرة أن تكون بجانب وبقرب ملك الملوك : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥] .

وأن تكون في ملكٍ عظيم في الآخرة ، بعد ان نفذت أوامر العظيم سبحانه في الدنيا ، فيكرمك الله بالقصور الملكية العظيمة : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعَمًا ﴾

وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضِرَ لَخْضِ الشَّجَرِ وَحُلُوعِ الْأَسَاوِرِ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴿الإنسان: ٢٠-٢٢﴾ .

فقه المحبة :

المحبة أربعة أنواع :

الأول : محبة الله تعالى ، وهي محبة الله لذاته وجلاله وجماله ، وإحسانه وإنعامه ، محبةٌ توجب توحيدَهُ وعبادته وحده لا شريك له ، والذل له . وهذه المحبة أصل الإيمان ، وثمرتها توحيد الله ﷻ ، والإيمان به ، وإخلاص العبودية لله ، وبكمالها يقوي الإيمان ، ويزيد العمل الصالح ، وينقصها ينقص .

وهذه المحبة حقٌ لله وحده ، لا يجوز صرفها لغيره ، وصرفها لغيره شركٌ أكبر مخرجٌ من الملة : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ ﴿١١٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿البقرة: ١٦٥-١٦٦﴾ .

الثاني : محبةٌ في الله ، وهي : محبة كل ما يحبه الله من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، والأشخاص ، والأماكن ، والأزمان .

فالأقوال كذكر الله وحمده ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، وتلاوة كتابه . والأعمال كسائر أنواع العبادات والطاعات ، والأخلاق كالأخلاق الحسنة . والأشخاص كالمؤمنين والمتقين والمحسنين ، والأماكن كبيت الله الحرام ، ومساجد الله ﷻ في أرضه .

والأزمان كأوقات الصلوات الخمس ، وشهر رمضان ، وأشهر الحج .

فهذه المحبة عبادة لله ، وهي أثرٌ من آثار محبة الله ، وهي مكملة ومقوية لمحبة الله ، فنحن نحب الله ونحب كل ما يحبه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرًا لِلَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] .

فالدنيا دار تكميل محبوبات الرب ، والأخرة دار تكميل محبوبات العبد .
الثالث : المحبة مع الله ، وهي : محبة المشركين لمعبوداتهم مع الله ، وتسويتها بالله في المحبة .

وهذه المحبة شركٌ أكبر ، مخرجٌ من الملة ، وصاحبها مخلدٌ في النار ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [١٦٥] إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٦] .

وقال ﷻ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [١] ﴾ [الأنعام: ١] .

وقال سبحانه عن الكفار أنهم قالوا : ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [٩٧] إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨] .

الرابع : المحبة الطبيعية ، كمحبة الإنسان لوالديه وزوجته وأولاده ، كمحبة المال والجمال ونحو ذلك مما يلائمه ، فهذه المحبة مباحة ما لم تحمل على ترك واجب ، أو فعل محرم من غير إكراه ، فإن حملت على ترك واجب ، أو فعل محرم من غير إكراه ، صارت شركاً أصغر يُنقص كمال الإيمان ويعرض صاحبها للوعيد كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ

كَسَادَهَا وَمَسْكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾
 [التوبة: ٢٤].

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِيمٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾
 [الحجرات: ٧-٨].

والله سبحانه يحب من عباده أن يتصفوا بالصفات التي يحب ، فالله تواب يحب التوابين ، والله محسنٌ يحب المحسنين ، والله مؤمنٌ يحب المؤمنين : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والصفات التي يحبها الله والتي اشترى أهلها بسبب اتصافهم بها هي : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

فتخلق بالصفات التي يحبها الله ، وتعبد الله بالاتصاف بها : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٥ - الخزانة الخامسة

فقه التوحيد :

المخلوقات كلها في العالم العلوي والعالم السفلي ، وفي الدنيا والآخرة ، لا تكون إلا من خالق واحد : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٠٣) [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

والأرزاق لا تكون إلا من الرزاق : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦) [هود: ٦] .

فالأرزاق مقسومة كميةً ونوعيةً ، ومكاناً وزماناً : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٣٢) [الزخرف: ٣٢] .

والصور لا تكون إلا من مصور واحد : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢٤) [الحشر: ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦) [آل عمران: ٦] .

والنعم لا تكون إلا من المنعم وحده لا شريك له : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ (٥٣) [النحل: ٥٣] .

وهذا الكون العظيم لا يكون إلا من الله الذي خلق كل شيء وكونه : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣) [يس: ٨٢-٨٣] .

وكل شيء لا يكون في هذا الكون إلا بمشيئة الله ، ومشيئة الإنسان تحت
 مشيئة الله : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩] .

ومن ظن أن له مشيئة من دون الله فيقال له : أخلقك الله كما شئت أو كما
 شاء ؟ : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ [التين: ٤-٦] .

ويقال له : أخلقك الله لما شاء أو لما شئت ؟ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
 إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ
 الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨] .

ويقال له : يوم القيامة : تأتيه أيها العبد بما شئت أو بما شاء ؟ : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ
 لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٣٩) وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾
 [النجم: ٣٩-٤١] .

فإذا مات الإنسان رجع أهله وماله ، وبقي عمله يقدم به على ربه يوم
 القيامة : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ
 مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨] .

فقه الطاعة :

جاءت الطاعة في القرآن الكريم على ثلاثة أضرب :

الأول : أن يتحد المطاع ، وهو الله والرسول في أمر من الأمور كقوله
 سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٣٢) [آل
 عمران: ١٣٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢] .

الثاني : أن يأتي الأمر من الله إجمالياً ، ويأتي الرسول ﷺ ليفصله فيقول : أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] .

الثالث : أن يفوض الله الخلق بطاعة الرسول ﷺ كقوله سبحانه : ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

فإذا قال الله ﷻ وأطيعوا الله والرسول ، فهذا أمرٌ جاء عن الله ، وأكده الرسول ﷺ ، كالتأكيد على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ونحو ذلك .
وإذا قال : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فهذا نطيع الله فيما أمر به إجمالاً ، ونطيع الرسول ﷺ فيما فصله كأحكام الصلاة والزكاة ونحوهما .
وإذا قال : وأطيعوا الرسول ، فهذا فيما جاء به الرسول ﷺ فقط .

أنواع الطاعة : الطاعة الواجبة قسماً :

الأول : طاعةٌ مطلقة ، وهي طاعة الله ورسوله كما قال سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

الثاني : طاعةٌ مقيدة ، وهي طاعة ما سواهما من الوالدين أو غيرهم .
وهذه الطاعة مقيدةٌ بأمرين :

الأول : الاستطاعة : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] .

الثاني : المعروف ، فإذا أمرت بما لا تستطيع سقط الأمر ، وسقط الوجوب ، وإذا أمرت بما تستطيع ، لكنه حرام سقط وجوب الطاعة ، إنما الطاعة في

المعروف، فالطاعة بالمعروف ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق : ﴿
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ
لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤-١٥] .

حكمة النكاح الشرعي :

من حكمة الله ﷻ أن جعل في الرجل الماء الذي يرسل ، وفي المرأة الفرج
الذي يستقبل ، فإن كان الزواج شرعياً جاء الولد طيباً ، وكل ما سوى هذا
خبثٌ وضارٌ ومحرم .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾
[المعارج: ٢٩-٣١] .

لهذا جعل الله ﷻ الأكل والشرب سبباً للحياة ، وقرن الله حفظ النوع بالمتعة
بالنكاح الشرعي ، فإذا اكتفى الرجل بالرجل ، أو اكتفت المرأة بالمرأة ، أو
جعلت المرأة وعاءها إناءً لمياهٍ متعددة من رجالٍ أجنب ، جاء الفساد
والضرر والفناء .

ولهذا حرم الله اللواط والسحاق والزنا ، وجعل لذلك عقوباتٍ بحسب نوع
الجريمة من لواطٍ أو سحاقٍ أو زنا .

فالزواج الشرعي يحقق حفظ النوع ، وقضاء الشهوة ، واللواط والسحاق
والزنا فيه المتعة القذرة ، وهلاك النوع .

فالمرأة الشاذة تحبس في البيوت حتى تموت أو تتوب وتتزوج ، منعاً
للفساد.

أما الرجال فهم معدون للإرسال ، والنساء للاستقبال ، فإن دخل إرسال على استقبال شرعي حصل النوع الطيب من الرجال والنساء .
وإن خالف ذلك حصل الفساد ، فإن حصل إرسال على غير استقبال شرعي جاء الضرر والفساد في الأمة .

فالنكاح الشرعي نعمة أنعم الله بها على عباده ، وهي آية من آياته : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثَلًا لِمَنْ ثَلَّثَ وَرُبِعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣] .

وقال الله ﷻ في المخالطة الشاذة بين امرأتين : ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ تَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٥] .

وقال سبحانه في المخالطة الشاذة بين رجلين في فاحشة اللواط : ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَتَادُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٦] .

وقال سبحانه في المخالطة الشاذة بين رجل وامرأة : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢] ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣] .

فهذه أربعة أقسام بينها الله في القرآن في العلاقة بين الرجل والمرأة ، وكلها محرمة إلا الأخيرة وهي النكاح الشرعي : ﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

مَثَىٰ وَثَلَتْ وَرُبِعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَجِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَذَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾
 ﴿النساء: ٣﴾ .

فالبكر مع البكر حده الجلد ، والثيب مع الثيب حده الرجم ، والبكر مع
 الثيب أو عكسه ، لكل حكمه ، والأمة عليها نصف العذاب وهو الجلد بكرة
 أو ثيباً : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
 أليم ﴾ ﴿النور: ٦٣﴾ .

فليحذر العبد من مخالفة أوامر الله ورسوله ، وليعلم أن الله يراه إن تحرك
 ويسمعه إن تكلم ، ويعلم بما في قلبه إن أضمر : ﴿ وأسروا قولكم أو أجهروا
 بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ﴿١٣﴾ أَلَّا يَعْلَمَ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾
 ﴿الملك: ١٣-١٤﴾ .

واقترحام تلك المعاصي من لواطٍ ، أو سحاقٍ ، أو زنا ، استهانةً بأمر الخالق
 جل جلاله ، وسوء أدبٍ مع من أنعم عليه وأكرمه ، وبين له وجوه الحلال :
 ﴿ وَعَاتِلْكُمْ مِّنْ كَلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا
 الْإِنسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿إبراهيم: ٣٤﴾ .

والشيطان يجر الإنسان إلى وجوه الحرام : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
 عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ﴿٦﴾ ﴿فاطر: ٦﴾ .
 فعلى العبد أن يخاف من ربه ، ومن عقوبته ، ومن عذابه : ﴿ وَلَمَن خَافَ مَقَامَ
 رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿الرحمن: ٤٦﴾ .

لمن خاف مقام ربه من الجن جنّة ، ومن الإنس جنّة ، أو جنتان لكل مسلم
 من الجن والإنس ؛ لأن المسلم يرث منزل الكافر في الجنة ، مع الجنة التي
 أعدها الله له ، أو جنتان جنّة معرفة الله بأسمائه وصفاته ودينه وشرعه في
 الدنيا وجنة النعيم في الآخرة ، أو جنتان للسابقين من ذهب ، وجنتان للأبرار

من فضة : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

أقسام الحيوانات :

الحيوانات من حيث جواز قتلها خمسة أقسام :

الأول : ما يُباح قتله وصيده في الحِلِّ دون الحَرَمِ أو المحرم ، وهو الصيد البري المأكول ، وصيد البحر .

الثاني : ما يُستحب قتله للمحرم وغيره ، وهي الحيوانات المأمور بقتلها من كل مؤذٍ كالسباع والحية والعقرب والفأرة والبعوض والحدأة والأسد ونحوها .

الثالث : ما فيه نفعٌ ومضرةٌ كالعقاب والصقر ، فهذه إن آذت تُقتل ، وإن لم تؤذ فلا تقتل .

الرابع : ما لا يظهر فيه نفعٌ ولا ضرر كالخنافس والجعلان والذباب ، فهذه إن آذت قتلت ، وإن لم تؤذ لا تقتل ؛ لأن الله ﷻ خلق هذه المخلوقات لتدل على عظمته ، وعظمة أسمائه وصفاته ، وجميعها تُسبح بحمد ربها : ﴿ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

الخامس : ما نهى الشرع عن قتله كالنملة والنحلة ونحوهما ، فهذه لا تقتل في الحِلِّ ولا في الحرم .

والحيوانات التي لا يحرم على المحرم قتلها أو ذبحها هي الحيوان الإنسي المأكول كالإبل والبقر والغنم ، وصيد البحر ، ومحرم الأكل كالسباع والحيات ونحوها ، ودفع الصائل منها .

فقه العبادات :

أصل العبادة الطاعة ، وكل عبادة لها معنى قطعاً ، ومعنى العبادة قد يفهمه الإنسان وقد لا يفهمه .

فالحكمة في الصلاة إظهار التواضع، والخشوع لله، وإظهار الافتقار له سبحانه.

والحكمة في الصوم كسر النفس ، وقمع الشهوات .

والحكمة في الزكاة تدريب النفس على البذل والعطاء ، ومواساة المحتاجين الفقراء .

والحكمة في الحج إقبال الحاج أشعث أغبر على مولاه من مسافة بعيدة ، كإقبال العبد إلى مولاه ذليلاً ، والخروج من زينة الدنيا وملذاتها ، وتدريب النفس على المسالمة مع الغير ، ولو كان جماداً أو نباتاً أو حيواناً ، وتذكير الإنسان بما هو عليه من النقص إذا رأى غيره .

والحج درسٌ عملي للمساواة بين الناس ، ومعرضٌ عظيم يظهر فيه أثر التوحيد والإيمان والطاعة والأخلاق العالية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

﴿٧٧﴾

﴿ [الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنْتٌ ءَأَنَاءَ أَلَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٩﴾

[الزمر: ٩].

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وأحكام الله ﷻ التي جاء بها الأنبياء والرسل مبنية على الظاهر ، فأحكام شرائعهم مبنية على الظواهر ، والله يتولى السرائر .

أما الخضر فأحكامه ليست مبنية على الظاهر ، بل على الأسباب الحقيقية في باطن الأمر ، كما في قصة موسى ﷺ مع الخضر في المسائل الثلاث : وهي خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وبناء الجدار .

شريعة موسى ﷺ أنه يحرم إفساد الشيء ، وقتل النفس من غير سبب ظاهر يُبيح ذلك ، وإقامة الجدار من غير سبب ظاهر مع التعب الشديد أمرٌ صعبٌ على النفس ، وهذا يدل على أن هذا العالم أعطاه الله قدرة أشرف بها على بواطن الأمور ، فمرتبه في العلم اللدني كانت فوق مرتبة موسى ﷺ : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ ﴾ ﴿٧٦﴾ [يوسف: ٧٦].

وقال الله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ ﴿٦٥﴾ [الكهف: ٦٥].

والمسائل الثلاث مبنية على أصل واحد ، وهو أنه عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى للدفع الأعلى ، وهو ما فعله الخضر في المسائل الثلاث ، لكنه مبني على معرفة بواطن الأمور ، وقد أعطاه الله ﷻ معرفة

ذلك كما قال سبحانه : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥].

ولهذا لما كملت مرتبة موسى ﷺ في علم الشريعة بعثه الله إلى الخضر ؛ ليتعلم ويضيف إلى علم الشريعة المبني على الظواهر ، علوم الباطن المبنية على حقائق الأشياء ، ببناء الأحكام على تلك الأحوال الباطنة ، فلهذا ظهر التفاوت بينهما ، والله حكيمٌ عليم : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

فقه الطواغيت :

الطغيان مجاوزة الحد ، والطاغوت هو كل ما عبد من دون الله وهو راضٍ بذلك ، كالشيطان والسحرة والكهان وفرعون وهامان ؛ لأنهم راضون بذلك .
والطواغيت كثيرون ، ورؤوسهم خمسة :

الأول : الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَأْخُذْ بِعَهْدِكُمْ يَوْمَ تَبَايَعْتُمْ أَن لَا تُعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا عَهْدَهُمْ حَقًّا بِظُلْمٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ﴾ [البقرة: ١٧٧] .
والثاني : الحكام الجائر المغير لأحكام الله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠] .

الثالث : كل من حكم بغير ما أنزل الله كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] .

الرابع : كل من ادعى علم الغيب من دون الله كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥] .

الخامس : كل من عبّد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٩] .

ما يثبت به الإسلام :

يُحْكَمُ لِلشَّخْصِ بِالإِسْلَامِ بِوَاحِدَةٍ مِنْ ثَلَاثٍ :

الأولى : نطقه بالشهادتين كما قال النبي ﷺ : « أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » . متفقٌ عليه (١) .

الثانية : الولادة لأبوين مسلمين كما قال النبي ﷺ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » . متفقٌ عليه (٢) .

الثالثة : الصلاة ، فمن صلى حكماً بإسلامه كما قال النبي ﷺ : « الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ » . أخرجه الترمذي والنسائي (٣) .

وقال النبي ﷺ : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » . أخرجه مسلم (٤) .

حكم النذر :

النذر إلزام المكلف نفسه شيئاً لم يكن واجباً عليه بأصل الشرع ، فيصبح بنذره واجباً عليه .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢/٣٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٥٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٥٨/٢٢).

(٣) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢١)، والنسائي برقم (٤٦٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٨٢).

والنذر عبادة من العبادات لا يكون إلا لله ، فينعقد ، ويلزم الوفاء به : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٠] .

وعن ابن عمر أن عمر قال : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . قَالَ : أَوْفِ بِنَذْرِكَ » . أخرجه البخاري (١) .
وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ » . أخرجه البخاري (٢) .

أما النذر المشروط كأن يقول المسلم: لله علي إن شفى الله مرضي أو ربح مالي أن أذبح أو أتصدق أو أصوم، فهذا النذر مكروه إلا أنه يجب الوفاء به؛ لقوله ﷺ: « إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ ، إِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ » . متفق عليه (٣) .

والنذر لغير الله شرك ؛ لأنه عبادة للمندور له ، والنذر لغير الله لا ينعقد إطلاقاً ، ولا تجب فيه كفارة ، بل هو شرك يجب التوبة منه : ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١] .

وأما نذر المعصية فينعقد ، لكن لا يجوز الوفاء به ، كمن نذر ألا يزور أباه أو أمه ، فهذا عليه كفارة يمين ، فكل من حلف على محرم فإنه ينعقد ، وفيه كفارة يمين .

ومن نذر لغير الله من الأصنام والقبور والشمس والقمر ، فعليه أن يتوب ، ويستغفر الله من فعله : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٦٩٧) .

(٢) أخرجه البخاري برقم: ٦٦٩٦ .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٩٤)، ومسلم برقم: (١٦٤٠)، واللفظ له .

حكم زيارة القبور :

زيارة القبور تنقسم إلى قسمين :

الأول : الزيارة الشرعية ، وهي زيارة القبور من أجل تذكّر الآخرة والاعتبار ، والسلام على أهلها المؤمنين ، والدعاء لهم ، وحصول الأجر المترتب على فعل السُّنة .

الثاني : الزيارة غير الشرعية وهي أقسام :

الأول : الزيارة المحرمة ، وهي التي تتضمن شيئاً من المناهي الشرعية ، ولم تصل إلى درجة البدعة ، وإن كانت من الكبائر كلطم الخدود ، والنياحة والجزع وغير ذلك مما يوحى بالتسخط على قدر الله .

الثاني : الزيارة البدعية ، وهي أن يزور قبراً من أجل أن يدعو الله عنده ، أو يصلي عنده ، أو يقرأ القرآن عنده أو نحو ذلك .

الثالث : الزيارة الشركية ، وهي أن يدعو فيها المقبور من دون الله ، ويطلب منه قضاء الحوائج ، وتفريج الكرب ، ودفع المكروه ، أو يصلي له ، أو يذبح له ، ليقضي حاجته ونحو ذلك : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [١١٠] . [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ إِنَّ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

حكم الرقية :

الرقية الشرعية هي ما كانت بكتاب الله ، أو بما ورد من سُنّة رسول الله ﷺ ، فهذه رقية جائزة .

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا تَقُولُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ . أخرجه مسلم ^(١) .

وعن جابر قال : كَانَ خَالِي يَرْقِي مِنَ الْعُقْرَبِ ، فَلَمَّا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ الرُّقَى أَنَّهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى ، وَإِنِّي أَرْقِي مِنَ الْعُقْرَبِ ، فَقَالَ : مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ . أخرجه مسلم ^(٢) .
فقه الإمامة الكبرى :

ثبت الإمامة بأحد ثلاث طرق :

الأولى : النص من الإمام الأول على الثاني كما نص النبي صلى الله عليه وسلم على خلافة أبي بكر بالإشارة ، ونص أبو بكر رضي الله عنه على خلافة عمر رضي الله عنه بالتعيين .

الثانية : النص على جماعة كما فعل عمر رضي الله عنه بأن اختار ستة من كبار الصحابة ليختاروا واحداً منهم ، فاختاروا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

الثالثة : إجماع أهل الحل والعقد، فإذا مات الإمام الأول ، ولم يستخلف أحداً فلاهل الحل والعقد من العلماء والوجهاء وذو الرأي السديد ، أن يختاروا إماماً صالحاً يكون خليفةً عليهم ، وعلى أهل الآفاق السمع والطاعة له .

وإن وثب على الإمامة من يصلح للإمامة من غير مشورة ولا اختيار ، وبإيعاز له الناس تمت له البيعة .

وإن وثب عليها من ليس أهلاً لها من الفساق ، وأخذها بالقهر والغلبة ، فلا طاعة له ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٠٠/٦٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢١٩٩/٦٢).

شروط الإمامة :

يُشترط في الإمام الذي يُختار لإمامة المسلمين ما يلي :

أولاً : أن يكون من صميم قريش ؛ لأن الأئمة من قريش ما أقموا الدين .

ثانياً : أن يكون مسلماً .

ثالثاً : أن يكون حرّاً لا عبداً .

رابعاً : أن يكون بالغاً .

خامساً : أن يكون عاقلاً .

سادساً : أن يكون عدلاً لا فاسقاً .

سابعاً : أن يكون عالماً مجتهداً ، لئلا يحتاج إلى غيره في أكثر مسائل

الشرع .

ثامناً : أن يكون ذا خبرةٍ ورأيٍ حصيفٍ بأمور الحرب ، وتدبير أحوال

الأمة ، وتدبير الجيوش ونحو ذلك .

تاسعاً : أن يكون قوياً لا تلحقه رقة في إقامة الحدود الشرعية ، ولا فزعٌ من

ضرب الرقاب ، وقطع الأطراف .

عاشراً : أن يكون ذكراً .

الحادي عشر : أن يكون سليم الأعضاء .

ويجوز نصب الإمام المفضول مع وجود الفاضل ، إذا خيفت الفتنة ، وعدم

استقامة الأمور؛ دفعاً للهرج والفساد ، وتعطيل الأمور ، وتمزيق الأمة ،

وسفك الدماء .

وإذا نُصب الإمام ثم فسق خلعت إمامته بالفسق الظاهر .

ويجب على الإمام أن يخلع نفسه إذا وجد في نفسه نقصاً يؤثر في الإمامة .

ولا تجوز متابعة إمامين معاً ، وإذا بويع لخليفتين فيقتل الآخر منهما ، درءاً للفتنة والشقاق ، ومن خرج على إمام عدل وجب على الناس جهاده ودفعه بما يكف شره : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] .

حكم الاستعاذة :

الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والاستعاذة به من شر كل ذي شر : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ [الفلق: ١-٥] .

وحقيقة الاستعاذة الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه .

فالعائد بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه القادر على كل شيء ، وفر إليه ، والتجأ إليه ، واستجار به ، واعتصم به ، وألقى نفسه بين يديه .
فلا استعاذة بالله حق : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٦] .

والاستعاذة بغير الله شرك : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٦٥) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦] .

أقسام الاستعاذة :

الاستعاذة تنقسم إلى قسمين :

الأول : استعاذة بالله ﷻ ، وهذا عبادة من العبادات : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠] .

الثاني : استعادةً بغير الله ، وهي قسمان :

الأول : استعادةً بالمخلوق فيما يقدر عليه ، وهذا ليس من الشرك ، إلا إذا تعلق القلب بالمخلوق ، فتكون من الشرك الأصغر ، مثل تعلق القلب بالطبيب أو بقائد الطائرة ونحو ذلك .

الثاني : استعادةً بغير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وهذه تنقسم إلى قسمين :

الأول : ما يقدر عليه الإنسان في العادة ، ولكنه يطلبه من غائب أو ميت .

الثاني : ما لا يقدر عليه الإنسان أصلاً في العادة كشفاء المرضى ونحو ذلك .

فهذان النوعان كلاهما من جنس واحد ، وهما من الشرك الأكبر ؛ لأنها صرفٌ للعبادة لغير الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦] .

٦ - الخزانة السادسة

أحكام شرعية عامة

أحكام الطهارة :

أقسام المياه :

الماء قسمان :

مطلق .. ومقيد .

فالمطلق كماء العيون والآبار ، والسيول والبحار ونحوها ، وهذا الماء طاهرٌ في نفسه ، مطهرٌ لغيره ويُسمى الماء الطهور .

والماء المقيد كماء الورد ، وماء العنب ، وماء الرمان فهذا يسمى طاهراً ولا يسمى طهوراً ، ولا يحصل به التطهير من الأحداث والنجاسة .

ماء زمزم السنّة الشرب منه ؛ لأنه طعام طعم ، وشفاء سُقم .

ويجوز الوضوء منه ، ويجوز الاستنجاء به ، ويجوز الغُسل به من الجنابة إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

الكولونيا عطرٌ مشتمل على الكحول المسكر ، فيحرم على الرجال والنساء استعماله .

يجوز للمرأة التطيب إذا كان خروجها لمجتمع نسائي لا تمر في الطريق إليه على رجال .

الرطوبة التي تخرج من فرج الرجل أو المرأة إن كانت مستمرة في غالب الأوقات كالمستحاضة ومن به سلس البول ، فهذا يتوضأ لكل صلاة إذا دخل الوقت ، فإن شق عليه توضأً قبل الوقت بقليل .

وإن كانت الرطوبة تعرض في بعض الأحيان ، وليست مستمرة ، فهذه حكمها حكم البول تنقض الوضوء ، فيتوضأ من ذلك للصلاة .

صفة الغسل :

الغُسل من الجنابة ، ومن الحيض ، ومن النفاس ، يَجْزئُ عن الوضوء إذا توضأ مرتباً ، ونوى رفع الحدثين الأصغر والأكبر ، والأفضل أن يستنجي بالماء ، ثم يتوضأ مرتباً ، ثم يُكمل الغسل اقتداءً بالنبي ﷺ .

وُغُسل الجمعة يبدأ بعد طلوع الفجر ، وُغُسل الجمعة ، أو غُسل التبرّد ، أو غُسل النظافة لا يَجْزئُ عن الوضوء ولو نوى ذلك لعدم الترتيب وهو من فروض الوضوء ، بل لا بد من الوضوء بشروطه قبله أو بعده .

صفة التيمم :

أن يضرب بيديه التراب، ثم يمسح بهما وجهه وكفيه، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحد الوجه في التيمم كالوضوء يمسح وجهه بالتراب من أعلى الجبهة إلى اللحية، ومن الأذن إلى الأذن، ويمسح يديه ظاهرهما وباطنهما من مفصل الكف إلى أطراف الأصابع .

مدة الطهر والحيض ليس لها حدٌ محدود ، لكن الغالب أن مدة الحيض للنساء كل شهرٍ ستة أو سبعة أيام، ومدة الطهر ثلاثة وعشرون يوماً أو أربعة وعشرون يوماً، وبعض النساء يأتيها الحيض في السنة مرة، وبعضهن في الشهرين مرة، وبعضهن كل ستة أشهر مرة .

إذا أسقطت المرأة ما تبين فيه خلق الإنسان من رأسٍ أو يدٍ أو رجلٍ ونحوها فهي نَفَساء لها أحكام النفاس .

وإن أسقطت ما لم يتبين فيه خلق الإنسان بأن كان لحمًا لا تخطيط فيه ، فهي مستحاضة لها حكم المستحاضة لا حكم النفساء ، ولا حكم الحائض .
إذا بلغت المرأة خمسين سنة فإن بقيت عادتها على حالها لم تتغير فلها أحكام الحائض، وإن تغيرت باختلاف الدم أو استمراره أو عدم انضباطه فهو دم فساد له حكم المستحاضة .

التخليل بين الأصابع سنة عند الوضوء يفعل أحيانًا ، ويترك أحيانًا ؛ لأن النبي ﷺ ما كان يداوم عليه ، ومثله تخليل اللحية الكثيفة .
الأصل في العبادات الحظر والمنع إلا ما جاء عن الله ورسوله ؛ لأنها توقيفية.

والأصل في البيوع والمعاملات الحِل والإباحة إلا ما جاء الشرع بتحريمه .
والأصل في الأبخاع الحظر والتحريم إلا ما جاء الشرع بإباحته .
والأصل في الأواني الإباحة إلا آنية الذهب والفضة ، فإنها محرمة على الرجال والنساء إلا الضبة اليسيرة من الفضة .
أحكام الصلاة :

من ترك الصلاة عن نسيانٍ أو نوم أو شبهه ، قضاها كما كانت ؛ لقول النبي ﷺ : « مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيَصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ » . متفق عليه^(١) .

ومن ترك الصلاة متعمدًا ثم تاب فليس عليه قضاء ؛ لأن تركها عمدًا حتى خرج وقتها أخرجه من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر ، والكافر لا يقضي ما ترك حال كفره .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٨٤ / ٣١٤).

لا يُشرع للنساء آذانٌ ولا إقامةٌ سواءً كن في الحضر أو السفر ؛ لأن الآذان والإقامة من خصائص الرجال لا النساء .

المرأة يُشرع لها أن تجهر بالقراءة في الركعتين الأوليين من المغرب والعشاء ، وكذلك الفجر كالرجل ، والواجب أن تُسمع نفسها .
الأبكم والأصم إذا بلغ الحُلم فهو مكلفٌ بأنواع التكليف ، ويُعلم الأحكام بالكتابة والإشارة .

أوقات الصلوات الخمس :

أولاً : صلاة الظهر ، كل وقتها اختياري تجوز الصلاة فيه ، من زوال الشمس إلى أن يصير ظل كل شيءٍ مثله ، لكن الأفضل تقديمها إلا في شدة حر فتؤخر .

ثانياً : صلاة العصر ، وقتها الاختياري من أول الوقت إلى أن تصفر الشمس ، ووقتها الاضطراري من اصفرار الشمس إلى غروب الشمس ، فلا يجوز تأخيرها عن ذلك .

ثالثاً : صلاة المغرب كل وقتها اختياري من غروب الشمس إلى أن يغيب الشفق الأحمر ، وتقديمها في أول الوقت أفضل .

رابعاً : صلاة العشاء وقتها الاختياري من مغيب الشفق الأحمر إلى منتصف الليل ، ووقتها الاضطراري من منتصف الليل إلى طلوع الفجر ، فلا يجوز تأخيرها لما بعد منتصف الليل إلا لمضطر .

خامساً : صلاة الفجر كل وقتها اختياري من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، لكن الأفضل تقديمها في أول الوقت ، والغالب أن من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ساعة ونصف تقريباً .

قراءة الفاتحة في حق المأموم ليست ركناً ، ولكنها واجبة تسقط بالسهو والجهل وعدم إدراك الركعة .

الإشارة في الصلاة لمصلحة لا بأس بها ، ولا حرج فيها ، ولا تبطل بها الصلاة ، وقد فعل ذلك سيد الخلق ﷺ .

الالتفات في الصلاة بالرأس للتعوذ من الشيطان الرجيم عند الوسوسة لا حرج فيه، بل هو مستحب عند شدة الحاجة إليه بالرأس فقط، والالتفات لغير سببٍ مكروه .

السُّنَّةُ للإمام والمأموم والمنفرد الجهر بالأذكار التي بعد كل صلاة فريضة جهراً متوسطاً ، ليس فيه تكلف ، كل واحد يذكر الله وحده بنفسه وحده كما ورد شرعاً .

من دخل المسجد يُسلم على المصلين والقراء ، ويرد عليه المصلي بالإشارة .

السجود للسهو يجوز أن يكون قبل السلام ، أو بعد السلام ، لكن الأفضل أن يكون السجود للسهو قبل السلام إلا في صورتين :

الأولى : إذا سلم عن نقص ركعة فأكثر فيسجد للسهو بعد السلام اقتداءً بالنبي ﷺ .

الثانية : إذا شك في صلاته ، فلم يدري كم صلى ثلاثاً أم أربعاً ، وغلب على ظنه أحد الأمرين النقص أو التمام ، فإنه يسجد بعد السلام .

إذا قام المصلي لقضاء ما فاته بعد سلام الإمام ، ثم سجد الإمام للسهو فالسُّنَّةُ أن يسجد معه ، ثم إذا سلم قام ، وإن أكمل صلاته ثم سجد للسهو بعد إكمالها فلا بأس عليه .

إذا سلم المأموم سهوًا قبل الإمام ، فإنه يرجع إلى نية الصلاة ، ثم يسلم بعد إمامه ولا شيء عليه .

صلاة التطوع :

تحية المسجد سنة لا تقضى ، وتكفي عنها السنة الراتبية ، وصلاة الفريضة ، إذا دخل والناس يصلون .

السنة أن يصلي المسلم سنة الفجر في البيت ، ثم يخرج إلى المسجد ، ثم يصلي تحية المسجد إذا دخل .

السنة الرواتب تسقط إذا فات وقتها ، إلا سنة الفجر ، فإنها تُقضى بعد الصلاة ، أو بعد طلوع الشمس ، وهو الأفضل .

النوافل المطلقة مشروعة في السفر والحضر ، وهكذا ذوات الأسباب كسنة الوضوء ، وسنة الطواف ، وصلاة الضحى ، وتحية المسجد ، والتهجد .

سجود التلاوة والشكر

لا تشترط لهما الطهارة من الحدثين ، فيجوز للجنب والحائض وغيرهما سجود التلاوة والشكر .

إذا دخل المسلم مع الإمام في صلاة العشاء ، وقد صلى ركعة ، والداخل قد نوى المغرب ، فإنه يجزئه عن صلاة المغرب ما أدركه مع الإمام .

الواجب على من صلى جالسًا على الأرض ، أو على الكرسي ، أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ، والسنة أن يجعل يديه على ركبتيه حال الركوع .

أثناء خطبة الجمعة لا يشرع تشميت العاطس ؛ لوجوب الإنصات للخطبة .

من حضر صلاة العيد، ساغ له ترك الجمعة، إن وافق العيد الجمعة، ويصلي ظهرًا فردًا أو جماعة، وإن صلى الجمعة مع الناس، فهو أفضل وأكمل .
قاتل نفسه يغسل، ويصلى عليه، ويدفن مع المسلمين، لأنه عاص ليس بكافر .

أحكام الجنائز :

الرجل الميت يكفن بثلاثة أثواب بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة والمرأة تكفن في خمس قطع : إزار وقميص وخمار ولفافتين .
لا حرج في السفر للصلاة على الميت ؛ لأنه من تشييع الجنازة وإتباعها .
كانت زيارة القبور أولاً منهيًا عنها للجميع، ثم رخص فيها للجميع، ثم خصص النساء بالمنع، ولا يشرع للمرأة إذا مرت بسور المقبرة أن تدخلها، لكن تدعو للأموات في مكانها من غير زيارة ودخول .

أحكام الزكاة :

كل فقير له قريب ينفق عليه لا يستحق الزكاة مادام قريبه ينفق عليه وكل من عرف أنه من بني هاشم، لا تجوز له الزكاة .

أحكام الصوم :

من صام في بلده ثم سافر لبلد آخر أو العكس، أفطر وصام مع البلد الذي سافر، إليه ولو زاد عن الثلاثين يومًا، فإن صام ثمانية وعشرين يومًا، أفطر معهم، وأكمل الصوم بعد العيد .

المرأة إذا طهرت من الحيض أثناء نهار رمضان، فعليها الإمساك، لزوال العذر الشرعي، وعليها قضاء ذلك اليوم .

المسافر إذا أفطر في نهار رمضان ، ثم قدم بلده نهارًا ، فعليه الإمساك ، لزوال العذر مع قضاء ذلك اليوم .

من مات وعليه صيام ، صام عنه أقرباؤه ، فإن لم يصوموا عنه أطعموا عنه من تركته عن كل يوم مسكينًا ، وإن لم يكن له تركة ، فلا شيء عليه .

من مات وعليه صيام كفارة ، ككفارة القتل الخطأ ، أو الجماع في نهار رمضان ، أو كفارة الظهر ، صام عنه واحد من أقاربه شهرين متتابعين ، ولا يجوز تقسيمها على جماعة .

من أراد اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، دخل معتكفه بعد الفجر من اليوم الحادي والعشرين اقتداءً بالنبي ﷺ ، ويخرج بعد غروب الشمس من آخر العشر ، ونهاية الشهر .

الأعمال الصالحة تضاعف في الحرمين الشريفين ، مضاعفة لا يعلمها إلا الله ، أما الصلاة فقد جاء مقدار مضاعفتها في المدينة بأفضل من ألف صلاة ، وفي مكة بأفضل من مائة ألف صلاة .

أحكام الحج والعمرة :

أفضل أوقات العمرة في شهر رمضان ، والعمرة في رمضان تعدل حجة مع النبي ﷺ ، ثم يليها العمرة في ذي القعدة ؛ لأن عمر النبي ﷺ كانت كلها في ذي القعدة ، ثم يليها بقية أيام العام .

والحج والعمرة أفضل من الصدقة بنفقتها لمن أخلص لله القصد ، وجاء بذلك على الوجه المشروع ، وقد سئل النبي ﷺ : « أي العمل أفضل ؟ وفيه ؛ ثم حج مبرور » . متفق عليه^(١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥١٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٥/٨٣).

ومن مات ولم يحج وهو قادر ، وجب الحج عنه من التركة أوصى بذلك أو لم يوص .

العبادات التي ورد الشرع بالنيابة فيها عن الغير هي :

الحج ، والعمرة ، والصوم الواجب ، وقضاء الصوم ، والصدقة ، والدعاء ، أما غيرها فلا ؛ لعدم ورود الدليل .

أشهر الحج هي شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة ، هذه هي الأشهر التي يهل بها الحاج بالحج .

ومن اعتمر في أشهر الحج ، ثم رجع إلى بلده ، ثم أحرم بالحج مفردًا ، فليس عليه دم التمتع ، أما إن سافر إلى غير بلده كالمدينة وجدة والطائف ثم رجع محرماً بالحج ، فهو متمتع عليه دم التمتع .

الزعفران طيب فلا ينبغي للمحرم استعماله في القهوة وغيرها .

من لبس المخيط جاهلاً أو ناسياً قبل أن يقصر ، وجب عليه خلعه ، ولبس الإحرام ، ثم يحلق أو يقصر في مكة أو غيرها ولا شيء عليه: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] . فقال الله : قد فعلت : أخرجه مسلم^(١) .

إذا دخل المحرم إلى مسجد الكعبة قطع التلبية قبل أن يشرع في الطواف .
النبى ﷺ قبل الحجر الأسود واستلمه في طوافه ، ومسح الركن اليماني ، واستلم جدران الكعبة من الداخل لما دخل الكعبة ، وألصق صدره وذراعيه وخده في جدارها ، وكبر في نواحيها ودعا ، أما في خارجها فلم يفعل شيئاً من ذلك .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٢٦/٢٠٠).

من لم تطهر من الحيض أو النفاس قبل يوم التروية وهي محرمة بالعمرة ،
أحرمت بالحج من مكانها الذي هي مقيمة فيه ، وصارت قارئة ، وأدخلت
الحج على العمرة ، وأكملت نسكها .

يجوز الجمع في منى للحاج كما يجوز القصر ، ولكن الاقتصار على القصر
دون الجمع هو السنة وهو الأفضل ؛ لأنه فعل النبي ﷺ .

السنة صلاة الظهر والعصر في الحج يوم عرفة بعرفة خارج عرفة ولو صلاها
في عرفة لشدة الزحام ، وحصول المشقة ، فلا بأس بذلك .

حصى الجمار فوق الحمص ، ودون البندق أقل من بعر الغنم قليلاً .

الحج أكمل من العمرة ، وإذا أحرم أحد بهما في وقت قريب للحج ،
فالأفضل أن يقصر رأسه للعمرة ، ويجعل الحلق للحج ؛ لأن الحج أكمل
من العمرة ، فيكون الأكمل للأكمل وهو الحلق .

إذا حاضت المرأة أو نفست قبل طواف الإفاضة ، بقى عليها الطواف حتى
تطهر ولو تأخرت إلى المحرم أو صفر ، فتؤديه ولا دم عليها ، فإن شق عليها
البقاء ، ولم يتيسر لها من يبقى معها ، والرفقة لا ينتظرونها ، فهي معذورة
تتلجم بخرقه ، وتطوف للإفاضة والوداع معاً طوافاً واحداً ، ثم تغادر إلى
بلدها .

من رمى الجمرات جاهلاً أو ناسياً بدون ترتيب ، صح رميه ، لأنه معذورٌ
بالجهل أو النسيان ، وقد حصل المقصود ، فإن ذكر قبل فوات الوقت لزمه
رمي الثانية ، ثم العقبة ، ليحصل الترتيب .

من طاف للوداع قبل تمام الرمي ، لم يجزئه الوداع ؛ لأن الوداع يكون بعد
إتمام مناسك الحج كلها .

ليس على المفرد هدي ، وإن أهدي فهو أفضل ، ومن ذبح هديه خارج الحرم كعرفات ، لم يجزئه ولو وزعه داخل الحرم .
السنة أن تذبح العقيقة في اليوم السابع ولو سقط ميتاً ، ومن السنة أن يسمى يوم ولادته ، لأن النبي ﷺ سمي ابنه إبراهيم يوم ولد .
النبي ﷺ أهل بالحج بذى الحليفة ، لما ركب القسواء ، ولما استوت به راحلته في البيداء ، أعاد الإهلال وكرره ، لتعليم الناس ، وأما رواية أنه أهل في مصلاه فضعيفة .

أعلى مكة يقال له كذا بالفتح والمد ، وأسفل مكة ، يقال له كُدَي بالضم والقصر ، فافتح وأدخل مكة ، واضمم وأخرج منها .
يوم عرفة ليلته بعده ، ويوم العيد يوم النحر ليلته بعده ، وليلة الثاني عشر تابعة لليوم الحادي عشر ، وليلة الثالث عشر تابعة لليوم الثاني عشر ، وأما ليلة الرابع عشر ، فليس فيها رمي ؛ لأن الرمي ينتهي بغروب الشمس من اليوم الثالث عشر .

٧- الخزانة السابعة

حكم التقليد :

التقليد في مسائل الأحكام مع وضوح الدليل من الكتاب والسنة لا يجوز ؛ لأن التقليد في منزلة أكل الميتة يحل عند الضرورة فقط ، أما مع وجود لحم مذكى فلا نأكل الميتة ، فكذلك لا يجوز للعالم بالدليل من الكتاب والسنة ، أن يقلد أحداً ، ولهذا لم يأمرنا الله ﷻ بسؤال أهل العلم إلا عند عدم العلم كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٤٣] بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [٤٤] [النحل: ٤٣-٤٤] .

فإذا كنا نعلم بالبينات والزبر فلا نسألهم ، ونأخذ من البينات والزبر : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [٨٩] [النحل: ٨٩] .

أقسام الإرادة :

إرادة الله نوعان :

الأول : إرادة كونية قدرية بمعنى المشيئة ، ويلزم منها وقوع المراد ، سواء كان مما يحبه الله ، أو مما لا يحبه الله كما قال سبحانه : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] .

الثاني : إرادة دينية شرعية ؛ بمعنى المحبة ، ولا يلزم منها وقوع المراد ، ولا تتعلق إلا فيما يحبه الله كما قال سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ

وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء: ٢٧-٢٨].
 أقسام المعية :

معية الله تنقسم إلى قسمين :

الأول : المعية العامة ، وهي المعية الشاملة للخلق كلهم ، وتقتضي الإحاطة بهم علمًا وقدرة وسمعا وبصرًا وغير ذلك من معاني الربوبية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] .

وقال سبحانه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

الثانية : المعية الخاصة ، وهي المقيدة بوصف أو شخص .

فالمقيدة بوصف كقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] .

والمقيدة بشخص كقوله سبحانه لموسى وهارون : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦] .

وقوله سبحانه عن محمد ﷺ : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] .

أقسام الهجر :

الهجر له معنيان :

هجر عام : وهو هجر كل ما حرم الله ﷻ كما قال النبي ﷺ : « الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح^(١) .

الثاني : هجر خاص : وهو أن يهجر مسلم بلده لله ، فيهاجر منه من أجل إقامة دين الله وحماية نفسه من الزيغ والأذى كما قال النبي ﷺ : « إِنَّمَا

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم: (٢٤٨١)، والنسائي برقم: (٤٩٩٦) .

الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » . متفق عليه (١) .

والهجرة من أجل الله ، ومن أجل دينه ، عبادة أثنى الله على أهلها بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

حكم القتال في الأشهر الحرم :

الأشهر الحرم أربعة ، ثلاثة سرد ، وواحد فرد ، وهي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ كَفَاةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦] .

والقتال في الشهر الحرام حرام ، فلا يجوز ابتداء الكفار بالقتال في الأشهر الحرم ، لكن إن اعتدوا علينا ، وتألّبوا علينا ، ندافعهم وتقاتلهم حتى في الشهر الحرام ، كما قاتل الرسول ﷺ ثقيفاً في شهر ذي القعدة ، وهو شهر حرام ، وكما غزا الروم في تبوك في رجب ، وهو شهر حرام ، فهؤلاء وهؤلاء تجمعوا لقتال المسلمين فخرج الرسول ﷺ إليهم مع أصحابه ليدافعهم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، ومسلم برقم: (١٥٥/١٩٠٧)، واللفظ له.

سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ [البقرة: ١٩١].

حكم تكرار الطلاق :

السنة في الطلاق أن يطلق الزوج المرأة في طهر لم يجامعها فيه ، أو يطلقها وهي حامل قد تبين حملها ، فيطلقها طليقة واحدة ، وله أن يراجعها مادامت في العدة ، فإن طلقها الطليقة الثانية ، فله أن يراجعها مادامت في العدة : ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة: ٢٣٠].

والطلاق المكرر بلفظ واحد لا يتكرر به الطلاق ، فلا يقع إلا واحدة ، كأن يقول لزوجته : أنت طالق طالق طالق ، أو أنت طالق ثلاثاً ، فلا تطلق بهذا الطلاق ثلاثاً ؛ لأنها طلقت الطليقة الأولى واحدة ، فإذا قلت ثانية : أنت طالق ، فقد أوقعت طلاقاً على مطلقة ، والطلاق لا يقع إلا على من كانت زوجة غير مطلقة ، لهذا لا يقع طلاق على طلاق ، ولا يتكرر إلا على زوجة غير مطلقة ، ولا يتكرر الطلاق إلا إذا راجعها ، أو عقد عليها عقداً جديداً ، فالطلاق مرتان أي مرة بعد مرة .

فلا بد أن يقع على زوجة غير مطلقة ، فمن طلق ثلاثاً بكلمة واحدة أو كلمات فلا تطلق إلا واحدة ؛ لأن الطلاق لا يقع إلا على زوجة في عصمته

إما المطلقة فلا يقع عليها طلاق : ﴿ الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَتْهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٤٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَنْخِذُوا بِآيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤١﴾ [البقرة: ٢٢٩- ٢٣١] .

حكم المال المحرم :

المال المحرم لكسبه كالربا إن أنفقه الإنسان للتقرب به إلى الله، لم ينفعه ، ولم يسلم من إثمه ؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً .
وإن أراد الصدقة به للتخلص منه ، والبراءة من إثمه ، نفعه ، فسلم من إثمه ، وصار له أجر التوبة منه ، لا أجر الصدقة به .

وإن أراد أن يبني بالمال الربوي مسجداً ، فبناه ، فالصلاة فيه صحيحة ، أما ثواب بناء المسجد ، فإن قصد التقرب إلى الله بذلك المال ، لم يقبل منه ، ولم يسلم من إثمه ، وإن قصد التخلص من ذلك المال ، سلم من الإثم وأثيب لا ثواب بناء المسجد ، ولكن ثواب التائب إلى الله ﷻ : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ [المائدة:

. [٣٩]

والإنفاق الموافق للشريعة ابتغاء مرضاة الله ، ما كان موافقاً للشرع في الكم والنوع والصفة ، فالكم كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [٦٧] الفرقان: ٦٧ .

والنوع كما قال سبحانه : ﴿ فَالَّذِينَ هُمْ لِإِلَهِهِمْ وَوَٰدِعِهِمْ سُلِمُوا وَيَسِّرِ الْمَخِيطِينَ ﴾ [٣٤] الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [٣٥] الحج: ٣٤-٣٥ .

والصفة كما قال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٦٢] البقرة: ٢٦٢ .

وقوله سبحانه : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [٦٤] البقرة: ٢٦٤ .

صفة التخلص من المال الحرام :

المال الحرام له حالتان :

الأولى : إن أخذه صاحبه بغير اختيار صاحبه كالمغصوب والمسروق ، فإنه يرده على صاحبه ، فإن كان ميتاً رده على ورثته ، فإن لم يكن له ورثة رده على بيت المال ، فإن تعذر ذلك تصدق به عن من هو له .

الثانية : إن أخذ المال الحرام باختيار صاحبه كالربا ومهر البغي ، وحلوان الكاهن ، فهذا لا يرده عليه ، وإنما يتصدق به ؛ ليتخلص منه ، ويسلم من إثمه وله أجر التوبة لا أجر الصدقة ، هذا حكم من كان عالماً بالتحريم .

أما إن كان حين اكتساب المال جاهل بالتحريم ، فلا يجب عليه أن يتصدق به لقوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦] .

أقسام الأحكام الشرعية :

تنقسم الأحكام إلى قسمين :

الأول : عبادات : وهى ما تكون بين العبد وربّه كالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والأذكار والأدعية ونحوها .

الثاني : معاملات : وهى ما يكون بين الإنسان وغيره من الخلق ، وهى أربعة أقسام :

الأول : معاملات مالية : كالبيع والإجارة والشركة ونحوها كالزكاة والميراث .

الثاني : معاملات بدنية : كالنكاح والصدّاق والطلاق والعدة ونحوها .

الثالث : معاملات جنائية : كالقصاص والحدود ونحوها .

الرابع : معاملات قضائية : كالقضاء والفصل في المعاملات ونحوها .

قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩] .

وأعظم قواعد المعاملات أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن يعامله بما يحب أن يعامله به ؛ لأنه بذلك يقوم بعبادة الله ﷻ من بيع وشراء أو تأجير ونحو ذلك ممثلاً في ذلك أمر ربه : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

وقال النبي ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .
متفق عليه ^(١) .

فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، والمؤمن للمؤمن كاليدين ،
تغسل إحداهما الأخرى ، فيجب التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون
على الإثم والعدوان كما قال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢]
فقه الحكم :

الحكم إثبات أمر لشيء أو نفيه عنه ، والحكم ثلاثة أنواع :

الأول : حكم شرعي : وهو المستند إلى أدلة الشرع من قرآن وسنة .

الثاني : حكم عادي : وهو المستند على العادة والتجربة .

الثالث : حكم عقلي : وهو المستند على العقل .

فالحكم العقلي كقولنا : الواحد نصف الاثنين ، والحكم العادي والحسي

كقولنا : السماء فوق الأرض ، والحكم الشرعي كأحكام الله الشرعية التي

بينها الله في كتابه ، وبينها الرسول ﷺ في سنته .

حكم العمل :

الله ﷻ غني عن العالمين ، وعن أعمالهم : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ

اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦] .

ولا يقبل الله عملاً من العبد إلا إذا كان مشروعاً خالصاً لوجه الله وحده .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٣) ، ومسلم برقم (٤٥) .

ولعمل المسلم ثلاث حالات :

الأولى : أن يكون العمل مشروعاً ، والقصد موافقاً ؛ كمن يصلي الظهر قاصداً وجه الله ، فهذا عمله مقبول ، وفاعله مأجور .

الثانية : أن يكون العمل مشروعاً ، والقصد مخالفاً ؛ كمن يصلي العشاء وقصده الرياء والسمعة ، فهذا العمل غير مقبول ، ولا أجر لفاعله .

الثالثة : أن يكون العمل مخالفاً ، والقصد موافقاً ؛ كمن يحدث بدعة المولد ، يقصد بها التقرب إلى الله ﷻ ، فهذا عمله مردود عليه ، ولا يقبله الله ﷻ منه .

قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝۱۱۰ ﴾ [الكهف: ۱۱۰] .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه^(١) .

وعن عمر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه^(٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧/١٧١٨)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، ومسلم برقم: (١٥٥/١٩٠٧)، واللفظ له.

٨- الخزانة الثامنة

حكم تغيير النية في الصلاة :

النية في الأصل تسبق العمل ، لأن النية روح العمل : ﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ
الَّذِينَ ﴾ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴿ [الزمر: ٢-٣] .

ومن دخل في صلاة ثم أراد الانتقال من نية إلى نية فله ثلاث حالات :
الحالة الأولى : أن ينتقل من مساوٍ إلى مثله، كمن دخل في صلاة بنية الظهر،
ثم تذكر أنه صلاها ، فنوى العصر ، فهذا لا يصح ؛ لأن النية تسبق العمل .
الثانية : أن ينتقل من الأعلى إلى الأدنى ، كمن دخل في صلاة الظهر مثلاً ،
ثم تذكر أنه صلاها فنوى النافلة ، فهذا يصح ، وتقع منه نافلة .

الثالثة : أن ينتقل من الأدنى إلى الأعلى، كمن دخل في النفل، ثم تذكر أنه لم
يصلي الصبح، فنوى بها صلاة الصبح، فهذا لا يصح؛ لأن النية تسبق العمل .
عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا
لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى » . متفق عليه (١) .

والأصل صلاة الفرائض جماعة ، وصلوات النوافل وحدها إلا ما شرع الله
له الجماعة كالتراويح ونحوها ، فإن صلى قيام الليل جماعة أحياناً فلا بأس
بشرط ألا يتقصد ذلك دائماً .

والأصل في الأذكار الإسرار بها إلا ما ورد في الشرع الجهر به ، كالتلبية
والأذكار بعد السلام ونحوهما .

لا تصح الصلاة إلا بوضوء ، ومن فقد الطهورين الماء والتميم يصلي حسب
حاله : ﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، ومسلم برقم: (١٥٥/١٩٠٧)، واللفظ له.

وقال النبي ﷺ : « إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ » . متفق عليه^(١) .

أحكام عامة :

إذا خرج المنى من الرجل بعد الغسل منه فعليه الوضوء لا الغسل .
إذا مرت الحائض أو النفساء بالمیقات وجب عليها إن نوت العمرة أو الحج أن تغتسل وتُحرم من المیقات ؛ لحديث أسماء بنت عميس أن النبي ﷺ قال لأبي بكر : « مرها فلتغتسل ، ثم لتهلّ بالحج » . أخرجه مسلم^(٢) .

إذا وقعت النجاسة في الماء ، وغيرت لونه أو طعمه أو ريحه حرم التطهر به ، سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً ، وإن لم تغير النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه ، فهو طاهر يجوز التطهر به ، سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً ؛ لقول النبي ﷺ : « الماء طهور لا ينجسه شيء » . أخرجه الترمذي والنسائي^(٣) .

وإذا تغير الماء بطاهر فهو طاهر ، وإن تغير بنجس فهو نجس ؛ فالماء يأخذ حكم ما غيره من طاهرٍ أو نجس .

والكلب يطلق على كل سبع ضار ، سواء كان كلباً أو ذئباً أو أسداً ؛ لقوله سبحانه : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ [المائدة: ٤] .

فإذا ولغ في الإناء يغسل سبغاً ، ويعفر الثامنة بالتراب .
وإذا صاد الكلب شيئاً من الصيد بعد إرساله جاز أكل صيده ، ولا يجوز اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع ، والكلاب نجسة ما خالطته نجسته ، وما كان نجساً لا يجوز بيعه ولا أكله ، لكن يعفى عن أثره في الصيد ؛ لأنه من باب الرخصة كالرخصة في أكل الميتة للمضطر .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ، ومسلم برقم (١٣٠ / ١٣٣٧) .

(٢) أخرجه مسلم برقم : (١١٠ / ١٢١٠) .

(٣) صحيح / أخرجه الترمذي برقم : (٦٦) ، والنسائي برقم : (٣٢٧) .

والأصل غسل النجاسة ثلاث مرات كغسل اليدين عند الاستيقاظ من النوم، ويستثنى من ذلك غسل ما ولغ فيه الكلب سبع مرات لورود النص به .
من اقتنى الكلاب لغير صيد أو ماشية أو زرع ينقص من أجره كل يوم قيراطان ، ومن اتخذه في البيوت فقد ارتكب محرماً ؛ لأن « الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة » . متفق عليه^(١) .

أحكام البيع :

الثمن هو المبلغ النقدي الذي يدفع مقابل السلعة كالريال والدولار مثلاً .
والسلعة هي ما يعرض في السوق من السلع والبضائع كالسيارات والأواني ونحوها .

والعوض هو كل ما ينتفع به الإنسان مباشرة بلا ثمن ، فيعطي مثلاً قمحاً ، ويأخذ ثوباً ، وهذا هو المعروف قديماً . وقد يكون عندك شيء تريد بيعه لأحد ، والآخر لا يريده ، فاخترعوا شيئاً تبادل المنافع والسلع ، وهو الأثمان مقابل السلع كالريال ونحوه .

فقه التقوى :

والتقوى أن تجعل بينك وبين صفات الجلال لله وقاية ، فإن لم تفعل في مقام افعل ، وفعلت في مقام لا تفعل ، فقد عصيت الله ؛ فستأخذ صفة الجلال لله منك حقها بعزة الربوبية والملك والقدرة والجبروت : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣] .

وإن فعلت في مقام افعل ، وتركت في مقام لا تفعل ، فقد أطعت الله ﷻ ، فستعطيك صفة الجمال لله ﷻ ثواب ذلك العمل من الكريم المحسن

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١٤٤)، ومسلم برقم: (٢١٠٦)، واللفظ له.

الرحمن الرحيم : ﴿ مِنْ عَمَلٍ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] .
 وقال ﷺ : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبَيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .
 نعمة اللباس :

الله ﷻ بمنه وكرمه أنزل على عباده لباسين :
 لباسٌ يستر البدن ، وهو الثياب .

ولباسٌ يستر الروح ، وهو الدين كما قال سبحانه : ﴿ يٰٓبَنِي ٓءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦] .

والشيطان يجتهد على الإنسان ليعريه من هذا وهذا كما قال سبحانه : ﴿ يٰٓبَنِي ٓءَادَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمُ الشَّيْطٰنُ كَمَا ٓأَخْرَجَ ٓأَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يُرِيكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطٰنَ ٓأَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧] .

أنواع اللباس :

تختلف أنواع اللباس من بلدٍ إلى بلد، وأسماء الملابس التي يلبسها الرجال هي على النحو التالي :

الإزار : هو الملحفة، والملحفة هي الملاءة، والملاءة هي الريطة، والريطة قطعةٌ واحدة من القماش .

النقبة : هي الوزرة والتنورة ، أعلاها كالسراويل، وأسفلها كالإزار، وهي سراويلٌ في أعلاها حزمةٌ أو تكة تمسكها .

النطاق : هو ما يشد به وسط الثوب من قماشٍ ونحوه .

الدثار : هو اللباس الذي تستدفع به من فوق الشعار من غير خياطة .
 الشعار : هو الثوب الذي يلي كل البدن وهو الثوب .
 الإزار : ما يستر أسفل البدن من غير خياطة .
 الرداء : ما يستر أعلى البدن من غير خياطة .
 والشعار والذثار أعم من الرداء والإزار .
 السراويل : ما يستر أسفل البدن له نقبتان لكل رجل .
 التبان : سروالٌ صغير مقدار شبرٍ يستر العورة المغلظة فقط .
 القباء : ثوبٌ واسع له أكمام ، مفتوحٌ من الأمام ، ومثله البشت والعباءة .
 الجبّة : كل ثوبٍ جُب فيه موضع إخراج الرأس .
 الدرع : ثوبٌ مشقوق المقدم تلبسه النساء .
 البرنس : كل ثوبٍ رأسه منه ملتصقٌ به .
 النقاب : هو غطاء الوجه الذي لا يبدو منه إلا العينان وهو البرقع .
 القميص : ثوبٌ يفصل على البدن يغطي أعلى البدن وأسفله .
 النعال : هي ما يقي أسفل القدم من الأرض .
 الخفاف : هي ما ستر أسفل القدم وأعلاه .
 الرداء : قطعةٌ واحدة من القماش ليست مخيطة ، ولا مفصلة على قدر البدن ولا على قدر أعلاه .
 فالرداء والإزار والوشاح واللحاف والريطة والملاءة كلها لباسٌ يصلح أن يكون لأعلى البدن أو أسفله ، ويسمى الرداء والإزار ثوبا .
 والمحرم بالحج أو العمرة مأمورٌ بكشف القدمين ، فعليه لبس النعلين ؛ لأن ظهور القدمين مقصودٌ في الإحرام . ولا يجوز للرجل المحرم أن يغطي

رأسه ووجهه ، أما المرأة فتغطي رأسها ، وتكشف وجهها إلا إذا كانت بحضرة رجال أجنبٍ فتغويه .

بيوت الله ﷻ :

بيوت الله التي يتعبد بها الخلق ثلاثة :

الأول : العرش العظيم الذي تطوف به الملائكة : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [غافر: ٧] .

الثاني : البيت المعمور ، فوق السماء السابعة ، والذي هو مُتَعَبَدُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ : ﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكَنْبِ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقِّ مَنَشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ ﴾ [الطور: ١-٤] .

الثالث : بيت الله ، وهو الكعبة في الأرض : ﴿ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

فالكعبة بيت الله ، باختيار الله ومساجد الأرض بيوت الله باختيار خلق الله ، وهذا وهذا كله مسجداً للسجود لله ﷻ ؛ ولهذا كان بيت الله وهو الكعبة باختيار الله قبلة لبيوت الله التي بناها خلق الله في الأرض : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨ ﴾ [الجن: ١٨] .

فالذي يصلي أمام الكعبة قبلته الكعبة ، والذي يصلي خارج المسجد قبلته المسجد الحرام ، والذي يصلي في جهات الدنيا قبلته جهة المسجد الحرام في مكة كما قال سبحانه : ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٤] .

أنواع الأحكام :

لله ﷻ : سننٌ كونية .. وسننٌ شرعية .

فالسنن الشرعية هي الدين ، وهو مجموعٌ في خمسة أمور :

إيمانيات .. عبادات .. معاملات .. معاشرات .. أخلاق .

قال الله تعالى : ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

والسنن الكونية نوعان :

الأول : سننٌ كونيةٌ ثابتة لا تتغير أبدا ، مثل طلوع الشمس من المشرق

وغروبها في المغرب ، ومثل ظهور النبات في الأرض ، ومثل خروج

الكلام من اللسان ونحو ذلك : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ

لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [المعارج: ٢٣] .

الثاني : سننٌ كونية متغيرة :

فالماء ينزل بقدرة الله من السحاب ، وأحيانا لا ينزل؛ لأن الله ﷻ لم يشأ

نزوله، فالرياح لم ترفعه إلى منطقة باردة في السماء ليتكثف ثم يمطر ، فالماء

ينزل من السحاب بأمر الله، والملائكة تدبر الريح بأمر الله، فإذا لم ينزل الماء

نستغيث بالله ، ونستسقي ، فيأمر الله الملائكة بالسقي : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ

الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الشورى : ٢٨]

وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا

أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧] .

أقسام الناس :الناس اثنان :

تقي .. وفاجر .

فالفاجر هو الذي يفجر ، ويفسد في الأرض ، فيقتل أو يزني أو يسرق ونحو ذلك ، فالذي يستحق السجن هو المنحرف الذي ضر نفسه أو ضر غيره ، فهذا يستحق العقوبة بإبعاده وعزله عن الناس .

والسجن نوعان :

الأول : سجنٌ و إبعادٌ تأديبي ، بترك المنحرف حرًا طليقًا في المجتمع لا يكلم أحد ، ولا يكلمه أحد .

الثاني : سجن المجتمع عنه ، فلا يكلمه أحد ، كالثلاثة الذين خُلفوا حيث أمر الرسول ﷺ بهجرهم ؛ ليعيش المنحرف حالة عزلةٍ وشدة ، ليعرف مقدار ذنبه ، فيتوب إلى ربه .

الثاني : سجن المنحرف بعزله عن الناس ، حتى لا يضرهم ، كما في السجن لمن قتل أو سرق أو زنى أو شرب الخمر ، حتى يتم الحكم عليه .
فالسجن الأول لمن عنده قوة الإيمان والعلم بالأحكام ، والثاني لمن عنده ضعف الإيمان ، مع علمه بالأحكام .

وأعظم السجون هو سجن الإنسان عن الإيمان بالله ، وعن طاعته ، وعن عبادته وحده لا شريك له ، فالشيطان يجر الناس إلى المعاصي ، ثم إلى نار جهنم : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٠-٦٢] .

والخير كله بحذافيره في الجنة ، والشر كله بحذافيره في النار ، والدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ، كما قال النبي ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . أخرجه مسلم ^(١) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١/٢٩٥٦).

٩ - الخزانة التاسعة

فقه استلام الحجر الأسود :

استلام الحجر الأسود عند ابتداء الطواف ، وفي أول كل شوط ، سنة مشروعة ، ولا يشرع استلام الحجر الأسود في غير الطواف بالكعبة .

ولا استلام الحجر الأسود مراتب :

الأولى : استلام الحجر باليد ، ثم تقبيله بالفم .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله » . أخرجه البخاري ^(١) .

الثانية : استلامه باليد ، ثم تقبيل اليد .

عن نافع قال : رأيت ابن عمر استلمه بيده ، وقبل يده ، واخبر أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله . أخرجه مسلم ^(٢) .

الثالثة : استلام بعضا ونحوه ، ثم تقبيل طرف ذلك العصا الذي استلم بها الحجر .

عن أبي الطفيل قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويستلم الركن بمحجن معه ، ويقبل المحجن . أخرجه مسلم ^(٣) .

الرابعة : الإشارة إليه باليد اليمنى أو بشيء دون تقبيل .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت على بعير كلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكبر . أخرجه البخاري ^(١) .

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٦١١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٦/٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٢٧٥/٢٥٧).

حكم سجود الشكر :

سجود الشكر من أعظم ما يشكر به العبد ربه على نعمة ؛ لما فيه من الخضوع لله ؛ ولما فيه من شكر الله بالقلب واللسان والجوارح .

وسجود الشكر مشروع في الأحوال الآتية :

إذا حصلت للمسلمين نعمة عامة ، أو اندفعت عنهم نقمة .

وإذا حصلت للمسلم نعمة خاصة ، أو اندفعت عنه نقمة .

سواء تسبب في ذلك أو لم يتسبب ، ولا يسجد المسلم للشكر أثناء الصلاة ، كما أنه يشرع سجود الشكر عند رؤية مبتلى في دينه أو بدنه أو ماله . وسجود الشكر لا يشترط له ما يشترط الصلاة من الطهارة ، وستر العورة ، واستقبال القبلة وغيرها ، بل يسجد حسب حاله، لكنه مع تلك الأمور أولى.

وسجود الشكر ليس له تكبير في أوله ، ولا في آخرة ، وليس له تشهد ولا تسليم ، وإنما يشرع للساجد أن يقول ما يقال في سجود الصلاة ، وما يناسب المقام من حمد الله وشكره واستغفاره .

وسجود الشكر سجدة واحدة ، وهو مشروع للقائم والقاعد ، والماشي والراكب ، ويجوز قضاء سجود الشكر إذا لم يتمكن من أدائه في وقته بعذر من جهلٍ أو نسيان ونحوهما .

والسجود المفرد من غير سبب تقرباً إلى الله من البدع المحرمة ، لأنه لم يرد في كتاب ولا سنة .

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٦١٣).

عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَانَ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسْرُهُ أَوْ يَسِّرُ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى » . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند حسن^(١) .

حكم الصلاة داخل الكعبة :

تجوز صلاة الفريضة و النافلة داخل الكعبة ، وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الكعبة صلاة النافلة ، وما صح في النفل صح في الفرض .

ويحرم المرور بين يدي المصلى ، ويجوز في حال الضرورة ، وفي حال الحاجة الملحة المرور بين يدي المصلي مطلقاً ، كما هو الحال عند الزحام في الطواف بالكعبة في مناسبات الحج أو العمرة ، ولا إثم على المار ؛ لأن الضرورات تبح المحذورات .

ويجوز المرور بين أيدي المأمومين في المسجد الحرام وغيره ، لكن الأولى ألا يمر إلا عند الحاجة ، لئلا يشوش على المصلين .

ويحرم المرور بين يدي الإمام والمنفرد داخل المسجد الحرام وغيره ، في غير حال الضرورة والحاجة .

الفرق بين المرأة البكر والثيب :

المرأة البكر هي التي لم يمسه أحد ، والثيب من زالت بكارتها بنكاح صحيح ، أو شبهة نكاح ، أو ملك يمين، وهي التي جربت النكاح ومارسته . أما من زالت بكارتها بزنا أو غصب ، فهذه لم تمارس النكاح ، فلها حكم البكر ، وإذا طلقها أو مات عنها ولم يجامعها ، فهي في حكم البكر .

(١) حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٧٧٤)، وابن ماجه برقم: (١٣٩٤).

ومن زالت بكارتها بغير جماع كمن زالت بكارتها بوثة أو أصبع ونحو ذلك ، فحكمها حكم البكر ، لأنها بكر حقيقة ، ولأنها لو زنت أقيم عليها حد البكر ، إلا إنها ليست عذراء .

حكم تزويج البكر والثيب :

أولاً : لا يجوز للأب أو لغيره من الأولياء تزويج الثيب البالغة إلا برضاها ، وإذنها لا يكون إلا بالنطق .

ثانياً : لا يجوز للأب أن يزوج ابنته الصغيرة الثيب ولا غيره إلا برضاها .

ثالثاً : يجوز للأب تزويج ابنته الصغيرة البكر التي لم تبلغ تسع سنين ، ولا خيار لها إذا بلغت ، إذا زوجها من رجل كفاء .

ويجوز للولي غير الأب تزويج البكر الصغيرة إذا بلغت تسع سنين بإذنها ، ولا خيار لها ، وليس له تزويجها قبل ذلك .

وقد زوج أبو بكر الصديق رضي الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم عائشة وهي بنت ست سنين .

والمرأة إذا زوجت بغير إذنها ، وهي ممن يجب استئذنها ، فإن العقد موقوف على إجازتها .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الثَّيْبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ، وَالْبِكْرُ يَسْتَأْذِنُهَا أَبُوهَا فِي نَفْسِهَا ، وَإِذْنُهَا صِمَاتُهَا » .
أخرجه مسلم^(١) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٢١/٦٧).

أقسام الأحكام الشرعية :

الأحكام الشرعية تنقسم إلي قسمين :

الأول : العبادات : وهي أركان الإسلام الخمسة ، وما يتبعها من الآداب والأذكار والأدعية وغيرها من الفرائض والنوافل .

الثاني : المعاملات : وهي أربعة أنواع :

الأول : المعاملات المالية كالبيع والإجارة والشركة ونحوها .

الثاني : المعاملات الشخصية، كالنكاح، والطلاق، والظهار، ونحوها، كالمواريث .

الثالث : معاملات القضاء، كالإقرار، والأيمان، والشهادة، ونحوها، من المعاملات .

الرابع : معاملات القصاص والجنايات ، والحدود كحد الزنا والسرقة ونحوهما .

والواجبات الشرعية إما فرض عين ، أو فرض كفاية .

والفرق بين فرض العين ، وفرض الكفاية ، أن الأمر إذا تعلق بالفاعل فهو فرض عين كالصلاة والصوم ونحوهما ، وإذا تعلق بالعمل فهو فرض كفاية كالأذان والإفتاء ونحوهما .

مقدار وليمة النكاح :

أولم النبي ﷺ بحيس حين تزوج صفية ، وأولم بشاة حين تزوج بزینب بنت جحش ، وأولم بأكثر من شاة حين تزوج ميمونة في مكة ، فليس للوليمة حد معين ، فيكون بحسب العرف ، وبحسب اليسر والعسر ، وبحسب كثرة الناس وقتلهم ، بلا إسراف ولا مباحة .

ووقت الوليمة المسنون بعد الدخول بالزوجة ؛ لأنه المنقول من فعل النبي ﷺ ، والأمر فيه سعة من حين العقد إلى انتهاء أيام العرس .

أنواع الطلاق :

الطلاق على أربعة أوجه :

وجهان حلال وهما :

الأول : أن يطلق المرأة في طهر لم يجامعها فيه .

الثاني : أو يطلق زوجته حاملا قد استبان حملها .

ووجهان حرام وهما :

الأول : أن يطلق زوجته وهي حائض .

الثاني : أو يطلقها في طهر جامعها فيه ، وهذا كله في طلاق المدخول بها .

أما من لم يدخل بها فيجوز طلاقها طاهرا أو حائضا .

ومن الطلاق المحرم أن يطلقها ثلاثاً بكلمة واحدة أو كلمات ، وهذا

الطلاق لا يقع إلا واحدة ؛ لأن الطلاق إنما يقع على زوجة في عصمته لا

مطلقه ، وهي تطلق هنا من الطلقة الأولى .

أقسام الإحداد :

الإحداد على الميت ينقسم إلى قسمين :

الأول : الإحداد الشرعي وهو إحداد المرأة على زوجها المتوفى عنها أربعة

أشهر وعشرا .

الثاني : إحداد المرأة على غير زوجها ثلاثة أيام .

فقه المشتبهات :

الحلال بيّن ، والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات ، والمشتبهات هي المشكلات ، وهي كل ما يحتمل أن يكون من الحلال البيّن أو الحرام البيّن .
والمشتبهات أنواع كثيرة :

الأول : ما تعارضت فيه الأدلة الشرعية وهو قسمان :

أحدهما : ما لم يترجح لدى المجتهد حِله ، ولا تحريمه .

الثاني : وما يترجح لديه حِله ، لكن عنده بعض التردد في حكمه ، لقوة الدليل المعارض له .

الثاني : ما اختلف فيه العلماء ، وأشكل عليه معرفة الأقرب للصواب .

الثالث : أن يشبه الشيء الذي أصله مباح من جهة واقعه ، والحالة التي هو عليها ، هذا حكمه أنه باقٍ على أصله ، لكن الورع اجتنابه من أجل هذه الشبهة ، ومن هذا النوع :

اختلاط الحرام بالحلال كأموال السراق والفساق ، فإن الورع ترك معاملة هؤلاء ، وعدم قبول هداياهم ، وعدم الأكل من موائدهم ، ولا يحكم بتحريم شيء من ذلك ؛ لأن الأصل في الأموال الحل ، ولا يحرم منها إلا ما تيقن العبد حرمة بعينه .

الرابع : الاشتباه في وجود الصفة التي أنيط بها الحكم الشرعي .

الخامس : ما حصل فيه التردد ، هل هو مباح أم لا ؟ .

السادس : ما ورد في النهي عنه حديثٌ ضعيف .

السابع : ما ثبت حكمه بالقياس الذي اختلف فيه أهل العلم .

الثامن : ما ورد في النهي عنه نص عام ، وكانت هذه الصيغة من الصيغ التي اختلف في دلالاتها على العموم .

التاسع : المباح إذا كان يفضي أحياناً إلى الوقوع في المحرم ، مثل الإكثار من الأكل من الطيبات التي تفضي إلى كثرة الاكتساب والبطر ، والانشغال بها عن العبادة .

وحكم المشتبهات أنها مباحة ، لكن الأولى والورع تركها ، والبعد عنها ، فيجب على كل مسلم أن يكون بيعه وشراؤه ، وطعامه وشرابه ، وسائر معاملاته على السنة البينة الواضحة ، فيأخذ الحلال البين ، ويتعامل به ، ويجتنب الحرام البين ، ولا يتعامل به ، أما المشتبه فينبغي تركه ؛ حماية لدينه وعرضه ، وصيانةً له من الوقوع في الحرام .

عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ وَإِنَّ الْحُرَامَ بَيْنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحُرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه^(١).

أحكام العيد :

العيد اسم لما يعود ويتكرر مرة بعد أخرى .

وهو تعظيم زمن لذات الزمن ، وليس في الإسلام إلا ثلاثة أعياد :

عيد الفطر ، وعيد الأضحى كل عام ، والجمعة عيد الأسبوع .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، ومسلم برقم: (١٥٩٩/١٠٧)، واللفظ له.

أما أعياد الموالد والزواج والتعيين على الوظائف وغيرها فهي بدعة ، لما فيها من تعظيم الزمن ، سواء كان ذلك احتفالاً ، أو طعاماً أو تهنئة عند مرور ذلك الزمان : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وعن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (١) .

حكم الإحداد الجاهلي :

الإحداد الشرعي ينقسم إلى قسمين :

إحداد على الزوج أربعة أشهر وعشرة أيام ، وهذا واجب .

وإحداد على غيره ثلاثة أيام ، وهذا جائز .

أما الإحداد الجاهلي ، وهو كل إحداد يخالف الإحداد الشرعي ، ومنه الإحداد الجاهلي المعاصر ، وهو الإحداد العام في الدول على موت رئيس ، أو عظيم أو حلول مصاب عام .

ومن مظاهره الجاهلية في هذه المناسبات : تنكيس الأعلام ، وإيقاف

الأعمال ، وتغيير برامج الإعلام ، وهذا كله من البدع المحدثه : ﴿ فليحذر

الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] .

فقد توفي سيد الخلق ﷺ ، وتوفي الخلفاء الراشدون فلم يفعل الصحابة

شيئاً من ذلك ، وهذا الإحداد إنما أخذه بعض المسلمين عن الكفار ، ومن

تشبهه يقوم فهو منهم : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ

غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

[النساء: ١١٥] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، و مسلم برقم: (١٧/١٧١٨)، واللفظ له.

١٠ - الخزانة العاشرة

فقه اليمين :

اليمين هو القسم بالله ، أو اسم من أسمائه ، أو صفة من صفاته ، على أمر من الأمور ؛ لتأكيدهِ ومن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك .

قال النبي ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » . أخرجه الترمذي وأبو داود ^(١) .

أقسام اليمين :

الأيمن أربعة أقسام ، يمينان يكفران ، ويمينان لا يكفران .

اليمينان اللذان يكفران كأن يقول الإنسان : والله لأفعل كذا وكذا ، ويفعل .

أو يقول : والله لأفعلن كذا وكذا ، فلا يفعل .

واليمينان اللذان لا يكفران كأن يقول : والله ما فعلت كذا وكذا ، وهو قد فعل ، أو يقول والله لقد فعلت كذا وكذا ، وهو لم يفعل ، فهذه وما قبلها هي اليمين الغموس ، وفاعلها آثم ، ولا كفارة لها ؛ لأنها أغلظ إثماً من أن تكفرها كفارة اليمين .

واليمين الغموس من أعظم الكذب ؛ وهي تغمس صاحبها في النار .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (١٥٣٥) ، وأبو داود برقم (٣٢٥١) .

حكم اليمين :

يخرج الحالف من عهدة اليمين بواحد من ثلاثة أشياء :

الأول : إبرارها ، بفعل ما حلف عليه .

الثاني : الكفارة ، وهي جائزة قبل الحنث وبعده ؛ فإن كانت الكفارة قبله فهي محللة ، وإن كانت بعده ، فهي مكفرة .

الثالث : الاستثناء بنحو : إن شاء الله ، كأن يقول : والله سوف أسافر إن شاء الله .

ومن فعل المحلوف عليه ناسياً أو جاهلاً فلا حنث عليه ؛ لأنه معذورٌ بجعله أو نسيانه والله يقول : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .
فقال الله : قد فعلت : أخرجه مسلم^(١) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥] .

ولا ينبغي الإكثار من الحلف في كل مناسبة : ﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾^(١٠)
هُمَا زِمَاءُ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ^(١١) [القلم: ١٠-١١] .

أما قول الإنسان في كلامه اليومي : لا والله ، وبلى والله ، فهذا من اللغو ولا يؤخذ عليه لكن الأولى البعد عنه ، وعدم فعله : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرْتُمْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةٍ

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٢٦/٢٠٠).

أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ
 ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ [المائدة: ٨٩] .

الفرق بين الناسي والمخطئ :

الناسي ، أن يفعل الشيء المنهي عنه ناسياً ، كمن قتل الصيد في الحرم ، أو الإحرام ناسياً أنه في الحرم ، أو ناسياً أنه محرم .

والمخطئ أن يفعل ما له فعله فيصيب ما لم يقصده ، كأن يرمي غرضاً فيصيب إنساناً فيقتله من غير قصد قتله ، ولا إثم على المخطئ والناسي كما قال سبحانه : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] . فقال الله : قد فعلت : أخرجه مسلم^(١) .

لكن إذا تعلق الخطأ أو النسيان بإتلاف مال أو دم فعليه ضمانه أو ديته .
 حكمة النسخ :

النسخ في الشريعة يكون في الأحكام لافي الأخبار . ويجوز نسخ الأخف بالأثقل ؛ لأنه أكثر أجراً كنسخ التخيير بين الصيام والإطعام في صيام رمضان بإيجاب صوم رمضان كما قال سبحانه : ﴿فَمَنْ شَرِهَدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

ويجوز نسخ الأثقل بالأخف ؛ لأنه أسهل منه ، كنسخ إعتداد المتوفي عنها زوجها بسنة إلى أربعة أشهر وعشرا .

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢ (١٢٦/٠٠) .

أما النسخ بالمثل فكان النسخ للقبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام في مكة ، وفي هذا النسخ حكم منها :

أولاً : أنه سقط به احتجاج كفار مكة ، حيث قالوا للنبي ﷺ : تزعم أنك على ملة إبراهيم ، ولا تستقبل قبلته .

ثانياً : سقطت به حجة اليهود حيث قالوا للنبي ﷺ : تعيب ديننا وتستقبل قبلتنا ، وقبلتنا من ديننا .

وسقطت به حجة علماء اليهود الذين عندهم في التوراة أنه ﷺ يؤمر باستقبال بيت المقدس ، ثم يؤمر بالتحول عنها إلى استقبال الكعبة : ﴿ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [١٤٩] وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّيَ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٩-١٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١٠٦] أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٠٦-١٠٧] .

[١٠٧]

فضل الرجال على النساء :

خلق الله ﷻ الذكور والإناث ، وجعل لكل منهما خصائص ينفرد بها عن الآخر : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ (٢٠) ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١) [الروم: ٢٠-٢١] .

وفضّل الله الرجال على النساء في أصل الخلقة والطبيعة ، فالمرأة الأولى وهي حواء خلقت من ضلع الرجل الأول وهو آدم ﷺ ، فهي جزء منه ، والرجل أكمل وأقوى من المرأة، والعقل يقضي بأن الناقص الضعيف يلزم أن يكون تحت الكامل القوي في خلقته ؛ ليجلب له ما ينفعه ، ويدفع عنه ما يضره .

قال النبي ﷺ: « الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ » . أخرجه مسلم (١) .

لهذا جعل الله الرجل هو المسئول عن المرأة في جميع أحوالها كما قال سبحانه ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَتْ قَدِينَتُكَ حَافِظَتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْلِ تَحَافُونَ نَشْوَاهُ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (٣٥) [النساء: ٣٤-٣٥] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٦٧/٦٤) .

وخص سبحانه الرجال بالرسالة ، والنبوة ، والخلافة ، دونها كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾ [يوسف: ١٠٩] .

وملَّك الله الرجل الطلاق دونها ، وجعلها للولي في النكاح دونها ، وجعل انتساب الأولاد إليه لا إليها ، وجعل شهادة الرجل في الأموال بشهادة امرأتين ، وجعل شهادته في الحدود والقصاص دونها ، وجعل له مثل حظ الأثنتين من الميراث ؛ لأنه ينفق عليها ، وجعل ديتها نصف دية الرجل لعظم المصيبة بفقد الرجل .

فسبحان العليم الخبير بأحوال خلقه .

حكمة إباحة تعدد الزوجات :

أباح الإسلام تعدد الزوجات إلى أربع ، لمن قدر على العدل ؛ لحكم عظيمة منها أن المرأة الواحدة تحيض وتمرض وتنشغل بالولادة ونحوها من الأعذار المانعة من أخص لوازم الزوجية ، والرجل مستعد ومطالب بزيادة نسل الأمة ، فلو حُبس عليها في حال أعذارها ؛ لتعطلت منافعه .

ومنها أن الرجال أقل عددًا من النساء ، فلو قصر الرجل على واحدة ؛ لبقى عدد كبير من النساء محرومًا من الزواج ، ومن ثم يقع في الفاحشة ، وتكثر الفاحشة بين الرجال والنساء .

ومنها أن النساء كلهن مستعدات للزواج ؛ لأنه لا عائق لهن ، وكثير من الرجال يعوقهم الفقر عن الزواج ، فلو قصر الزواج على واحدة لضاع كثير من المستعدات للزواج ؛ لعدم وجود أزواج ، فيقعن في الفاحشة .

فالتعدد مباح في الكتاب والسنة؛ لمصلحة المرأة في عدم حرمانها من الزواج ولمصلحة الرجل في عدم تعطل منافعه في حال قيام العذر بالمرأة الواحدة، ولمصلحة الأمة بتكثير نسلها الذي يعبد الله، ويقاوم عدوها : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْهَى فَاَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِ وَتِلْكَ وَرُبِعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣] .

فقه الوكالة :

أولاً : لا يجوز التوكيل إلا في شيءٍ تصح النيابة فيه ، فلا تصح في فعل محرم ؛ لأن التوكيل من التعاون على البر والتقوى ، ولا يجوز التعاون على الإثم والعدوان كما قال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] .

ولا تصح الوكالة في عبادة محضة كالصلاة والصوم ونحوها ؛ لأن ذلك مطلوب من كل أحد بعينه ، لكن يجوز قضاء الصوم الواجب عن الميت .

ثانياً : يجوز التوكيل في المطالبة بالحقوق ، سواء كان الموكل حاضراً أو غائباً ، وسواء كان مريضاً أو صحيحاً ، فإن كان الموكل معروفاً بالظلم والجبروت ، والإدعاء بالباطل ، فلا يُقبل منه التوكيل لقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥] .

وتجوز الوكالة بعوض ، وبدون عوض .

فقه هلاك الأمم :

قدر الله مقادير الخلائق مربوطة بأسبابها كما قال النبي ﷺ : « قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان وعرشه على الماء » . أخرجه مسلم (١) .

فقدر سبحانه مقادير الخلائق مربوطة بأسبابها ، فإذا أراد الله ظهور ما قدره ، وإهلاك من سبق في علمه أن يهلكه ، أمر الناس بطاعة الله ، وتصديق رسوله وإتباعهم فخرجوا عن طاعة ربهم ، وعصوا رسوله ، وكذبوهم ، فحق عليهم القول بالتدمير فأهلكهم إهلاكاً مستأصلاً : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦] .

فالله لا يأمر بالفحشاء ، ولا يأمر بالفسق ثم يعذب على ذلك : ﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤٣] .

فالله يأمر بالعدل والإحسان، ولا يأمر بالفواحش والمنكرات، بل ينهى عنها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٢٨] قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/٢٦٥٣) .

تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ [الأعراف: ٢٨-٣٠].

حكم أهل الفترة :

أهل الفترة معذورون في الدنيا ، لكن الله يوم القيامة يمتحنهم ، فمن أطاع
 دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار ، فيأمرهم سبحانه في عرصات القيامة
 باقتحام النار ، فمن اقتحمها دخل الجنة ، وهو الذي كان يصدق الرسل لو
 جاءته في الدنيا ، فينكشف علم الله فيه بسابق السعادة ، ومن امتنع عن
 اقتحامها دخل النار ، وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا ،
 فينكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ
 أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

فالله وحده هو الذي يعلم ما كانوا فاعلين لو جاءتهم الرسل ، ويلحق بهم
 كل مجنون ، ومعتوه ونحوهما من أهل الأعذار .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥].

نقص الأرحام ، وزيادتها :

الله ﷻ وحده هو العليم بكل شيء ، هو عالم الغيب، والشهادة، والله ﷻ
 وحده يعلم بالحمل من بدايته، ويعلم زيادته، ونقصه كما قال سبحانه : ﴿
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ
 بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَن أَسْرَرَ
 الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد: ٨-١٠].

[١٠].

فالله جل جلاله عالم بما تنقصه الأرحام ، وما تزيده ، فالغيض هو النقص الذي يشمل نقص العدد ، ونقص العضو من الجنين ، ونقص جسمه إذا حاضت عليه أمه فتقلص ، ونقص مدة الحمل .

أما ما تزد الأرحام فيشمل زيادة العضو كاليد أو الأصبع ونحوهما ، وزيادة العدد ، وزيادة الجسم إذا لم تحض وهي حامل ، وزيادة مدة الحمل عن المعتاد .

وأقل مدة الحمل ستة أشهر ، وغالبه تسعة أشهر ، ولا حد لأكثره .
والحامل لا تحيض وما تراه من الدم دم فساد ، وأكثر مدة النفاس أربعون يوماً وقد تصل إلى ستين يوماً ، ولا حد لأقله .

فسبحان العليم بكل شيء القادر على كل شيء الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

فسبحان ربنا العظيم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ،
والذي جميع مخلوقاته في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، مسبحة بحمده
وشاهدة بوحدانيته ، ومستجيبه لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، وخاضعة
لأمره ، ومنقادة له ، ومتصاغرة لكبريائه : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ
دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيهَا إِنْ رَزَقْنَاهَا مِنْ لَدُنَّا فَتُحَدِّثْكُمْ عَنْ عِلْمِكُمْ إِذْ رُزِقْتُمْ مِنْهُ مِنْ قَبْلِهِ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ لَكَبِيرَاتٍ مِمَّا قَدْ ضَلُّوا فِيهَا وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ لَكَبِيرَاتٍ مِمَّا قَدْ ضَلُّوا فِيهَا وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ لَكَبِيرَاتٍ مِمَّا قَدْ ضَلُّوا فِيهَا ﴾ [هود: ٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٤﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٣٠- خزائن الأحكام العامة

القسم الثاني

ويشتمل على ما يلي:

- | | |
|---------------------|----------------------|
| ١ - الخزانة الأولى | ٦ - الخزانة السادسة |
| ٢ - الخزانة الثانية | ٧ - الخزانة السابعة |
| ٣ - الخزانة الثالثة | ٨ - الخزانة الثامنة |
| ٤ - الخزانة الرابعة | ٩ - الخزانة التاسعة |
| ٥ - الخزانة الخامسة | ١٠ - الخزانة العاشرة |

٣٠- خزائن الأحكام العامة

القسم الثاني

١ - الخزانة الأولى

أسباب وجوب النفقة :

أسباب وجوب النفقة ثلاثة :

الزوجية .. والقرابة .. والملك .

والفرق بينها أن سبب الزوجية معاوضة ، فالنفقة في مقابلة الاستمتاع والرضاع لأولاده ؛ ولهذا لا تسقط بإعسار الزوج ، ولا بمضي الزمان بخلاف نفقة الأقارب والمماليك .

والأقارب أصول ، وفروع ، وحواشي .

فالأصول من تفرعت منهم من آباء وأمهات ، والفروع من تفرعوا منك من بنين وبنات ، والحواشي من تفرعوا من أصولك ، فيدخل فيهم الإخوة والأعمام والأخوال .

وذوي الأرحام من الأصول كل ذكرٍ بينه وبين المنفق أنثى مثل أبي الأم ، وأم أبي الأم .

وذوي الأرحام من الفروع كل ذكرٍ بينه وبين المنفق أنثى مثل ابن البنت ، وبنت البنت .

فذوي الأرحام من الأصول والفروع تجب لهم النفقة بشروطها ، ولا نفقة مع اختلاف دين ؛ لانقطاع المولاة والمناصرة ، ولكن تجب الصلة بحسب

القربة ، والصلة غير النفقة : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَبِّلُواكُم فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَيُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨] .
شروط وجوب النفقة :

شروط وجوب النفقة على الإنسان أربعة :

الأول : غنى المنفق .

الثاني : حاجة المنفق عليه .

الثالث : اتفاق الدين .

الرابع : أن يكون المنفق ورثاً للمنفق عليه بفرض أو تعصيب أو رحم إلا في عمودي النسب فلا يشترط ذلك .

حكم إرضاع الولد :

أولاً : إن كانت الزوجة في عصمة الزوج ، وجب عليها إرضاع ولدها ؛ لأن لها النفقة مقابل الاستمتاع والرضاع .

ثانياً : إذا تراضى الزوجان بأن يرضعه غيرها جاز .

ثالثاً : إذا اختلف في الرضاع فقال الزوج : أريد أن يرضع إبني من اللبن الصناعي ، وقالت هي : أريد أن أرضعه أنا مني ، فالحق للزوجة .

رابعاً : إذا كانت الأم في غير حبل الزوجية كالمطلقة فلها أن تطلب من أبيه أجره المثل ، مقابل الرضاع : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وَّجَدِكُمْ وَلَا نَضَارُوهُنَّ لِنَضِيْقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أَوْلَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بِبَيْنِكُمْ مِّمَّعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسَرِّضْهُ لَهَا أُخْرَىٰ ﴾ [الطلاق: ٦] .

حكم الحضانة :

الحضانة هي حفظ الطفل ونحوه عما يضره ، والقيام بمصالحه .

وتجب الحضانة لثلاثة :

١- الصغير .

٢- والمعتوه : وهو مختل العقل .

٣- والمجنون : وهو مسلوب العقل بالكلية .

والحضانة حق للحاضن ، لا حق عليه ، فمن أراد أن يتخلى عنها فله ذلك ، وتنتقل إلى من بعده إلى أن تصل إلى الحاكم .

ويُقدم في الحضانة الأقرب مطلقاً ، سواءً كان الأب أو الأم ، أو من جهة الأب أو من جهة الأم ، فإن تساويا في القرب كأم ، وأب ، قُدمت الأنثى ، وهي الأم ، فإن كان ذكراً أو أنثيين فإنه يقرع بينهما ، إذا كان في جهة واحدة ، فأم وجد تُقدم الأم ؛ لأنها أقرب ، وأب ، وجدة يقدم الأب ؛ لأنه أقرب ، وأم وأب تُقدم الأم ؛ لأنهما تساويا في القرب ، فتُقدم الأنثى ، وجد وجدة تُقدم الجدة ، والخال والخالة تُقدم الخالة وهكذا ، وجدة من جهة الأب ، وجدة من جهة الأم ، تُقدم الجدة من جهة الأب ، فإذا كان في جهة واحدة تكون قرعة ، وإذا كان في جهتين قدمنا جهة الأبوة .

شروط الحاضن :

يُشترط في الحاضن ما يلي :

الإسلام .. والحرية .. والعدالة .. والبلوغ .. والعقل .. والقدرة على الحضانة .. وأن يكون محرماً لمن بلغت سبع سنين .

حكم النفقة على الزوجة :

النفقة واجبة على الزوج لزوجته ، وله أن يعطيها ما شاء ، وإذا حصل بينهما نزاع فالمعتبر حال الزوج ، حسب استطاعته .

فإن كان غنياً ألزم بنفقة غني ، وإن كان فقيراً ألزم بنفقة فقير ، كما قال سبحانه : ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آٰتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آٰتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧] .

مكان المحضون :

أولاً : إذا بلغ الغلام سبع سنين عاقلاً خيراً بين أبويه ، فكان مع من اختار منهما ، فإن لم يختار أقرع بينهما ، فإن اختار أمه كان عند أبيه نهاراً ؛ ليتدرب ويتعلم ، وعند أمه ليلاً ، وإن اختار أبيه كان عنده ليلاً ونهاراً ، ولا يمنعه من زيارة أمه .

ثانياً : الأنتى تكون عند أمها حتى يتسلمها زوجها ؛ لأن الأم أشفق من غيرها حتى من الأب ؛ لأن الأب سيخرج لمصالحه ، وتبقى البنت في البيت محرومة من أمها .

ثالثاً : يكون الذكر بعد الرشد حيث شاء .

رابعاً : لا يقر المحضون بيد من لا يصونه ، ولا يؤدبه ، ولا يحفظه كالفاسق ونحوه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] .

شروط التأديب :

التأديب هو التقويم والتهذيب والتربية .

ويشترط للتأديب خمسة شروط :

الأول : أن يكون المؤدب مستحقاً للتأديب .

الثاني : أن يكون المؤدب قابلاً للتأديب .

الثالث : أن يقصد المؤدب التأديب لا الانتقام لنفسه .

الرابع : أن تكون للمؤدب ولاية التأديب ، سواءً كانت ولاية عامة كالسلطان ، أو ولاية خاصة كما لو أدب الرجل ولده ، أو المعلم طلابه .

الخامس : عدم الإسراف في التأديب .

والإسراف مجاوزة الحد كميةً أو كيفيةً ، لأن المقصود من الحضانة التأديب لا التعذب : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] .
فمن أدب من هؤلاء بهذه الشروط لم يضمن ما تلف به ، لأنه مأذون له شرعاً ، وكل ما ترتب على المأذون فليس بمضمون ، وما ترتب على غير المأذون فهو مضمون ، فإن اختل شرط من هذه الشروط ضمن ، وإن تعدى إلى الغير ضمن كما لو أدب حاملاً فأسقطت ما في بطنها ضمن .

فقه صلاح الأمة :

صلاح الناس في كل زمان ومكان بطاعة الله ورسوله ، والتحاكم إلى شريعة الله في كل شيء .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣٠] .
نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ ءُولَئِكَ لَهُمُ ءَلْمَنٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [٨٢] ﴿ [الأنعام: ٨٢] .

وفساد أحوال الناس بمقدار بعدهم عن شريعة الله : ﴿ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [١٣٣] ﴿ وَمَنْ اَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَاِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ اَعْمَى ﴾ [١٣٤] ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ اَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴾ [١٣٥] ﴿ قَالَ كَذٰلِكَ اُنْتِكَ ءَايٰتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيْكَ ﴾ [١٣٦] ﴿ [طه: ١٢٣-١٢٦] .

ومن البلاء العظيم ، والفهم السقيم ، أن يظن بعض الناس أن ما حصل في الأمة من فساد الأحوال ، واضطراب الأمور ، بسبب تمسكهم بالدين ، فيوغلون في الإعراض عن دين الله ، ويتحاكمون إلى الطاغوت ، فيخرجون من النور إلى الظلمات ، ومن السعادة إلى الشقاء ، ويخسرون الأمان والطمأنينة ، والعزة والنصر : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَآ أَنزَلْنَا مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلٰلًا بَعِيْدًا ﴾ [٦٠] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنٰفِقِينَ يُصَدُّونَ عَنكَ صُدُوْدًا ﴾ [٦١] ﴿ [النساء: ٦٠-٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴾ [٥١] ﴿ [غافر: ٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْآيٰتِ ءَٰوَلِيَآءِ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٦٣] ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [٦٣] ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ لَا بُدِيْلَ لِكَلِمَتِ ٱللَّهِ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيْمُ ﴾ [٦٤] ﴿ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيْعًا هُوَ ٱلسَّمِيْعُ ٱلْعَلِيْمُ ﴾ [٦٥] ﴿ [يونس: ٦٢-٦٥] .

فقه الحدود :

يطلق الحد في الشريعة الإسلامية على عدة أمور :

الأول : تطلق الحدود على الواجبات كما قال سبحانه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [البقرة: ٢٢٩] .

فقد حدد الله الصلوات المفروضة ، وحدد مقادير الزكاة ، وهكذا سائر الواجبات لها حدٌ ووقت معلوم : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: ٦٣] .

ثانياً : وتطلق الحدود على المحرمات كما قال سبحانه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

فإن الله حرم الزنا والربا ، والخمر والسرقه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧] .
هذا في المحرمات .

وقال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [البقرة: ٢٢٩] .
هذا في الواجبات .

ثالثاً : وتطلق الحدود على الواجبات المقدرة شرعاً في معصية ، لتمنع من الوقوع في مثلها ، وتكفر ذنب صاحبها كالحدود الشرعية الواجبة ، كالزنا والسرقه والقذف ونحو ذلك .

رابعاً : ويطلق الحد على ما يحصل به التعريف للشيء ، فيقولون الحد هو الوصف المحيط بموصوفه ، المميز له عن غيره ، مثل حد الطهارة ، حد الصوم ، حد الزكاة أي تعريفه المميز له عن غيره .

خامساً : ويطلق الحد على المراسيم ، وهي العلامات التي تفصل بين جارين فيقال هذه حدود أرض فلان .

سادساً : ويطلق الحد على النصيب المقدر لكل وارث ، كما قال الله سبحانه في ختام المواريث : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء: ١٣-١٤] .

حكم الصغير والمجنون :

الصغير، والمجنون، والنائم ، مرفوع عنه القلم؛ لأن هؤلاء غير مكلفين، وكل من الصغير والمجنون ناقص في التصور، وناقص في التصرف؛ لعدم صحة القصد التام منه، فإذا اتلفوا شيئاً من الأموال ضمنوه ؛ لأنه حق للآدمي، ولا تلزمهم الواجبات؛ لأنهم غير مكلفين .

ومن سرق أو فعل الفاحشة من الصغار فلا يُقام عليه الحد؛ لأنه غير مكلف، لكن يعزره الإمام بما يردعه، ومن فعل ذلك من المجانين ، فلا يُقام عليه الحد ؛ لأنه غير مكلف ، فليس له قصد تام يعرف به ما ينفعه وما يضره، فهذا لا يعزر، ولا يُترك يُفسد في الأرض ، وإنما يُمنع عن ذلك بالحبس عند وليه، أو في الحبس العام منعاً للفساد الذي لا يحبه الله : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ [القصص: ٧٧] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيْقَ ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ يَفِيْقَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح^(١) .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٤٠٣) ، والترمذي برقم (٤٤٢٣) .

حكم العلم بالحكم :

من لم يبلغه الشرع بأن هذا الفعل مُكفّرٌ أو محرّم ، فإنه لا يؤاخذ به ، ولا إثم عليه ، لكن يضمن ما أخذ أو أتلف للأدمي ؛ لأن عدم المؤاخذة في رفع الإثم ، لا في الضمان : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٥] .

المحرمات في النكاح :

جميع أقارب الرجل من النسب حرامٌ عليه إلا أربع هي :

بنات عمه .

٢- بنات عمته .

٣- بنات خاله .

٤- بنات خالته .

بخلاف الأصهار ، فإن كل نساء الصهر حلالٌ له إلا أربع هن :

١- حلائل الآباء .

٢- حلائل الأبناء .

٣- أمهات النساء .

٤- بنات الزوجات .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي

حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ
تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ
لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ
بِهِ مِنْهُنَّ فَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ
بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ [النساء: ٢٣-٢٤] .

حكم الضيافة :

الضيافة أن يكرم الإنسان من قدم إليه ، ويُنزله بيته ، ويقدم له ما يليق به من
الأكل والشرب ونحو ذلك .

والضيافة من محاسن الإسلام ، ومن سُنن الأنبياء والمرسلين ، والضيافة
واجبة ، إكرام الضيف واجب ، وإكرامه من كمال الإيمان .

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ
فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ
إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٨] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ
جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » . متفق عليه ^(١) .

صفة إكرام الضيف :

إكرام الضيف بما جرت به العادة يختلف باختلاف الضيف والمضيف .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٨)، ومسلم برقم: (٤٧/٧٤)، واللفظ له.

فأما المضيف فيكرم بحسب حاله ، غنياً كان أو فقيراً .
فإذا نزل به فقيراً وهو فقير أكرمه بما تيسر من غير تكلف، وإذا نزل به غنياً
وهو فقير أكرمه بما قدر عليه .

وإن كان المضيف غنياً أكرم الناس بما وسع الله عليه ، كل على حسب حاله .
أما الضيف فالضيوف يختلفون ، فليسوا على حدٍ سواء كل شخص له إكرامٌ
وضيافةٌ تليق به، فالصاحب له إكرامٌ يليق به، والضيف الكبير عند الناس في
ماله أو علمه أو سلطانه له إكرامٌ يليق به، والشخص العادي من الناس له
إكرامٌ يليق به، فليُنزل الناس منازلهم .

حد الضيف :

الضيف الذي تجب ضيافته هو المسافر الذي مر بك مجتازاً ، لا المقيم ولا
المسافر الذي ينوي الإقامة يومين فأكثر ، وكل ما سوى ذلك من الضيوف
فُتستحب ضيافته ولا تجب .

ومدة الضيافة الواجبة أكثرها يومٌ وليلة ، وما فوقها صدقة ، ولا يجوز
للضيف أن يخرج المضيف بطول البقاء إلا إن لم يخرجه فله أن يبقى عنده .
عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ
فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ » . متفقٌ عليه^(١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٣٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٨/١٥).

٢- الخزانة الثانية

صفة اليمين :

اليمين : هي تأكيد المحلوف عليه بذكر معظم ، وهي القسم بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته .

وحروف القسم خمسة :

الواو .. والباء .. والتاء .. والهاء الممدودة .. والهمزة الممدودة .

والمشهور منها ثلاثة :

الواو .. والباء .. والتاء .

فالأم هي الباء ؛ ولهذا تدخل على المقسم به مقرونةً بالفعل مثل : أقسم بالله ، وتدخل على جميع الأسماء مثل : أقسم بالرحمن ، فهي أوسع أدوات القسم .

والواو أكثر استعمالاً من الباء ، ولكنها لا تقترن مع فعل القسم ، كأن تقول : والله لا اشتري هذه السيارة .

والتاء لا تدخل إلا على لفظ الجلالة فقط مثل : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٧] .

والهاء الممدودة يقسم بها أحياناً مثل : هالله لأدخلن .

والهمزة الممدودة مثل : أالله لأفعلن .

والهاء والهمزة لا تدخلان إلا على لفظ الجلالة فقط .

حكم اليمين :

اليمين تنقسم إلى خمسة أقسام :

فقد تكون واجبة ، أو مستحبة ، أو محرمة ، أو مكروهة ، أو مباحة .

والأصل في اليمين أن تركها أولى وأسلم ، فعلى المسلم ألا يُكثر منها ؛
لقوله سبحانه : ﴿ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلْفٍ مَّهِينٍ ﴾ ﴿ ١٠ ﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿ ١١ ﴾ [القلم: ١٠-١١] .

فتكون اليمين واجبة إذا كان المقصود بها إثبات حق ، أو في دعوى عند
القاضي ، ليدفع بها الظلم عن غيره ونحو ذلك .
وتكون مستحبة إذا توقف عليها فعلٌ مستحب .
وتكون محرمة إذا كانت على فعلٍ محرم ، أو ترك واجب ، كأن يقول والله
لا أصلي مع الجماعة ، أو تالله لأشربن الخمر .
وتكون مكروهة إذا توقف عليها فعلٌ مكروه .
وتكون مباحة إذا توقف عليها فعلٌ مباح .

كفارة اليمين :

الأصل وجوب البر باليمين ، ولكن الله ﷻ رحيمٌ بعباده ، رخص لهم في
الحنث من باب التخفيف ، وأوجب الكفارة على من حنث ، والكفارة تدل
على أن هناك ذنباً يحتاج إلى تكفير ، وهذا الذنب هو انتهاك حرمة المُقسم به
بالحنث .

والحنث فعل ما حلف على تركه ، أو ترك ما حلف عليه ، كأن يقول : والله
لا أشرب الحليب ، ثم شربه ، فهذا يُسمى حانثاً ، أو يقول والله لأزورن زيداً
اليوم ، ثم ذهب اليوم ولم يزره ، هذا يحنث ؛ لأنه ترك ما حلف على فعله .
واليمين التي تجب بها الكفارة إذا حنث هي الحلف بالله ، أو باسم من
أسمائه أو صفةً من صفاته ، كأن يقول : أقسم بالله ، أو يقول : ورب الناس
لأدخلن ، أو يقول : أقسم بمجيء الله للفصل بين عباده ، أقسم بوجه الله ،

أقسم بعظمة الله ، أقسم بآيات الله ، فهذه أيمانٌ منعقدة إن بر بها فلا شيء عليه ، وإن حنث فعليه الكفارة : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ ۖ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفْرُهُ ۚ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يبينُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٩] .

حكم الحلف بغير الله :

الحلف بغير الله شرك ، والشرك أعظم من الكبيرة ، فسيئة الشرك وإن صغرت أعظم من سيئة المعصية وإن كبرت ، كأن يحلف بنبي أو ملك أو رسول أو ولي أو بالشمس أو بالقمر أو بالجبل أو السماء أو الأرض أو غيرها من المخلوقات ، فالحلف بغير الله محرّمٌ وشرك ، ولا تجب به الكفارة ؛ لأنه يمينٌ غير شرعي ، وما ليس بشرعي لا يترتب عليه أثره ، فهو مردودٌ على صاحبه ، وصاحبه آثمٌ بالحلف به .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ » . متفقٌ عليه (١) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ » . متفقٌ عليه (٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا هَذَا فَهُوَ رَدٌّ » . أخرجه مسلم (٣) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٤٨) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٤٦).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٤٦/٣٣).
(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٧١٨/١٨).

﴿ وَالطَّارِقِ ﴾ ﴿ ١ ﴾ ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ : أما الله عز وجل فيقسم بما شاء من خلقه كقوله : [الطارق: ١] .

حكم إبرار القسم :

الحنث يقع من المقسم ، وكذا إبرار القسم والوفاء به ، اما إذا حلف على شخص كأن يقول لأخيه : والله لتدخلن بيتي ، فهذا الأفضل أن يبر بيمينه ما لم يكن عليه ضرر ؛ لأن إبرار القسم من حق المسلم على المسلم ، فإن كان فيه ضررٌ على المقسم عليه فلا يبر بيمينه ، كأن يقول له : أقسم عليك بالله أن تخبرني كم مالك ؟ وكيف تُعاشر زوجتك ؟ والكفارة تجب على الحالف ، لا على الحانث ؛ لأن الكفارة تتعلق بالحالف المتسبب .

ومن قال لغيره : والله لتدخلن قبلي ، وقصده الإكرام له لا الإلزام ، فلا تلزمه الكفارة إذا حنث ، أما إذا قصد الإلزام وحنث فعليه الكفارة . ويخير من لزمته كفارة يمين بين إطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم ، أو عتق رقبة ، فإن لم يجد صام ثلاثة أيامٍ متتابة وهو الأفضل أو متفرقة . والإطعام له كفتيتان :

الأولى : أن يصنع طعامًا يكفي عشرة مساكين غداءً أو عشاءً ، فيطعمهم إياه . الثانية : أن يُعطي عشرة مساكين عشر كيلو من أرزٍ ونحوه مع ما يتبعه من لحمٍ ونحوه ، أو يعطي كل مسكين كيلو ونصفٍ من الأرز . والإطعام له أربع حالات :

تارةً يُقدر المدفوع ، دون المدفوع إليه مثل : زكاة الفطر صاع . وتارةً يُقدر المدفوع إليه دون المدفوع مثل : إطعام كفارة اليمين لعشرة مساكين .

وتارةً لا يُقدر المدفوع ، ولا المدفوع إليه كالصدقة .

وتارةً يُقدر المدفوع والمدفوع إليه كالزكاة للفقراء والمساكين ونحوهم من أهل الزكاة .

أنواع اليمين :

اليمين التي تصدر من المسلم أنواع :

الأول : اليمين بالله كأن يقول : والله لأفعل كذا .

الثاني : اليمين بالنذر كأن يقول: إن فعلت هذا فلله علي نذر أن أصوم شهراً .

الثالث : اليمين بالطلاق كأن يقول : إن فعلت كذا فزوجتي طالق .

الرابع : اليمين بالتحريم كأن يقول : إن فعلت كذا فزوجتي علي حرام .

واليمين المشروعة للحالف والمُحَلِّف هي اليمين بالله ؛ لقول النبي ﷺ : « مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ » . متفقٌ عليه^(١) .

ولا يجوز للقاضي أن يُحْلِفَ بالطلاق ، أو بالتحريم ؛ لأن اليمين المشروعة هي اليمين بالله ﷻ أو باسم من أسمائه ، أو صفةً من صفاته .

حكم التسمية على الذبيحة :

يجب على المسلم عند الذبح أن يقول : بسم الله ، والتسمية شرطٌ لحل الحيوان ، ولا تسقط التسمية لا سهواً ولا جهلاً ولا عمداً ، فإذا فقدت التسمية لم تحل الذبيحة ؛ لأن التسمية شرطٌ لحل الحيوان المذبوح .

والشروط الثبوتية الوجودية لا تسقط بالسهو ولا بالجهل ، والذي ترك التسمية ناسياً أو جاهلاً لا إثم عليه ، لكن لا يلزم من انتفاء المؤاخذه صحة

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٤٦/٣٣).

العمل ، فلا نأكل مما لم يذكر اسم الله عليه ؛ لأن الله يقول : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام: ١٢١] .

ومن أكل مما لم يذكر اسم الله عليه ناسياً أو جاهلاً فلا إثم عليه ؛ لقوله سبحانه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] . فقال الله : قد فعلت : أخرجه مسلم^(١) .

والأصل في الفعل الصادر من أهله الصحة ، حتى يقوم دليل الفساد ، فمن ترك التسمية ناسياً ، فلا إثم عليه ، لكن ذبيحته لا تحل ؛ لأنه لم يذكر اسم الله عليها ، ومن صلى بغير وضوء ناسياً فلا إثم عليه ، لكن يجب عليه إعادة الصلاة ؛ لأنه لم يتوضأ ، والصلاة لا تصح بغير وضوء .

فقه أعمال الحج :

أعمال الحج ثلاثة أقسام :

منها ما يختص بالحج وحده كالوقوف بعرفة ، ومزدلفة ، والمبيت بمنى ، ورمي الجمار والهدي .

ومنها ما يشترك في الحج والعمرة كالإحرام ، والطواف ، والسعي ، والحلق ، والتقشير ، والتلبية .

ومنها ما يُشرع منفرداً عن الحج والعمرة ، وهو الطواف تطوعاً بالبيت العتيق الذي يُشرع للمحرم والمحل على حدٍ سواء والوقوف بعرفة ، والطواف بالبيت هما أعظم أعمال الحج .

الأول : من جنس السكون .

والثاني : من جنس الحركة .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٢٦/٢٠٠) .

ومن مر بالموافيت يريد الحج أو العمرة ، أو يريد مكة لتجارة وزيارة ونحوهما مما لا يتكرر ، فينبغي له أن يدخل مكة محرماً ، والنبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون لم يدخل أحد منهم مكة إلا محرماً ، إلا عام الفتح من أجل القتال ، وليس لأحد أن يقف بعرفة في موسم الحج إلا مكشوف الرأس محرماً إلا من كان معذوراً .

أقسام الحيلة على الربا :

الحيلة على أكل الربا ثلاثة أقسام :

الأول : ما يكون من طرف واحد كما إذا باعه سلعةً نسيئةً ، ثم اشتراها منه نقدًا بأقل من ثمنها .

الثاني : ما يكون من اثنين كما إذا جمع مع القرض بيعاً أو إجارة أو نحو ذلك .

الثالث : ما يكون من ثلاثة بأن يدخل بينهما محلل للربا ، فيشتري السلعة منه أكل الربا ، ثم يبيعها لمعطي الربا إلى أجل ، ثم يعيدها إلى صاحبها الأول بنقص دراهم يستعيدها المحلل .

حكم اختلاط الرجال بالنساء :

يجب على ولي الأمر أن يمنع اختلاط الرجال بالنساء في المدارس ، وأماكن العمل ، ومجامع الرجال ؛ لعظيم الفتنة التي تحصل بذلك ، فاختلاط الرجال بالنساء أصل كل بلية وشر ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة والخاصة ، كما أنه من أسباب فساد أمور الأمة ، وانتشار الزنا والفواحش ، والموت العام والطواعين المتصلة : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٤١]

[الروم : ٤١] .

عن أسامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجالِ مِنَ النساءِ » . متفقٌ عليه ^(١) .

فاختلاط الرجال بالنساء من أعظم الفتن التي تجر على الأمة الويلات والفساد ، فما أعظم عقوبة من دعا إلى ذلك : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ ^(١٠) [البروج: ١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ^(٢٠) [النور: ١٩-٢٠] .

واختلاط الرجال بالنساء في أماكن العمل ، وفي المدارس والجامعات وأمثالها ، كل هذا يجرب به الشيطان الرجال والنساء إلى الفتنة ، حتى يقعوا في الفاحشة : ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٢١) [النور: ٢١] .

اختياراتٌ فقهية :

حمل التراب من أجل التيمم بدعةٌ لم يفعلها أحدٌ من السلف .

والوضوء من الحدث الدائم كسلس البول ونحوه واجبٌ لكل صلاة .

والقصاص في إتلاف الأموال غير مشروع ؛ لأنه إفساد كأن يهدم داره فيهدم داره ، وإنما يضمنه بمثله أو قيمته .

والإطعام في كفارة اليمين ونحوها مقدرٌ بالعرف لا بالشرع ، فيطعم أهل كل بلد من أوسط ما يطعمون أهلهم قدرًا ونوعًا .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٩٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٧٤٠ / ٩٧).

وصدقة الفطر جاريةٌ مجرى صدقة الأبدان كالكفارات ، لا صدقة الأموال ، فسببها البدن لا المال ، فلا تُصرف إلا لمن يستحق الكفارة ، وهم الآخذون لحاجة أنفسهم من الفقراء والمساكين .

وصدقة الفطر تتبع الإنسان حيث كان في بلده أو غير بلده .

والإمام في صلاة التراويح إذا أوتر ، مخيراً في وصل الوتر وفصله ، وفي القنوت وتركه ، ويكون الفصل أكثر ، فيصلي ركعتين ، ثم يوتر بواحدة ، ويكون ترك القنوت أكثر .

وقراءة الفاتحة في صلاة الجنابة سنةً ، وإن لم يقرأ بل دعا جاز .

ومن كان مداوماً على قيام الليل ، أغناه عن المداومة على صلاة الضحى كما كان النبي ﷺ يفعل .

ومن كان ينام عن قيام الليل ، فصلاة الضحى بدل قيام الليل أفضل له ، والأفضل والأحسن والأكمل أن يداوم على هذا وهذا ، طلباً للأجر والثواب .

والجمع والقصر في السفر مشروع ، والجمع بين الصلاتين لا يفتقر إلى نية ، ولا تُشترط الموالاة في الجمع بين الصلاتين .

ويُستحب للجُنُب إذا أراد أن يأكل أو يشرب أن يتوضأ ، ويكره له النوم إذا لم يتوضأ ، كراهية أن تقبض روحه وهو نائم ، فلا تشهد الملائكة جنازته ، ووضوء الجُنُب يرفع الجنابة الغليظة .

وصلاة الاستسقاء صلاة رغبةٍ ورجاء ، وصلاة الكسوف صلاة رهبةٍ وخوف ، وبقية الصلوات صلاة رجاءٍ وخوف ، وقد أمر الله عباده أن يدعوه

خَوْفًا وَطَمَعًا كَالْأَنْبِيَاءِ : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

ويجوز الوقوف بعرفة راكبًا وماشيًا وقاعدًا ، والفضل يختلف باختلاف الناس ، فإن كان ممن إذا ركب رآه الناس لحاجةٍ إليه كعالمٍ يُفتيهم ، أو كان يشق عليه ترك الركوب كمريض وقف راكبًا ، والنبي ﷺ وقف راكبًا .

وهكذا الحج فمن الناس من يكون حجه راكبًا أفضل ، ومنهم من يكون حجه ماشيًا أفضل ، والأفضل ما يحضر فيه قلبه .

والحاج يقطع التلبية إذا وصل إلى عرفة ، ثم إذا أفاض من عرفة إلى مزدلفة لبي ، وإذا أفاض من مزدلفة إلى منى لبي حتى يرمي جمرة العقبة ، ولا تُشرع التلبية وقت الوقوف بعرفة ومزدلفة ، وإنما تُشرع في السير بينهما .

وليس على المفرد والقارن إلا سعيٌّ واحد ، أما المتمتع فقد أدى نسكين بإحرامٍ مستقل ، فعليه للعمرة سعي ، وعليه للحج سعي .

وإذا كان بين اثنين ما لا يقبل القسمة كحيوان ، وطلب الشريك البيع وقسمة الثمن ، أُجبر الآخر على ذلك .

وتُشرع الصلاة على الغائب الذي لم يصل على عليه ، وبعض الناس يُصلي كل ليلة على جميع من مات من المسلمين ، وهذه بدعة لم يفعلها أحدٌ من السلف : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: ٦٣] .

ومن ميقاته الجحفة كأهل الشام ومصر ، إذا مروا على المدينة فالأولى أن يحرموا من ذي الحليفة ، ويجوز لهم أن يحرموا من ميقاتهم ويؤخروه فيحرموا من الجحفة التي هي ميقاتهم .

والدم والقيء ونحوهما من النجاسات الخارجة من غير المخرج المعتاد لا تنقض الوضوء ولو كثرت ، فإن خرجت من أحد السبيلين نقضت الوضوء .

ويجوز التيمم للخوف من فوات صلاة الجنازة ، وفوات صلاة العيد ، وفوات الجمعة .

والإمام إذا أخطأ في الصلاة كان خطؤه عليه لا على المأموم .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : قَالَ : « يُصَلُّونَ لَكُمْ فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَإِنْ أخطأوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ » . أخرجه البخاري (١) .

فقه الأولويات :

أفضل العبادات في وقت الجهاد ، الجهاد في سبيل الله ، وإن آل إلى ترك بعض الأوراد والسُنن : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١] .
والأفضل وقت الأذان ترك الأوراد ، وقراءة القرآن ، والاشتغال بإجابة المؤذن ؛ لأن إجابة المؤذن عبادة تفوت بفوات الأذان .

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس المبادرة إليها ، وإيقاعها في أوقاتها على أكمل الوجوه : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] .

وقال ﷺ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] .
والأفضل في أوقات السحر الاشتغال بالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والذكر والدعاء ، والاستغفار : ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٨] .
وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١٥] نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [١٦] فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٩٤) .

والأفضل في وقت قراءة القرآن جمع القلب على تدبره وفهمه حتى كأن الله يُخاطبك : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٠٦) [الأعراف: ٢٠٤] .

والأفضل وقت حاجة المحتاج ، وضرورة المضطر ، الاشتغال بمساعدته ، وإغاثة لهفته : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤] .

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد والتضرع بالدعاء والذكر والاستغفار .

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة الإكثار من التعبد ، لاسيما التكبير والتحميد والتهليل ؛ لقول النبي ﷺ : « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ » . أخرجه البخاري والترمذي (١) .

ومن تنوعت أعماله الصالحة ، تنوعت كراماته في الجنة ، وارتفعت درجاته . والأفضل في العشر الأخيرة من رمضان لزوم المسجد فيها ، والخلوة ، والاعتكاف ، والصلاة ، والأذكار والإكثار من الدعاء وتلاوة القرآن : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ [القدر: ١ - ٥] .

وذلك لمداومة النبي ﷺ على ذلك .

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٢٦) ، والترمذي برقم (٧٥٧) .

والأفضل وقت مرض أخيك المسلم عيادته ، وعند موته شهود جنازته ،
وتعزية أهله .

والأفضل وقت الجهل ، وظهور البدع ، تعليم الناس أمور دينهم : ﴿ كُونُوا
رَبِّدِينِنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

والأفضل وقت حضور الضيف القيام بحقه وإكرامه ، كما قال النبي ﷺ : «
مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» . متفق عليه (١) .

والأفضل وقت انتشار الكفر والمعاصي الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ،
والنهي عن المنكر : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ
وَلِيَذْكُرُوا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

والدعوة إلى الله لها كل الأوقات ماعدا الفرائض والواجبات : ﴿ قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿ [يوسف: ١٠٨] .

والأفضل في كل وقت وحال ، إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت ، والقيام
بواجب ذلك الوقت ، وتلك الحال : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ١١١] .

﴿ وَمَا قَالَتْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿ [آل عمران: ١٦٣] .

[الأنعام: ١٦١-١٦٣] .

اللهم فقهنها في الدين واجعلنا من ورثة سيد المرسلين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٧/٧٤).

٣- الخزانة الثالثة

فقه الأحكام الشرعية :

حرم الله بعض الأشياء إما تحريمًا مطلقًا كتحرим الزنا ، والربا ، والغيبة ، والنميمة ونحو ذلك من المحرمات التي تضر الفرد وغيره .
أو تحريمًا مقيدًا إلى أن يتغير حال من الأحوال كتحریم نكاح المطلقة ثلاثًا على زوجها حتى تنكح زوجًا غيره ، وتحریم نكاح المحرم حتى يحل .
وأوجب الله ﷻ أشياء معلقة بأسباب إما لله كالزكاة إذا بلغ المال النصاب ، أو حقًا للعباد كالشفعة .

وشرع الله أسبابًا تُفعل لتحصيل مقاصد ، كما شرع العبادات لابتغاء فضله ، وكما شرع عقد البيع لنقل الملك بالعوض ، وكما شرع عقد القرض لإرفاق المقترض ، وكما شرع عقد النكاح للألفة والسكن بين الزوجين ، وكما شرع الخلع من الزوج ، لافتداء المرأة نفسها من رق بعلها ونحو ذلك : ﴿

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

وكما خضعنا لربوبيته سبحانه في خلقنا ، فيجب أن نخضع لإلوهيته في أفعالنا وحركاتنا : ﴿

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

حكم الحيل :

الحيلة أن يقصد الإنسان سقوط الواجب ، أو حل المحرم ، بفعلٍ لم يشره الله عز وجل .

والحيل محرمةٌ بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، لما فيها من خداع الله ، والاستهزاء بآيات الله ، والتلاعب بحدود الله ، وتغيير الأحكام الشرعية بالحيل الإبلسية .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَمُتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَبَاعَوْهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا » . متفق عليه ^(١) .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » . متفق عليه ^(٢) .

أفضل البلاد :

أفضل البلاد في حق كل شخص حيث كان أبر وأتقى لله تعالى ، كما أن أكرم الخلق عند الله أتقاهم ، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٢٢٢٣، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٥٨٢ .

(٢) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم: ١٥٥/١٩٠٧، واللفظ له، والبخاري برقم: ١ .

فأفضل البلاد في حق كل شخص حيث كان أبر وأتقى لله عز وجل ، سواءً كان هذا في مكة أو المدينة أو بيت المقدس أو الثغور وغيرها .
وعلى وجه العموم المرابطة في الثغور حال الخوف من العدو أفضل من المجاورة في الحرمين .

ومقام النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار في المدينة أفضل من مكة ؛ لأنهم مهاجرون ، ومجاهدون ، ومرابطون ، بخلاف مكة ، وأفضل الأعمال بعد الإيمان الرباط والجهاد في سبيل الله ، والإيمان لا يتم إلا بالجهاد : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥] .

وأعظم الجهاد وأعلاه هو الدعوة إلى الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ [٥١] فَلَا تَطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥١-٥٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ » . متفق عليه (١) .

وقصر الصلاة في السفر سنة نبوية ، ورخصة شرعية ، وقصر العدد سنة السفر ، وقصر العمل سنة الخوف ، وإذا اجتمع الأمران الخوف والسفر شرع القصر المطلق كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٠١] .

فقه كمال الدين :

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥١٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٣/١٣٥).

نصوص القرآن والسنة محيطة بجميع أحكام العباد الدينية والدنيوية والأخروية ، فقد بين الله ﷻ في كتابه الكريم ، وبين الرسول ﷺ في سنته ، جميع ما أمر الله به ، وجميع ما نهى الله عنه ، وجميع ما أحله ، وجميع ما حرمه ، وبهذا أكمل الله الدين مفصلاً بإنزال الكتاب والميزان ، ولكن قد يقصر فهم كثير من الناس عن فهم ما دلت عليه النصوص الشرعية ؛ لأنهم متفاوتون في الأفهام والعقول .

أما الدين فهو كامل ، والنبي ﷺ ترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، والله سبحانه حكمة ورحمة في كل ما خلق وأمر : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ [الإسراء: ١٢] .

ومن أعرض عن دين الله ، وحكم بغير ما أنزل الله ، فقد ضل سواء السبيل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرِيَّ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [٦٤] وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِیَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٤-٦٥] .

وقال الله تعالى مثنيًا على نفسه بإكمال هذا الدين : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠].

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ [٤٩] أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فقه علو الله ﷻ :

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

وصفات الرب جل جلاله ليست كصفات خلقه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

فالله ﷻ مستوٍ على العرش العظيم ، وليس مفتقرًا إليه ، واستواء الله على عرشه ليس كاستواء الملك المخلوق على سريره ، فإن الملك المخلوق مفتقرٌ إلى سريره ؛ ليحمله ، ولو زال سريره لسقط .

أما الله ﷻ فهو الغني عن كل ما سواه ، غنيٌّ عن العرش ، وكل ما سواه ، بل العرش مفتقرٌ إلى ربه في خلقه وبقائه .

وهو سبحانه خالق العرش ، وحملة العرش ، فالله خلق المخلوقات عاليًا وسافلًا ، وجعل العالي غنيًا عن السافل ، كما جعل الهواء فوق الأرض ، وليس محتاجًا إليها ، وجعل السماء فوق الهواء وليست مفتقرةٌ إليه

ليحملها ، فالله ﷻ في علوه أعظم وأجل من أن يحتاج إلى من دونه من خلقه من العرش وغيره: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكٰذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يونس: ٦٨-٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِوٰنٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضٰى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١١٦-١١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] .

فقه تكليف الثقيلين :

أولاً : الثقلان هما الجن والإنس ، وقد ثبت بالكتاب والسنة أمر الثقيلين ، بالإيمان بالله وعبادته وحده لا شريك له ، فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَفْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا شٰهَدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَشٰهَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذٰلِكَ أَنْ لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكًا الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٠-١٣١] .

ثانياً : ثبت بالكتاب والسنة أن محمداً ﷺ رسولٌ إلى الجن والإنس معاً في سورة الرحمن ، وفي سورة الأحقاف كما قال سبحانه في سورة الأحقاف : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ ۗ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢].

وقال الله تعالى في سورة الجن : ﴿ قُلْ أُوْحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۗ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدًّا رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقْعَدًا لِلِّسَمْعِ ۗ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُّعْجِزَهُ ۗ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ۗ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۗ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ ۗ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن: ١-١٥] .

وَعَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ : أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ قَالَ لَا ، وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأُودِيَةِ وَالشَّعَابِ فَقُلْنَا : اسْتَطِيرَ أَوْ اغْتِيلَ ، قَالَ : فَبِتْنَا بِبَشَرٍ لَيْلَةَ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءَ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ ، قَالَ : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِبَشَرٍ لَيْلَةَ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ ، فَقَالَ : « أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ » .

قَالَ : فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ : « لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذِكْرٌ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَّ مَا يَكُونُ لَحْمًا ، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلْفٌ لِدَوَابِّكُمْ » .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ إِخْوَانِكُمْ » . أخرجه مسلم^(١) .

والبشر منهم الأنبياء والرسل ، والجن منهم النذر .

ومن لوازم التكليف الثواب والعقاب :

عقاب الكافر والعاصي ، وثواب المؤمن والمطيع ، ويبيح الجن والإنس يوم القيامة جميعاً ، وكذلك البهائم والوحوش تُبعث ثم يُقتص لبعضها من بعض ، ثم يُقال لها كوني تُراباً .

والمعاد يوم القيامة للروح والبدن ، ينعمان ويعذبان بحسب العمل ، وكلُّ سوف يُحاسب على عمله من الجن والإنس ، ثم بعد ذلك يكون الثواب والعقاب ، فيدخل المؤمنون من الإنس والجن الجنة بإيمانهم وأعمالهم الصالحة ، فضلاً من الله ورحمة .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٥٠/١٥٠) .

ويدخل الكفار والعصاة من الجن والإنس النار ، فيعاقبون فيها ، فيُخلد الكفار ، ويخرج العصاة بعد تطهيرهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن: ١٤-١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١-٧٢] .

ومن لم يكلف في الدنيا من الأطفال والمجانين ، ومن مات في الفترة ، هؤلاء يمتحنون يوم القيامة ، فمن أطاع دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار .

أما أطفال المؤمنين فهم مع آبائهم في الجنة .

٤ - الخزانة الرابعة

حكم زيارة القبور :

زيارة القبور مشروعة سواء كان الميت مسلماً أو كافراً .

لكن يُفْرَق بينهما في الزيارة كما يلي :

أولاً : الكافر ، يُزار قبره للعتة والاعتبار ، وتذكر الموت ، ولا يجوز الدعاء له بالرحمة ، ولا الاستغفار له ، لأنه مات كافراً .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ ، فَبَكَى وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ ، فَقَالَ : « اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي ، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ » . أخرجه مسلم^(١) .
وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لِحُومِ الْأَصْحَابِ فَوْقَ ثَلَاثِ ثَلَاثٍ فَأَمْسِكُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ » .
أخرجه مسلم^(٢) .

ثانياً : المؤمنون ، تُزار قبورهم للاعتبار ، وتذكر الموت ، والدعاء لهم بالرحمة والاستغفار لهم عند الدفن ، وبعد الدفن .

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لِلْآحِقُونَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ » . أخرجه مسلم^(٣) .
وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا » .
أخرجه مسلم^(٤) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٧٦/١٠٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٩٧٧/١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٩٧٥/١٠٤).

ثالثًا : الدعاء حين زيارة الميت المسلم من جنس الدعاء في صلاة الجنازة كل ذلك حقٌ للميت ، وعملٌ صالحٌ من الحي .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ : وَلَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ » . أخرجه مسلم^(١) .

وَعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ : آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ » . أخرجه مسلم^(٢) .

رابعًا : دعاء الأموات ، والسجود عند قبورهم ، وسؤالهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، كل ذلك من جنس الشرك بالله ، فلا يجوز لأحدٍ فعله : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦] .
وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، قَالَتْ : وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ » . متفقٌ عليه^(٣) .

فضل الصلاة على الجنازة وإتباعها حتى تُدفن :

السُّنَّةُ إِتْبَاعُ الْجَنَازَةِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا ، وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا ، وَإِتْبَاعُ الْجَنَائِزِ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ .

أما الصلاة على الجنازة فسُنَّةٌ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مَعًا .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقَيْرِاطَيْنِ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٧٧/١٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٣٢/٨٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٣٣/٨٨).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٣٠)، ومسلم برقم: (٥٢٩/١٩)، واللفظ له.

كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحَدٍ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ . متفقٌ عليه^(١) .

ولا يجوز للنساء زيارة القبور ، ولا إتيان الجنائز .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ . أخرجه الترمذي وابن ماجه بسندٍ حسن^(٢) .

لكن إذا مرت المرأة بالمقبرة بدون قصد زيارة ، فيُسن أن تسلم على أهل القبور ، وتدعو لهم بما ورد من غير أن تدخلها ، كما وصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بذلك حيث قال : « قُولِي : السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلْآحِقُونَ » . أخرجه مسلم^(٣) .
فقه الشهادات :

شهادة النساء تنقسم إلى قسمين :

الأول : نوعٌ يُقبل فيه شهادة النساء منفردات كالرضاع ، والاستهلال ، والولادة ، والحيض ونحو ذلك مما تراه بعينها أو تلمسها بيدها ونحو ذلك مما يخص النساء .

الثاني : نوعٌ لا يُقبل فيه شهادة النساء إلا مع الرجال ، وهو جميع الأحكام ، إلا القصاص والحدود ، فيقبلن مع الرجال في الأموال ، والنكاح ، والطلاق ، والوصية وغيرها ، ويقبلن منفردات فيما لا يطلع عليه إلا النساء كالحيض ونحوه .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٤٥ / ٥٢).

(٢) حسن / أخرجه الترمذي برقم: (١٠٥٦)، وابن ماجه برقم: (١٥٧٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٩٤٧ / ١٠٣).

حكم شهادة الفاسق :

لا تقبل شهادة الفاسق وخبره لأمرين :

أحدهما : عدم الوثوق به ، إذ يحمله فسقه وعدم وقار الله في قلبه على الكذب .

الثاني : هجره على إعلانه بفسقه ، ليرتدع عنه .

والعدالة شرط في الشهادة ، ولكن العدالة تتبع بعض ، فيكون الرجل عدلاً في شيء ، فاسقاً في شيء ، فإذا تبين للقاضي أنه عدلٌ فيما شهد به قبل شهادته ، ولم يضره فسقه في غيره ، قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ ﴿٦﴾ [الحجرات: ٦] .

وإن كان الناس كلهم فساقاً إلا القليل قبلت شهادة بعضهم على بعض ، ويحكم بشهادة الأمثل فالأمثل من الفساق .

حكم شهادة الكافر :

شهادة الكافر لها حالتان :

إما أن تكون على كافر .. وإما أن تكون على مسلم .

أولاً : فشهادة الكفار بعضهم على بعض تجوز للحاجة ، سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً ، وقد أمر الله ﷻ بالحكم بينهم إذا جاءوا إلينا ، فإذا تجاحدوا وقامت البينة منهم ، ولم يحضرهم أحدٌ من المسلمين ، حكمنا بينهم بالعدل ؛ ليصل إلى كل ذي حقٍ حقه ، وإذا لم نحكم بينهم أدى ذلك إلى تظالمهم ، وضياع حقوقهم ، وفي ذلك فسادٌ عظيم لهم ولغيرهم كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

[المائدة: ٤٢] .

وليس في قبول شهادتهم إكرام لهم ؛ لأن الحكم بينهم مقصوده دفع شر بعضهم عن بعض ، وعن المسلمين ، وإيصال الحق إلى صاحبه بقول من يرضونه ، ومن كان منهم معروفاً بالكذب لا نقبله ، ولا نلزمهم بشهادته .

عَنْ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أُنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ ، قَدْ أَحَدْنَا جَمِيعًا ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا تَجِدُونَ فِي كِتَابِكُمْ ، قَالُوا : إِنَّا أَخْبَارَنَا أَحَدُنَا تَحْمِيمَ الْوَجْهِ وَالتَّجْبِيَةَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ : ادْعُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالتَّوْرَةِ ، فَأَتِيَّ بِهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَلَامٍ : ارْفَعْ يَدَكَ فَإِذَا آيَةُ الرَّجْمِ تَحْتَ يَدِهِ : فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَجِمَا . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَرَجِمَا عِنْدَ الْبَلَاطِ ، فَرَأَيْتُ الْيَهُودِيَّ أَجْنَأَ عَلَيْهَا . متفق عليه (١) .

ثانياً : تُقبل شهادة الكفار على المسلمين في السفر والحضر عند الضرورة إذا لم يوجد غيرهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فءَاخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهَدْتِهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٦-١٠٨] .

فُتقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض ، وفي شهادتهم على المسلمين مع أيمنهم إذا عُدِم المسلمون .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨١٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٩٩/٢٦).

عموم العقوبة :

كل من شارك أهل البغي والعدوان ، وأهل الباطل ، فإنه يكون معهم في الإثم والعقوبة ، والعقوبة إذا وقعت تعم الصالح والطالح ، والبار والفاجر ، والمؤمن والكافر ، ولا تترك أحدًا ، ثم يوم القيامة يُبعث الناس على نياتهم ، ولا يسلم إلا من كان قائمًا بأمر الله ، أمرًا بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢٥) [الأنفال: ٢٤- ٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٥) [الأنعام: ٤٤- ٤٥] .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ إِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ . قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ؟! قَالَ : يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ » . متفق عليه^(١) .

فقه كمال النية :

تكمل النية في كل عمل بثلاثة أشياء :

الأول : نية العبادة كالصلاة ونحوها .

الثاني : نية الإخلاص بأن تكون لله وجل .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢١١٨) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٨٤ / ٨) .

الثالث : نية أنه قام بها امتثالاً لأمر الله .

فمثلاً تنوي صلاة الظهر ، وتنوي أنك تُصلي لله لا لغيره ، وتستحضر أنك

تصلي امتثالاً لأمر الله حيث قال : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [١٤] .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : « إِنَّمَا

الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه ^(١) .

حكم السفر إلى بلاد الكفار :

السفر المشروع الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم هو السفر للحج والعمرة ، والجهاد

في سبيل الله ، والدعوة إلى الله .

ولا يجوز السفر إلى بلاد الكفر إلا بثلاثة شروط :

الأول : أن يكون عند المسافر علمٌ يدفع به الشبهات .

الثاني : أن يكون عنده دينٌ وتقوى وورعٌ يحميه من الشهوات المحرمة .

الثالث : أن يكون محتاجاً إلى السفر لمرضٍ ، أو تجارة ، أو طلب علم

ليس عند المسلمين ، وهم محتاجون له ونحو ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

أما السفر للدعوة إلى الله ، فواجبٌ على المستطيع ؛ لإبلاغ دين الله لقول الله

صلى الله عليه وسلم : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذُكَّرَ أُولُو

الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٤) ، ومسلم برقم (١٩٠٧) .

وقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

وقد ابتلي كثير من المسلمين بالسفر إلى بلاد الكفار ، والاختلاط بهم ، ورؤية المنكرات ، وجرهم الشيطان إلى تلك الديار ؛ ليتأثروا بأحوالهم ، ويقلدوهم في صفاتهم ، ثم يرجعون إلى بلادهم يحدثون بما رأوا من أحوال الكفار وصفاتهم وديارهم .

ونتج من ذلك تقليد اليهود والنصارى وسائر الكفار في عاداتهم ولباسهم وطريقة حياتهم ، كما قال النبي ﷺ : « لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوً الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ . قَالُوا : الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : فَمَنْ ؟ » . متفق عليه (١) .

فليحذر العبد من ذلك ، وليلزم بيئة المؤمنين ، ولا يدخل بيئة الكفار إلا لضرورة ، وإلا للدعوة إلى الله : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: ٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] .

وكل إنسانٍ مسئولٌ عن شبابه فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن وقته ماذا عمل به ؟ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢] - [٩٣] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري ريقم (٣٤٥٦) ، ومسلم برقم (٢٦٦٩) .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٢-١١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٦-٧٠] .

وليعلم كل مسلم ومسلمة أن الله ﷻ قد خلقه وهداه واشتراه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١] .
فهو مسئول بين يدي ربه عن عشرة أمور :

فيسأل في قبره من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟

ويسأل يوم القيامة عن شبابه فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن وقته ماذا عمل به ؟ .

ويسأل كذلك في عرصات القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [القصص: ٦٥] .

وقال سبحانه : ﴿ أَمَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [النمل: ٨٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠] .

٥ - الخزانة الخامسة

حكم الغيبة والنميمة :

الغيبة والنميمة محرمتان ، فالغيبة محرمة ، لما فيها من الضرر العظيم على الأمة ، وأعظم الغيبة غيبة العلماء والدعاة إلى الله ؛ لأن غيبة غيرهم من الناس غيبة شخصية لا تضر إلا الذي اغتاب ، والذي قيلت فيه الغيبة ، لكن غيبة العلماء والدعاة إلى الله تضر الإسلام كله ؛ لأن العلماء حملة لواء الإسلام ، فإذا سقطت الثقة بأقوالهم سقط لواء الإسلام .

وإذا كانت لحوم الناس كما يأكل الميتة ، فإن لحوم العلماء ميتة مسمومة ؛ لما فيها من الضرر العظيم على الأمة : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٢-١٣] .

فالغيبة محرمة ، بل هي من الكبائر .

والغيبة ذكرك أخاك بما يكره ، والنميمة نقل الكلام بين الناس .

فالغيبة محرمة بل هي من كبائر الذنوب ، ولاسيما إذا كانت الغيبة في العلماء والدعاة وولاية الأمور ، فغيبة هؤلاء أشد من غيبة سائر الناس ؛ لأن غيبة العلماء تقلل من شان العلم ، وغيبة الأمراء والحكام تقلل من هيبة شأن السلطان ، ومن ثم لا يقبل الناس من العلماء ، ولا يخضعون للأمراء ، فيتمردون عليهم .

وإذا استهان الناس بالعلماء ، وتمردوا على الأمراء فلا تسأل عن الفوضى ، واضطراب الأمور : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البروج: ١٠] .

حكم الصرع :

الصرع هو المس ، وهو صرع الجن للإنس .

والصرع ينقسم إلى قسمين :

الأول : صرع سببه تشنج الأعصاب ، وهذا مرض عضوي يمكن أن يُعالج كغيره من قبل الأطباء بدواء يسكنه أو يُزيله .

الثاني : صرع سببه تسلط الجنى على الإنسى فيصرعه ، ثم يغمى عليه من شدة الصرع ، ثم يتكلم الجنى على لسانه .

وقد ثبت هذا النوع بالقرآن والسنة والواقع : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

وهذا النوع يُعالج بالقراءة من الإنسان نفسه ، بقراءة الفاتحة والمعوذات وغيرها من القرآن والسنة كما ورد في الرقية الشرعية ، أو يُعالج بالقراءة من أهل العلم والتقوى .

فإذا وقع مثل هذا فيدفع الإنسان ذلك عن نفسه بالأوراد الشرعية صباحاً ومساءً ، وبالرقية الشرعية التي جاءت في القرآن والسنة .

حكم تمني الموت :

لا يجوز للإنسان أن يتمنى الموت لضرٍ نزل به ، فربما يكون الموت شرًا عليه ، وربما إذا بقي يتوب ويرجع إلى الله ، فتمنى الموت يدل على ضجر صاحبه ، وعدم صبره على قضاء الله ، والأحسن أن يكمل أمره إلى الله الذي هو أرحم بالإنسان من نفسه .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي » . متفق عليه ^(١) .

وأما تمنى الموت على صفة يرضاها الله سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ فهذا جائز ، كأن يتمنى أن يتوفاه الله على الإسلام والإيمان والإخلاص ، وهو راضٍ عنه ، كما في دعاء يوسف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَليُّيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١] .

فقه الكسوة :

كل إنسان محتاجٌ إلى كسوة تستر عورته حسًا ، ومحتاجٌ إلى إيمانٍ وعملٍ صالحٍ يستر عورته معنًى ؛ لأن التقوى لباس القلب ، والقماش لباس الجسد ، وكلُّ منهما لازم ، وكلُّ منهما نعمة من الله وحده .

فالطعام كسوة البدن باطنًا من عُري الجوع ، والكسوة ستر البدن ظاهرًا ، والهداية ستر القلوب والنفوس من عيوب الذنوب والأخلاق :: ﴿ يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦] .

وقال الله سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي : إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَيَّ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ ، يَا عِبَادِي : إِنَّكُمْ تَخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٥١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٨٠ / ١٠).

جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَعْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي : إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْيَ ، فَتُضْرُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي ، فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي ، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِي : إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ .
« . أخرجه مسلم (١) .

فستر الأبدان بالثياب حسن ، وستر القلوب بالتوحيد والإيمان والأعمال الصالحة أحسن : ﴿ وَلِبَاسِ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦] .
حكم الديون :

تحمل الديون عظيم يُولد الهم والفرقة ، وسداد الديون ثقل على النفوس ؛ لهذا لا ينبغي للإنسان أن يستدين إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، فلا يستدين لزواج ، ولا لبناء بيت ، ولا شراء أشياء لا حاجة لها ضرورية ، كل هذا من السفه ، والحل أن يستعفف الإنسان حتى يرزقه الله : ﴿ وَلَيْسَتَّعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [النور: ٣٢] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧ / ٥٥) .

فإذا كان هذا في النكاح الذي يعف الإنسان به نفسه عن الوقوع في فاحشة الزنا ، فما بالك بما هو دونه .

ومن أخذ أموال الناس يريد أداءها أداها الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله .

والدين هو كل ما ثبت في الذمة من ثمن بيع أو قرض أو أجره أو غير ذلك : ﴿ وَمَا ءَأْتِكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: ٦٣] .

حكم إجابة الدعوة :

من حق المسلم على أخيه إذا دعاه أن يجيبه ، إذا كان الداعي مسلماً ، ولم يكن مجاهراً بالمعصية ، ولم تكن الدعوة مشتملة على معصية لا يستطيع إزالتها ، ولم يكن ثم مانع لديه يمنعه من الحضور .

وتجب إجابة الدعوة في العرس خاصة .

فإن كان الداعي غير مسلم فلا تجب الإجابة ، وتشرع إجابة دعوة الكافر لمصلحة كرجاء إسلامه ، أو تأليف قلبه ؛ لأن النبي ﷺ أجاب دعوة يهودي في المدينة .

وإن كان الداعي مسلماً مجاهراً بالمعصية كحلق اللحى وشرب الدخان علناً أو غير ذلك من المحرمات ، فإن إجابته ليست بواجبة ، وإن كان في إجابته مصلحة أجابه ، وإن كان ليس في إجابته مصلحة فلا يجبه .

وإن كان ليس في إجابته مصلحة نظرت ، فإن كان في عدم إجابته مصلحة ، فلا تجبه لعل الله أن يهديه ، وإن كان لا فائدة من ذلك فأنت بالخيار .

وإن كان في الدعوة منكر ، فإن كان الإنسان قادراً على التغيير وجب عليه الإجابة ؛ لإزالة المنكر ، وإجابة دعوة أخيه ، وإن كان المنكر لا تستطيع تغييره كالأغاني وشرب الدخان ونحو ذلك من المعاصي الظاهرة ، فلا تجوز إجابته ؛ لأن حضور المحرم ولو مع كراهة الإنسان له بقلبه يكون فيه الإنسان مشاركاً للفاعل كما قال سبحانه : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٤٠﴾ . [النساء: ١٤٠] .

وفي مثل هذه المجامع العامة كالأعراس والحفلات يجمع الشيطان بين الناس ؛ لينشر بينهم الفاحشة ، ويأمرهم بالفحشاء والمنكر إلا من رحم ربك : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢١﴾ . [النور: ٢١] .

أقسام العورة :

العورة تنقسم إلى قسمين :

عورة حسية .. وعورة معنوية .

العورة الحسية هي ما يحرم النظر إليه كالقبل والدبر وما أشبه ذلك .

والعورة المعنوية هي العيب والخلق السيئ قولياً أو عملياً ، كالظلم والجهل والفسوق ونحو ذلك .

فالإنسان إما أن يرتكب الخطأ عن عمد فيكون ظالماً ، وإما أن يرتكب

الخطأ عن جهل فيكون جهولاً ، هذه حال الإنسان إلا من عصم الله ﷻ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ۗ

وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣] .

ولما كان الإنسان من طبيعته النقص والتقصير والعيب، فالواجب على المسلم نحو أخيه أن يستر عورته، ولا يشيعها إلا من ضرورة أو مصلحة راجحة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أخرجه مسلم (١) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أخرجه مسلم (٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ، قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ » . أخرجه مسلم (٣) .

حكم الستر على الإنسان :

الستر ينقسم إلى قسمين :

الأول : ستر محمود ، وهو ستر الإنسان الذي لم يجري منه عدوان أو فاحشة إلا نادراً ، هذا ينبغي أن يستر وينصح ، ويبين له أنه على خطأ ليركبه : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

العقاب﴾ [المائدة : ٢] .

(١) أخرجه مسلم برقم : (٧١/٢٥٩٠) .

(٢) أخرجه مسلم برقم : (٧٢/٢٥٩٠) .

(٣) أخرجه مسلم برقم : (٧٠/٢٥٨٩) .

وقال النبي ﷺ: « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ». متفق عليه (١).

الثاني: سترٌ مذموم، وهو ستر الإنسان المستهتر المتهاون في الأمور، الفاسق الشرير الذي يعتدي على الناس، هذا لا يُستر، بل المشروع أن يُبين أمره لولاة الأمر؛ ليردعوه عما هو عليه، ويكفوا شره عن الناس، وحتى يكون نكالا لغيره: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

فالستر يتبع المصالح، فإن كانت المصلحة في الستر فهو أولى، وإن كانت المصلحة في الكشف فهو أولى، وإن تردد الأمر بين هذا وهذا فالستر أولى، والله ستر يحب الستر وأهله.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً ، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». متفق عليه (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « حق المسلم على المسلم خمس ، ردُّ السَّلامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ ». متفق عليه (٣).

حكم إنظار المعسر :

يجب إنظار المعسر، ومن كان له غريمٌ معسر، فإنه يحرم عليه أن يطلب منه الدين، أو أن يطالبه به، أو يرفع أمره إلى الحاكم، بل يجب عليه إنظاره، ولا يجوز للحاكم حبسه، ومن طالب معسرا فهو آثم.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦)، ومسلم برقم (٢٥٨٥/٦٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٦٤/٣٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

ومن ضيق على أخيه المسلم المعسر فإنه يوشك أن يضيق الله عليه في الدنيا، أو في الآخرة أو فيهما معاً ، ويوشك أن يُعجل له بالعقوبة ، ومن العقوبة أن يستمر في مطالبة أخيه المعسر ؛ ليزداد إثماً : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ دُوَّ عُسْرَةٍ فَنَظْرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨٠) وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨٠-٢٨١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد: ١٩-٢٤] .

٦ - الخزانة السادسة

فقه الشفاعة بين الناس :

الشفاعة ؛ هي التوسط للغير في جلب منفعة ، أو دفع مضرة ، كان يتوسط لشخص ، ليحصل على عمل ، أو يشفع لشخص عند آخر ليسامحه ويعفو عن مظلمته .

والشفاعة أقسام :

الأول : شفاعة محرمة ، وهي الشفاعة في الحدود ، بعد بلوغها الإمام ، لما في ذلك من تعطيل حدود الله التي بها تصلح أحوال الناس .

عن عائشة رضي الله عنها : أن امرأة من بني مخزوم سرت فقالوا : مَنْ يَكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فلم يجترئ أحدٌ أن يكلمه ، فكلّمه أسامةُ بنُ زيدٍ ، فقال : إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ ، لو كانت فاطمةُ لقطعَتْ يَدَهَا . وفي رواية « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ؟ » . متفق عليه (١) .

الثاني : أن يشفع في شيء محرّم ، كان يشفع أحد لإنسان معتدٍ على أخيه ، أو يشفع لرجل على امرأة مخطوبة ، فهذا لا يحل له أن يشفع ؛ لأن الخطبة على الخطبة محرمة ، والشفاعة في المحرم تعاون على الإثم والعدوان والله ﷻ يقول : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢]

أو يشفع في شراء محرّم من خمر ودخانٍ أو قرض ربا ونحو ذلك فهذا كله لا يجوز ، لأنه من التعاون على الإثم والعدوان : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً ﴾

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٣٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١ / ١٦٨٩).

يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا ﴿٨٥﴾ [النساء: ٨٥] .

الثالث : الشفاعة في شيء مباح ، فهذه مشروعة ، وللإنسان فيها أجر ، كأن يريد شخصُ شراء بيت فتشفع له عند صاحبه في إنقاص الثمن ، أو تأجيل بعضه ، هذه الشفاعة حسنة ؛ لأن فيها إحسان إلى الغير : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا ﴿٨٥﴾ [النساء: ٨٥] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ ، أَوْ طَلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ ، قَالَ : اشْفَعُوا تُوجَرُوا ، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ . متفق عليه ^(١) .

حكم شهادة الزور :

شهادة الزور من أكبر الكبائر ، لما فيها من الظلم والضرر العظيم . فشاهد الزور أساء إلى نفسه ، وأساء إلى من شهد له ، وأساء إلى من شهد عليه .

أما إساءته إلى نفسه ، فإنه قد أتى كبيرةً من أكبر الكبائر ، وأما كونه أساء إلى من شهد له ، فلأنه سلطه على ما لا يستحق ، وسهل له أكل المحرم والباطل ، والشاهد يظن أنه محسنٌ لمن شهد له ، وأما كونه أساء إلى المشهود عليه فلأنه ظلمه ، وكذب عليه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّئْتَفَتُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ [النحل: ١١٦-١١٧] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٣٢) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٢٧/١٤٥).

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

وعن أبي بكر قال ، قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أُنبئُكُمْ بِأكْبَرِ الكَبَائِرِ ؟ قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ، وَعَعْقُوقُ الوَالِدَيْنِ وَكَانَ مُتَكِنًا ، فَجَلَسَ ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ : لَا يَسْكُتُ . متفق عليه (١) .

وعن أنس بن مالك قال : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الكَبَائِرَ أَوْ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ فَقَالَ : « الشِّرْكَ بِاللَّهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَعَعْقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، فَقَالَ : أَلَا أُنبئُكُمْ بِأكْبَرِ الكَبَائِرِ ؟ قَالَ : قَوْلُ الزُّورِ أَوْ قَالَ : شَهَادَةُ الزُّورِ . متفق عليه (٢) .

فقه صلة الرحم :

الأرحام ؛ هم الأقارب ، وصلة الأرحام تكون بما جرى به العرف ؛ لأن الله ﷻ لم يذكر في الكتاب ، والرسول ﷺ لم يبين في السنة ، نوعها ، ولا جنسها ، ولا مقدارها ، فما جرى به عرف المسلمين أنه صلة فهو صلة ، وما تعارفوا عليه أنه قطيعة فهو قطيعة .

وصلة الأرحام فضلها عظيم ، فمن أراد أن يصله الله فليصل رحمه ، ومن أراد أن يقطعه الله فليقطع رحمه جزاء وفاقا ، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل كان الله له أوصل ، وكلما وصل أو قصر جاءه من الثواب بقدر ما عمل : ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأَنْفَالُ: ٧٥] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٣ / ٨٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٨).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » . متفق عليه ^(١) .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخُلُقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلِكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ فَهُوَ لَكَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢] . متفق عليه ^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ اللَّهُ : مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ » . متفق عليه ^(٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها زوجها النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ » . متفق عليه ^(٤) .

صفة الواصل للرحم :

الواصل ؛ هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها ، فتكون صلة لله لا مكافأة لعباد الله ، ولا من أجل أن ينال بذلك مدحاً عند الناس ، فليس الواصل بالمكافئ الذي إذا وصله أقاربه وصلهم .

عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا » . أخرجه البخاري ^(٥) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٦)، ومسلم برقم: (٢١/٢٥٥٧)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٧)، ومسلم برقم: (١٦/٢٥٥٤)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٥٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٥٥).

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٤٥).

والمؤمن يبتغي الأجر من الله ، ويختار الأخلاق الحسنة ، ومن ضمنها العفو والوصل لمن أساء إليه ، فالمؤمن يعطي من حرمه ، ويعفو عن ظلمة ، ويصل من قطعة ، ويحسن إلى من أساء إليه : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٨٦) [البقرة : ٢٨٦] .

اغفر لنا : امحو عنا ذنوبنا حتى لا ندخل النار ، وارحمنا : اقبل طاعتنا حتى ندخل الجنة ، ولا أحد أرحم بعباده من ربهم أرحم الراحمين : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١١٣) [البقرة : ١٦٣] .
وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) [الحشر : ٢٢] .
اللهم فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين .

ولا بمك : لأحد أن يفوز بالجنة ، وينجو من النار ، إلا بفضل الله ورحمته ومغفرته : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨) [يونس : ٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْعَرُونَ ﴾ (٥٣) [النحل : ٥٣] .

وقال النبي ﷺ: « لَا يُدْخِلُ أَحَدَكُمْ الْجَنَّةَ عَمَلُهُ قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ مِنْهُ وَفَضْلٍ » . متفق عليه^(١) .
 فقه الوصية :

الوصية ؛ هي عهد الإنسان بعد موته إلى شخص بشيء يملكه .
 والوصية أنواع :

منها أن يوصي لفلان أن ينتفع بشيء من ماله بعد موته كالثالث أو الربع ونحوهما ، أو يعهد لشخص بالنظر على أولاده الصغار ، أو يوصي فلاناً بتفريق ثلث المال، أو يوصي فلاناً بقضاء ديونه وغير ذلك من أنواع الوصية.

حكم الوصية :

الوصية ثلاثة أقسام :

واجبة .. ومحرمة .. وجائزه .

أولاً : الوصية الواجبة

أن يوصي الإنسان بما عليه من الحقوق الواجبة من زكاة أو ديون للناس ، لئلا يجحدوا الورثة ، خاصة إذا لم يكن عليها بينة ، وكذا الوصية لأقاربه غير الوارثين إذا كان له مال كثير : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [١٨٠] فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ [البقرة: ١٨٠-١٨١] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْرَاءَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِي بِمَالِي كُلِّهِ قَالَ : لَا ، قُلْتُ : فَالْشَّطْرُ قَالَ لَا قُلْتُ : الثُّلُثُ ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨١٦/٧١).

قَالَ فَالثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ». متفق عليه^(١).

ثانياً : الوصية المحرمة :

كان يوصى لأحد الورثة بمال من بين سائر الورثة ، و الوصية لأحد الورثة لا تجوز مطلقا ، ومن أوصى بذلك فالحق للورثة ، إن شاءوا نفذوا ، وإن شاءوا ردوها ، والوصية لغير وارث بأكثر من ثلث لا تجوز .

قال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ ». أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٢).

ثالثاً : الوصية المباحة :

كأن يوصى الإنسان بشيء من ماله لا يتجاوز الثلث لغير وارث ، والوصية بما دون الثلث أفضل كالربع أو الخمس ، والحد الأعلى الثلث ، فلا يزداد عليه ، أما الوصية للوارث فلا تجوز مطلقاً ، ولا بد أن تكون الكتابة للوصية معلومة إما بخط يده ، أو بخط شخص معتمدٍ يشهد عليها .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ بَيْتٌ لِيَلْتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ ». متفق عليه^(٣).

أما إن كان المال قليلاً ، والورثة محتاجون ، فترك الوصية أولى ؛ لأن ورثته أولى من غيرهم بمال أبيهم .

فقه الرضاع المحرم :

يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، وذلك بثلاثة شروط :

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٢٨/٥).

(٢) صحيح / أخرجه ابن ماجه برقم: (٢٧١٣)، والترمذي برقم: (٢١٢٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٣٨)، ومسلم برقم: (١/١٦٢٧)، واللفظ له.

الأول : أن يكون اللبن من آدمية ؛ لقوله سبحانه : ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣] .

الثاني : أن تكون الرضعات خمساً فأكثر ، فلا تحرم المصاة ولا المصتان .

الثالث : أن يكون الرضاع في زمن الرضاع ؛ وهو ما قبل الفطام في الحولين ، فالرضاع بعد الحولين لا يحرم .

قال النبي ﷺ : « فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمُجَاعَةِ » . متفق عليه ^(١) .

وإذا ثبت الرضاع بهذه الشروط ، ثبت التحريم ، وإذا ثبت التحريم ، فإنه ينتشر على المرتضع وذريته فقط ، ولا ينتشر على إخوانه وأخواته ، وآبائه وأمهاته ، فالتحريم إنما ينتشر على الراضع وفروعه ، وهم ذريته فقط .

فأما أصول الراضع ، وهم آباؤه وأمهاته ، وحواشيه من إخوة وأخوات ، وأعمام وأخوال وأبنائهم ، فلا تأثير لهم في الرضاع ، فيجوز لأخ الراضع من النسب أن يتزوج أخت أخيه من الرضاعة أو أمه أو عمته ؛ لأن التحريم لا يشملها وإذا رضع طفل أو طفلة من امرأة فزوجها أبوه ، وعمها عمه ، وخالها خاله ، وبناتها وأبنائها إخوته .

فقه علة الأحكام :

ذكر الحكمة مقرونة بالحكم له فائدتان :

الأولى : بيان سمو الشريعة ، وأنها مبنية على جلب المصالح ، ودرء المفاسد ، فكل ما أمر الله ورسوله به ، فالخير في وجوده ، وكل ما نهى الله ورسوله عنه ، فالخير في تركه ، وما أمر الله بشيء إلا أعان عليه ، ولا نهى عن شيء إلا أغنى عنه ، وبيان علة الحكم ترغيب في فعله كما قال سبحانه :

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٦٤٧) ، وسلم برقم (١٤٥٥) .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

فجعل الحكمة من الصيام حصول التقوى .

الثانية : زيادة اطمئنان النفس ، فذكر الحكمة يزيد العبد إيماناً ، ويزيده يقيناً وينشطه لفعل المأمور ، وترك المحذور : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمُ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] .

وقد يكون عدم ذكر الحكمة ، أقوى في التسليم لأمر الله ، والاستجابة إليه . قال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

فالتعبد لله بأحكام نعرف حكمتها ، وبأحكام لا نعرف حكمتها أقوى في التسليم ، فعلينا أن نسلم بهذا وهذا؛ لأن الله حكيم لا يأمر إلا بما فيه حكمة . ومما لا نعرف حكمته : الوضوء من لحم الإبل ، وتقبيل الحجر الأسود ، ورمي الجمار في الحج ونحو ذلك .

حكم السلام :

السلام سنة ، ورده واجب ، لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبِخِيَةٍ فَجِوُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦] .

والفريضة أفضل من النافلة ؛ لأنها أحب إلى الله من النافلة ، وابتداء السلام أفضل من الرد ، وإن كان الرد فرضاً ، وبدء السلام سنة ، لكن لما كان الفرض مبنياً على هذه السنة ، كانت السنة أفضل من هذا الفرض ؛ لأنه مبنياً عليه .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: « تَطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » . متفق عليه^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوْلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » . أخرجه مسلم^(٢) .

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامًا ، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » . أخرجه الترمذي وابن ماجه بسندٍ صحيح^(٣) .

حكم إتيان الكهان :

الكاهن هو الذي يُخبر عن الغيب فى المستقبل بإعانة الشياطين . والكهان رجالٌ تأتيهم الشياطين بما يسمعون من خبر السماء ، فيحدثون الناس بما أخبرت به الشياطين من الحق ، ويضيفون إلى الخبر الحق أشياء كثيرة من الكذب والباطل ؛ ليأكلوا أموال الناس ، ويتخذونهم حكامًا لهم . واتخاذ الكهان له ثلاث حالات :

الأولى : أن يأتى الإنسان إلى الكاهن فيسأله ، ولا يصدقه ؛ فهذا لا تُقبل له صلاة أربعين يومًا .

الثانية : أن يأتيه فيسأله ، ويصدقه ؛ فهذا كافر ؛ لأن تصديقه يتضمن تكذيب القرآن الذي بين أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، والكاهن يُخبر عن الغيب في :

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٣٦)، ومسلم برقم: (٣٩/٦٣)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٤/٩٣).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٤٨٥)، وابن ماجه برقم: (١٣٣٤).

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾

[النمل: ٦٥].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ أَتَى كَاهِنًا ، أَوْ عَرَّافًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ ». أخرجه مسلم ^(١).

الثالثة: أن يأتيه ويسأله ، ليفضحه ويكشف كذبه وحاله للناس ، فهذا لا بأس به ، وقد يكون محمودًا ، لما فيه من إبطال الباطل ، كما سأل النبي ﷺ ابن صياد عما أضمره وفيه: « اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ ». متفق عليه ^(٢).

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٩٣٥٢)، والترمذي برقم: (١٣٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٥٤)، ومسلم برقم: (٢٩٣٠ / ٩٥)، واللفظ له.

٧- الخزانة السابعة

أفضل نساء الرسول ﷺ :

خديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت أبي بكر ، رضي الله عنهما ، أفضل زوجات الرسول ﷺ ، وأحب نسائه إليه .

فخديجة رضي الله عنها أول امرأة تزوجها الرسول ﷺ ، ولم يتزوج عليها أحدًا حتى ماتت ، وولدت له بناته الأربع ، وأولاده القاسم وعبد الله .

وكانت امرأة عاقلة تقيّة ذكيّة حكيمة لها مآثر طيبة معروفة .

وعائشة أم المؤمنين ، كانت امرأة تقيّة ذكيّة ، ولم يتزوج ﷺ بغيرها .

ولكل واحدةٍ منهما مزية تختص بها ، ولا تشاركها فيها الأخرى .

فخديجة لها في أول الرسالة من مناصرة الرسول ﷺ ونصيحتها بنفسها ومالها ما ليس لعائشة ، وعائشة رضي الله عنها لها في آخر الرسالة ، وبعد

موت النبي ﷺ من نشر العلم والشريعة ما ليس لخديجة ، فلكلٍ منهما مزية

تختص بها ، أما الفضيلة فكفى لهما فخراً أنهما أحب نساء النبي ﷺ إليه .

حكم الاستخارة والاستشارة :

الاستخارة هي طلب خير الأمرين من الله .

والاستشارة : مشاورة أهل الرأي والصلاح في أمرٍ من الأمور .

فالاستخارة تكون مع الله ، والاستشارة مع أهل الرأي والصلاح .

فالإنسان خلق جهولاً ضعيفاً ، وقد تُشكل عليه الأمور ، وقد يتردد ولا

يهتدي إلى الأصوب ، ولا بد للإنسان من جهلٍ أو تقصير ؛ فلأجل هذا شرع

الله الاستخارة والمشاورة فيقدم الاستخارة ويكررها ثلاثاً ؛ لأنها دعاء ،

ومن عادة النبي ﷺ أنه إذا دعا دعا ثلاثاً ، فإذا لم يتبين الأمر ، فاستشر لتصل إلى الرأي السديد ، فرأي الاثنين أقوى وأفضل من رأي الواحد .
 فمن همَّ بسفر أو زواج أو بيع أو شراء أو أي عملٍ وهو متردد فله طريقان :
 الأول : استخارة رب العالمين الذي يعلم ما كان وما يكون وما سوف يكون، فيصلي ركعتين ثم يسلم، ثم يدعو بدعاء الاستخارة كما ورد في السنة .

الثاني : ثم استشارة أهل الرأي والصلاح والأمانة ، وما أشاروا به فهو الخير إن شاء الله : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ :
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ :
 فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ : فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ « . أخرجه البخاري (١) .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٨٢) .

فقه النوم :

النوم آيةٌ من آيات الله الدالة على كمال قدرته ورحمته وحكمته .
وهو نعمةٌ من نعم الله تعالى على العبد ؛ لأنه يستريح فيه الإنسان من تعبٍ سابق ، وينشط فيه لعملٍ لاحق ، وهو من كمال الدنيا ؛ لأن الدنيا ناقصة فتكمل بالنوم ، لأجل الراحة ، أما في الآخرة فلا نوم فيها ؛ لأن النوم أخو الموت : ﴿ وَمَنْ عَائِنَهُ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ ﴾ [النبا: ٩] .

فسبحان الحي القيوم الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

أحسن السلام :

ينبغي للمسلم إذا سلم عليه أحد أن يرد عليه بأحسن منه ، وهو الأفضل ، وأدنى الدرجات أن يرد عليه بمثل ما سلم عليه
والأحسن ثلاثة أنواع :

الأول : الأحسن نوعاً ، فإذا قال له : السلام عليكم ، رد عليه بقوله :
وعليكم السلام ورحمة الله ، ولا يكتفي بأهلاً أو مرحباً ، وإنما يقول ذلك
بعد السلام ، بعد رد التحية .

ثانياً : الأحسن كمية ، فإذا قال له : السلام عليكم ، رد عليه بقوله : وعليكم
السلام ورحمة الله وبركاته .

ثالثًا : الأحسن كيفية فإذا سلم عليك أحدٌ بصوتٍ واضحٍ مرتفعٍ رد عليه
بمثل ذلك ، وإذا سلم عليك أحدٌ وقد أقبل إليك بوجهه ، فرد عليه كذلك ،
ولا تصعر خدك له : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبِخِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخَنَّلٍ فَخُورٍ ﴾ [١٨] وَأَفْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ
لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٨-١٩] .

أقسام الرؤيا :

ما يراه الإنسان في منامه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يرى خيرًا ، ويستبشر به ويفرح ، فهذا لا يحدث به إلا من
يحب ؛ لأن الإنسان له حسادٌ كثيرون ، ربما يكيدون له كيدًا يحول بينه وبين
ما رأى من الخير ، كما كان إخوة يوسف معه : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [٤] قَالَ يَبْنِي لَكَ
نَقْصَصَ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [٥]
﴿ يوسف: ٤-٥] .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ
فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ
فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ ، وَلْيَتَفَلَّ ثَلَاثًا ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا
أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ » . متفقٌ عليه ^(١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٦١/١).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّهَا مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا » . أخرجه البخاري ^(١) .

الثاني : رؤيا شرّ تزعجه وتخوفه ، فهذه لا يخبر الناس بها ، لا يخبر الإنسان بها أحدًا لا صديقًا ولا عدوًّا ، لكن إذا قام من النوم تفل عن يساره ثلاثًا ، ثم يقول : أعوذ بالله من شر الشيطان ، ومن شر ما رأيت .

ولا يخبر بها أحدًا ، وإن أراد أن يواصل النوم انقلب عن الجنب الذي رأى فيه الرؤيا إلى الجنب الآخر ، فإذا فعل هذا فإنها لا تضره بإذن الله .

الثالث : رؤيا أضغاث أحلام ، ليس لها رأس ولا قدم ، وهي من تلاعب الشيطان ، فهذه لا يحدث بها أحدًا ، ولا يهتم بها .

عن جابر رضي الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ ، قَالَ : فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ : إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ ، فَلَا يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ . أخرجه مسلم ^(٢) .

صفة الفجور في الخصومة :

الفجور في الخصومة قسمان ، كلاهما محرم :

الأول : أن يجحد الإنسان ما كان عليه .

الثاني : أن يدعي ما ليس له .

فمن فجر أمام القاضي ، وكذب وجاء بالبينة ، وحكم له القاضي ، فهذا قد فجر في الخصومة ، وهذا من علامات النفاق .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ

(١) أخرجه البخاري برقم : (٧٠٤٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم : (٢٢٦٨ / ١٦) .

حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ . متفقٌ عليه^(١) .

حكم التصوير :

الله سبحانه هو المصور الذي يصور ما يشاء وحده لا شريك له ، فندع التصوير للمصور وحده : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤] .

والصور نوعان :

الأول: صورٌ مجسمة، بأن يصنع الإنسان تمثالاً على صورة إنسانٍ أو حيوانٍ. فهذا محرم ، سواء كان لغرضٍ محرم ، أو لغرضٍ مباح ، بل هو من كبائر الذنوب ؛ لما فيه من المضاهاة لخلق الله ؛ لأن النبي ﷺ لعن المصورين ، وبين أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَتَعَذَّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » . أخرجه مسلم^(٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلٌ ، فَلَمَّا رَأَاهُ هَتَكَهُ وَتَلَوْنَ وَجْهَهُ ، وَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ : أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ » . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقَطَعْنَاهُ ، فَجَعَلْنَا مِنْهُ وَسَادَةً أَوْ وَسَادَتَيْنِ . متفقٌ عليه^(٣) .

الثاني : صورٌ ملونة يعني ليست بجسم ، إنما هي رقمٌ وتلوينٌ على القماش أو الورق أو الجدار ونحوها ، وهذا كالذي قبله محرم إذا كان لذي روح ؛

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٦/٥٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢١١٠/٩٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٤٧)، ومسلم برقم: (٢١٠٧/٩٢)، واللفظ له.

لأن الذي يرقم باليد صورة يحاول أن يكون مبدعًا مشابهًا لخلق الله ، وهذا محرم ، لما فيه من مضاهاة خلق الله .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُفِّفَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » . متفق عليه (١) .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا الْمُصَوِّرُونَ » متفق عليه (٢) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَنْ أَظْلَمَ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، وَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً » . متفقٌ عليه (٣) .

وأما التقاط الصور بآلة التصوير ، فهذا التقط الصورة التي صورها الله ، وطبعها على ورقة ، أو على الفيديو ، ولم يُضاهي بها خلق الله ؛ لأن الذي بالورقة من الصورة خلق الله لا خلق الإنسان ، فهذا كذلك محرم ، لما فيه من الفتنة ، فتنة الرجال بالنساء ، وفتنة النساء بالرجال ، كما يحصل في الصور التي تُرى في الشاشات من المغنيات والمذيعات والمذيعين والمذيعات وغيرهم ، وما أفضى إلى المحرم فهو محرم ، ودرء المفساد مقدمٌ على جلب المصالح .

وكم حصل بالتصوير من الفتن والفساد ، والاتصال المحرم ، فتصوير كل ذي روح محرم ، بل هو من الكبائر ، وله أثره البالغ المشين في إفساد الدين والخلق قديمًا وحديثًا .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٦٣)، ومسلم برقم: (٢١١٠/١٠٠)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠)، ومسلم برقم: (٢١٠٩)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١١١/١٠١).

فقديمًا : التصوير هو سبب أول كفرٍ وقع في الأرض ، وهو تصوير بعض الصالحين من قوم نوح، ليراهم الناس، ويتذكروا عبادتهم، فينشطوا للعبادة ، ثم طال الزمن فعبدوهم من دون الله ، وهكذي خدع الشيطان هؤلاء . فأول جنايةٍ شركية على التوحيد في الدنيا إنما كانت بسبب التصوير .

وحديثًا : التصوير الآن سبب فساد الدين ، وضياع الأخلاق ، وانتشار الرذيلة ، والقضاء على مكارم الأخلاق ، كما في ظهور الرجال والنساء في أحسن زينة في الشاشات والقنوات ، وفتنة هؤلاء بهؤلاء ، وقد عم هذا البلاء في كل مكان .

وهذه أعظم جنايةٍ على الدين والأخلاق، ولا شك أن ما أفضى إلى المحرم، فهو محرم فكيف إذا كان هو محرم ، ثم أفضى إلى محرم : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤] .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ » . متفق عليه (١) .

والتصوير لذوات الأرواح كله محرم ، ولا يُستثنى منه شيء إلا ما كان للضرورة ، وغرضٍ صحيح كالتصوير لاستخراج البطاقة الشخصية أو الرخصة أو الجواز وما شابه ذلك ، فهذا لا بأس به للحاجة ، وهو من باب الضرورة التي أباحها الله تعالى للمضطر ، فإن كان المصور ليس له روح كالنجوم والشمس والأشجار والجبال فهذا مباح ، والورع تركه .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠)، ومسلم برقم: (٢١٠٩)، واللفظ له.

فصارت الأقسام في التصوير خمسة :

الأول : ما فيه روح ، فهذا لا يجوز أن يصور ، سواء كان مجسماً ، أو ملوناً باليد ، أو بالفيديو .

الثاني : ما كان من خلق الله ، وليس ينمو كالشمس والقمر والجبال ونحو ذلك ، فهذا لا بأس به ، والورع تركه .

الثالث : ما كان من خلق الله ، ولكنه ينمو ، كالزرع والنبات والشجر ونحو ذلك ، فهذا لا بأس به ، والورع تركه .

الرابع : ما يصنعه الإنسان بيده مما ليس فيه روح كالسيارات والأبواب والقصور ونحو ذلك ، فهذا لا بأس به .

الخامس : التقاط الصور بآلة التصوير ، فهذا كذلك حرام ، ولا يُستثنى منه إلا ما سبق ، والسلامة لا يعدلها شيء ، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبَيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

وعن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧/١٧١٨) ، واللفظ له .

٨- الخزانة الثامنة

حكم الإحداث في المدينة :

الإحداث في المدينة نوعان :

الأول : إحداث البدعة ، فكل من ابتدع فيها بدعةً ، فقد أحدث فيها ما لم يشره الله في المدينة ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

هذا استحق أن يلعنه كل لاعن ؛ لأن المدينة مدينة السنة ، والبدعة مضادة

للسنة : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَكَانَ اللَّهُ شَدِيدَ الْعِقَابِ ﴾ (١٣) ذَلِكَ لِمَنْ فَذُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُومِئِدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ [الأنفال: ١٣-١٦] .

الثاني : إحداث الفتنة ، فمن أحدث في المدينة فتنةً بين المسلمين ، سواء

أدت إلى إراقة الدماء ، أو أدت إلى العداوة والبغضاء ، أو أدت إلى الفرقة

والخلاف فمن فعل هذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين : ﴿ إِنَّ

الَّذِينَ فَنَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَهُمْ فِيهَا فِي الْحَرِيقِ ﴾ (١٠)

[البروج: ١٠] .

أما من أحدث معصيةً في المدينة ، فهو آثم ، لكن لا ينطبق عليه هذا

الحكم ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَّا

يَبْنَ عَائِرٍ إِلَىٰ كَذَا ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا ، أَوْ آوَىٰ مُحَدِّثًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ

وَالْمَلَائِكَةَ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ .
متفق عليه^(١) .

حكم الصلاة في المساجد التي فيها قبر :

بناء المساجد على القبور ، ثم الصلاة فيها ، من كبائر الذنوب ، وقد لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى ؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

ومن بنى المسجد على القبر ، وصلى فيه ، فهو ملعون ، سواء كان من اليهود أو النصارى أو ممن يدعي أنه مسلم ، وإذا بُني المسجد على القبر ، وصلى الإنسان فيه لله ، فإن صلاته باطلة ومحرفة ، فيجب عليه إعادتها ، وهذا المسجد الذي بُني على القبر يجب هدمه ، ولا تجوز الصلاة فيه .

أما إذا كان المسجد قائماً ثم دُفن فيه رجل صالح أو غيره ، فإنه يجب نبش القبر ، ودفن رفاتة في مقابر المسلمين ؛ لأن المسجد لم يُبنى ليُقبر فيه الأموات ، إنما بُني للأحياء للصلاة فيه ، وقراءة القرآن ، وذكر الله ، وعبادة الله ، ومن صلى فيه لا نلعه ، لكن نعظه حتى لا يصلي فيه .

أما قبر النبي ﷺ فلم يُبنى عليه المسجد ؛ لأنه ﷺ دُفن في بيته ، ولم يُدفن في المسجد ، ولم يُبنى عليه المسجد ، لكنهم احتاجوا لزيادة المسجد ، فوسعوه من جهة القبلة ، فبقي القبر في مقصورةٍ منفصلة عن المسجد ، وبينهما جدارٌ فاصلٌ كما هو معلوم .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ : « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، قَالَتْ : فَلَوْلَا ذَلِكَ لَابْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يَتَّخَذَ مَسْجِدًا » . متفق عليه^(٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٨٦٧)، ومسلم برقم: ٤٦٩/١٣٧١، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٣٠)، ومسلم برقم: (٥٢٩/١٩)، واللفظ له.

حكم أذية المسلم :

كلما كان الإنسان أحق بالإكرام ، كانت أذيته أعظم ، وأكبر إثماً ، وأشد عقوبة ، فسيباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر .

والأذى سواء كان بالقول أو الفعل يختلف بحسب الأذى والمؤذي .

فأذية ولي الأمر ، والعالم ، والعابد الزاهد ، ليست كأذية عامة الناس ؛ لما تسببه من الشر والفساد والفتنة .

وأذية القريب ليست كأذية البعيد ، وأذية الجار أشد من أذية غير الجار ، وأذية من له حق عليك ليست كأذية من لا حق له عليك .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [٥٨] .

وعن ابن مسعودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » . متفقٌ عليه^(١) .

فقه أحكام الخمر :

الخمر ، كل ما أسكر فهو خمر ، سواء كان من العنب أو التمر أو الشعير أو غير ذلك .

والإسكار هو تغطية العقل على وجه اللذة والطرب .

أما تغطية العقل بالبنج من أجل العمليات الجراحية ، هذا تخديرٌ لا سُكْرٌ ، حتى لا يشعر المريض بالألم ، فالتخدير تغطية العقل حتى لا يدري ولا يشعر المريض بما حصل له .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن البتع وهو شراب العسل فقال رسول الله ﷺ : « كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ » . متفقٌ عليه^(١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٦ / ٦٤).

مراحل تحريم الخمر :

تحريم الخمر مر بأربع مراحل :

الأولى : الإباحة كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ [النحل: ٦٧] .

الثانية : التعريض بالتحريم، كما قال سبحانه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩] .

الثالثة : النهي عن قربان الصلاة وقت السكر ، وإباحته في غير وقت الصلاة كما قال سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ [النساء: ٤٣] .

الرابعة : التحريم الصريح البات كما قال سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ﴿١١﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١] .

عقوبة الخمر :

لما كانت بعض النفوس تميل إلى الخمر وشربها ، جعل الرسول ﷺ رادعاً يردع عن شربها ، وهو العقوبة التعزيرية ، ولم يقدر فيها الرسول ﷺ شيئاً ، فعقوبة الشارب ليست عقوبةً حدية ، ولكنها تعزيرية ، بما يدفع شرها ، ويؤدب شاربها .

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه انتشر شرب الخمر ، لما كثرت الفتوحات ، فشاور الصحابة ، فأشار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن يكون الجلد ثمانين

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٨٥)، ومسلم برقم: (٦٧/٢٠٠١)، واللفظ له.

كأخف الحدود وهو القذف ، فرفع عمر رضي الله عنه عقوبة شارب الخمر إلى ثمانين جلدة ؛ ليرتدع الناس ، وهذا صريحٌ في أن عقوبة شارب الخمر ليست حدًا ، وشارب الخمر يُجلد ، ولكن إذا كثر شرب الخمر في الناس ولم ينتهي الناس عنه ، فإنه يُقتل الشارب في المرة الرابعة درءًا للشر والفساد .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمنٌ ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمنٌ ولا يتهب نهباً يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمنٌ » متفقٌ عليه ^(١) .

وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم : ضَرَبَ فِي الْحُمْرِ بِالْجَرِيدِ ، وَالنَّعَالِ وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ » . متفقٌ عليه ^(٢) .

وعن عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : جِيءَ بِالنَّعِيمَانِ أَوْ بِابْنِ النَّعِيمَانِ شَارِبًا ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَنْ كَانَ بِالْبَيْتِ أَنْ يَضْرِبُوهُ ، قَالَ : فَضْرَبُوهُ ، فَكُنْتُ أَنَا فِيمَنْ ضْرَبَهُ بِالنَّعَالِ » . أخرجه البخاري ^(٣) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : « أَتَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ ، قَالَ : فَاضْرِبُوهُ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : أَخْزَاكَ اللَّهُ ، قَالَ : لَا تَقُولُوا هَكَذَا ، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ » . أخرجه البخاري ^(٤) .

وعن السائب بن يزيد قال : كُنَّا نُؤْتَى بِالشَّارِبِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَإِمْرَةَ أَبِي بَكْرٍ ، وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ ، فَنَقُومُ إِلَيْهِ بِأَيْدِينَا وَنَعَالِنَا وَأُرْدِيَتِنَا ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٧٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٧/١٠٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٠٦/٣٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٧٧٤).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٦٧٧٧).

حتى كان آخِرُ إِمْرَةٍ عُمَرَ ، فَجَلَدَ أَرْبَعِينَ ، حتى إِذَا عَتَوْا وَفَسَقُوا جَلَدَ ثَمَانِينَ .
 « . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١) . »

حکم موالات الكفار :

يُحْرَمُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَجَمِيعَ الْكُفَّارِ
 وَالْمُشْرِكِينَ أَوْلِيَاءَ ، لِأَنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَعْدَاءُ دِينِهِ ، وَعِبَادَةُ
 الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَرْضَوْا عَنِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا إِذَا تَهَوَّدُوا أَوْ تَنَصَّرُوا أَوْ
 كَفَرُوا : ﴿ يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَّةِ
 وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا
 أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشْفِقْكُمْ يُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً
 وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْنَانُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا
 أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ [الْممتحنة : ١ - ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ
 إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا
 وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا
 تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ [البقرة : ١٠٩ - ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ
 هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ [البقرة : ١٢٠] .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ : (٦٧٧٩) .

٩- الخزانة التاسعة

حكم قول هلك الناس :

من قال : هلك الناس إعجاباً بنفسه ، واستصغاراً لغيره من الناس ، وارتفاعاً عليهم ، فهذا محرم ؛ وبقوله هذا يكون هو أهلك الناس ، لأنه أحبط عمله وهو لا يشعر ، وزكى نفسه ، وقدم في غيره بقوله : ضل الناس ، ضاع الناس ، فسق الناس ، فسد : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٤٩] .

وقال ﷺ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢] .

وأما تزكية النفس بالتوحيد والإيمان والتقوى ، فهذا أمر مطلوب شرعاً ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧-١٠] .

وقال ﷺ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] .

وأما من قال : هلك الناس ، لما يرى في الناس من نقصٍ في دينهم ، وقاله حزناً عليهم وعلى الدين ، فلا بأس به ، لما فيه من تذكير الناس والعلماء بهذا النقص ؛ ليتداركوه ويبادروا بطاعة ربهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ : هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ » . أخرجه مسلم ^(١) .

فمن قالها إعجاباً بنفسه ، فهو أشد الناس هلاكاً على رواية الضم « أَهْلَكُهُمْ » ، وعلى الرواية الثانية « أَهْلَكُهُمْ » . بالفتح يكون المعنى أن قول هذا يسبب هلاكهم ، وترك نصحتهم ، فيعظم فسادهم وهلاكهم .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٣٩/٢٦٢٣) .

فالواجب نصحهم ، وعدم اليأس منهم : ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ ۖ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال الله تعالى : ﴿ يَبْنِيْ اَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَاخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْاِثْمِ وَالْعُدُوْنِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

وعن تميم الداري ، أن النبي ﷺ قال : « الدِّينُ النَّصِيْحَةُ ، قُلْنَا : لِمَنْ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ ؟ قَالَ : لِلّٰهِ ، وَلِكِتٰبِهِ ، وَلِرَسُوْلِهِ ، وَلِاِيْمَةِ الْمُسْلِمِيْنَ وَعَامَّتِهِمْ » .
أخرجه مسلم^(١) .

حكم الوسائل :

الوسائل لها أحكام المقاصد ، فالأفعال التي تؤدي إلى المقاصد يختلف حكمها باختلاف حكم المقاصد ، فإن كان المقصود واجباً فوسيلته واجبة ، وإن كان محرماً فوسيلته محرمة ، وإن كان مستحباً فوسيلته مستحبة ، وإن كان مكروهاً فوسيلته مكروهة ، وإن كان مباحاً فوسيلته مباحة .

فوسائل الطاعات والقربات واجبة أو مستحبة ، ووسائل المعاصي والمحرمات محرمة أو مكروهة .

المقاصد لا تحصل إلا بالوسائل ، والغايات لا تتحقق إلا بأسباب تُوصِّل إليها ، وتلك سنة الله في خلقه وأمره وحكمه ، والحصول على الشيء دون مباشرة سببه ضرب من العبث ، يستحق صاحبه الملامة ؛ لكن يجب الاعتماد على الله لا على السبب ، فنفع الأسباب بجوارحنا ، ونتوكل على

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/٩٥).

الله بقلوبنا : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن: ١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] .

لهذا أمر الله عبادة بمباشرة الأسباب ، واتخاذ الوسائل ، لبلوغ الغايات والمقاصد ، فقال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥] .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

ومباشرة الوسائل من حيث الجملة فطرة إنسانية ، كما هي سنة كونية ، وفريضة شرعية : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١] .

حكم أخذ الربا :

إذا أودع المسلم أمواله في بنوك ربوية ، فهذا لا يجوز ، بل هو من الكبائر ، ثم إذا أعطوه فوائد ربوية على ماله ، فلا يجوز له أخذها ، ولا يجوز له التصديق بها ، لأنها كسبٌ خبيث ، والله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً .

فلا يليق بالمسلم أن يلوث يده بالنجاسة ، ثم يذهب ويغسلها ، فلا يجوز أن يأخذ المسلم الربا مهما بلغ ، لأن شرعنا يحرم الربا قليلاً كان أو كثيراً ، وإذا تركته لهم ثم صرفوه في محرم ، أو في حرب المسلمين ، فأنت لم تأمرهم بذلك ، ولم تعطهم إياه ، لأنك لم تملكه ، فلا إثم عليك ، والحل أن تتركه ولا تأخذه كما قال سبحانه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢٧٩) وَإِن كَانِ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٨١) [البقرة: ٢٧٨-٢٨١] .

فقه محق الربا :

محق الربا له صورتان :

الأولى : محقٌ حسي ، بأن يسلب الله على مال المرابي آفةً تفنيه ، أو جائحة تتلفه ، أو يمرض صاحبه ويحتاج إلى دواء ومعالجات ، أو يمرض أهله ، أو يسرق ماله ، أو يُنهب ، أو يحترق ماله ونحو ذلك من عقوبات الدنيا .
الثاني : محقٌ معنوي ، فيكون ماله كثيراً جداً ، لكنه لا ينتفع به ، بل يكنزه ويدخره لورثته ، أما هو فلا ينتفع به : ﴿ يَمْحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٢٧٦) [البقرة: ٢٧٦] .

أما الملعونون في الربا فقد لعن رسول الله ﷺ في الربا خمسة :
أكله .. وموكله .. وشاهديه .. وكاتبه .

فأكله هو آخذ الربا ، وموكله هو الذي يعطي الربا ، وهو ملعون مع أنه مظلوم من المرابي الظالم ؛ لأنه أعانه على الإثم والعدوان ، والشاهدان

والكاتب ليس لهما مصلحة ولا منفعة ، لكن أعانوا على تثبيت الربا ،
 وأعانوا على الإثم والعدوان ، فهؤلاء الخمسة كلهم ملعونون على لسان
 محمد ﷺ ، وما أقرب الإجابة فيمن لعنه الرسول ﷺ : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
 وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿٢﴾

[المائدة: ٢]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
 سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ﴿١١٥﴾

[النساء: ١١٥] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرَّبَا وَمُؤَكِّلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ
 وَقَالَ : « هُمْ سَوَاءٌ » . أخرجه مسلم^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّقَاتِ ، قَالُوا :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكَ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي
 حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرَّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ،
 وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » . متفق عليه^(٢) .

حكم الألعاب :

الألعاب ثلاثة أقسام :

الأول : ألعاب مشروعة .

الثاني : وألعاب ممنوعة .

الثالث : وألعاب مسكوت عنها .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥٩٨/١٠٦) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٩/١٤٥) .

القسم الأول : الألعاب المشروعة ، وهي نوعان :

الأول : ألعاب نصت عليها الشريعة كالرماية ، والمسابقة ، والمصارعة ، ونحو ذلك مما يعين على الجهاد في سبيل الله ، فهذه جائزة ، يقول النبي ﷺ : « لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَضَلٍ ، أَوْ خُفٍّ ، أَوْ حَافِرٍ » . أخرجه أبو داود والترمذي سنن صحيح^(١) .

الثاني : ألعاب لم تنص عليها الشريعة ، إلا أنها مما يُستعان بها في الجهاد في سبيل الله ، وهذا داخل في النوع الأول من باب القياس ، وربما كان أولى ، لا سيما مع تطور آلات الجهاد كما هو الآن من دبابات وطائرات وصواريخ ونحوها من العُدَد الحربية ، فالمسابقة على هذا وما قبله جائزة بعوض وبدون عوض ؛ لأن الله أمر بإعداد القوة ، ولما فيها من حسن إعداد الجندي المسلم وتدريبه على حمل السلاح والرمي به .

القسم الثاني : الألعاب الممنوعة ، وهي ثلاثة أنواع :

الأول : ألعاب نصت الشريعة الإسلامية على تحريمها كالميسر ، والقمار ، والرد ، والشطرنج ، والتحرش بين البهائم ، واتخاذها غرضاً ، ونحو ذلك مما حرّمته الشريعة ، لما في ذلك من الظلم ، والصد عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، وشغل القلب بها ، وإلهاء الإنسان عن أوامر الله بها ، وإيقاع العداوة والبغضاء بسببها : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾^(١١) ﴿ المائدة: ٩٠ - ٩١ 〉 .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم: (٢٥٧٤)، والترمذي برقم: (١٧٠٠).

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

الثاني : ألعاب لم تنص الشريعة على تحريمها ، لكن حرمتها لاقترانها بمحظور شرعي خارج عن أصلها ، لما اقترن بها من أضرار ، أو سب ، أو عداوة ، أو صد عن ذكر الله ، أو إشغال عما هو أفضل وأولى ، مثل اللعب بكرة القدم ، أو غيرها مما يسبب العداوة .

وإذا كان يحرم تعلم العلوم المفضولة إذا زاحمت العلوم الفاضلة ، فكيف باللعب بالكرة التي أكلت أموال الناس وأوقاتهم ، وأوقعت بينهم العداوة والبغضاء ، وأشعلت العصبية فيما بين أصحاب تلك الفرق ؟ .

الثالث : ألعاب ليس فيها أعمال للعقل والتفكير ، بل هي قائمة على التخمين والحظ ، فهذه محرمة ؛ لأنها قمارٌ تؤكل من غير أعمال فكر أو بذل جهد ، فهي من الميسر الذي حرمه الله .

القسم الثالث : ألعاب سكتت عنها الشريعة :

وهو القسم المباح من الألعاب ، فهذا القسم إذا لم يحصل به ضرر ، أو يقترن بمحظور شرعي ، أو أشغل عن فرض ، فيبقى على أصل الإباحة ؛ لأنه لا بد لبعض النفوس من استجمام ، خاصة النساء والأطفال ، ولكن لا يليق بالإنسان الإكثار منه ، فهذا لا إثم فيه ولا أجر ، فإن العبد مأمور بأن يقوم بأوامر الله في حياته كما قال سبحانه : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج: ٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة: ٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨] .

حكم أخذ العوض في الألعاب :

السَّبَقُ : هو المال الذي يأخذه السابق .

والسَبَقُ : هو بلوغ الغاية قبل غيره .

والرهان : هو عقد بين متعاقدين يقتضي الالتزام بدفع المال المشروط .

والرهان محرم؛ لأنه قمار، والقمار نوع من الميسر ، والميسر حرام، والفرق

بين الرهان والقمار، أنهما يتفان في أن حق المتعاقد يتوقف على واقعة غير

محققّة، ويفترقان في أن المقامر يقوم بدورٍ فعلي في محاولة تحقيق الواقعة

غير المحققة، أما المراهن فلا يقوم بدور في تحقيق صدق قوله .

فالذين يتسابقون على الخيل مثلاً لغرض شرعي على جعل ، هؤلاء

مقامرون ، والذين يتراهنون على الفرس السابق يسمون مراهنين ، فالمسابق

يبدل جهداً لتحقيق الواقعة ، والمراهن لم يبدل جهداً ، وكلاهما محرّم : ﴿

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿١١﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١] .

وأما أخذ العوض في الألعاب الرياضية فحكمه كما يلي :

أولاً : الألعاب المشروعة نوعان :

الأول : منصوص عليه كالرماية ، والسباق في الخيل والإبل ، فهذا يجوز

أخذ العوض عليه .

الثاني : ما يستعان به على الجهاد مما لم ينص عليه ، فهذا يجوز أخذ العوض عليه كالتدرب على الدبابات والطائرات والبنادق ونحوها مما يستعان به على نصره الدين .

فالمغالبة الجائزة تحل بالعوض إذا كانت مما يعين على الدين كما في مراهنه أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أن الروم سوف تغلب الفرس .

ثانياً : الألعاب الممنوعة ، وهي ثلاثة أقسام :

الأول : الميسر ، والقمار ، والنرد ، والشطرنج ، فهذه يحرم اللعب بها ، وأخذ العوض عليها كما سبق .

الثاني : ألعاب حلال في أصلها ، لكن اقترن بها محظور شرعي خارج عن أصلها ، كما لو اقترن بها إضراراً ، أو سب ، أو عداوة ، أو صد عن ذكر الله ، أو إشغال عما هو أولى كاللعب بالكرة ونحوها ، فهذه يحرم أخذ العوض عليها .

الثالث : ألعاب تعتمد على التخمين والصدفة والحظ مثل اليانصيب ، فهذه يحرم أخذ العوض عليها .

ثالثاً : الألعاب المباحة :

وهي كل ما لا يستعان به على الجهاد، ولم يشغل عن فرض، ولم يتسبب في ضرر، فهذا جائز، تستجم به النفوس، وتستريح به ، لكن يحرم أخذ العوض عليه، لئلا يتخذ حرفة للكسب، ويلهي عن المصالح الدينية والدنيوية.

أحوال اللعب والسبق :

اللعب والسبق لا يخرج من أربعة أقسام :

الأول : أن يكون مما يعين على الجهاد ، فهذا محبوب مرضي لله تعالى ، فيجوز السبق به ، ويباح وقد يستحب بذل العوض فيه .

الثاني : أن يكون اللعب قائمًا على التخمين والحظ ، فهذا يحرم مطلقًا ، ويحرم أخذ العوض عليه .

الثالث : أن يكون اللعب لا يقوم على التخمين ، ولا يعين على الجهاد ، لكن فيه تقوية للبدن كالسباحة ، هذا تجوز المسابقة فيه ، لكن يحرم بذل العوض فيه .

الرابع : أن يكون اللعب فيه ضرر مؤكد ، أو يصد عن ذكر الله ، وعن الواجبات الشرعية ، وعما هو أفضل منه ، فهذا يحرم اللعب به ، ويحرم أخذ العوض فيه .

واللعب بالكرة لا يخرج عن القسم الثالث والرابع ، فهي لا يستعان بها على الجهاد ، بل هي مجرد لهو ولعب ، مع اشتغالها على محاذير ومحرمات ، من إضاعة الأوقات والأقوال ، وكشف العورات .

وأما الرابعة فلاشتمال اللعب بالكرة على ضرر مؤكد ، وفعل محرم ، وصد عن واجب :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢]

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [١١٥]

[المؤمنون: ١١٥]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]

١٠ - الخزانة العاشرة

حكم مناصحة ولاة الأمر :

يجب على المسلم مناصحة ولاة الأمر ، لأن الدين النصيحة ، وتعظم النصيحة ، ويكثر ثوابها ، بقدر ما يحصل بسببها من خير ، ودفع شر ، كمناصحة ولاة الأمر الذين تخفى عليهم كثير من الأمور .

فيجب على المسلم إذا دخل على ولاة الأمور ، من الحكام والأمراء والوزراء وغيرهم أن ينصح لهم ، ويبين الحقيقة والواقع ، سواء كان الناس على استقامة ، أو على اعوجاج ، ولا يجوز غش ولاة الأمر بالكذب عليهم ، كأن يقول لهم : الناس بخير ، الناس في أمن ، الناس في رغد من العيش ، وهو كاذب ، فهذا حرام وخداع لولاية الأمر وخداع للأمة ، لأنه كذب خلاف الواقع ، ومن فعل هذا فهو عاص غادر خائن كذاب : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨] .

فيجب على المسلم الصادق أن ينصح لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ويحذر من النفاق والمداهنة ، وليس هذا النصح والبيان من الغيبة ، لأنه من أجل النصح والإصلاح ، لا من أجل الهوى والإفساد .

قال رسول الله ﷺ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » . أخرجه مسلم (١) .

(١) أخرجه مسلم برقم : (٥٥ / ٩٥) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢]

عقوبة الرياء :

من عمل عملاً صالحاً ، ليراه الناس ، ويمدحوه عليه ، فإن الله يرائي به ، ويبين عيبه للناس ، ويفضحه .

ومن سمع فقال قولاً يتعبد به لله من علم أو ذكر ، ورفع صوته به ؛ ليقال فلان كثير الذكر ، كثير القراءة ، فهذا يُسمع الله به ، ويفضحه ويكشف أمره ، ويبين عيبه للناس ، فالمرائي مهما اختفى وأخفى ، فلا بد أن يتبين أمره ، لأن الله تعالى تكفل بهذا ، ويفضحه ويكشف أمره في الدنيا والآخرة : ﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢-٣] .

وعن جندب رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ » . متفق عليه^(١) .

حكم تعلم العلم الشرعي :

تعلم العلم الشرعي من أعظم العبادات ، لما فيه من النفع العظيم له ولغيره : ﴿ كُونُوا رَبَّنِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وكل علم يُبتغى به وجه الله ، فهو عبادة مندوبٌ إليها ، وفيه أجر كبير ، ومن طلب العلم الشرعي لا يريد به إلا أن ينال عرضاً من الدنيا ، لم يجد عُرف الجنة أي رائجتها : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وأما العلوم التي لا يبتغي بها وجه الله من علوم الدنيا كعلم الحساب ، والهندسة والبناء ، فلا شيء على الإنسان أن يتعلمها ، لينال بها عرضاً من

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٩٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩٨٦/٤٧).

الدنيا ، ليكون مصدر رزقه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَاطَّيَّبَتْ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

فهذه العلوم مما يعين الناس على تحقيق مصالحهم الدنيوية .
ومن تعلم العلم الشرعي ، لينال الشهادة العالية ، لينال بها المرتبة والوظيفة فقط ، فهذا أراد عرضاً من الدنيا ، وإن أراد بذلك أن يتبوأ منصباً ، لينفع الناس ، ليكون مدرساً أو مديراً ، فهذا خير لا بأس به ، لأن نيته طيبة ، وإن كان يعطى مقابل شهادته ووظيفة ، لأن الناس اليوم يقدرون الإنسان بشهادته لا بعلمه .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » . متفق عليه (١) .

وهذه العلوم الدنيوية تعلمها فرض كفاية ، إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، وذلك لحاجة المسلمين إليها ، وينبغي ألا تشغل الإنسان هذه العلوم الدنيوية عن العلوم الأخروية والأعمال الصالحة، كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٦] يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [٧] [الروم: ٦-٧] .

فعلى المسلم والمسلمة واجبات يومية لا بد له من أدائها ، والقيام بها وهي :
أولاً : عبادة الله عز وجل : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٧٧] [الحج: ٧٧] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) مسلم برقم: (١٩٠٧/١٥٥)، واللفظ له.

ثانياً : الدعوة إلى الله ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

ثالثاً : تعليم القرآن والسنة، لمن عنده قدرة على ذلك، كما قال سبحانه : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

رابعاً : الإحسان إلى الناس ، كما قال سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَائِلِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

حكم النظر إلى المرأة الأجنبية :

النظر إلى النساء الأجنبية محرم ، وهو سهم من سهام إبليس ، يوقع الإنسان في الزنا ، ويخطو به إلى الفواحش ، والنساء حباتل شيطان ، وكل إنسان مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده ، والله عليم بالمنظور والمستور ، ويجازي من فعل ذلك بحسب ذلك في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُدْرِكْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُوهِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كَتَبَ عَلَيَّ ابْنُ آدَمَ نَصِيْبَهُ مِنَ الزَّانَا مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ، فَالْعَيْنَانِ زَانَهُمَا النَّظْرُ ، وَالْأُذُنَانِ زَانَهُمَا الْإِسْتِمَاعُ ،

وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ ، وَالرَّجُلُ زِنَاهَا الْحُطَا ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيَكْذِبُهُ « . متفق عليه ^(١) .

حكم نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي :

يجب على المرأة أن تغض بصرها عمن ليس بمحرم لها، ويجوز للمرأة أن تنظر إلى الرجل الأجنبي ، لكن بغير شهوة، ولا استمتاع أو تلذذ، بل يكون نظرًا عاديًا كما يحصل في الطريق، وعند البيع والشراء، وعند سؤال العالم، وعند الطواف ونحو ذلك .

أما الرجل فيحرم عليه أن ينظر إلى المرأة الأجنبية نظر شهوة ، وللطبيب أن ينظر إلى المرأة عند الحاجة لعلاج ونحوه .

حكم الخلوة بالمرأة الأجنبية :

المرأة الأجنبية هي التي ليس بينك وبينها محرم مثل بنت العم ، بنت الخال ، وبنت العمه ، وبنت الخالة ، وزوجة الأخ والعم والخال وما أشبه ذلك .

والخلوة بالمرأة الأجنبية حرام لا يجوز ، سواء كانت في البيت أو الدكان أو السيارة أو العمل .

قال النبي ﷺ « مَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا » . أخرجه الترمذي ^(٢) .

وإذا أراد الرجل منها شيئًا سألها من وراء حجاب ، لئلا تحصل الخلوة . ودخول أقارب الزوج إلى بيت الزوج أخطر من دخول الأجنبي ، لأن هؤلاء يدخلون باعتبارهم أقارب فلا يستنكرهم أحد ، ولا يشك فيهم أحد ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦١٢)، ومسلم برقم: (٢١/٢٦٥٧)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢١٦٥).

ثم تقع الفتنة بهذا الدخول ، وقد حذر النبي ﷺ من دخول حمو الزوج على زوجته ، وحمو الزوج هم أقاربه كالأخ ، والعم ، والخال وغيرهم من الحواشي ، فهؤلاء ليسوا بمحارم ، فيحرم عليهم الخلوة بمرأة الرجل . ويحرم خلوة السائقين بزوجة الرجل ، أو بنته ، أو أي امرأة أجنبية من السائق ، والخلوة في السيارة أشد من الخلوة في البيت ، لأنه يخلو بها ، ويذهب بها ، إلى ما شاء ، فيقع ما حرم الله من الفاحشة ، وقد ابتليت الأمة بمثل هذا ، فنسأل الله أن يحفظ الجميع : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ بُدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٣-٥٥] .

وقال النبي ﷺ : « لَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ » . متفق عليه (١) .
وقال النبي ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ قَالَ : الْحُمُومُ الْمَوْتُ » . متفق عليه (٢) .

حكم تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال :
خلق الله ﷻ الرجال والنساء ، وميّز بعضهم عن بعض في الخلق والقوة واللباس ، فمن حاول أن يجعل النساء كالرجال أو عكسه ، فقد ضاد الله في قدره وشرعه ، وحاد الله في قدره وشرعه ، لأن الله له حكمة فيما خلق وشرع

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٦٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤١٧/٨٢٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٣٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠/٢١٧٢).

وقدر، ولهذا جاءت النصوص الشرعية بلعن من تشبه من النساء بالرجال وعكسه في أي شيء ، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، فمن فعل ذلك من الرجال أو النساء فهو ملعون على لسان رسول الله ﷺ .

وذلك يشمل التشبه بالأقوال ، واللباس ، والهيئات ، والمشيات ونحو ذلك . عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَالتُّشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ » . أخرجه البخاري (١) .

حكم التشبه بالشیطان والكفار :

يحرم على المسلم والمسلمة التشبه بالشیطان والكفار ؛ لأن الشيطان رأس الكفر ، والكفار هم أولياء الشيطان وأتباعه : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

والتشبه بالشیطان أو الكفار ، أن يعمل الإنسان أعمالهم ، أو يتخلق بأخلاقهم ، أو يلبس لباسهم ، سواء قصد التشبه أو لم يقصد . فيحرم على المسلم أن يأكل أو يشرب بشماله ، أو يأخذ أو يعطي بشماله ، لما فيه من التشبه بالشیطان عدونا وعدو الله ﷻ ، وعدو رسله ، ولا يحل له فعل ذلك إلا لضرورة كأن تكون اليد اليمنى مشلولة أو مكسورة ونحو ذلك .

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ » . أخرجه مسلم (٢) .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٢٠ / ١٠٥) .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » . أخرجه أبو داود وأحمد ^(١) .
وأقل درجاته التحريم .

حكم التنجيم :

المنجّمون هم الذين يمتنون علم النجوم للاستدلال به .
وعلم النجوم ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : جائز لا بأس به ، وهو ما يسمى بعلم سير النجوم ، يُستدل به على المكان والزمان ، وعلى الفصول ، وعلى طول النهار والليل ، وقصرهما ؛ فهذا لا بأس به ، لأن الناس يهتدون به لمصالحهم الدنيوية ، والدينية ، ومن ذلك علم جهات النجوم كالقطب الشمالي الذي يسمى الجدي يُستدل به في أي مكان على الجهات ، وعلى القبلة في البر والبحر والجو .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَتِ وَيُتَّجِمُ هُم يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ٣] .
وقد خلق الله ﷻ النجوم لثلاث :

زينة للسماء كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٥] .

الثانية : أنها رجوماً للشياطين .

الثالثة : علاماتٍ يهتدى بها : ﴿ وَعَلَّمَتِ وَيُتَّجِمُ هُم يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ٣] .

القسم الثاني : محرّم ، وهو علم التأثير ، بأن يعتقد أن ما حصل في الأرض من حوادث سببه طلوع النجم الفلاني ، كما كانوا يقولون في الجاهلية : مُطرنا بنوء كذا وكذا ، فهذا محرّم .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٣١)، وأحمد برقم: (٥١١٤).

لأن النجوم و غيرها لا دخل لها فيما يحدث في الكون ، وإنما يقع كل شيء بقضاء الله وقدره: ﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيَهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] .
 وقال الله تعالى : ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] .
حكم التطير :

التطير هو التشاؤم بمرئي أو مسموع ، أو زمانٍ أو مكانٍ أو غيرها .
 وسمي تطيرًا ، لأن العرب يتشاءمون في الجاهلية بالطيور ، فغلب الاسم على كل تشاؤم ، فمن العرب من كان يتشاءم بالطير إذا طار يسارًا أو رجع إليه ، ويتفاءل إذا طار يمينًا أو إلى الأمام .

ومنهم من يتشاءم بنوع الطير كالغراب والبوم ونحوهما .
 ومنهم من يتشاءم بالزمان كالزواج في شوال أو السفر يوم الثلاثاء والأربعاء ، ومنهم من يتشاءم بشهر صفر ، وهذا كله محرم لا يجوز ، ولا دخل لهذه الأشياء في قدر الله .

ولا يجوز أن نعالج البدعة ببدعة ؛ فنقول : شوال الخير، أو صفر الخير
 مثلًا؛ لأن البدعة تُزال بالسُّنة فقط .

ومن أصابه شيءٌ من التطير والتشاؤم فليعرض عنه وليقل : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك .

حكم سبِّ الرياح :

الرياح من آيات الله العظيمة في إرسالها ، وتصريفها ، وكيفيةها ، فلا يقدر أحدٌ أن يُصَرِّفَ هذه الرياح إلا الله ﷻ وحده : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

والريح تنقسم إلى قسمين :

الأول : رِيحٌ عادية لا تخيف ، ولا يُسن لها ذكرٌ معين .

الثاني : رِيحٌ عاصفة شديدة ، فإذا عصفت هذه الريح فلا يجوز سبها ، لأن الذي خلقها وأرسلها هو الله ، ومن سبها فقد سبَّ الله الذي أرسلها .

ولكي يحصل للإنسان خير الريح ، ويزول عنه شرها ، يُسن للمسلم أن يدعو بهذا الدعاء حين تعصف ، فيقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ » . أخرجه مسلم^(١) .

والرياح خلقها الله ﷻ وأرسلها لحكم عظيمة : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧] .

وقال النبي ﷺ : « لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ » . أخرجه الترمذي وأحمد^(٢) .

حكم الحديث بعد صلاة العشاء الآخرة :

الحديث بعدها ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : حديث محرم ؛ كالحديث في الغيبة ، والنميمة ، والقيل والقال ، وقول الزور ، والاستماع إلى اللهو ، والغناء ، ومشاهدة ما لا يحل من الأفلام وغيرها ، فهذا حرام في كل وقت ، ويزداد إثماً وكراهةً وتحريمًا إذا كان بعد العشاء الآخرة ، لأنه في وقتٍ يُكره فيه الكلام المباح ، فكيف بالمحرم ، والمكروه ؟ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥/١٩٩) .

(٢) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (٢٢٥٢) ، وأحمد برقم: (٢١١٣٨) .

الثاني : حديث مباح ؛ ليس محرماً ولا مكروهاً ولا مندوباً ، وهو كلام فعله وتركه سواء ، فهذا أكثر كلام الناس ، وكان النبي ﷺ يكرهه بعد صلاة العشاء ، لأنه يطول به المجلس ، ثم يتأخر نومه ، فيكسل عن قيام الليل ، وصلاة الفجر : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وعن أبي بركة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء ، والحديث بعدها . متفق عليه (١) .

الثالث : حديث مُستحب ؛ كالحديث في الخير ، كمذاكرة العلم حفظاً ومطالعة ، وحكايات الصالحين ، ومكارم الأخلاق ، والحديث مع الضيف ، وصاحب الحاجة ، والحديث مع الأهل ، ليؤلف قلوبهم ، ويدخل السرور عليهم ، فهذا جائز لا كراهة فيه ، بل هو مستحب لما يحصل به من الخير ، وكذلك الحديث لعذرٍ وعارضٍ لا كراهة فيه ، بل هو مستحب ، كما كان النبي ﷺ يُحدِّث أصحابه بعد صلاة العشاء وينصحهم ، ويسمُر أحياناً مع بعض أصحابه .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح (٢) .
وعن عبد الله بن عمر قال : « صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته فلمَّا سلَّم قام فقال : أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِنْهُ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ » . متفق عليه (٣) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٥/٦٤٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٧٥)، والترمذي برقم: (١٦٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١)، ومسلم برقم: (٢٥٣٧/٢١٧)، واللفظ له.

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٣٠- خزائن الأحكام العامة

القسم الثالث

ويشتمل على ما يلي:

- | | |
|---------------------|----------------------|
| ١ - الخزانة الأولى | ٦ - الخزانة السادسة |
| ٢ - الخزانة الثانية | ٧ - الخزانة السابعة |
| ٣ - الخزانة الثالثة | ٨ - الخزانة الثامنة |
| ٤ - الخزانة الرابعة | ٩ - الخزانة التاسعة |
| ٥ - الخزانة الخامسة | ١٠ - الخزانة العاشرة |

٣٠- خزائن الأحكام العامة

القسم الثالث

١ - الخزانة الأولى

حكمة العالم :

ينبغي للعالم الذي يُعلم الناس الخير ، إذا ذكر لهم الأبواب الممنوعة ، أن يفتح لهم الأبواب الجائزة ، حتى يخرج الناس من هذا إلى هذا ، ويشتغل الناس بالحلال عن الحرام ، وهذه طريقة القرآن والسنة في الحلال والحرام:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ قَوْمًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا بِاللَّحْمِ ، لَا نَدْرِي أَذَكَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لَا ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : سَمُّوا اللَّهَ عَلَيْهِ وَكُلُوهُ . أخرجه البخاري (١) .

حكم قول الله ورسوله أعلم :

إذا سُئِلَ الإنسان عما لا يعلم من الأمور الشرعية ، فالواجب أن يقول : الله ورسوله أعلم .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٠٥٧) .

مثاله : أن يُسأل هل هذا حلالٌ أو حرام ؟ فيقول الله ورسوله أعلم .
وإذا سُئِلَ الإنسان عن ما لا يعلم من الأمور الكونية القدرية في المستقبل ،
فهذا لا يقول : الله ورسوله أعلم ، لأن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب ، إلا ما
عَلَّمَهُ اللهُ ، بل يقول : الله أعلم .

مثاله : أن يقال له ؛ هل تظن أن ينزل المطر غدًا ؟ فيقول الله أعلم ، لأنه لا
يعلم الغيب إلا الله : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥] .

وظيفة اللسان :

يجب على الإنسان أن لا يتكلم إلا بخير ، والخير نوعان :
الأول : خيرٌ لذاته ؛ كأن يتكلم الإنسان بالذكر ، والدعاء ، وتلاوة القرآن ،
والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتعليم العلم ، والدعوة إلى الله
ونحو ذلك : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

الثاني : خيرٌ لغيره ؛ كأن يتكلم الإنسان بكلام طيب ومباح ، يريد أن يبسط
إخوانه ، ويزيل عنهم الوحشة ، ويؤلف قلوبهم ، فهذا من الخير ؛ كما قال
النبي : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » . متفق
عليه^(١) .

حكم الهبة والعطية :

الهبة هي التبرع بالمال حال الحياة، والعطية هي التبرع بالمال حال مرض
الموت ، وتطلق كل واحدةٍ على الأخرى ، والهبة مُستحبة بالنسبة للواهب ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٨)، ومسلم برقم: (٤٧/٧٤) .

لما فيها من المصالح، والإحسان، وتأليف القلوب، وكان ﷺ يُهدي ويُهْدَى إليه .

والسنة للموهوب له أن يقبل الهدية ولا يردها، ولكن لقبول الهدية شروط :

الأول : أن لا يعلم انه أهْدَى إليه حياءً وخجلاً .

الثاني : ألا يتضمن قبولها محظوراً شرعياً ، كأن تقع موقع الرشوة ، أو مقابل السكوت عن حق ، أو الدفاع عن باطل .

الثالث : ألا تكون محرمة لعينها كالخنزير ، والخمر ونحوهما .

الرابع : أن لا تكون الهدية حقاً للغير كالمسروق ، والمغصوب ونحوهما .

أما المحرّم لكسبه فيجوز قبوله لأن النبي ﷺ قَبِلَ هدية اليهودية وهي الشاة المسمومة ، وهو يعلم أنهم يأكلون الربا .

حكم المكافأة على الهدية :

الهدية في الأصل لا تقتضي ثواباً ، فلا يلزم من أهْدَى إليه شيئاً أن يثيب من

أهداه ، والأولى قبول الهدية ، مع الإثابة إن تيسر ، لأن النبي ﷺ كان يقبل

الهدية ، ويثيب عليها ، وكل ذلك عبادة .

حكم التسوية بين الأولاد في الهبة :

يجب على الأب التسوية بين الأولاد في الهبة ، على حسب ميراثهم منه ،

ذكوراً كانوا أم إناثاً ، وكذا الزوج يجب عليه أن يسوي بين زوجته في

النفقة ، والكسوة ، والسكن ، والقسم .

وإذا فَضَّلَ الأب أحد أولاده بشيء ، فيلزمه واحد من ثلاثة :

الأول : الرجوع في الهبة التي وهب .

أو يعطي البقية مثلما أعطى الأول ، أو يأخذ العطية ويقسمها بينهم .

أو يستحلهم فيحللوه عن رضا وقناعة .

فهو مخير بين هذه الأمور الثلاثة ؛ وإن مات قبل التسوية رُدَّت إلى التركة ،
أو يعطى بقية الأولاد مثل ما أخذ من أعطي قبل قسمة التركة .

الفرق بين النفقة والعطية :

النفقة أن يعطي الإنسان أولاده ما يحتاجونه قليلاً كان أو كثيراً؛ فمن تلزمه
نفقةً لزواج، أو علاج، أو تفرغ لطلب علم ونحو ذلك، فيعطيه بحسب
حاجته .

أما العطية فهي تبرع محض تجب فيها التسوية بين الأولاد حسب ميراثهم
منه ، لأنه لا قسمة أعدل من قسمة الله ﷻ ، وكل ما كان لدفع الحاجة
فالتسوية فيه أن يعطى كل إنسان ما يحتاجه ، أما إذا كان تبرع محض فلا بد
من العدل بين الأولاد ، للذكر مثل حظ الأنثيين .

الفرق بين العطية والوصية :

أولاً: الأمور التي تجوز فيها العطية والوصية .

أولاً: العطية هي التبرع بالمال حال مرض الموت، فإن كانت بالثلث فأقل
فهي جائزة، وإن كانت بأكثر من الثلث ، فلا بد من إجازة الورثة لها بعد
الموت .

ثانياً: العطية ؛ لا تجوز لو ارث إلا بإجازة الورثة كالوصية .

ثالثاً: العطية إذا وقعت دفعةً واحدة فتتراحم في الثلث كالوصية ، لكن لو
أعطى اليوم واحداً ، وفي اليوم الثاني أعطى الثاني ، فالعطية من الثلث
للمتقدم بخلاف الوصية .

رابعاً: أن قضية العطية والوصية ناقصة ، فالصدقة حال الصحة أفضل من
الصدقة حال الموت .

ثانياً : الفرق بين العطية والوصية :

أولاً : أن العطية لا يجوز فيها الرجوع بعد القبض ، أما الوصية فيجوز للموصي الرجوع فيها .

ثانياً : أن الوصية يسوى فيها بين المتقدم والمتأخر ، أما العطية فيُقَدَّم الأول فالأول إذا ضاق الثلث .

ثالثاً : أن العطية يكون قبولها عند وجودها ، أما الوصية فيكون القبول بعد الموت .

رابعاً : الوصية تكون في المال والتصرفات، أما العطية فتكون فقط في الأموال .

خامساً : أن الوصية تكون واجبة إذا كان عليه حقوق ، أما العطية فهي مستحبة ، لا واجبة .

وهذه هي أهم الفروق بين العطية والوصية .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وزدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وارفعنا ولا تضعنا يا ذا الجلال والإكرام .

والهدية هي ما قصد الإنسان بها إكرام شخصٍ ، إما لمحبة أو قرابة أو صداقة أو طلب حاجه ، وذلك مُستحب ، وقبول الهدية من السُّنَّة ويكره رَدُّها .

أما هدايا العمال فحرام ، لأن ما يُهدى للعمال وأهل المناصب رشوة وليس بهدية ، فلولا العمل لم يُهدى إليه ، لكن إن كانت الهدية للإنسان لا من أجل الوظيفة والعمل ، كأن يكون بينهما رحم أو قرابة أو جوار أو صداقه فلا بأس بذلك.

حكم الإحداد :

الإحداد : هو اجتناب المرأة ما يدعو إلى نكاحها .
ولا يجوز الإحداد على ميت أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً .

وكانوا في الجاهلية إذا مات لهم أحد تركوا الزينة والطيب ، وحادوا عليه مدة يقدرونها بأنفسهم .

ولما كانت النفوس ضعيفة لا تطيق الصبر ، لاسيما مع عظم المصائب ، رخص النبي ﷺ في الإحداد ثلاثة أيام لمن مات له قريب ، أو صديق وحزن عليه ، أن يبقى في بيته ثلاثة أيام ، من رجل أو امرأة ، لكن الرجل يشهد صلاة الجماعة مع المسلمين .

لكن السنة والأفضل والأرفق والأوفق والأحسن أن يصبر المصاب على من مات له ، ويحتسب الأجر عند الله ، وأن تجري الأمور على ما هي عليه :

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١]

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] .

فالأفضل له الصبر، ولا يُحد على أحد مات له ، إلا المرأة تُحد على زوجها أربعة أشهر وعشراً ، لأن الأمر لله ﷻ ، وهو المحمود على كل حال، فيصبر، ويحتسب، ويحزن، لكن لا يُغير شيئاً من أمور ديناه بسبب المصيبة ، ولمن مات له أحد أن يُحد عليه ثلاثة أيام فما دونها، لكن الأفضل عدم الإحداد .

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ : « لَا تُحَدُّ امْرَأَةٌ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ، وَلَا تَلْبَسُ ثَوْبًا مَّصْبُوغًا إِلَّا

ثَوْبَ عَصَبٍ، وَلَا تَكْتَحِلْ، وَلَا تَمَسُّ طَيِّبًا إِلَّا إِذَا طَهَّرْتَ نُبْدَةً مِنْ قِسْطٍ، أَوْ أَظْفَارٍ» . متفق عليه^(١) .

صفة إحداث المرأة :

الإحداث بالنسبة للنساء اجتناب الأشياء التالية وقت العدة من الوفاة .
والإحداث والعدة عبادة من العبادات ، فيجب على المرأة التي تحدُّ أن
تحتسب الأجر عند الله ، وأن تتعبَّد لله بإكمال العدة ، وتحقيق الإحداث .
والمرأة في العدة تجتنب ما يلي :

الأول : الطيب بجميع أنواعه ؛ دهناً ، أو بخوراً ، أو شمًا ، إلا شيئاً يسيراً
من الطيب عند الطهارة من الحيض .

الثاني : الحُلِيِّ بجميع أنواعه ؛ فلا تلبس الحُلِّيَّ لا في الكفين ، ولا في
الرقبة ، ولا في الأذنين ، ولا على الرأس ، ولا على الصدر ، ولا على
القدمين .

الثالث : لباس الزينة ؛ فلا تلبس ثوبًا يُعدُّ ثوب زينة ، أما الثياب العادية
فتلبس ما شاءت من أي لون .

الرابع : عدم الخروج من البيت ؛ إلا لضرورة ، كمراجعة طبيب ونحوه ،
وزيارة أبٍ أو أمٍ مريضٍ ، أو جلب طعامٍ لحاجةٍ ونحو ذلك .

الخامس : عدم التحسن ، والتجمل ، والتكحل ، والتزين وما أشبه ذلك ،
مما يدعو إلى نكاحها .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١٣) مسلم برقم: (٦٦/٩٣٨)، واللفظ له.
٨٩٤

وللمرأة المحادّة أن تكلم محارمها وغير محارمها في حاجتها ، لكن لا تخضع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض : ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢] .

والمرأة المحادّة على زوجها تعتدّ في بيت زوجها ، أو في بيت أبيها ، وتختار ما تأمن فيه على نفسها ، سواء كان بيت زوجها ، أو بيت أهلها ، وتبقى فيه حتى تخرج من العدة .

حصول الموت :

الموت إما أن يطلبك أو يلاقيك ، فلا مفر منه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

فالموت يطلب كل إنسان ، في أي مكانٍ أو زمان ، فلا نجاة منه ، كما قال سبحانه : ﴿ أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨] .

الموت يلاقيك و يلاحقك ، فلا فرار منه ، وهذا أشد وأبلغ .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّهَادَةَ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨] .

فلا نجاة لأحدٍ من الموت أبداً ، فكل حي لا بد أن يموت ، إلا الحي القيوم جل جلاله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٢٧] [الرحمن : ٢٦ - ٢٧] .

فالموت إما أن يطلبك فيدركك ، وإما أن يقابلك فيظفر بك : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

[١٨٥] .

وإذا نزل الوباء في أرضٍ فلا تقدّم عليها ، وإذا وقع ونحن فيها ، فلا نخرج
منها فرارًا منه ، ولو خرجت فرارًا منه فلن تفر من قدر الله عَلَيْكَ : ﴿ أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ
أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
﴿ البقرة : ٢٤٣ ﴾ .

٢ - الخزانة الثانية

حكم الانتماء إلى غير أبيه :

يجب على الإنسان أن ينتسب إلى أبيه ، ولا يجوز له أن ينتسب إلى غير أبيه وهو يعلم أنه ليس أبيه ، كأن ينتسب إلى رجلٍ من قبيلة أشرف من قبيلته ؛ لأجل أن يزيل عن نفسه مذمة قبيلته ؛ لأنه غير راضٍ بحسبه ونسبه ، فهذا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وفعله كفر ، ولا يُقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً ؛ لأن الله ﷻ يقول : ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ يَدْعِي إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ » . أخرجه البخاري (١) .

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لا تَرَعْبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ » . متفق عليه (٢) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ ، وَمَنْ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ نَسَبٌ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . متفق عليه (٣) .

حكم القيام للشخص :

القيام ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

قيامٌ للشخص .. وقيامٌ عليه .. وقيامٌ إليه .

(١) أخرجه البخاري برقم : (٤٣٢٦) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم : (٦٧٦٨) مسلم برقم : (١١٣ / ٦٢) ، واللفظ له .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم : (٣٥٠٨) ، واللفظ له ، ومسلم برقم : (١١٢ / ٦١) .

فالقيام له أن تقوم إذا دخل عليك رجلٌ إجلالاً له وإكراماً ، والقيام إليه أن تقوم إليه وتخطو خطواتٍ لاستقباله وإكرامه ، فهذا جائزٌ لقول النبي ﷺ للأَنْصار: « قَوْمُوا إِلَيَّ سَيِّدُكُمْ » . متفقٌ عليه (١) .

والقيام على الشخص أن تقوم على رأس الكبير أو الرئيس تعظيماً له ، هذا لا يجوز إلا إذا كان في ذلك إغاضة للمشركين ؛ لأن النبي ﷺ نهى أن تقوم على غيرنا كما تقوم الأعاجم على ملوكها .

أما إذا كان في ذلك حراسه له ، وإغاضة للمشركين ، فهذا محمود كما قام المغيرة بن شعبة على رسول الله ﷺ ، وقريش ترأسه في صلح الحديبية .

حكم السلام على الكفار :

لا يجوز أن نبدأ الكفار بالسلام ؛ لأن السلام دعاءٌ وإكرام ، وهم لا يستحقونه .

فإن سلموا وجب الرد عليهم ، ولا يجوز لنا السلام عليهم .

ولا يخلو سلام الكفار علينا من أحوال :

فإن كان صريحاً ، كالسلام عليكم ، نرد عليهم بقولنا : وعليكم السلام ، أو عليكم ، وإن صرحوا بقولهم : السام عليكم ، فنرد عليهم بقولنا : وعليكم ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبِخِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « لَا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطَّرِيقِ ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ » . أخرجه مسلم (٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٦٢) مسلم برقم: (١٧٦٨ / ٦٤)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢١٦٧ / ١٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ، فَقُولُوا : وَعَلَيْكُمْ » . متفق عليه ^(١) .

وإذا كانت هناك مصلحة من جلب خير ، أو دفع شر ، كأن يُرجى إسلامه أو اتقاء شره ، فيجوز أن نبدأه ، ونقول له : كيف أصبحت ؟ ، كيف أمسيت ؟ ، كيف حالك ؟ ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى المسلمين عن بداءة الكفار بالسلام .

فقه أحكام الشريعة :

بين النبي صلى الله عليه وسلم لأُمَّته أربعة أمور عظيمة :

الأول : أن الله تعالى فرض فرائض فلا يجوز تضييعها ، وأعظم الفرائض التوحيد والإيمان ، توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيد الله بالعبادة ، وتوحيد الرسول صلى الله عليه وسلم بالإتباع ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ثم الصلوات الخمس ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، والواجبات سواءً كانت فرض عين أو فرض كفاية : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

الثاني : أن الله تعالى حد حدودًا ، فلا يجوز تعديها ، فجعل للأحكام حدودًا في مقدارها وأوقاتها وصفتها ، لا يجوز تعديها كالصلوات ، وأنصبة الزكاة ، والصيام ، والحج وغيرها ، وجعل للمعاصي حدودًا لا يجوز تعديها كحد الزنا ، وحد السرقة ، وحد القذف وغيرها : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم : (٦٢٥٨) ، واللفظ له ، ومسلم برقم : (٢١٦٣/٦) .

الثالث : أن الله حرم أشياء ، فلا يجوز انتهاكها ، فحرم سبحانه الظلم والبغي والفواحش ، وحرم الشرك والقتل بغير حق ، والسحر والقذف ونحو ذلك من الكبائر : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

الرابع : أن الله سكت عن أشياء رحمةً بنا ، فلا يجوز البحث عنها . فسكت سبحانه عن أشياء لم يوجبها علينا ، ولم يحرمها علينا ، رحمةً بنا ، ولو شاء لأوجب علينا ما شاء ، وحرم ما شاء : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ بِالتَّكْوِينِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

والله يتكلم بما يشاء ، ولكننا لا نعرف كيف يتكلم ، ولا متى يتكلم ، ولا بم لا يتكلم ، والله مستوٍ على عرشه ، ولكننا لا نعلم عن كيفية الاستواء ، وينزل سبحانه إلى السماء الدنيا كل ليلة ، ولكننا لا نعلم كيفية النزول ، وسكت سبحانه عن أشياء لولا رحمته لألزمنا بها : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَكُنْ لِيُودَدٌ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤ ﴾ [الإخلاص: ١-٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨] .
فالله ^{عز وجل} بين أشياء يجب أن نفعلها ، ونهى عن أشياء يجب أن نجتنبها ، وسكت عن أشياء فلا نسأل عنها ، ولا نبحث عنها : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

حد المعاملات الممنوعة :

المعاملات الممنوعة شرعاً مبناها على ثلاثة أشياء :

الربا .. والظلم .. والغرر .

فكما معاملة اشتملت على واحد من هذه الثلاثة فالشئ قد حرمها ، وما عدا ذلك فهو حلال ؛ لأن الأصل في المعاملات الحل والإباحة : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

وينبغي للمسلم في باب المعاملات ، أن يُغلب الحل ، حتى يتبين له دليل التحريم ؛ لأن تحليل المحرم أهون من تحريم الحلال ؛ لأن تحليل المحرم في المعاملات مبني على أصل ، وهو أن الأصل في الأشياء والمعاملات الإباحة : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩] .

أما تحريم الحلال فمبني على غير أصل ، وفيه تضييق على العباد بغير برهان من الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفِّرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧] .

ما تحفظ به الحقوق :

الأشياء التي تحفظ بها الحقوق أربعة :

الشهادة .. والضمان .. والكفالة .. والرهن .

فالشهادة يُستوفى بها الحق ، والضمان والكفالة والرهن يُستوفى منها الحق إذا تعذر الوفاء .

جائز التصرف :

جائز التصرف من الناس من جمع أربعة أوصافٍ هي :

البلوغ .. والعقل .. والحرية .. والرشد .

فالصغير والمجنون ، والعبد والسفيه ، لا يُمكن من التصرف .

والرشد هو إحسان التصرف ، وهو في كل موضع بحسبه .

فالرشد في الدين استقامة الإنسان على الدين ، والرشد في باب الولي في النكاح معرفة الكفاء ، ومصالح النكاح ، والرشد في المال إحسان التصرف فيه بيعاً وشراءً ونحو ذلك ، والرشد في العبادات من قام بالواجبات ، وترك المحرمات ، والرشد في الأخلاق من تحلى بالخلق الجميل ، وتخلى عن الخلق القبيح ، والرشد في العقل والرأي من يحكم الأمور ، ويحسن التصرف .

والمرفوع عنه القلم من التكليف والإثم :

الصغير والمجنون ، والنائم والسفيه ، فهؤلاء مرفوع عنهم القلم باعتبار حق الله ، ولهذا لا يأثم المجنون والصغير ، والسفيه والنائم ، ولكن يلزمهم الضمان إذا أتلفوا شيئاً للآدمي ؛ لأن حقوق العباد مبنيةٌ على المشاحة ، وحقوق الله مبنيةٌ على المسامحة .

والإتلاف يستوي فيه الصغير والكبير ، والمتعمد والمخطئ ، والعاقل والمجنون ، فلو جنى هؤلاء على نفس أو مال لزمهم أرش الجنائية ؛ لأن حق الآدمي لا يُفرق فيه بين المكلف وغير المكلف ، فلا بد من ضمان لصاحبه ؛ فإن كانت دية فالدية على عاقلته ، وإن كانت دون ثلث الدية فهي على نفسه ، فإذا بلغ الصغير ، وعقل المجنون ، واستيقظ النائم ، ورشد السفيه ،

صاروا مكلفين كغيرهم : ﴿ لَا بُكْلُفُ أَللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

حكم الوكالة :

الوكالة استنباه جائز التصرف مثله فيما تدخله النيابة .
والوكالة جائزة بالنسبة للموكل ، سنةً بالنسبة للوكيل ، لما فيها من الإحسان لأخيه ، وقضاء حاجته .

وتصح الوكالة بكل قول يدل عليها كسائر العقود ، ويصح التوكيل بالقول أو الفعل أو الكتابة في القليل والكثير .

وتصح الوكالة مؤبدة ومؤقتة ، ومطلقة ومقيدة ، ويصح قبولها على الفور والتراخي ، وقد وكل النبي ﷺ في العبادات والمعاملات ، ووكل علياً أن ينحر له بقية الهدى في الحج ، ووكل رجلاً أن يشتري له أضحية .

ما يوكل فيه الإنسان غيره :

كل من له التصرف في شيء فله أن يوكل فيه ، وله أن يتوكل .

ويصح التوكيل في كل حق تدخله النيابة من العبادات .

وحق الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : قسمٌ يدخله التوكيل مطلقاً ، وهى العبادات المالية كالزكاة والصدقة والكفارة فيجوز التوكيل فى إحصائها وتوزيعها .

الثانى : ما لا تدخله النيابة مطلقاً كالصلاة والوضوء ونحوهما ، فهذا لا تدخله الوكالة مطلقاً ، فلا يجوز أن يوكل من يتوضأ عنه أو يصلي عنه ؛ لأن الوضوء والصلاة عبادة تتعلق بالبدن .

الثالث : العبادات التى تصح فيها الوكالة على التفصيل : كالحج ، فيجوز التوكيل فى فرض الحج لمن لا يستطيع أن يحج ، والأصل فى حقوق الله

أنها لا تصح فيها الوكالة ؛ لأن حقوق الله المقصود بها التعبد لله ، والتوكيل فيها يفوت المقصود منها ، وهو التعبد والتذلل لله ﷻ ، لكن يُقتصر على ما ورد فيه الوكالة كالحج والعمرة .

والحج وردت النيابة فيه عن صنفين من الناس :

الأول : من مات قبل أداء الفريضة ، فإنه يحج عنه .

الثانى : من كان عاجزاً عن الفريضة عاجزاً لا يُرجى زواله ، فهذا يحج عنه كما ورد فى السنة .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ ، يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشُّقِّ الْآخِرِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا ، لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ ، أَفَأَحْجُّ عَنْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ . متفق عليه^(١) .

حكم التوكيل فى الخصومات :

من يريد التوكيل لا يخلو من أحوالٍ ثلاثة :

الأول : أن نعلم أنه محق ، لكن خصمه خصم جدل .

فهذا يجوز أن نقبل منه الوكالة فى الخصومة ، بل قد يجب أو يستحب ، لما فيه من إنقاذ حق أخيك ونصرته ، بإيصال الحق إليه ، ونصرة الظالم لمنعه من الظلم كما قال النبى ﷺ : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قِيلَ : كَيْفَ نَصْرُهُ إِذَا كَانَ ظَالِمًا؟ ، قَالَ : أَنْ تَحْجِزَهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ » . أخرجه البخاري^(٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥١٣)، والفظ له، ومسلم برقم: (٤٠٧/١٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٩٥٢) .

الثاني : أن نعلم أن الموكل مطا ، فهذا لا يجوز له أن يوكل غيره ، ولا يجوز لأحد أن يتوكل عنه ، لما فيه من التعاون على الإثم والعدوان : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] .

الثالث : أن نتردد ، فلا نعلم أمحق هو أم مبطل ؟ فهنا السلامة لا يعدلها شيء ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .
قال النبي ﷺ : « إِنْ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » . متفق عليه (١) .
حكم المحاماة :

المحامى من الناس له حالتان :

الأولى : إن كان يحامى عن شخص عاجز عن دفع الظلم عن نفسه فيتوكل عنه لأخذ حقه ، ودفع الظلم عنه ، فهذا خير ؛ لأنه من التعاون على البر والتقوى وهو دائر بين الوجوب والاستحباب ، ولو كان بعوض : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] .

الثانية : أن يحامى من أجل أن يحصل على المال ، سواء كان الموكل له محققاً أو مبطلاً ، فهذا لا يجوز ، فإن علم أنه مبطل صار ذلك أشد تحريماً ، وأعظم إثماً ، وعلى هذا فيجوز التوكيل فى الخصومة إذا علم وتبين له أن موكله محق وعاجز ؛ لأن الأصل فى المعاملات الحل ، فأى إنسان يطالب بدليل أى معاملة فيقال له : الدليل عليك أنت ، هات الدليل على التحريم ، وأنا أعمل به .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٧٣٩) ، ومسلم برقم (١٦٧٩/٢٩) ، واللفظ له .

أما العبادات فالأصل أنه لا عبادة إلا بدليل شرعي من قرآنٍ أو حديثٍ صحيح .

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « . : مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه^(١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم: (١٧/١٧١٨) .

٣- الخزانة الثالثة

أقسام الحكم الشرعى :

الحكم الشرعى قسمان :

الأول : الحكم التكليفى ، وهو ما يترتب عليه الثواب والعقاب .

الثانى : الحكم الوضعى ، وهو ما يترتب عليه الصحة والفساد .

فقولنا : جائزٌ فى الحكم الوضعى نعى به ضد اللازم يعنى يجوز فسخه بدون رضا الآخر ، فالوكالة مثلاً عقد جائز ، فلكل منهما فسخها ، وضده اللازم كالبيع والإجارة ونحو ذلك .

وقولنا : جائزٌ فى الحكم التكليفى نعى به ضد المحرم لا إثم فيه ، فالبيع عقد جائز ، والربا عقدٌ محرم والنكاح عقدٌ جائز وهكذا .

فقه الصحيح والمحرم :

كل صحيح فهو جائز ؛ لأن الصحة فرغٌ عن الجواز فى الحكم الشرعى لا الوضعى ، وليس كل محرم غير صحيح ، منتظر فإن عاد التحريم إلى ذات الشىء كالجهاالة والغرر فى البيع أو الربا أو الظلم ، فهو غير صحيح ، وإن عاد التحريم إلى أمر خارج ، فإنه صحيح ، ولكنه آثم .

فتلقى الركبان محرم ، والشراء من الركبان محرم ، لكن البيع صحيح ، لكنه لا يعود إلى جهالة المبيع ولا إلى الربا ، وإنما يعود إلى تغرير البائع ، ولهذا له الخيار إذا قدم البلد ودخل السوق ، وكل عقدٍ محرم لا تترتب عليه آثاره ، فالبيع الفاسد لا يملك المشتري السلعة ، ولا البائع الثمن .

حكم الإجارة :

الإجارة هي عقدٌ على منفعةٍ معلومة ، أو على عمل معلوم .
فالمنفعة المعلومة كسكن الدار بأجرة سنة مثلاً ، والعمل المعلوم كأن يستأجر بناءً ليبنى له جداراً أو بيتاً ، وهي نوعٌ من البيع ؛ لأنها بيع منافع ولهذا تحرم بعد نداء الجمعة الثاني ، ويحرم عقد الإجارة في المسجد كالبيع .

والإجارة عقد جائز ، فإذا تم الاستئجار صارت لازمة ، ولا تصح الإجارة إلا بأربعة شروط :

الأول : معرفة المنفعة كسكنى الدار ، وخدمة آدمي .

الثاني : معرفة الأجرة .

الثالث : إباحة نفع العين ، فلا تصح على نفعٍ محرم كالزنا وسقي الخمر ونحوهما .

الرابع : أهلية المؤجر والمستأجر ، بأن يكون جائز التصرف .

حكم تأجير الزوجة نفسها :

لا يجوز للزوجة أن تؤجر نفسها في تعليم أو تريض ونحوهما إلا بإذن زوجها ؛ لأن المرأة إذا تزوجت إنساناً ملكها ، فالزوجة عوان أي أسيرة عند زوجها مملوكة ، ونفعها مملوكٌ للزوج ، فوقتها مملوكٌ للزوج ، ولهذا لا تصوم تطوعاً إلا بإذن الزوج ، وإذا طلبت من الزوج أن تعمل في التدريس مثلاً وأذن لها جاز ، ويجوز لوليها أن يشترط عند العقد أن تؤجر نفسها ؛ لأن المسلمين على شروطهم .

وإن استؤجرت على عمل مشترك كخياطة ثوب أو خصف نعل ، فهنا لم تؤجر نفسها ، وإنما استؤجرت على عمل ، فهنا إن كان هذا يشغلها عن

حقوق الزوج لم يجز لها ذلك إلا بإذن الزوج ، وإن كان لا يشغلها عن حقوق الزوج ، ولم يضر بسمعة الزوج فلا بأس بذلك .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَيْهِ شَطْرَهُ » . متفق عليه^(١) .

حكم الغناء :

الغناء هو تلحين الكلام أو القصيدة بصوتٍ جميلٍ مؤثر .

والغناء ثلاثة أقسام :

مباحٌ .. ومكروهٌ .. ومحرمٌ .

فالغناء المحرم يدور على شيئين :

الأول : أن يكون موضوع الأغنية فاسداً ، كوصف النساء والمردان والخمر وما أشبه ذلك من المحرمات ، فهذا محرمٌ لذاته .

الثاني : أن يكون موضوع الأغنية غير محرم ، ولكنه مصحوبٌ بآلة لهو محرمة ، كآلات العزف والموسيقى والعود ونحوها ، فهذا حرامٌ لما صاحبه من الآلات المحرمة أو الرقص .

أما الغناء المباح فمثل حداء الإبل ، أو الغناء على الأعمال المباحة يستعان به على التعب ، إذا اشتمل على مصلحةٍ شرعية ، أو غرض صحيح كبناء المسجد أو الدار ، أو رصف الطريق ، أو إذا اشتمل على الخير والشجاعة وكان بعيداً عن الفحش والخناء كما كان الصحابة ينشدون وهم بينون المسجد مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يقولون وهم ينقلون الصخر ، وهم يرتجزون

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٩٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٢٦/٨٤).

والنبي ﷺ معهم وهو يقول : « اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ
والمهاجرة » . متفقٌ عليه^(١) .

وأما الغناء المكروه فمثل ما أشغل عن فعلٍ مستحب ، وليس فيه ضررٌ أو
فتنة .

فقه الأحكام :

إذا نص الشرع على شيء له فائدة وقت الرسالة ، ثم عدت فائدته أو منفعته
التي كانت في وقت الرسالة كالشعير والإقط في زكاة الفطر ، ففي وقتنا في
بلاد الحرمين ليسا قوتًا ، وفي زمن الرسالة هما قوتٌ للناس ، وكالسباق
على الخيل ونحو ذلك .

فهنا يُنظر للمنفعة والمصلحة ، ويُنظر للمعنى والعلة التي شرع الله ذلك من
أجلها .

فإذا كان الشعير غير قوتٍ للناس فلا يُجزىء ، وإذا كان السباق على الخيل
للتجارة لا للتدرب على الكر والفر من أجل الجهاد في سبيل الله ، والسباق
على الأقدام إذا كان للتجارة لا للتدرب ، فلا يجوز ذلك ؛ لئلا ينشغل
الناس بها ويتخذونها تجارةً تلهيهم عن ما هو أهم منها : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي
وَسُكُوتِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

تبعيض الأحكام :

الأحكام أحياناً تتبعض ، فإذا وجدنا ما يثبت أحدهما من وجه دون الآخر ،
حكمتنا بالوجه الثابت ، وتركنا الذي لم يثبت ، فإذا ادعى شخصٌ مثلاً على

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٩/١٨٠٥).

آخر أنه سرق ماله من بيته ، وأتى على ذلك برجلٍ وامرأتين ، فهذه تضمنت حكمين : ضمان المال ، وقطع اليد .

فالحل لا يثبت إلا بشهادة رجلين ، والمال يثبت بشهادة رجل وامرأتين ، ففي هذه الحال يضمن السارق المال ولا تقطع يده، لوجود مقتضى أحدهما دون الآخر، وذلك لأن الحد لا يثبت إلا بشهادة الرجال دون النساء .

الفرق بين الملك والاختصاص :

الملك هو تملك الدراهم أو السيارات أو المزارع أو الأشياء ونحوها . والاختصاص هو الشيء الذي لا يُملك ، ولكن صاحبه أخص به مثل كلب الصيد ، فهذا لا يُملك ، ولهذا لا يُباع ولا يُشترى ، فإذا استغنى عنه أعطاه غيره ، ولا يجوز بيعه ، ومثل السرجين النجس كروث الحمير فصاحبه أخص به ، وليس بمال ، ولهذا لا يُباع ولا يُشترى .

حكم تصرفات الغاصب :

الغصب هو الاستيلاء على حق غيره قهراً بغير حق من عقارٍ ومنقولٍ ومالٍ . وجميع تصرفات الغاصب من حيث الحكم التكليفي كلها حرام . ومن حيث الحكم الوضعي ، ومن حيث الصحة والنفوذ، تنقسم إلى قسمين : الأول : ما له حكمٌ من صحة أو فساد يكون تصرف الغاصب فيه باطلاً وجوده كعدمه ، لأن ما بنى على الباطل ، فهو باطل فلو باع المغصوب مثلاً كسيارة أو وقفها وأجرها ، فكل ذلك باطل ؛ لأن الغاصب لا يملك المغصوب ، ولا يملك التصرف فيه ، وفعله محرم ، فإن أجازها المالك فهي صحيحة ، لأن المال له .

الثاني : ما ليس له حكم ، يكون تصرف الغاصب فيه نافذاً كما لو غصب ماءً فأزال به نجاسةً في ثوبه ، فإن الثوب يطهر ، ولكنه آثم .

حكم المعاملات بين الخلق :

المعاملات بين الخلق لا يُعذر فيها بالجهل ، أما العبادات فيُعذر فيها بالجهل ؛ لأنها معاملةٌ بين المخلوق وخالقه ، وحقوق الله ﷻ مبنيةٌ على المسامحة والرحمة بالخلق ، فمن كسر وأتلف مال غيره ضمنه صغيراً كان أو كبيراً ، متعمداً أو مخطئاً ، ومن صلى بغير وضوء جاهلاً فلا إثم عليه ، لكن عليه أن يتوضأ ، ويعيد الصلاة المفروضة .

حكم المعازف :

المعازف هي آلات العزف الموسيقية ، وتحرم جميع آلات العزف ، ويستثنى من ذلك استعمال الدف في المناسبات ، فالسنة جاءت بجوازه كاستعمال الدف في الأعراس ، واستعمال الدف في الأعياد ، واستعمال الدف عند قدوم الغائب الكبير الذي له إمرة ، كل هذا جاءت به السنة ، وكل ما عدا الدف من آلات الزمر والعزف والموسيقى فهو محرم ، وكل ما عدا الأحوال التي رُخص فيها بالدف فهي حرام : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال رسول الله ﷺ : « لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ وَالْحَرِيرَ ، وَالخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ وَلِيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا : ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا ، فَيَبِيتُهُمُ اللَّهُ ، وَيَضَعُ الْعِلْمَ ، وَيَمْسُحُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أخرجه البخاري معلقاً (١) .

فيجب على ولاة أمور المسلمين تكسير آلات العزف وإتلافها ، وعدم السماح ببيعها ، لأنهم مسئولون عن الأمة ، وهم قادرون على إزالة المنكر ،

(١) أخرجه البخاري معلقاً برقم: (٥٥٩٠) .

لئلا تشيع الفاحشة والمنكر في أمتهم، وإذا اتقوا الله عز وجل في الأمة اتقت الأمة ربها فيهم، ومن أذل الخلق في طاعة الله أعزه الله بهذه الطاعة .

وجميع المعاصي ضرر على العاصي ، وعلى الأمن ، وعلى الولاية ، وعلى الأمة، لأن النفوس إذا أبعدت عن الخالق لم ترحم المخلوق ، وهذه الأشياء تُبعد الخلق عن الخالق ، لأنها تلهي وتصد عن سبيل الله ، وعن ذكر الله ، وعن الصلاة، وهي أسلحة الشيطان التي يقتل بها من أطاعه ويجره إلى النار : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحُمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١] .

وقال الله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦] .

حكم العمل للغير بلا عقد :

من عمل للغير عملاً بلا عقد فليس له شيء إلا في ثلاث حالات :

الأولى : إنقاذ مال المعصوم من الهلاك ، من حريق أو غرق ونحوهما .

فهذا يُعطى أجرة المثل ، تشجيعاً للناس على المبادرة لحفظ الأموال : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

العِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢] .

الثانية : رد العبد الأبق من سيده .

الثالثة : إذا أعد الإنسان نفسه للعمل كخياط و حداد ونحوهما ، فإذا أعطوه ثوباً من أجل أن يخيطه ، فله أجره المثل .

ولكن من المروءة والإحسان أن تكافئ كل محسن إليك ، لأنه عمل بك معروفًا ، ولما فيه من تشجيع الناس على فعل الخير ، وأداء الأمانة ، وفعل ما يجلب المحبة ، وحفظ الأموال .

قال النبي ﷺ : « من صنع إليكم معروفًا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه به ، فادعوا له » . أخرجه أحمد^(١) .

حكم من وجد مالاً :

من وجد مالاً فله ثلاث حالات :

الأولى : أن يعلم أن صاحبه تركه رغبة عنه ، فهذا لواجده ، كما يوجد بعض الكراسي والأواني المرمية في الأسواق والصحاري ونحو ذلك مما استغنى عنه أهله .

الثانية : أن يكون مما لا تتبعه همة أوساط الناس كقلم ومال زهيد وعصا ونحوه ، فهذا من وجده فله أخذه إن لم يعلم صاحبه .

الثالثة : أن يكون مما تتبعه همة أوساط الناس ، فهذا يجب أن يُعرف سنة ، ولا يتركه ليأخذه غيره .

أما لقطه مكة فلا تحل إلا لمنشد ، فإن عجز عن الوصول لصاحبها سلمها للحاكم ، ولا يملكها أبدًا ، فالفرق بين اللقطة واللقيط أن اللقطة هي ضياع الأموال ، واللقيط ضياع الآدميين ، وميراث اللقيط إن لم يكن له ورثة لواجده ، وديته كذلك .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٥٧٠٣) ، وأبو داود برقم (٥١٠٩) .

٤ - الخزانة الرابعة

حد الأولياء :

الأشخاص الذين يتصرفون لغيرهم أربعة :

الوكيل .. والوصي .. والناظر .. والولي .

فالوكيل : يكون في حال الحياة كما لو وُكِّلَه لشراء سيارة له .

والوصي : من أذن له في التصرف بعد موت الموصي كما لو قال : أوصيت فلاناً بتوزيع الثلث أو برعاية أولادي .

والناظر : هو الوكيل على الوقف كأن يقول : وقفت بيتي على الفقراء والناظر عليه فلان ، أو من اتصف بالعلم ونحوه .

والولي : من كان يتصرف بإذن من الشارع ، كولي اليتيم ، وولي النكاح ، فهذان ولأهما الله .

أما الوكيل والوصي والناظر، فهؤلاء يتصرفون بإذن المالك ، فيتعين الناظر على الوقف إما بالشخص كزيد مثلاً أو بالوصف كالعالم أو القاضي أو الأمير .

حكم الهبة :

الهبة : هي التبرع بالمال حال الصحة ، أو مرض غير مخوف .

والعطية: هي التبرع بالمال في مرض الموت المخوف، فهي أخص من الهبة.

وخروج المال بالتبرع يكون هبة ، ويكون هدية ، ويكون عطية ، ويكون صدقة .

فما قصد الإنسان به نفع المعطي فهو هبة ، وما قصد به التودد والتأليف فهو هدية ، وما قصد به ثواب الآخرة لذاته فهو صدقة ، فلكل تبرع معنى ، وفيه

ثواب من الله ﷻ ، لكن الهبة والهدية والعطية لم يقصد فيها الثواب قصدًا أوليًا ، ولهذا تخص بشخص معين ، أما الصدقة فالثواب مقصود فيها قصدًا أوليًا ، ولهذا تستحب لأي فقير .

وتصح هبة المعلوم والمجهول ، فالمعلوم كأن يهبه هذا القلم ، والمجهول كأن يهبه حملاً في بطن ، أو ما في هذه الدار ، لأنه لا يترتب عليه شيء ، فإن وجده كثيراً فهو غانم ، وإن كان قليلاً فلا ضرر عليه .

فالهبة عقد تبرع ، والإنسان فيها إما غانم أو سالم ، وليست من الميسر الدائر بين الغنم والغرم ، فتصح هبة المجهول سواء تعذر علمه أو لم يتعذر .

أصل التبرعات :

الغالب أن الهدية تكون من الأدنى إلى الأعلى ، لأن الأدنى يريد التودد إلى الأعلى ، ليستفيد منه ، أو ليشكره على إحسانه .

والهبة تكون مع المساوي ومع من دونه ، لأن الواهب يريد نفع الموهوب ، وكذلك العطية .

والصدقة تكون من الأعلى إلى الأدنى ، لأن الأعلى يريد التقرب إلى الله بالإحسان إلى الأدنى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

وعقود التبرعات كالوقف ، والهبة ، والهدية ، والعطية ، والصدقة ، أوسع من عقود المعارضات من وجه ، وأضيق من وجه .

فعقود المعاوضات كالبيع والإجارة تجوز حتى ممن عليه الدين ، أما التبرعات فلا تجوز ممن عليه دين لأن قضاء الدين واجب ، والتبرعات سنة ، والواجب يقدم على السنة ، وعقود التبرعات تجوز في الأشياء المعلوم والمجهولة ، أما المعاوضات فلا تجوز إلا في الشيء المعلوم من عقار ومنقول .

حكم أخذ الوالد من مال ولده :

يجوز للأب أن يأخذ من مال ولده ، سواء كان ذكراً أو أنثى ، لكن لا يجوز ذلك إلا بشروط :

أولاً : ألا يضر الولد .

ثانياً : ألا يأخذ ما يحتاجه الولد .

ثالثاً : أن يكون الأب حراً .

رابعاً : ألا يكون الولد أعلى منه في الدين ، فلا يأخذ الأب الكافر من مال ابنه المسلم ، ويجوز أن يأخذ الأب المسلم ، من مال ولده الكافر ؛ لقول النبي ﷺ : « أنت ومالك لأبيك » . أخرجه أحمد وابن ماجه^(١) .

فقه مقاصد النكاح :

ينبغي للمسلم إذا أراد الزواج أن يقصد بذلك امتثال أمر الله ورسوله في النكاح ، وتكثير نسل الأمة الإسلامية ، وتحصين فرج زوجته ، وغض بصره وبصر زوجته ، وإعفاف نفسه ، وقضاء شهوته ، فإن نوى ذلك فله بكل واحدة أجر من ربه ، لأن الأعمال بالنيات .

عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه^(٢) .

شروط جواز النظر إلى المخطوبة :

يشرع لمن أراد الزواج أن ينظر إلى مخطوبته ، فإن ذلك ادعى لأن يؤدم بينهما .

(١) صحيح / أخرجه ابن ماجه برقم: (٢٢٩١)، وأحمد برقم: (٦٩٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، ومسلم برقم: (١٥٥/١٩٠٧)، واللفظ له.
٩١٧

ويشترط لجواز النظر للمخطوبة ستة شروط :

الأول : أن يكون النظر بلا خلوة .

الثاني : أن يكون بلا شهوة .

الثالث : أن يغلب على ظنه الإجابة .

الرابع : أن ينظر إلى ما يظهر غالباً منها كالوجه واليدين والقدمين .

الخامس : أن يكون عازماً على الخطبة والنكاح .

السادس : ألا تظهر المرأة للخطيب متبرجة متطيبة ، لأن المقصود

الاستعلام لا الاستمتاع : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] .

المرأة المبانة :

المرأة المبانة : هي التي فارقتها زوجها في الحياة فراقاً بائناً ، لا يستطيع

الرجوع إليها ، وهي إما أن تكون مطلقة آخر ثلاث تطليقات ، أو مطلقة على

عوض وهو الخلع ، أو مفسوخة فسخاً لا طلاقاً ، كما لو وجد بها عيباً

ففسخ النكاح ، أو وجدت به عيباً ففسخت النكاح .

حكم خطبة المعتدة :

خطبة المعتدة لها ثلاث حالات :

الأولى : تحرم الخطبة تصريحاً وتعريضاً ، وهي خطبة الرجعية من غير

زوجها ، لأنها زوجة ، ومثلها المبانة بثلاث من زوجها .

الثانية : تجوز تصريحاً وتعريضاً لزوج أبان زوجته بغير الثلاث بطلاق على

عوض أو فسخ ، لأن العدة له ، ويجوز له أن يتزوجها بعقد ومهر جديدين .

الثالثة : يحرم التصريح ، دون التعريض ، في خطبة المبانة من غير الزوج ،

والمعتدة من وفاة .

أقسام الذبح :

الذبح إزهاق الروح بإراقة دم الحيوان المأكول على وجه مخصوص .
والذبح يكون على وجوه أربعة :

الأول : أن يقصد بالذبح تعظيم المذبح له ، والتذلل له ، والتقرب إليه ،
فهذا عبادة لا يكون إلا لله تعالى وحده ، وصرفه لغير الله شرك كما قال
سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

الثاني : أن يقصد به إكرام الضيف ، أو وليمة عرس ونحو ذلك ، فهذا مأمور
به شرعاً .

الثالث : أن يقصد به الاتجار أو التمتع بالأكل ونحو ذلك ، فهذا مباح شرعاً .
الرابع : أن يقصد به العبث واللعب ، فهذا فعل محرم ، لما فيه من الاستهانة
بنعم الله ، ولما فيه من إضاعة المال ، وتجاوز حدود الله : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ
حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [الطلاق: ١] .

حكم الاستغائة :

الاستغائة طلب الغوث والإنقاذ من الشدة والهلاك .

والاستغائة أقسام :

الأول : الاستغائة بالله ﷻ وحده ، وهذا من أفضل الأعمال وأكملها ، وهو
دأب الرسل وإتباعهم من المؤمنين : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ
أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٩]

الثاني : الاستغائة بالأموات أو الأحياء الغائبين القادرين على الإغاثة ، هذا
شرك ، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون ، فيجعل
لهم حظاً من الربوبية فيدعوهم : ﴿ قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾

﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦].

قال الله تعالى : ﴿ فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

الثالث : الاستغاثة بالأحياء الحاضرين القادرين على الإغاثة فيما يقدرون عليه كالاستغاثة ممن وقع في بئر ماء أو من التهمه الحريق ، فهذا جائز .

قال الله تعالى عن موسى ﷺ : ﴿ فَاسْتَعْنُهُ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَّلَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ [القصص: ١٥-١٧].

حكم الوليمة :

الحكمة من تقديم وليمة العرس إعلان النكاح وإظهاره حتى يتميز عن السفاح ، وإطعام الفقراء ، وصلة الأرحام والأقارب ، وإظهار الفرح والسرور والمودة بين أهل الزوجين ، وشكر النعمة ، وهي مشروعة في حق الزوج ، لأن النعمة في حقه أظهر وأكبر ، لأنه طالب الزواج .

كما قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف : « أولم ولو بشاة » . متفق عليه^(١).

أقسام الولائم :

الولائم تنقسم إلى أربعة أقسام :

١- فمنها ما هو مسنون .

٢- ومنها ما هو مباح .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٩٣٧) ، ومسلم برقم (١٤٢٧) .

٣- ومنها ما هو مكروه .

٤- ومنها ما هو محرم .

فمن الولايم المحرمة أن يجتمع الناس إلى أهل الميت للعزاء ، ويصنع أهل الميت الطعام للمجتمعين ، فهذه محرمة ، لأنها من النياحة ، ومنها الوليمة على العزف والغناء والرقص ، وكل ما فيه إسراف .

ومن الولايم المكروهة الوليمة الثانية للعرس ، لأن فيها نوعاً من الإسراف : ﴿ يَبْنِيْٓ ءَادَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴾ [الأعراف: ٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ وَلَا تُبْذِرْ بِنْدَرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِيْنَ كَانُوْا إِخْوَانَ الشَّيْطٰنِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطٰنُ لِرَبِّهِٖ كَفُوْرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧] .

ومن الولايم المباحة ما يفعله بعض الناس عند حدوث ما يسر كالوليمة للختان ، لأن الأصل الإباحة ، حتى يقوم دليل المنع .

ومن الولايم المسنونة

وليمة العرس ، وفيها سنة قولية وفعلية ؛ القولية ، قول الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن عوف : « أولم ولو بشاة » . متفق عليه^(١) .
والفعلية ، أنه ﷺ أولم على جميع نسائه .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٨٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٢٧/٧٩).

حكم خروج المرأة من المنزل :

خروج الزوجة من المنزل له ثلاث حالات :

الأولى : أن يكون الخروج لا ضرر فيه على الزوج ، ولا ضرر عليها في خروجها ، فهذه ينبغي أن يأذن لها زوجها ، لأن منعها كبت لحريتها ، ولأنه قد يفسدها عليه .

الثانية : أن يكون في خروجها ضرر عليه ، أو ضرر عليها ، فقد ترى في الشارع والأسواق شاباً يعجبها فتتعلق به ، وقد تزور أحداً من أقاربها فيفسدها عليه ، فهذه تمنع من الخروج ، درءاً لهذه المفسدة .

قال الله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ لِحَاتِ قَنِينَتِ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤] .

الثالثة : أن لا يكون في خروجها خير ولا شر ، فهذه الأفضل أن يشير عليها ألا تخرج لقول الرسول ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله أو بيوت الله ، وبيوتهن خير لهن » . متفق عليه^(١) .

وإن أصرت على الخروج فالأولى أن لا يمنعها ، فليعطيها شيئاً من الحرية لتزداد محبتها له ، وتطيب العشرة بينهما ، ولكل حال تصرف حكيم يناسبه : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٩٠٠) مسلم برقم: (٤٤٢/١٣٦)، واللفظ له.
٩٢٢

إعلان النكاح :

إعلان النكاح يختلف في كل زمان ومكان ، بحسب أحوال الناس ، ومنه الضرب بالدف ، وأنوار الكهرباء على بيت الزوج بدون إسراف ، وأنوار الكهرباء على بيت الزوجة بدون إسراف ، وفي هذا الإعلان مصالح كبرى تظهر للزوجين وغيرهما ، وامثال لأمر الرسول ﷺ : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

حكم إزالة الشعر :

إزالة الشعر لها ثلاث حالات :

مأمور به .. ومنهي عنه .. ومسكوت عنه .

فالمأمور به ، إزالة شعر العانة والشارب والإبط .

والمنهي عنه ، حلق اللحية بالنسبة للرجال ، والنمص بالنسبة للرجال والنساء .

والنمص هو إزالة شعر الوجه ، سواء كان الحاجبان أو غيرهما .

والمسكوت عنه ، قد عفا الله عنه كشعر ساقى المرأة والأولى أن لا يزال إلا

إذا كان مشوهاً للمرأة ، لأن الله لم يخلقه إلا لحكمة : ﴿ وَمَا آتَيْنَاكُمُ الرَّسُولُ

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]

. [٧]

حكم الطلاق في النفاس :

النفاس كالحيض فيما يحل ويحرم ، ويجب ويسقط ، إلا الطلاق ، فيجوز

أن يطلق الرجل زوجته في النفاس ، لأن النفاس يحسب من العدة ، بخلاف

الحيض ، فالحائض لا تشرع في عدتها مباشرة ، أما النفاس فتشرع في العدة

مباشرة .

حكم من قال لزوجته : أنت علي حرام :

إذا قال الزوج لزوجته أنت علي حرام فله ثلاث حالات :

الأولى : إن نوى به الطلاق فهو طلاق .

الثانية : إن نوى به الظهار فهو ظهار .

الثالثة : إن نوى به اليمين فهو يمين .

فإن نوى به اليمين ، فهو لم ينو التحريم ، لكن نوى الامتناع ، فهذه يمين يكفرها بكفارة يمين ، كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [التحریم: ٢] .

وإن نوى به الظهار ، فهو ظهار ، لأن معنى قوله : أنت علي كظهر أمي ، أنت حرام ، لا لأن أشد ما يكون عليه حرام ظهر أمه ، فعليه كفارة ظهار .
وإن نوى به الطلاق فهو طلاق ، لأنه صالح للفراق فتطلق واحدة ، فعلى هذا يحكم عليه بحسب نيته .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » . متفق عليه^(١) .

حكم الشك في الطلاق :

الأصل بقاء ما كان على ما كان ، واليقين لا يزول إلا بيقين ، فالأصل بقاء النكاح فلا يزول إلا بيقين الطلاق ، فمن شك بطلاق أو شرطه لم يلزمه ، وإن شك في عدده فطلقة واحدة ، فالأصل بقاء النكاح فلا يزول إلا بيقين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) مسلم برقم: (١٥٥/١٩٠٧)، واللفظ له.
٩٢٤

ومن أوقع الطلاق مع الشك ، فقد ارتكب محظورين :
الأول : التفريق بين الزوجين .

الثاني : إحلال هذه المرأة لغير الزوج ، وهي في عصمته ، وحرمانها من النفقة والميراث إذا مات ، وهذا كله محرم .

فالشك في الطلاق لا عبء به ، لأن الأصل بقاء النكاح .
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » . متفق عليه^(١) .

حكم تعليق الطلاق بالشرط :

تعليق الطلاق بالشرط ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون شرطاً محضاً ، فيقع به الطلاق .

مثاله : أن يقول لزوجته : إذا غربت الشمس فأنت طالق .

الثاني : أن يكون يميناً محضاً ، فلا يقع به الطلاق ، لكن فيه كفارة يمين ،

مثاله : أن يقول قاصداً الامتناع لا الطلاق : إن أكلت هذا اللحم فأنت طالق .

الثالث : أن يكون محتملاً للشرط المحض واليمين المحض ، فهذا يُرجع

فيه إلى نية المطلق .

مثاله : أن يقول لزوجته : إن خرجت من الدار فأنت طالق ، فإن قصد به

الطلاق وقع ، لأنه شرط محض ، وإن أراد به منعها من الخروج بما يشبه

القسم ، ولم يقصد الطلاق ، فلا يقع الطلاق وفيه كفارة يمين إن خرجت .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) مسلم برقم: (١٥٥/١٩٠٧)، واللفظ له.

وإذا علق الطلاق بشرط فله أن يسقطه قبل وقوعه ، لأنه حقه فله أن يسقطه ،
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما
لكل امرئ ما نوى » . متفق عليه^(١) .

حكم الشرع في الإطعام :

الشرع من حيث التقدير في الإطعام الواجب ينقسم إلى ثلاثة أقسام :
الأول : ما قدر فيه المدفوع ، والمدفوع إليه مثل فدية الأذى : ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّنْ
صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة: ١٩٦] .

فهنا قدر المدفوع بنصف صاع ، والمدفوع إليه ستة مساكين .

الثاني : ما قدر فيه المدفوع فقط ، دون المدفوع إليه ، مثل صدقة الفطر ،
فهي صاع من طعام من أرز أو بر ونحوهما، يجوز أن تعطى لواحد أو عشرة .

الثالث : ما قدر فيه المدفوع إليه ، دون المدفوع ، مثل كفارة اليمين ، كفارة
الظهار ، كفارة الجماع في نهار رمضان .

أقسام الوطاء :

وطاء النساء على أربعة أوجه :

- ١- في النكاح .
- ٢- وفي الشبهة .
- ٣- وفي ملك اليمين .
- ٤- وفي الزنا .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) مسلم برقم: (١٩٠٧/١٥٥)، واللفظ له،
٩٢٦

فالنكاح الشرعي تجب فيه العدة ، ونكاح الشبهة يجب فيه الاستبراء بحيضة
لا العدة ، وملك اليمين يجب فيه الاستبراء لا العدة ، فلو جامع الرجل أمته
فلا يجوز أن يبيعها أو يزوجه حتى يستبرئها بحيضة .

والزنا ، الزانية ليس عليها عدة ولا استبراء ، لكن إن حملت حرم على
زوجها أن يجمعها حتى تضع الحمل ، لئلا يسقي ماءه زرع غيره ، وإن لم
تكن متزوجة لم يصح العقد عليها حتى تضع الحمل .

٥ - الخزانة الخامسة

مدة الحمل :

أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وغالبه تسعة أشهر ، ولا حد لأكثره ، فالله
 ﷻ يقول عن الإنسان : ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف: ١٥] .

ويقول في آية أخرى : ﴿ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤] .

فإذا أخذنا عامين للفصال بقي ستة أشهر للحمل ، فهذا أقل مدة حمل ، فالله
 بين أقله وغالبه وهي تسعة أشهر ، وأكثره غير معلوم ، فقد يكون أربع سنين
 أو أكثر أو أقل ، وأقل زمن يتبين فيه خلق الإنسان واحد وثمانون يوماً وهو
 بدء المضغة المخلقة ، وغالب زمن يتبين فيه خلق الإنسان تسعون يوماً
 وتنفخ فيه الروح إذا تم له مائة وعشرون يوماً ، وهي أربعة أشهر: ﴿ يَأْتِيهَا
 النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ
 ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ
 مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِي
 وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى
 الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ

بِهَيْجِ ﴿٥﴾ [الحج: ٥] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنْ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ
 خَلْقَهُ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ
 ذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْسُلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيَوْمُرُ بِأَرْبَعِ ، كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ :
 اكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنْ أَحَدَكُمْ
 لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ

الكتاب فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ
ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة « . متفق عليه (١) .

حكم إلقاء الحمل :

للحمل في بطن الأم أربع حالات :

الأولى : أن يكون قبل أربعين يوماً حال النطفة، فهذا مكروه إلقاءه أو محرم،
ولا يباح إلا إن كانت الأم مريضة يخشى عليها ؛ لأنه معصوم .

الثانية : أن يكون بعد الأربعين يوماً حال كونه علقة ، وهنا يتحول الحمل من
ماء إلى دم تعلق بجدار الرحم ، فهذا يحرم إلقاءه ؛ لأنه في مرحلة ابتداء
خلق الإنسان ، لكن يباح إلقاءه عند الضرورة .

الثالثة : إذا كان الحمل مضغة مخلقة ، وهي فترة الأربعين الثالثة ، فهذا
إلقاءه محرم إلا إذا دعت الحاجة إليه والضرورة .

وفيما سبق ، إذا مات لا يغسل ولا يصلى عليه .

الرابعة : إذا نفخت فيه الروح ، فهذا إلقاءه محرم ، ولو دعت إليه
الضرورة ؛ لأن هذا الفعل قتل نفس بغير حق .

ومن نفخت فيه الروح له حالتان :

الأولى : أن يلقى في حال يعيش فيها كما لو حصل لأمه صعوبة في
الوضع ، بشرط ألا يكون في ذلك خطر على حياته أو حياة أمه .

الثانية : أن يلقى قبل أوان نزوله كما لو بلغ خمسة شهور مثلاً ، هذا يحرم
إلقاءه ؛ لأن الغالب أنه لا يسلم ، لكن إن ماتت أمه وهو حي ، فيجب
إخراجه ؛ لأن إنقاذ المعصوم من الهلكة واجب ، ولا يجوز إنزال من

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١/٢٦٤٣).

نفخت فيه الروح ، ولو كان خطرًا على أمه ، فإن مات هو وأمّه ، فهذا حصل
 بفعل الله لا بفعلنا : ﴿ قَدْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا أَلْفَرَهُ ۗ ﴾ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ ۗ
 فَقَدَرَهُ ۗ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۗ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَّانَهُ ۗ فَأَقْبَرَهُ ۗ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۗ ﴿٢٢﴾ [عبس: ١٧-
 . [٢٢]

وقال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۗ ﴾
 [الطلاق: ١] .

حكم التبرع بالأعضاء :

لا يجوز لأحد أن يتصرف بشيء من بدنه إلا بإذن خالقه، فالآدمي كرمه الله ،
 وهو معصوم النفس، ولكن بعض من لا معرفة له جعلوه كالبهائم، يجوز
 إنزاله من بطن أمه إذا خشينا على أمه، كالحيوان يجوز إنزاله، لئلا تموت
 أمه .

وبينهما فرق ، فالحيوان مباح القتل ، لكن الإنسان معصوم الدم ، فاعلموا
 ذلك : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴾ (١١) [الممتحنة: ١١] .
 وقال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١٦) [المائدة: ٩٦] .

وبعضهم جعلوا الآدمي كالسيارة ، فأباح نقل أعضاء الإنسان من شخص
 لشخص كما تنقل قطع الغيار من سيارة لسيارة ، وهذا إهدار لكرامة الآدمي
 السليم ، فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن يتبرع أحد بعضو من أعضائه
 لأن الإنسان ملك لله ، والتصرف في ملك الغير بدون إذنه محرم : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٣٠) [المائدة: ١٢٠] .

لكن من وجد من الناس كلية تباع مثلاً ، واحتاج إليها ، فهذه يجوز زرعها ؛ لأنها قطعت ، ولا يمكن أن تعود ، والإثم على من قطعها : ﴿ فليحذر الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

أقسام الحقوق :

الحقوق الواجبة تنقسم إلى قسمين :

حقوق الله عز وجل .. وحقوق الخلق .

الأول : حقوق الخالق جل جلاله :

كالتوحيد والإيمان ، وعبادته وحده لا شريك له ، واجتناب الكفر والشرك والمعاصي .

وحقوق الله ﷻ ثلاثة أقسام هي :

الأول : ما هو خالص لله وحده كالتوحيد ، والإيمان بما يجب الإيمان به كالإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالْكِتٰبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلٰى رَسُولِهِ ۚ وَالْكِتٰبِ الَّذِيۤ اُنزِلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ ۚ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] .

الثاني : ما يتركب من حقوق الله ، وحقوق العباد ، كالزكاوات والصدقات ، والكفارات والندور ، والهدايا والوصايا ، والأوقات والأضاحي ونحوها ، فهذه كلها قربة إلى الله من وجه ، ونفع للعباد من وجه آخر ، والغرض الأظهر منها نفع العباد ، وما وجب من ذلك أو ندب إليه ، فهو قربة لباذليه ،

ورزق لأخذه : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكِبَاطِينِ
الْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤) [آل عمران: ١٣٣ -
١٣٤] .

الثالث : ما يتركب من حق الله ، وحق رسوله ﷺ ، وحق المكلف كالأذان
والإقامة ، فحق الله التكبيرات والشهادة لله بالوحدانية ، وحق الرسول ﷺ
الشهادة له بالرسالة ، وحق العباد ، الإعلام بدخول الوقت في الأذان ،
والإعلام بقيام الصلاة في الإقامة .

وكذا الصلاة حق الله فيها كثير ؛ كالتكبير والتسبيح ، والركوع والسجود
والتحيات وغيرها ، وحق الرسول ؛ الصلاة والسلام عليه ، والشهادة له
بالرسالة .

وحق العبد ؛ الدعاء بالهداية ، والإعانة على العبادة ، ودعاء الاستفتاح ،
والتسليم على نفسه : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ
يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١١٤) [هود: ١١٤] .
ولهذا كانت الصلاة من أفضل الأعمال .

وكذا الجهاد في سبيل الله ، فحق الله فيه محو الكفر ، وإزالته من قلوب
الكفار ، وكسر الأصنام والصلبان ، وحق المسلمين ، الذب عن أنفسهم
وأموالهم ، وما يحصل لهم من الغنائم ، وحقه في نفسه دفعهم عنه وما
يأخذه من الغنيمه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١٦) [البقرة: ٢١٦] .

الثاني : حقوق الخلق على بعضهم :

وذلك بجلب المصالح لهم ، ودفع المفساد عنهم ، وهو ثلاثة أقسام :

الأول : حقوق المكلف على نفسه :

كتقديم نفسه في الكساء والمسكن والنفقة ، وحقوقه في العلاج والنوم والأكل ونحو ذلك .

الثاني : حقوق بعض المكلفين على بعض :

فكل واحد له حقوق ، وعليه لغيره حقوق ، وضابطها تحصيل المصالح ، ودرء المفساد لكل منهما ، ومن كل منهما: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا

تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ [المائدة: ٢]

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴿٩٠﴾

[النحل: ٩٠] .

ومن ذلك السلام ، ورد السلام ، وعبادة المريض ، وتشميت العاطس ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان ، وحقوق الأزواج والآباء والأولاد والجيران ونحو ذلك من ستر الزلات ، وتعليم الشريعة والقرآن .

وحقوق العباد قسما :

١- حقوق في حياتهم كما تقدم .

٢- وحقوق بعد مماتهم من إكرامهم ، وغسلهم ، وتكفينهم ، وحملهم ، والصلاة عليهم ، ودفنهم ، وزيارتهم ، والاستغفار لهم .

الثالث : حقوق البهائم والحيوان على الإنسان :

بأن ينفق عليها ، ولا يحملها ما لا تطيق ، وأن يرفق بها ، ولا يجمع بينها وبين ما يؤذيها ، ويحسن ذبحها إذا ذبحها ولا يذبح أولادها أو غيرها بمرأى

منها : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

أقسام الأحكام الشرعية :

الأول : أحكام أجمع عليها الصحابة : فهذه يجب إتباعهم فيها .

الثاني : أحكام اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم : فنأخذ منها ما هو أقرب إلى الدليل الشرعي من قرآن أو سنة صحيحة .

الثالث : أحكام وقعت في زماننا ، ولم تقع في زمانهم ؛ فهذه نجتهد في معرفة حكمها عن طريق القياس على ما يشبهها في عهد الصحابة ، حسب القواعد الشرعية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد: ٢٥].

فقه المصالح والمفاسد :

إذا عظمت المصلحة أوجبها الله سبحانه في كل شريعة كالإيمان والتقوى والعدل وأمثالها .

وإذا عظمت المفسدة، حرمها الله في كل شريعة كالكفر والقتل والزنا والظلم والغضب وأمثالها .

فإن تفاوتت رتب المصالح والمفاسد، فقد يقدم الشرع بعض المصالح في بعض الشرائع على بعض ، ويخالف ذلك في بعض الشرائع ، وكذلك المفاسد .

فالقصاص في شريعة موسى واجب حقاً لله في حد الزنا والسرقه ، وهو في شريعتنا حق للعبد مقترنٌ بحقوق الرب ، وترجح فيه حق العبد على حق الرب في شرعنا ؛ وذلك نظراً للجاني ، ولولي الدم .

وكذلك حرم الله النكاح بأكثر من امرأة في شرع عيسى ﷺ ؛ نظراً للنساء ، حتى لا يتضررن بكثرة الضرائر والإماء ، وأباح الله سبحانه ذلك في شرع موسى ﷺ من غير حصر ، لمن قدر على القيام بحقوقه .

وأباح سبحانه في شرعنا الزيادة على واحدة ؛ نظراً للرجال ، وحرّم الزيادة على أربع ؛ نظراً للنساء ، ورحمة بهن ، وجوز وطء الإماء من غير حصر ؛ نظراً للرجال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتغىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ [المعارج: ٢٩-٣١] .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنبَىٰ فَاَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدَبٌ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (٣) [النساء: ٣] .

التخفيفات في الشريعة الإسلامية :

الشرع كله يسر وسهولة وإحسان بقدر الاستطاعة، وتخفيفات الشرع أنواع :

الأول : تخفيف الإسقاط :

كإسقاط الجمعة والجماعة ، والحج والعمرة ، بأعذارها الشرعية المعلومة .

الثاني : تخفيف التنقيص :

كقصر الصلوات الخمس في السفر؛ بقصر الرباعية إلى ركعتين، وتنقيص ما عجز عنه المريض من أفعال الصلاة من قيام وركوع وسجود إلى القدر الميسور من ذلك كما قال الله ﷻ : « صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ » . أخرجه البخاري (١) .

الثالث : تخفيف التقديم :

كتقديم العصر إلى الظهر في الجمع في السفر والمطر والعذر المبيح ، وكذا تقديم العشاء إلى المغرب ، وتقديم الزكاة على حولها والكفارة على الحنث .

الرابع : تخفيف التأخير : كتأخير صلاة الظهر إلى العصر ، والمغرب إلى العشاء ، كما سبق في السفر ، وتأخير قضاء رمضان إلى ما بعده عند وجود العذر .

الخامس : تخفيف الأبدال : كإبدال الوضوء والغسل بالتميم لعذر ، وإبدال القيام في الصلاة بالقعود ، والقعود بالإضجاع ، والإضجاع بالإيماء ، وإبدال العتق بالصوم ، وإبدال الصوم بالإطعام ، في حق من يشق عليه الصيام ، وإبدال بعض واجبات الحج والعمرة بالكفارات عند قيام الأعذار .
السادس : تخفيف الترخيص : كصلاة التميم مع الحدث ، وصلاة المستجمر مع فضلة النجو ، وشرب الخمر للغصة ، وأكل الميتة للمضطر

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠٦٦) .

والتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] .

فقه المشقة :

المشقة الموجبة للتخفيف نوعان :

الأول : مشقة لا تنفك العبادة عنها ، وهى أنواع :

كمشقة الوضوء والغسل في شدة البرد ، ومشقة إقامة الصلوات الخمس في شدة الحر والبرد ، ومشقة الصوم في شدة الحر ، وطول النهار ، ومشقة أعمال الحج ، ومشقة الجهاد ، وما فيه من أنواع المخاطرة ، ومشقة طلب العلم ، ومشقة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ومشقة إقامة الحدود ، ورجم الزناة على الجاني وأهله ، فهذه المشقة كلها لا أثر لها في إسقاط العبادات والحدود ، ولا في تخفيفها ؛ لما في ذلك من فوات مصالح العبادات والطاعات في جميع الأوقات ، وفوات الأجور العظيمة بتركها .

الثاني : مشقة منفكة عن العبادة غالباً ، وهى أنواع :

الأول : مشقة عظيمة فادحة كمشقة الخوف على النفوس أو الأطراف أو المنافع ، فهذه المشقة موجبة للتخفيف والترخيص ؛ لأن حفظ المهج والأطراف لحفظ مصالح الدارين ، أولى من تعريضها للفوات في عبادة أو عبادات .

ثانياً : مشقة خفيفة :

كأدنى وجع في إصبع أو ضرس أو صداع في رأس ، فهذا لا يلتفت إليه ؛ لأن تحصيل مصلحة العبادة أولى من تركها ، لأجل هذه المشقة الخفيفة .

الثاني : مشقة واقعة بين المشقة العظيمة ، والمشقة الخفيفة :

فهذه ما دنا منها من المشقة العليا ، أوجب التخفيف ، وما دنا منها من المشقة الدنيا ، لم يوجب التخفيف كالحمي الخفيفة ، ووجع الضرس اليسير ، ولا يعنى عما عدا هذه الأعذار المذكورة : ﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا أَسْطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شِحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦] .

مواطن حصول المشقة :

تكون المشاق في العبادات والمعاملات ، وهى أنواع ودرجات . فالعبادات كالصلاة عند العذر والمرض ، ينتقل فيها المصلى من القيام إلى القعود إلى الإضجاع حسب العذر والمرض .

فالقيام أشهر الحالات ؛ لما فيه تعظيم الرب ، وما سواه للضرورة والعجز ، ومن رحمة الله أنه خفف وأعطى الأجر الكامل : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

وأما الصوم فالأعذار فيه خفيفة كالسفر ، والمرض الذي يشق الصوم معه ، وما كان أشد منهما كالخوف على الأرواح والأطراف ، كان أولى بجواز الفطر .

وأما الحج ، فالأعذار فيه إباحة محذورات خفيفة ، كجواز لبس المخيط عند من يتأذى بالحر أو البرد في النسك ونحو ذلك : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨] .

كذلك التيمم أعذاره خفيفة من فقد الماء ، أو عجز عن استعماله ، أو تضرر باستعماله ، أو عند ارتفاع سعر الماء ، فله الحمد والمنة : ﴿ هُوَ أَجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] .

وأما المعاملات فكالغرر في البيوع ، وهو أقسام :

الأول : ما يعسر اجتنابه : كبيع الفستق والرمان والبطيخ في قشره ، فيعفو عنه ، فيباح بيعه مع الجهالة ، رفعا للخرج .

ثانياً : ما لا يعسر اجتنابه فلا يعفو عنه .

درجات المشقة :

المشاق درجات ثلاث :

١- مشقة في أعلى مراتب الشدة .

٢- ومشقة في أدناها .

٣- ومشقة متوسطة بينهما .

وقد ربط الشرع التخفيف بالمشاق والأشق الشديد والأشد .

والمنة على الإنسان مؤلمة للقلب ، مفسدة للنفوس وهي ثلاثة أنواع :
منة شديدة .. ومنة خفيفة .. ومنة متوسطة .

ولا يحل الشرع المنة الشديدة إلا لمصلحة تربي عليها ، كمنة العتق على العتيق ، والمطعم على المُطعم عند الضرورة ومنه الكاسي عند الضرورة على المكسو ، فالمنة الكبرى هي فقط لله ﷻ الذي خلق الخلق ، وأنعم عليهم بكل نعمه ؛ ونعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية والإسعاد :

﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمْتُ بِلِ اللَّهِ يُمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات: ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وأباح الله للعباد من المنة والأفضال ما يزيد في أجورهم ، ويدفع حاجات إخوانهم المحتاجين : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ

مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤] .

الاعتصام بالكتاب والسنة :

يجب على كل مسلم ومسلمة الاعتصام بالكتاب والسنة ، وعدم الاعتماد على الرأي ، بل يرجع في كل أمر إلى الكتاب والسنة ، أو إلى أحدهما ، فإن لم يجد ، رجع إلى الإجماع الذي يستند إلى الكتاب والسنة ، فإن لم يجد الأمور الثلاثة ، رجع إلى أقوال الصحابة رضي الله عنهم ، فإن وجد قولاً لأحدهم في مسألة ، ولم يخالفه أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، ولا عُرف نص يخالفه ، واشتهر هذا القول في زمانهم ، أخذ به ، فإن لم يجد ذلك واحتاج إلى القياس ، استعمله بدون تكلف ، فإن لم تكن العلة الجامعة واضحة ، تمسك بالبراءة الأصلية: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوْا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ [الشورى: ١٠] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «
إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمْوَهُ انْتِزَاعًا ، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ

الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتَوْنَ بِرَأْيِهِمْ ، فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ . متفق عليه (١) .

مقصود الله من خلقه :

مقصود الله ﷻ من خلقه هو عبادته وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴿ [الذاريات: ٥٦-٥٨] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٥) [البينة: ٥] .

ومقصود الله ﷻ من خلقه ، تحصيل الصفات التي يحبها ، وعبادته بموجب تلك الصفات ، وعدم الالتفات لأحد سواه ، فلا نشغل أنفسنا بغيره ، فهو الصمد الذي تكفل بقضاء جميع حاجات الخلق .

وقد اجتهد النبي ﷺ ثلاثة وعشرين سنة على الصحابة رضي الله عنهم ، حتى جاءت فيهم الصفات التي يحبها كما قال سبحانه في صفاتهم : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٢) [التوبة: ١١٢] .

ولما جاءت فيهم هذه الصفات ، جاء بهم ﷺ للحج ؛ لتظهر صفاتهم فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين ربهم ، فموسم الحج والعمرة وصلاة العيدين ، وصلاة الجمعة ، والصلوات الخمس جماعة ، ومناسبات الزواج والأفراح

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٠٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٧٣/١٣).

وغيرها ، كلها أماكن ومناسبات لإظهار الصفات التي يحبها الله ﷻ ، فيحاسب الإنسان نفسه في هذه المجتمعات ؛ كم عندي صبر؟ ، كم عندي توكل؟ ، كم عندي يقين؟ ، كم عندي إكرام؟ وكم عندي علم وحلم وإيثار وعفو وإحسان؟ وهكذا ، فلا تنفع الطاعات بدون إيمان وتقوى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧] .

والمرأة التي تصوم وتصلي ، وتؤذي جيرانها ، هي في النار كما أخبر النبي ﷺ بذلك ، فلا بد من هاتين العلامتين ؛ تقوى الله ، وحسن الخلق ، وذلك يحتاج إلى مجاهدة مستمرة ، ولهذا أثنى الله ﷻ على رسوله بحسن الخلق بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤] .

وأمر بمكارم الأخلاق قوله : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ ينفقون في السراء والضراء وَالْكٰظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .
وقال الله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقٰوٰهٖ وَلَا تَمُوْنُ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ﴾ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

وقال النبي ﷺ : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » . أخرجه الترمذي وأحمد ^(١) .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (١٩٨٧)، وأحمد برقم: (٢١٥٢٦).
٩٤٢

٦ - الخزانة السادسة

حكم الغناء :

الغناء المحرم له صور ، يزينه الفاسق للناس بألبسة مختلفة ، ومن ذلك :

الأول : الغناء الفاسق المصحوب بالموسيقى ونحوها .

الثاني : الغناء الصادر من المرأة الأجنبية أو الشاب الأُمرد ، لما في ذلك من الفتنة .

الثالث : الغناء المؤدي إلى فتنة وثوران الشهوة عند الرجال والنساء .

الرابعة : تلحين الشعر على أوزان الموسيقى لهواً وطرباً .

الخامسة : الاشتغال بسماع القصائد الرقيقة ، وتلك تقلل الرغبة في سماع القرآن الكريم .

السادسة : الأناشيد المنسوبة للإسلام التي تؤدي بألحان مطربة ، تشبه الصوفية في غنائهم ، وتحاكي الفساق في طربهم ، وتشغل عن سماع القرآن والمواعظ ، فهذا كله حرام .

أما غناء الركب في الطريق بأشعارٍ نافعة ، وغناء الأم لتسكين طفلها ، والترنم بالأبيات عند القيام بالأعمال الشاقة ، فهذا كله جائز إذا كان سالمًا من الفحش والكذب .

أما آلات الموسيقى والمزامير والمعازف والملاهي ، فكلها حرام ، يحرم الضرب بها ، والاستماع إليها ، وآلة الدف الأصل فيها التحريم ، ويباح للنساء خاصة استعمالها في العيد والعرس وقدم الغائب ونحو ذلك من أيام الفرح والسرور ، كما رخص النبي ﷺ للجواري أن يضربن بالدفوف في أيام العيد ، والدف مزمار الشيطان .

ولا يجوز للرجال الضرب به ، ومن ضرب به ، فهو متشبه بالنساء ، وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ، فقال ﷺ : « لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ » . أخرجه البخاري (١) .

فتحرم جميع الأغاني التي تحدث الفتنة والفساد ، فيحرم الغناء ، ويحرم الاستماع للأغاني ، ويحرم الاجتماع على الأغاني ، ويحرم بيع جميع أنواع الملاهي والموسيقى : ﴿ وَمَنْ أَلْتَأَسَ مِنْ يَشْتَرِي لَهَا الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (٦) وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ [لقمان: ٦-٧] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْحَمْرَ وَالْمَعَارِفَ ، وَلَيُنزَلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنبِ عِلْمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ ، يَأْتِيهِمْ رَجُلٌ الْحَاجَّةِ ، فَيَقُولُونَ : ارْجِعْ إِلَيْنَا عَدًّا ، فَيَبْسُوفُهُمُ اللَّهُ ، وَيَضَعُ الْعِلْمَ ، وَيَمْسُخُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أخرجه البخاري معلقاً (٢) .

من تجب طاعته :

تجب طاعة الله ، والرسول ، وأولي الأمر ، ولا طاعة لأحد من الخلق إلا لمن أذن الله بطاعته ، أو أمر بطاعته كالرسل والأنبياء ، والعلماء والأئمة ، والولاة والقضاة ، والآباء والأمهات ، والسادات والأزواج ، والمستأجرين

(١) أخرجه البخاري برقم: ٥٨٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري معلق برقم (٥٥٩٠) .

على الأعمال والصناعات ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؛ لما فيها من المفسدة العظيمة في الدارين أو أحدهما : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فمن أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة ، إلا أن يكره الإنسان على أمر يبيحه الإكراه ، فلا إثم على مطيعه ، بشرط ألا يضر غيره .
وقد تجب طاعة المكره ، لا لكونه أمرًا ، بل دفع لمفسدة ما يهدده به من قتل أو قطع أو جناية على عرض .

واختص الإله سبحانه بالطاعة المطلقة ، لاختصاصه بالنعم التي لا تعد ولا تحصى ؛ نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية والإسعاد ، فما من مصالح الدنيا والدين إلا وهو منعم به ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وما من ضرر وشر إلا وهو دافعه ، فله وحده الحكم ، وله الطاعة في كل ، حال وله العبادة وحده لا شريك له : ﴿إِن الْحُكْمُ لِلَّهِ ءَامَرَ ءَلَّا تَعْبُدُوا ءِلَّا ءِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وتجب طاعة جميع الأنبياء والمرسلين والإيمان بهم ؛ لأن الله ﷻ أرسلهم بأمر الناس بعبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه ، ورحمة الخلق ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال الله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ ﴿٧٠﴾ [النساء: ٦٩-٧٠] .

فطاعة الله مطلقة ، وطاعة الرسول مطلقة ، وطاعة أولى الأمر من باطن طاعة الله ورسوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩] .

فقه تعظيم الحرمات :

أولاً : احترام المصاحف ، يكون بالعمل بموجبها ، ورفعها عن الأرض ، وإبعادها عن النجاسات والمستقذرات ، وحملها مفردة ، وذلك إجلالاً لرب العالمين الذي تكلم بها ، وتعظيمًا لكتابه العظيم أن يسوى بينه وبين كتب غيره : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ [الأنبياء: ١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ ﴿٨٧﴾ [الحجر: ٨٧] .

وقال الله تعالى عن القرآن الكريم : ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾ ﴿١٤﴾ [عيس: ١٣-١٤] .

ثانياً : أما حرمة المساجد، فتكون بصيانتها عن النجاسات والأقذار ، والبيع والشراء، والقيل والقال، ورفع الأصوات، وإنشاد الضووال، وسؤال الناس، واتخاذها مجالس للحكام والقضاة ، والعلماء والوعاظ على الدوام : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ﴿١٨﴾ [الجن: ١٨] .

وحرمة المسجد الأقصى أكبر من حرمة غيره ، ومسجد المدينة أفضل منه ،
 والمسجد الحرام أفضل من المسجد النبوي لما اختص به من الفضائل
 والأحكام ، وإنما تثبت حرمة المساجد ، تمييزاً لبيوت الله عن بيوت
 الناس ، وإجلالاً وتعظيمًا لله ﷻ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا
 مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
 وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا
 بِالْعُدُوِّ وَالْإِنصَالِ ﴾ [٣٦] رَجَالٌ لَا نُلْحَمُهُمْ تَحَرَّةً وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
 الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [٣٧] لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
 وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٣٨] وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ
 كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ
 فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٦-٣٩] .

أفضل البقاع :

الكعبة بيت الله باختيار الله ، ومساجد الأرض بيوت الله باختيار خلق الله ،
 وهذا وهذا والأرض كلها مسجداً للِسجود لله ﷻ ؛ ولهذا كان بيت الله
 باختيار الله قبلةً لبيوت الله باختيار خلق الله .

فالذي يُصلي أمام الكعبة قبلته الكعبة ، والذي يُصلي خارج المسجد قبلته
 المسجد الحرام ، والذي يُصلي في جهات الدنيا قبلته جهة المسجد الحرام
 في مكة : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
 شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٤] .

ومن عرف أن الأرض كلها مسجداً للِسجود لله ، استحى من ربه ، وأطاعه
 ولم يعصه عليها ، واستحى من ربه أن يسكن في ملكه ، ويعصيه بنعمه .

والمساجد بيوت الله ﷻ ؛ ولهذا تشرف بنائها الأنبياء والرسل والمؤمنون :
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧] .

فلا يجوز للكفار تصميمها ولا بناؤها ولا صيانتها ولا نظافتها ؛ لأنهم أعداء
الله ورسوله ودينه ، فلا يؤمنون على عمارة المساجد ، بل يجب أن يقوم
بذلك المسلمون فقط : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ﴾ [التوبة: ١٨] .

والمسجد بيتٌ من بيوت الله ، وأعلاه وأسفله تابعٌ له ، فلا يجوز لأحد
سكن عليه ، سواء كان الإمام أو المؤذن أو غيرهم .
وإن كان المسجد طارئاً على السكن كما لو اختار الناس شقة أو دوراً من
بناء قائم ، ليكون مسجداً ، جاز لهم ذلك ، وإبقاء المساكن لأهلها ؛ لسبق
تملكها على المسجد .

والمساجد يجب أن تنزه عن النجاسات ، ويجب تطهيرها ، فيجب أن
تكون دورات المياه والمراحيض خارج المسجد لا فوقه ولا تحته : ﴿ وَإِذْ
بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦] .

والمساجد بيوت الله يصلي فيها المسلمون ، ويقرؤون كتاب ربهم ،
ويتعلمون أمور دينهم ، ويحرم منع المسلمين من الانتفاع من مساجدهم في
جميع الأوقات : ﴿ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَن يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى
فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا
خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٤-١١٥] .
﴿ وَجَهَ اللَّهُ إِلَيْكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥] .

فقه الآيات :

الآيات في اللغة لها إطلاقان :

الأول والأشهر : بمعنى العلامة ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] .
أي علامة ملكه .

الثاني : بمعنى الجماعة ، يُقال : جاء القوم بأيّتهم أي بجماعتهم .
وتُطلق الآية في القرآن الكريم إطلاقين :

الأول : تُطلق على الآية الكونية القدرية بمعنى العلامة ، وهي ما نصبه الله جل وعلا من الآيات الدالة على كمال وحدانيته وقدرته ، وأنه المعبود وحده لا شريك له ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] .

وقوله ﷺ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠] .

الثاني : وتُطلق الآية على الآية الشرعية كآيات القرآن العظيم ، كما قال سبحانه : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [القصص: ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٢] .

حكم طلب الآيات :

الكفار والمشركون عادةً يقترحون على الأنبياء الآيات الكونية ، والآيات الشرعية ، تعناً وصدًا للناس عنهم ، وكفار مكة اقترحوا على النبي ﷺ أن يأتيهم بآيات قرآنية تُتلى عليهم غير هذا القرآن كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتِيتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ

هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ
إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۗ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ [يونس: ١٥-١٦].

وتارة يطلب الكفار من النبي ﷺ الإتيان بآيات كونية قدرية كما قال سبحانه
عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ ﴿١٥﴾ أَوْ تَكُونَ
لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿١٦﴾ أَوْ تُسْقِطَ
السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِهٍ وَالْمَلَيْكَةَ قَبِيلًا ﴿١٧﴾ أَوْ يَكُونَ
لَكَ بَيْتٌ مِّن زُرْحٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفِيِّكَ حَتَّى تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا
نَقْرُوهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٨﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ
جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٩﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ
مَلَكًا يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّن السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا
﴿٢٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا
﴿٢٦﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٦].

وقد بين الله ﷻ أنه إذا أنزل آية كونية ، ثم كفروا بعدها هلكوا ؛ ولهذا لم
يرسل الله بها محمدًا ﷺ ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا
أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۗ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۗ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا
خَوَافِيًا ﴾ ﴿٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقد أعطى الله ﷻ جميع الأنبياء والرسل آيات تدل على صدقهم ، وأنهم
رسل الله ، وأعطى الله محمدًا ﷺ أعظم الآيات ، وهي القرآن العظيم ، كما
قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ ﴿٨٧﴾

[الحجر: ٨٧].

وقال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَّا نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِيَّاهُ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ [العنكبوت: ٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿٥٠﴾ [العنكبوت: ٤٧-٥٠] .

وقد تحدى الله العرب قاطبة أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا ، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سورٍ من مثله فعجزوا ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورةٍ من مثله فعجزوا ، ثم بين الله أن الإنس والجن لا يأتون بمثله أبداً ، ولو اجتمعوا ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ ﴿٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨] .

فالقرآن العظيم أعظم الآيات ، وقد تكفل الله بحفظه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ﴿٩﴾ [الحجر: ٩] .

وقد بين الله أن في هذا القرآن العظيم من البراهين الساطعة ، والأدلة القاطعة ، الدالة على وحدانية الله ، ووجوب عبادته ، فيجب إتباعه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذًا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٣-٢٠٤] .

ومن لم تهده هذه البصائر ، فلا آية تهديه البتة : ﴿ أَوْلَمَ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [١٠٤] ﴿ [الأنعام: ١٠٤] .

فالقرآن العظيم أعظم الآيات التي أُعطيها محمد ﷺ ، فيه تبيان كل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [١٥] ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [١٦] ﴿ [المائدة: ١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [٨٩] ﴿ [النحل: ٨٩] .

فقه صلاح القلوب :

صلاح القلوب يتم بثلاثة أمور :

التخلية .. ثم التزكية .. ثم التحلية .

فنخلي القلوب من حب الدنيا ، والتعلق بغير الله ، وإتباع الهوى والشيطان والنفس ؛ لتكون صافية قابلة للتزكية بالإيمان ومكارم الأخلاق : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ [٧] ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [٨] ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ [٩] ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [١٠] ﴿ [الشمس: ٧-١٠] .

ويتم ذلك بأن نعيش في بيئة الإيمان حيث لا نسمع ، ولا نرى ، ولا نعمل ، ولا نقول إلا ما يحبه الله ورسوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [١١٩] ﴿ [التوبة: ١١٩] .

وكما استخدمنا أبصارنا وعقولنا وأسماعنا وأوقاتنا من أجل الدنيا ، كذلك نستخدمها فيما يحبه الله ورسوله من الأعمال الصالحة ؛ لتفرغ من حب الدنيا : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَالَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

ثم تأتي التزكية والتربية ؛ لتطهير القلوب من الشرك ، والجوارح من المعاصي : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] .

ثم تأتي التحلية فلا يمكن أن يتحلى الإنسان بالفضائل حتى يتخلى عن الرذائل ، فنلزم بيئة الإيمان والعلم والهدى ؛ ليدخل التوحيد، ويخرج الشرك، ويأتي العلم بدل الجهل، وتأتي الأخلاق الحسنة بدل الأخلاق السيئة: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

فيتلو عليهم آياته ، ليخرج من قلوبهم التعلق بغير الله، ويزكيهم يطهر قلوبهم من الأخلاق الرديئة، ويجملهم بالأخلاق الحسنة، ويتم ذلك بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، ولزوم البيئة الإيمانية : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَابْتَنَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ﴿٢٤﴾ .
[محمد: ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿١١٩﴾ .
﴿ [التوبة: ١١٩] .

ويعلمهم الكتاب والحكمة هذه هي التحلية بالفضائل والعلم وحسن
الخلق : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿ [آل
عمران: ٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا
وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٥١﴾
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴿ [البقرة: ١٥١-١٥٣] .

فإذا صلح القلب ، أثمر كثرة ذكر الله وتعظيمه ، ودوام شكره ، والصبر على
طاعته ، والصبر على أقداره المؤلمة ، وكمال اليقين ، والتوكل عليه ،
وخشيته ، والطمع في رحمته : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴿ [الأنفال: ٢-٤] .

فمن رزقه الله هذه الثلاث بث الله فيه روح الدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ،
والإحسان إلى خلقه : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴿ [آل
عمران: ١٣٣-١٣٤] .

وذلك فضل الله وحده : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

وقال سبحانه : ﴿قُلْ إِنْ أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ فِئْتَهُمْ فَيُرَدِّدُهُمْ هُنَا وَيُسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي هُنَا مِنْ نَحْوِ مَا أُنزِلُوا بِهِ فَسُحْرٌ فَلَا يُفْعَلُ بِهِ شَيْءٌ وَلَوْلَا الَّذِي نُنزِّلُ بِالْقُرْآنِ لَفَسَدُوا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤] .

ولكي يهتدي الإنسان لابد أن يلزم بيئة الإيمان كما قال سبحانه : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] .

فلكي نستقيم نلزم بيئة الإيمان والتقوى ، ولكي نثبت على الهداية نقطع عن مجالس الغفلة كما قال سبحانه : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنَّ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْكُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] .

ومن جاهد نفسه في سبيل الله هداه الله سبل رضاه : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

٧- الخزانة السابعة

فقه الآيات الكونية :

الله ﷻ أمرنا أن ننظر في الآيات الكونية ونتدبر الآيات القرآنية ؛ لنعرف الكبير الذي يجب أن نُكبره ، والعظيم الذي يجب أن نُعظمه ، والإله الذي يجب أن نعبد ، والرحمن الذي يجب أن نسترحمه ، والكريم الذي تكرم بكل خيرٍ ونعمة : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَبَكُمْ ﴾ [١٩] ﴿ [محمد: ١٩] .

فالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، يملأ القلب بالتوحيد والإيمان ، ويحرك الجوارح بالطاعات والعبادات ، ويحرك اللسان بالحمد والشكر ، والدعاء والدعوة ، والذكر والتكبير ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴾ [٢٠] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢١] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنُجُومِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٢٢] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَبْغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴾ [٢٣] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْيِكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٢٤] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [٢٥] ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَائِمُونَ ﴾ [٢٦] ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢٧] ﴿ [الروم: ٢٠-٢٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ آيَنتهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الروم: ٤٦].

وقال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١٠-١١].

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٥-٧].

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنَ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد: ١٢-١٣].

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

فالنظر في الآيات الكونية ، وما خلق الله في السموات والأرض ، يُثمر الإيمان ، والتوحيد والإخلاص ، وعبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ٣ ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ ٤ ﴿ وَاللَّائِمَةَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ٥ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ ٦ ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِسِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٧ ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٨ ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ٩ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ ١٠ ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ١١ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ١٢ ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴾ ١٣ ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ١٤ ﴿ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ١٥ ﴿ وَعَلَّمَتِ بِالنِّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ١٦ ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ١٧ ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١٨ ﴿ [النحل: ٣-١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوهُ ظُلْمَهُ عَنِ الِئْمِينِ وَالشَّمَائِلِ سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٨-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِيَالْبَطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل: ٧١-٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النحل: ٧٧-٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النبا: ١-١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
أَخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وغير ذلك من الآيات الكونية والآيات الشرعية التي أمر الله ﷻ بالنظر إليها ،
والتفكر فيها ، والتدبر بها : ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي
الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله ، وهذه آياته ومخلوقاته ،
هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] لَا
تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] -
[١٠٣].

فقه آيات الله في مخلوقاته :

الله جل جلاله هو الخلاق العليم الذي خلق كل شيء في ملكه العظيم ،
خلق العرش والكرسي ، وخلق السموات والأرض ، وخلق الإنس
والجن ، وخلق الملائكة والروح ، وخلق البحار والجبال : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] -
[١٠٣].

ومن مخلوقاته سبحانه البعوضة ، فهي أنثى صغيرة في حجمها ، عظيمة في خلقها ، لها مائة عين في رأسها ، ولها ثمانية وأربعون سناً في فمها ، ولها ثلاثة قلوب في جوفها ، ولها ست سكاكين في خرطومها ، ولها ثلاثة أجنحة ، ولها جهاز للشم يشم عرق الإنسان من مسافة ستين ميلاً : ﴿ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١] .

وتحت الأرض فرنٌ كبيرٌ جداً من النار ، يحمي باطن الأرض بطبقاتها السبع ، والأرض السابعة العليا فراشٌ سمكه سبعين كيلو متر تقريباً . فلا إله إلا الله ، ما أعظم خلقه ، نسبة الدهن في لحم الخنزير خمسون بالمائة ، وفي الضأن سبعة عشر بالمائة ، وفي البقر خمسة بالمائة ، وفي الإبل أربعة بالمائة : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] .

وثبت طبيًا أن أشد أمراض السرطان يصيب الأجزاء العارية من أجساد النساء ؛ بسبب لبس الأزياء القصيرة التي تعرض أجساد النساء لأشعة الشمس فترةً طويلة على مر السنة ، وهذا المرض أشد أنواع السرطان خطورة ، وهو نتيجة تعرض أجساد الرجال والنساء والأطفال لأشعة الشمس بلا ساتر .

فعلى النساء أن تتعبد لله بلبس الثياب التي أذنت بها الشريعة ، لباس العفة والاحتشام ، فهي خير وقاية لها في دينها ودنياها : ﴿ يَبْنَیْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٦] .

والإنسان في بطن أمه يخرج إلى الدنيا صارخاً لا ضاحكاً ، مع أنه خرج من
الظلمات إلى النور ، ومن بحر السوائل إلى الهواء الطلق ، ومن ضيق
الأرحام إلى رحابة الكون ، والسبب أن الشيطان يمسه فيصرخ .

وكل إنسان يولد صارخاً إلا مريم وابنها كما قال النبي ﷺ : « كَلَّ بَنِي آدَمَ
يَمْسُهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا » . أخرجه البخاري (١) .

وعجب الذنب في الإنسان هو عظم العجز آخر فقرة من العمود الفقري
أسفل الظهر ، فيه خريطة الإنسان كاملة ، فإذا فني الإنسان بعد الموت بقي
عجب الذنب ، وإذا أراد الله بعثه أنزل من السماء ماءً فنبت هذا العجب كما
ينبت النبات ، ثم تأتي الروح وتدخل في هذا البدن بأمر الله ﷻ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ
بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ (١٥) ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (١٦) [المؤمنون: ١٥-١٦] .

وجميع الأشياء تتمدد بالحرارة ، وتنكمش بالبرودة ، أما الماء فهو على
عكس ذلك ، فهو يتمدد بالبرودة عندما يتجمد ، ويصبح أخف وزناً ، وهذا
هو السبب أن الجليد يطفو فوق البحار والأنهار : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ
شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٠) [الأنبياء: ٣٠] .

ومع كل إنسان ملكان يسجلان أعماله ، ويحفظانه مما لم يُقدر عليه ، فإذا
جاء القدر خليا بينه وبين القدر : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ (١٠) ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ (١١)
﴿ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١٢) [الانفطار: ١٠-١٢] .

فلا إله إلا الله ، ما أعظم جهل الخلق بربهم ؟ : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ
كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٦) ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٧) ﴿ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (٨) [ق: ٦-٨] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٣١) .

فتفقه في الدين .

وأعلم أن من جمع ست خصال أسعده الله في الدنيا والآخرة :

من عرف الله فأطاعه .. ومن عرف الشيطان فعصاه .. ومن عرف الحق فاتبعه .. ومن عرف الباطل فاتقاه .. ومن عرف الدنيا فرفضها .. ومن عرف الآخرة فطلبها : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَهُ مُمْصَفًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢٠-٢١] .

واعلم يا عبد الله أن من أذنب ذنباً فستره الله عليه في الدنيا ، فهو أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ، ومن أذنب ذنباً فعوقب في الدنيا ، فالله أعدل من أن يُثني عقوبته على عبده في الآخرة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِاللِّئَامِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

والناس في الدنيا عرضةٌ للسهم ، ورهائن الموت ، ووعاء الأسقام ، ونهبة الأيام : ﴿ وَلَنْبَلُوتِكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] .

وأعلم أنه ليس حُسن الجوار كف الأذى ، ولكن الصبر على الأذى .

فليس حق الجار ألا تؤذيه فقط ، بل أن تصبر على آذاه : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا
يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [فصلت: ٣٤ -
٣٦].

واعلم يا عبد الله أن الدنيا حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، فدع الحلال
لطول الحساب ، ودع الحرام لطول العذاب : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا
تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ [فاطر: ٥-٧] .

أقسام آيات الله :

آيات الله ﷻ ثلاثة أنواع :

الأولى : آيات كونية تدل على عظمة الله وقدرته تهدي إلى الإيمان بالله عز
وجل : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس: ١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا
مِنْ فُرُوجٍ ﴾ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِهَيْجٍ ﴿٧﴾
تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٦-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا
أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ [الغاشية: ١٧-٢١] .

الثانية : آيات أيد الله بها رسله كآية فلق البحر لموسى ، وآية عيسى بإحياء
الموتى ، وآية الناقة لقوم صالح وغيرها مما يدل على صدق الأنبياء والرسل :
﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ

﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ هُوَ الْعَزِيمُ ﴿٦٨﴾ [الشعراء: ٦١-٦٨] .

وقال الله تعالى : ﴿وَأَيْنَانَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ ﴿٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩] .

الثالثة : آيات الأحكام في القرآن : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧] .

والكفار كذبوا بجميع تلك الآيات .

والكفار منهم من آمن بالآيات الكونية دون الشرعية مثل كفار قريش مقررون بأن الله خالق السموات والأرض ، وأنه المحيي المميت ، وأنه الذي يدبر الأمر ، ولكنهم كفارون بالآيات الشرعية : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان: ٢٥-٢٦] .

ومنهم من كفر بالآيات الكونية والشرعية كفرعون الذي قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات: ٢٤] .

وكذب موسى ، وكفر بما جاء به من الآيات الشرعية ، وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] .

أما المؤمنون فقد آمنوا بالآيات الكونية ، والآيات الشرعية ، فهؤلاء هم الناجون : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ۖ وَكُتُبِهِ ۖ وَرُسُلِهِ ۖ لَا نَفَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

آيات الله ﷻ تنقسم إلى قسمين :

الأول : آيات شرعية ، وهي ما جاءت به الرسل من الشرائع : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ ۗ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

الثاني : آيات كونية ، وهي الكائنات التي خلقها الله كالسماوات والأرض ، والشمس والقمر ، والجماد والنبات والحيوان وغيرها .

وكون ما جاءت به الرسل آية أنه لا يمكن لأحد من البشر أن يأتي بمثلها .
 وكون جميع المخلوقات آية أنه لا يمكن لأحد من البشر أن يخلق مثلها ،
 قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠١) ﴿ [يونس: ١٠١] .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (٩٩) ﴿ [البقرة: ٩٩] .

ومن آيات موسى ﷺ العصا ، وفيها آيات عظيمة :
 منها أنه يلقبها فتكون حية تسعى كما قال سبحانه : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَاعِي ﴾ (٢٠) ﴿ [طه: ٢٠] .

ثم يأخذها موسى فتعود عصا : ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ (٦١) ﴿ [طه: ٦١] .

ومنها أنه ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فلق كالطود العظيم : ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (٦١) ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٦٢) ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (٦٣) ﴿ [الشعراء: ٦١-٦٣] .

ومنها أنه يضرب بها الحجر فينفجر عيوناً عذبة كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ ﴾ (٦٠) ﴿ [البقرة: ٦٠] .

وحين ضرب موسى ﷺ الحجر بعصاه كان فيه خمس معجزات :

- ١ - خروج الماء من الحجر .
- ٢ - وانفجاره اثنتا عشرة عيناً .

٣- وخروج ماء خاص لكل سبطٍ من بني إسرائيل .

٤- وانقطاع الماء عند الاستغناء عنه .

٥- وخروج الماء الكثير من حجرٍ صغير .

ومنها أن موسى ألقاها على حبالٍ وعصي سحرة فرعون ، فإذا هي تلقف ما يؤفكون وتبلعه : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ

﴿ [الأعراف: ١١٧] .

أصل الدين :

أصل الدين معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده .

فمن عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله تفانى في طاعته ، وأحبه وعظمه وكبره : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَّمُتَوَلِّكُمْ ﴿ [محمد: ١٩] .

والله سبحانه هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وكل ما سواه ناقص ، والناقص لا يكمله إلا الكامل ، وكل ما سوى الله مخلوق ومحتاج

إلى من يوجدّه ، ولا يمكن أن يوجد محتاج بلا محتاج إليه ؛ لهذا الله ﴿ هُوَ الْمَحْبُوبُ لِدَاتِهِ وَلِجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ : ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿ [الأنعام: ١٠٢] .

والتفكر في خلق السموات والأرض ، هو العبادة الأولى التي تدلك على الله ﴿ فَتُوحده ، وتكبره ، وتحبه ، وتحمده ، وتشكره ، وترجوه ، وتخافه :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

فكل خبر في كتاب الله ﷻ يجب علينا أن نصدقه ، وكل آية في كتاب الله فيها أمرٌ يجب علينا أن نمتثله ، وكل آية فيها نهي يجب علينا أن ننتهي عنه : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

وإذا قرأت آية فيها وصف الجنة ، فهي تقتضي أن تسعى إلى الجنة بالإيمان والأعمال الصالحة ، وإذا قرأت آية فيها وصف للنار فهي تقتضي أن تفر من النار بفعل الطاعات ، واجتناب المعاصي : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وإذا قرأت قصة لمن سبق يجب أن تعتبر بها ، فهذه الآيات نؤديها بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ إذا عرفت من أمر بها : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفت ذلك أحببتم الله وكبرتموه وعظمتموه وعبدتموه .
والله سبحانه له آياتٌ ثلاث :

١ - آياتٌ كونية هي خلقه ، وهي جميع المخلوقات التي خلقها الله .

٢ - آياتٌ تكوينية هي أفعاله الحاضرة التي نراها كل يوم .

٣- وآيات شرعية هي كلامه المشتمل على أخباره وأوامره ونواهيه .
وطريق معرفته هو هذه الآيات الثلاث .

وقد قيل : الكون قرآنٌ صامت ، و القرآن كونٌ ناطق ، والنبى ﷺ قرآنٌ
يمشي ، فكان ﷺ خلقه القرآن ، أثنى عليه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ
عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] .

وكل عبادة ليس فيها محبة الله ، وتعظيم الله ، والذل لله ، فليست عبادةً
مقبولة ، وليست هي العبادة المطلوبة : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ
لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَلِكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .
فما عبد الله من أطاعه ولم يحبه ، وما عبد الله من أحبه ولم يطعه : ﴿ قُلْ إِنْ
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل
عمران: ٣١] .

فالعبادة المطلوبة اختيارية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، مفضية إلى سعادة أبدية ،
وهذه العبادة شاملة لحياة الإنسان كلها من فراش الزوجية إلى موت
الإنسان : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

فأنت عبد لله داخل المسجد ، وخارج المسجد .
والعبادات الخمس أركان الإسلام التي يقوم عليها ، والإسلام فوق تلك
الأركان الخمسة كما قال النبي ﷺ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ
رَمَضَانَ ، وَالْحَجِّ » . متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦/٢١).

والقرآن كله آياتٌ مكونة من كلمات وحروف في كل سورة .
والآيات الكونية في القرآن لها معنيان :

الأول : الفعل أو الخلق البالغ نهاية الإتقان والحكمة ، والجلال والجمال
والكمال : ﴿ إِنِّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي أُخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦] .

الثاني : الفعل الخارق للعادة التي تنخرم به السنن المعتادة ، أي المعجزة
الخارقة للنظام والسنن الكونية ، كآية النار لإبراهيم عليه السلام ، وخلق البحر
لموسى عليه السلام ، والطعام والولد لمريم عليها السلام .

والقرآن هو مجموع كل ما يكون بالإرادة الإلهية من المخلوقات والأشياء
في الزمان والمكان ، من سماء وأرض ، وليل ونهار ، ونور وظلام ، وحياة
وموت ، وكافة المخلوقات والحركات ، والأقوال والأعمال والأحداث
وغيرها مما يوجه الإنسان إلى عظمة ربه : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ [٨٣]
﴾ [يس: ٨٢-٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [٦٢] لَهُ مُقَالِيدُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ [٦٣]
﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣] .

٨- الخزانة الثامنة

فقه الآيات الكونية والشرعية :

النظر والتدبر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، يزيد الإيمان في القلب . والآيات الكونية هي : كل ما يراه الإنسان ، وتقع عليه حواسه في هذا الكون العظيم من خلق وإيجاد ، وتدبير وتصريف ، وتحريك وتسكين وغير ذلك مما يدل على كمال قدرة الله في خلق السماء والأرض ، والجماد والنبات ، والحيوان والإنسان ، وغيرها من المخلوقات التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا الله وحده لا شريك له : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤] .

وأول الواجبات معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

ووسيلة ذلك النظر في مفعولاته : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَازَيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦- ٨] .

والنظر في آياته الشرعية : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

والواجب الثاني : أن تعرف الناس بالرب الذي تعبد : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والله ﷻ بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

ونعم الله لا تؤخذ بذاتها ، ولكن تؤخذ بتوجيهات القادر عليها .

فالأصل في الماء أنه سبب الحياة ، والأصل في النار أنها سبب الهلاك .

فالماء الذي خلق الله منه كل شيء وأحياه كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

إذا أراد سبحانه أن يجعله هلاكاً ودماراً جعله طوفاناً يُغرق الأرض ومن

عليها ، كالذي حدث في عهد نوح كما قال سبحانه عن نوح ﷺ : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴾ [١٠]

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنَمَّرٍ ﴾ [١١] وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا

﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ﴾ [١٢] [القمر: ١٠ - ١٢].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [١١] لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرَةً وَتَعِيَهَا

أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿ [الحاقة: ١١-١٢].

فأغرق الله بهذا الماء جميع الكافرين ، ونجى به المؤمنين من قوم نوح : ﴿

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١] [الملك: ١].

فالطوفان الذي حدث في عهد نوح ﷺ عام ، والطوفان الذي حدث في عهد

موسى خاص بالذين كفروا بموسى ﷺ ، بلغ إلى نهاية رقبة الإنسان ، وغمر

بيوت آل فرعون ، ومزارعهم ، وسلمت منه بيوت بني إسرائيل كما قال

سبحانه : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ [الأعراف: ١٣٢ - ١٣٣].

والنار طبعها الإحراق ولكن الله جعلها بردًا وسلامًا على خليله إبراهيم عليه السلام كما قال سبحانه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وآيات موسى عليه السلام تسع هي:

- ١- العصا التي تحولت إلى ثعبان .
- ٢- واليد التي خرجت بيضاء .
- ٣- والسنين .
- ٤- ونقص الثمرات .
- ٥- والطوفان .
- ٦- الجراد .
- ٧- القمل .
- ٨- والضفادع .
- ٩- والدم .

كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مَثْبُورًا﴾ ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ ﴿١٠٤﴾ [الإسراء: ١٠١ - ١٠٤].

وقال الله عز وجل عن فرعون وجنوده وقوته: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ [الأعراف: ١٣٣].

وفي طلب فرعون وقومه من موسى كشف العذاب ثلاثة اعترافات كما قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِإِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا

كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ
الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
يَصْعَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٤-١٣٧].

ففي طلب آل فرعون من موسى كشف العذاب عنهم ثلاثة اعترافات :

الأول : اعترافُ ببطلان ربوبية فرعون .

الثاني : اعترافُ بأن موسى ﷺ رسولٌ من الله مقبول الدعاء .

الثالث : اعترافُ أنه لا يمكن أن يرفع عنهم هذا العذاب إلا الله وحده لا شريك له .

اللهم فقهننا في الدين ، واجعلنا هداة مهتدين ، يا رب العالمين .

فقه خوارق العادة :

خوارق العادة أربعة أقسام :

الأول : آيةٌ للنبي ، وهي : أمرٌ خارقٌ للعادة يظهره الله على يد النبي تأييداً له ، وتصديقاً له ، مثل إحياء عيسى للأموات ، وانفلاق القمر لمحمد ﷺ ونحو ذلك من الآيات التي أيد الله بها رسله .

الثاني : كرامةٌ للولي ، والولي هو : من جمع بين الإيمان والتقوى ، وهي أمرٌ خارقٌ للعادة يُظهره الله على يد متبع الرسل ، إما تكريماً له ، أو نصرةً للحق ، كما حصل لمريم تهز جذع النخلة فتسقط عليها الرطب كما قال سبحانه : ﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥] .

وما حصل لها من الحمل والولادة على خلاف العادة ، وهذا كله من آيات الله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٩١﴾ . [الأنبياء : ٩١] .

الثالث : ما يظهره الله على يد المشعوذين ، الذين يستخدمون الجن والشياطين فتنة لهم ، أو فتنة بهم ، فيوجد من الناس من يجري على يديه أمورٌ خارقة للعادة وليس بنبي ولا ولي ، فهي من الشياطين : ﴿ وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ أُشْرِبَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

الرابع : ما يكون خارقاً للعادة يُظهره الله على يد الكاذب تكديباً له ، وإهانةً له ، كما حصل من مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ، حين مج ريقه في البئر ، ليكثر ماؤها ، فجف ماؤها إهانةً له ، وإظهاراً لكذبه . فهذه أربعة أشياء كلها خارقة للعادة .

آية للنبي ، وكرامة للولي ، وشعوذة للمشعوذ ، وإهانة للكذاب . وهي تختلف بحسب من أظهرها الله على يديه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥] . ومن آيات موسى العصا التي جعلها الله ﷻ له آية ، فقد أمر الله موسى أن يلقي عصاه ثلاث مرات في مناسباتٍ مختلفة .

الإلقاء الأول : إلقاء التدريب ، وذلك حينما أعلم الله موسى في طور سيناء أنه اصطفاه رسولاً كما قال سبحانه : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى

نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ
 هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ
 الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
 فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ
 نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾
 وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّوْا عَلَيْهَا وَاهْتَسُّ بِهَا عَلَيَّ
 غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمْوَسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ
 تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَىٰ
 جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾
 أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴿طه: ٩-٢٤﴾ .

وسر ذلك أن موسى ﷺ إذا جاء إلى فرعون ، وألقى العصا أمام فرعون ،
 فإنه سيكون متأكدًا من أمرين :

الأول : أن العصا ستقلب فورًا حية بمجرد إلقاءها .

الثاني : أن هذه الحية لن تضره ولا تؤذيه حتى لا يخاف أمام فرعون وملئه .

الإلقاء الثاني : إلقاء الإعلام بالرسالة ، حين جاء موسى إلى فرعون ؛ ليلبغته
 أنه رسول رب العالمين كما قال سبحانه عن فرعون أنه قال : ﴿ قَالَ لَئِن
 أَخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾
 قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾
 وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ
 أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴿الشعراء: ٢٩-٣٥﴾ .

الإلقاء الثالث : إلقاء التحدي للسحرة ، وقد وصف الله العصا أنها انقلبت

مرة إلى ثعبان مبين ، ومرة إلى حية تسعى ، ومرة كأنها جان .

وكل إلقاء له حكمة ، وهناك فرقٌ بين التناقض والتكامل ، فالشعبان والحية والجان كلها أوجه تُثير الرعب والخوف في نفس الإنسان .
 فالشعبان في عظمته وطوله وحركته مخيف ، والحية في شكلها المخيف ، والجان في سرعته المخيفة .

فتمثلت العصا في كل مرة بشكلٍ يُرعب من يراها ، ولقد خاف موسى وقت التدريب ؛ لأنه تأكد أن العصا صارت حية ، ثم طمأنه ربه بأنه لا يخاف إلا منه بقوله سبحانه : ﴿يُمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل: ١٠].

وهذا هو الذي جعل السحرة يسجدون ؛ لأنهم تيقنوا أن العصا انقلبت حية حقيقة كما قال سبحانه : ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلْنَا نَبْعِثَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء: ٣٨-٤٨].

ولما لم يستجب فرعون لدعوة موسى ﷺ وأراد الله إهلاكه أوحى الله إلى موسى بقوله : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْنَا ثُمَّ

الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

[الشعراء: ٥٢-٦٨].

فقه آيات الله الكبرى :

جميع ما في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، آياتٌ عظيمةٌ دالةٌ على وحدانية الله ، وكمال قدرته وعلمه وعظمة جلاله وجماله : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس: ١٠١].

وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

فخلق العرش آية ، وخلق الكرسي ، وخلق السماء آية ، وخلق الملائكة آية ، وخلق الشمس آية ، وخلق القمر آية ، وخلق النجوم آية ، ونزول الغيث آية .

وخلق الأرض آية ، وخلق الجبال آية ، وخلق البحار آية ، وخلق الإنسان آية ، وخلق الجن آية ، وخلق النبات آية ، وخلق الحيوانات آية : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٢].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال الله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٠﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧] .

فسبحان ربنا الخلاق العليم الذي كل أفعاله آياتٌ يُذكر الله بها عباده؛ ليؤمنوا به ، ويوحدوه، ويعبدوه وحده لا شريك له، ويجتنبوا عبادة ما سواه .

خلق سبحانه الكبير والصغير ، وخلق العالي والسافل ، وخلق الذكر والأنثى ، وخلق النبات والحيوان ، وخلق الملائكة والجن والإنس ، وخلق الثابت والمتحرك ، وخلق الرطب واليابس : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣] .

ومن هذه صفاته فتجب عبادته : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .

فسبحان من خلق الكبير والصغير .

الكبير كالعرش والكرسي ، والسماوات والأرض ، والجبال والبحار ونحوه مما خلقه الله ﷻ .

والصغير كالبعوضة والهباء والنملة والذرة ونحو ذلك .

وأصغر ما في هذا الكون ، وأضعف ما فيه ، هو الهباءة التي خلقها الله ﷻ ، وهي تظهر لنا عندما يدخل النور من فرجة في غرفة مظلمة .

فهذه الهباءات لكل هبأة حيزٌ تشغله في الفضاء العظيم ، ولها فيه حركةٌ وسكون ، ولها لون وشكل ، ولها طبعٌ وطعم ، فلا إله إلا الله ، أظهر قدرته في خلق العظيم كالعرش والسموات والأرض ، وفي خلق الصغير كالذرة والهبأة .

وإذا كانت هذه الغرفة مملوءةً بملايين الهباءات ، فكم هبأة في البيت ؟ !
 وكم هبأة في القرية ؟ ! وكم هبأة في المدينة ؟ ! وكم هبأة خلقها الله ﷻ في الدولة الواحدة ؟ ! وكم هبأة في القارة الواحدة ؟ ! وكم هبأة في القارات كلها ؟ ! وكم هبأة بين السموات والأرض ؟ ! .

وجميع هذه الهباءات مخلوقٌ من خلق الله ، يدل على عظمته ، وجميع ما في الكون خلقه الله ؛ ليشهد بوحدانيته ، ويسبح بحمده ، ويخضع لمشيئته ، ويسرع إلى إرادته : ﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ عَلُوًّا كَبِيْرًا ۝٤٣ ﴾ تَسْبِيْحُ لَهُ اَلْسَمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا يَسْبِيْحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيْحَهُمْ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا ۝٤٤ ﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤] .

فسبحان من تسبح له جميع مخلوقاته : ﴿ يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُوْسِ الْعَزِيْزِ الْحَكِيْمِ ۝١ ﴾ [الجمعة: ١] .

وسبحان من خضعت له جميع مخلوقاته : ﴿ اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ يَسْجُدُ لَهٗ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُوْمُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيْرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيْرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللّٰهُ فَمَا لَهٗ مِنْ مُّكْرِمٍ اِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝١٨ ﴾ [الحج: ١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ يَسْبِيْحُ لَهٗ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّٰتٍ ۝٤١ ﴾ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيْحَهُ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِمَا يَفْعَلُوْنَ ۝٤٢ ﴾ وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَإِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْرُ ۝٤٣ ﴾ [النور: ٤١-٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكَوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٨٥﴾ [الأعراف: ١٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ [النور: ٤٤-٤٦] .

أقسام الخوارق :

الخوارق ثلاثة أقسام :

١- قسم آياتُ للأنبياء .

٢- وقسمُ كراماتٍ للأولياء .

٣- وقسمُ إهاناتٍ من الشياطين ، يجريها الله على خلاف العادة على أيدي الشياطين فتنةً ؛ لأن الله ﷻ يبلو بالخير والشر كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥] .

ومن تحصل له هذه الخوارق ، إما أن يكون نبياً أو رسولاً ، أو ولياً للرحمن ، أو ولياً للشيطان .

والكرامات علامتها أن يجريها الله ﷻ على يد رجلٍ صالحٍ من أولياء الله ، كرامةً له كما قال سبحانه عن مريم : ﴿ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا ﴾ ﴿٢٥﴾ [مريم: ٢٥] .

وقول الله ﷻ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أُنِّي لِلِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٣٧] .

أما الأحوال الشيطانية والسحر ، فتجري على يد طواغيت وأولياء الشيطان الذين يدعون أنهم أولياء الله ، ويلعبون بعقول العامة والسفهاء ، فيتقربون للشياطين بالكفر والشرك ، ثم يستخدمونهم لأغراضهم الخاصة ، ويضرون بهم الناس ، وقد يخذلهم الله بها ، كما غار ماء البئر الذي مج فيه مسيلمة الكذاب ، إهانةً له .

فمن جرى على يديه خلاف العادة ، فإن كان مؤمناً تقياً صالحاً ، فهي من كرامات الأولياء .

وإن كان فاجراً ، فهي أحوال شيطانية من الشياطين ، أو ساحر يسحر أعين الناس ، كما حصل من سحرة فرعون حين ألقوا حبالهم وعصيهم .

فالآيات لتأييد الرسل ، والكرامات تكريماً للأولياء وتثبيتاً لهم ، وتصديقاً لما هم عليه من الحق ، والخوارق الشيطانية إهانةٌ لأولياء الشيطان ، وفتنةٌ للناس ، وفتنةٌ بهم ، كأن يطير الإنسان في الهواء ، يحمله الشيطان بسبب

طاعته له التي هي عبادته له : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَءِ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٦٠) ﴿ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٦١) ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٢) [يس: ٦٠-٦٢] .

٩- الخزانة التاسعة

صفات أولياء الرحمن :

الله سبحانه كريم خلق الإنسان في أحسن تقويم ، واشترى المؤمنين من البشر ، واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، حتى لا تشغلهم عنه ، وأمرهم ببذلها في سبيل مرضاته ، وعوضهم عن ذلك الجنة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١] .

والله سبحانه عليّ غنيّ كريم ، لا يشتري إلا السلع التي لها صفات عالية ، فوصف الله هذه السلعة التي اشتراها بقوله جل جلاله : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَبْدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمَتَكِينُونَ الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢] .

فهذه أعظم صفات أولياء الرحمن وهي عشر صفات :

الأولى : التائبون الراجعون من غير الله إلى الله ، ومما تحبه النفس إلى ما يحبه الرب .

الثانية : العابدون الخاضعون لعظمة جلال الرب تعظيماً له ، وحباً له ، وذلاً له .

الثالثة : الحامدون بإظهار الكمالات العلمية والعملية ، حمداً لربهم على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

الرابعة : السائحون الذين هاجروا بقلوبهم وجوارحهم إلى ربهم ، الصائمون عن المألوفات حين عاينوا جلال الله وجماله : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي

لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾
﴿الذاريات: ٥٠-٥١﴾ .

الخامسة : الراكعون الخاضعون لربهم تعظيمًا له ، وحبًا له ، وطاعةً له .

السادسة : الساجدون الذين سجدوا بقلوبهم وجوارحهم لربهم العلي الأعلى ، لما يرون من عظمة جلاله وجماله ، ونعمه وإحسانه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿الزمر: ٩﴾ .

السابعة : الأمرون بالمعروف الذين يعرفون الحق ، ويعرفون الخلق بالحق ، ويأمرونهم بعبادته وطاعته ، والإيمان به .

الثامنة : والناهون عن المنكر ، الذين ينهون الناس عما يُغضب ربهم ، وما يُفسد حياتهم من الكفر والشرك والبدع والمعاصي .

التاسعة : والحافظون لحدود الله ، الذين حفظوا حدود الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه ، في أنفسهم وعلى غيرهم بقلوبهم وجوارحهم : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿آل عمران: ١١٠﴾ .

العاشرة : وبشر المؤمنين الذين آمنوا بالله واستقاموا على شرعه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

فقه خلق السماوات والأرض :

خلق الله ﷻ السماوات والأرض في ستة أيام ، أولها الأحد وآخرها الجمعة ، خلق الله فيه آدم في آخر ساعة منه بعد العصر .
فخلق سبحانه الأرض في يومين ، ثم خلق فيها الجبال والأقوات والأرزاق في يومين ، ثم خلق السماوات السبع في يومين ، فهذه ستة أيام ، ويوم السبت ليس منها .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۾ أَنْدَادًا ۗ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۗ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩-١٢] .

فلا إله إلا الله ، ما أعظم قدرته ، وما أعظم خلقه ، وما أعظم خزائنه .

والله جل جلاله خلق سبع سموات ، ومن الأرض مثلهن .

وقد ذكر الله ﷻ السماوات السبع في القرآن سبع مرات في سبع آيات هي :
﴿سُبْحٰنَ لَهِ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَالْاَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۗ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤] .

وقوله ﷻ : ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧] .

سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ اَفَلَا نُنْقِوْبُ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧]

وقوله ﷻ : ﴿ فَقَضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا
السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝١٢ ﴾ [فصلت: ١٢].

وقوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢].

وقوله ﷻ : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ أَجْسَادَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ۝٢ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا
تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ
كَرْرَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾ [الملك: ١-٤].

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ
نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۝١٦ ﴾ [نوح: ١٥-١٦].

وقال الله تعالى : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ ﴾ [النبا: ١٢].

وذكر سبع سماوات ، في سبع آيات أمرٌ مُعْجَز ، وهي سبع سماوات متطابقة
تُغلف العليا منها السفلى ، وقد مر الرسول ﷺ حين عُرج به إلى السماء بها
كلها ، واستأذن له جبريل في الدخول فيها ، ففتح له .

وما نشاهده في الكون جزءٌ محدودٌ من السماء الدنيا ، والله ﷻ أخبرنا عن
سبع سماوات ، وسبع أراضين ، وكشف لنا عن سماءٍ واحدة ، وأرضٍ
واحدة نراهما بالحس والبصر ، وست سماوات ، وست أراضين ، نصدق
بهما بالخبر .

وتبديل السماوات والأرض يوم القيامة يكون على وجهين :

الأول : تكون الذات باقية ، وتُبدل الصفات .

الثاني : أن تُفنى الذات الأولى ، وتُخلق ذاتٌ أخرى .

والله على كل شيء قدير ، قادرٌ على هذا ، وهذا : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعَدَّهِ ﴾ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٧-٤٨]

وقال الله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

ومن هذه صفاته ، وهذا خلقه ، هو الرب الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم: ٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ [هود: ١٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ [الحديد: ٩]

عظمة خلق السماوات والأرض :

الله ﷻ هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥] .

خلق كل شيءٍ فقدره تقديراً ، من صغيرٍ وكبيرٍ ، وعالٍ وسافلٍ ، ورطبٍ ويابسٍ : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣] .

والسمااء هي : كل ما علا وارتفع ، كالسماوات السبع ، والأفلاك العظيمة ،
 والمجرات الكبيرة ، والكواكب المنتشرة ، والنجوم والشمس والقمر
 وغيرها مما بين السماء والأرض ، وتدبر ذلك من أعظم العبادات : ﴿ أَفَلَمْ
 يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ
 مَدَدْنَاهَا وَاللَّيْنَةَ فِيهَا رَوَّسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ
 مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٦-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ
 عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .
 والسماوات والأرض مخلوقات عظيمة .

فخلق السماء آية ، وما في السماوات من مخلوقات كالملائكة والشمس
 والقمر والنجوم كل ذلك آيات عظيمة : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ
 وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ
 إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧] .

خلق السماء آية ، وخلق ما فيها آيات عظيمة ، وارتفاع السماء آية ، وبقاؤها
 آية ، وأنوارها آية ، وإمساكها آية ، والسماوات والأرض مشحونة بالأنوار
 العقلية ، والأنوار الحسية : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ
 الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا
 وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا
 ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح: ١٥-٢٠] .

وخلق الأرض آية ، وخلق ما فيها آية ، وخلق الجبال آية ، وخلق البحار
 آية ، وخلق النبات بأنواعه آيات مختلفة ، وخلق الإنسان آية ، وخلق

الحيوان آية : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [الذِّكْرُ ١١٠] الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ [آل عمران: ١٩٠- ١٩١] .

والسماوات والأرض دلائل وبراهين على كمال قدرة الله ، وعلى عظمة أسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

وإذا عرفتم ذلك آمنتتم بالله ، وكبرتموه ، وعظمتتموه ، وأحبيتتموه ، وحمدتموه وشكرتموه : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

فالسماوات والأرض مخلوقات عظيمة ، مشحونة بمخلوقات عظيمة ، مملوءة بالأنوار العقلية ، والأنوار الحسية .

أما الأنوار الحسية فما نشاهده في السماوات من الكواكب والنجوم ، والشمس والقمر ، وما نشاهده في الأرض من الأشعة المنبسطة على سطوح الأجسام ، حتى ظهرت بها الأشياء والألوان المختلفة .

وأما الأنوار العقلية ، فالعالم العلوي مشحون بها ، وهي جواهر الملائكة ، فالملائكة خلقت من نور ، والسماوات مملوءة بالملائكة التي تُسبح بحمد ربها ، وتنفذ أوامره : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] .

فهم لا يعصون الله ما أمرهم ﴿٥٠﴾ ﴿النحل: ٥٠﴾ .
 وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ أَيْلًا وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾
 [الأنبياء: ١٩-٢٠] .

والعالم السفلي مشحوناً بها وهي : القوى الجمادية ، والنباتية ،
 والحيوانية ، والإنسانية .

فكم في الأرض من الآيات التي تدل على وجود الله ﷻ ، وفي كل شيء له
 آية تدل على أنه واحد : ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ
 وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ
 ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-
 ٢٠] .

والله جل جلاله نور السماوات والأرض ، حجاب النور لو كشفه لأحرق
 سُبُوحَاتِ وَجْهَهُ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ .

فسبحان الجميل النور في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿اللَّهُ نُورٌ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
 كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ
 لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ
 وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥] .

وخلق الله ﷻ الشمس كتلةً من اللهب ، والشمس تمد الكون بالنور
 والحرارة ، وهي تجري في الكون لا تقف أبداً كما قال سبحانه : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ

مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ
سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس: ٣٨-٤٠] .

فالشمس للتوقيت اليومي ؛ لتبين النهار من الليل .

والقمر للتوقيت الشهري ، يبدو هلالاً ، ثم يتزايد حتى يبلغ كماله في
منتصف الشهر ، ثم ينقص قليلاً قليلاً .

والشمس حرارتها ونورها وجريانها وارتفاعها بمقدار ، فلو ارتفعت قليلاً

لتجمد كل شيء ، ولو نزلت قليلاً لاحترق وتبخر كل شيء في الأرض : ﴿

هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَارُوفٍ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

﴿ ١١ ﴾ [لقمان: ١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ

﴿ ٥٠ ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ

مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴿

[يس: ٨١-٨٣] .

فقه عظمة خلق السماء :

خلق الله جل جلاله السماء العظيمة ، وأمسكها بقدرته كما قال سبحانه : ﴿

وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ ﴿٦٥﴾ [الحج: ٦٥] .

وخلق سبحانه السماوات السبع ، وجعل بعضها فوق بعض كما قال

سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا

لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ تَحْتِهَا وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴿١﴾
 المؤمنون: ١٧-١٩].

وقد أمرنا الله ﷻ بالنظر إلى عظمة خلق السماوات ؛ لنعلم عظمة من خلقها ، ونعلم عظمة قدرته وقوته وعلمه وحكمته ، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له : ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿٢﴾ [يونس : ١٠١].

وأرشدنا سبحانه إلى النظر والتفكر في آياته العظمى في خلق السموات والأرض ، فقال سبحانه : ﴿ مَا لَكُمْ لَا نَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴿٤﴾ تَرَوْنَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴿٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴿٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴿٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴿١٠﴾ [نوح: ١٣- ٢٠].

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾ بَصِيرَةً وَذُكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ ﴿٨﴾ ﴿٨﴾ [ق: ٦- ٨].

ومن قدر على خلق السماوات العظيمة ، فهو قادرٌ على خلق ما دونها من الإنسان ، والحيوان ، والجماد وغيرهم كما قال سبحانه : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿١١﴾ [غافر: ٥٧].

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴿١٣﴾ [يس: ٨١- ٨٢].

وقال الله تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَنَعًا لَكُمْ وَلِنَعْمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات : ٢٧-٣٣] .

وخلق السماوات والأرض يدل على عظمة خالقهما ، فهو سبحانه الخالق الذي خلق السماوات ، وهو الذي يمسكها أن تزول ، أو تقع على الأرض ، فتهلك من فيها كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١] .

ومن هذه عظمته ، وهذا خلقه ، وهذه قدرته ، وهذا ملكه العظيم ، فيجب الإيمان به ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

فالسماوات من أعظم مخلوقات الله التي نراها ، فسبحان من خلقها ، وسبحان من أمسكها ، وسبحان من حفظها : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

١٠ - الخزانة العاشرة

فضائل السماء :

للسماء فضائل عظيمة من وجوه :

الأول : أن الله تعالى زين السماء الدنيا بسبعة أشياء :

زينها بالمصابيح كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ [الملك: ٥] .

وزينها بالقمر كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [نوح: ١٦] .

وزينها بالشمس كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٦] .

وبالعرش كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُكَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧] .

وبالكرسي كما قال سبحانه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وباللوح كما قال سبحانه : ﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البروج: ٢٢] .

وبالقلم كما قال سبحانه : ﴿ تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [القلم: ١] .

فهذه سبعة أشياء عظيمة ، ثلاثة منها ظاهرة ، وأربعة خفية .

الثاني : أن الله تعالى سمى السماوات بأسماء تدل على عظمة شأنها ،

فسمها سماءً ، وسقفًا محفوظًا ، وسبعًا طباقًا ، وسبعًا شدادًا ، ثم ذكر

عاقبة أمرها فقال : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] .

مما يدل على أن خلقها لحكمة بالغة .

الثالث : أن الله سبحانه جعل السماء قبلة الدعاء ، فالأيدي تُرفع إليها ، والوجوه تتوجه نحوها ، وهي محل النور ، والصفاء ، والطهارة ، والإحكام ، والطاعة التامة : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ (١٩)

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩- ٢٠] .

الرابع : أن السماوات والأرض على صفتين :

فالسماوات مؤثرة غير متأثرة .. والأرض متأثرة غير مؤثرة .

والمؤثر أشرف من القابل ؛ ولهذا قدم الله ذكر السماوات على الأرض في القرآن ، ووردت بلفظ الجمع دون الأرض في أكثر الآيات .

الخامس : أن الله زين السماء الدنيا بهذا اللون الأزرق ، وهو أحسن الألوان ، وأشدها موافقة للبصر ، وتقوية له ، فلونها أحسن الألوان هو المستنير ، وشكلها أحسن الأشكال ، وهو المستدير : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٦) [ق: ٦] .

فسبحان من بنى السماء ، وأمسكها بقدرته ، وأظهر بها كمال علمه وحكمته . فمن تأمل في هذا الكون العظيم وجده كالبيت العظيم المعد فيه كل ما يحتاج إليه .

فالسماوات المرفوعة كالسقف ، والأرض الممدودة كالسباط ، والشمس والقمر والنجوم كالمصابيح ، والإنسان كمالك هذا البيت المتصرف فيه ، وأنواع النباتات مهياة لمنافعه ، وضروب الحيوانات مصرفة في مصالحه ، وأنواع المياه لسقيه وخدمته ، وأنواع الرياح لسروره وعافيته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ

يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عِقْبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۗ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نَمْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ [لقمان: ٢٠-٢٥].

فقه عظمة خلق الأرض :

خلق الله ﷻ الأرض وجعلها قرارًا ، وفرأشًا ، ومهادًا ، وذلولًا .

وكون الأرض فرأشًا مشروط بشرط :

الأول : أن تكون ساكنة مستقرة ، بلا علاقة من فوقها ، ولا دعامة من تحتها ، بل أمسكها الله بقدرته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١] .

الثاني : أنها لم تكن في غاية الصلابة كالحجر الذي يؤلم من نام عليه ، أو مشى عليه ، ولم تكن من الذهب الذي تتعذر الزراعة معه عليها ، ولا البناء عليها، لتعذر حفرها، ولم تكن في غاية اللين كالماء الذي تغوص فيه الرجل .
الثالث : أنها لم تكن في غاية اللطافة والشفافية ، فإن الشفاف لا يستقر عليه النور ، ولا يتسخن من الشمس ، فكان يبرد جدًا .

الرابع : أن تكون بارزة من الماء ؛ لئلا يغمرها الماء .
واليابسة تُشكل من الأرض أقل من الثلث ، وأما الماء فيشكل ثلاثة أرباع الأرض تقريبًا ، وذلك لمصالح ومنافع عظيمة .

منافع الأرض :

أولاً : في الأرض منافع عظيمة ، لا يحصيها إلا الذي خلقها ، ومن ذلك الأشياء المتولدة فيها كالمعادن والنبات والحيوان : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩] .

ثانياً : اختلاف بقاع الأرض ، فمنها أرض رخوة ، وصلبة ، ورملة ، وسبخة ، وطيبة .

ثالثاً : اختلاف ألوانها فأبيض وأسود ، وأحمر ورمادي ، وأخضر وبني ، واختلاف ألوان ما عليها من المخلوقات من الناس والدواب والأنعام ، والزروع والأشجار والثمار : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١] .

رابعاً : انصداعها بالنبات كما قال سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ [١١] وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿ [الطارق: ١١-١٢]

وقال الله ﷻ في منافع الأرض : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [٢٧] وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿ [٢٨] إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ [٢٩] لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿ [فاطر: ٢٧-٣٠] .

خامساً : كون الأرض خزينة للماء المنزل من السماء كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ [١٨]

المؤمنون: [١٨] .

سادسًا : الأنهار والعيون التي فيها كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾ [الرعد: ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ١٥ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿ ١٦ ﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ١٧ ﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ ١٨ ﴾ [النحل: ١٥-١٨]

سابعًا : ما في الأرض من المعادن والفلزات وغيرها من النباتات كما قال سبحانه : ﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [الحجر: ١٩] .

ثامنًا : ما في الأرض من أنواع الحب والنوى الذي ينبت فيها كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَآتَىٰ تَوْفَكُونَ ﴿ ٩٥ ﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ ٩٦ ﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٦] .

تاسعًا : أن الله سبحانه خلق طبع الأرض على الكرم كما قال سبحانه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

عاشرًا : حياة الأرض بعد موتها بالماء الذي ينزله الله عليها : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٧] .

الحادي عشر : ما عليها من أنواع الدواب المختلفة الألوان والصور والخلق كما قال سبحانه : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ

تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ [لقمان: ١٠] .

الثاني عشر : ما في الأرض من أنواع النبات المختلف الألوان والأنواع والمنافع كما قال سبحانه : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦- ٨] .

وقال ﷻ : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج: ٥] .

الثالث عشر : ما في الأرض من أنواع اللباس من القطن والصوف والوبر وغيرها : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [النحل: ٨١] .

الرابع عشر : أن الله جعل الأرض ساترة للإنسان بعد موته كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [المرسلات: ٢٥- ٢٦] .

الخامس عشر : كثرة ما يوجد على الجبال والأرض من الأشجار التي تصلح للبناء والسقوف والحطب : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [الرعد: ٣] .

فضائل الأرض :

خلق الله ﷻ الأرض ، وملاها بكل ما يحتاجه الإنسان والحيوان ، وأسكن فيها آدم وذريته الذين خلقهم الله منها ، فهي أهمهم التي فيها جميع حوائجهم : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ

نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان: ٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَيْكِهِةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَّعْنَاكُمْ وَلِيَنْتَعِمُوا ﴿٣٢﴾ [عبس: ٢٤-٣٢] .

فالأرض مائدة عظيمة مفتوحة لآدم ﷺ وذريته، فيها أنواع الأشجار والثمار، والحبوب والمعادن ، واللباس والمياه وغيرها : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ ﴿١٥﴾ [الملك: ١٥] .

فهذه النعم العظيمة جعلها الله للإنسان في الأرض ، مع أن الدنيا سجن المؤمن ، فكيف الحال في الجنة ؟ : ﴿ وَءَاتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤] وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧٢] .

وقال النبي ﷺ : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » . أخرجه مسلم ^(١) .
فالأرض هي أم الإنسان الكبرى ، وهي أشفق من الأم الآدمية ؛ لأن الأرض تطعمك من ألوان الطعام ، وتُسقيك من أنواع الشراب ، والأم إنما تُسقيك لونها واحداً ، وهو الحليب : ﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ﴿٧﴾ بَصْرَةَ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٧-٨] .

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٩٥٦/١ .

وإكرامًا لهذا الإنسان سيّعه الله إليها إذا مات ، ثم يخرجها منها إلى دار القرار ، في الجنة إن كان مؤمنًا ، وفي النار إن كان كافرًا : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٥٥] .

والله سبحانه لما خلق السماء والأرض ، جعل بينهما ما يشبه عقد نكاح ، بإنزال الماء من السماء على الأرض ؛ ليخرج به من بطن الأرض أنواع المواليد من الزروع والحبوب ، والأشجار والثمار والنباتات التي جعلها الله رزقًا لبني آدم : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٥] ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج : ٥ - ٧] .

والله جل جلاله هو الخلاق العليم ، وهو القادر على خلق هذه الثمار بدون وسائط ولا تعب الخلق ، ولكن الله يريد بذلك تنبيه الناس أنهم إذا تحملوا المشاق في الحرث والغرس والبناء من أجل تحصيل المصالح الدنيوية ، فلا أن يتحملوا أقل المشاق لطلب المنافع الآخروية التي هي أعظم وأولى كما قال سبحانه : ﴿ زِينِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ [١٤] قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ لَدَيْنِ اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ [آل عمران: ١٤-١٥] .

والله جل جلاله قادرٌ على خلق الشفاء من دون الدواء ، لكنه أجرى العادة بتوقيفه عليه ، رحمةً بالإنسان ، وتنبيهٌ له ؛ لأنه إذا تحمل مرارة الدواء دفعًا

لضرر المرض ، وطلب الشفاء ، فلا أن يتحمل مشاق التكاليف بامثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، دفعاً لضرر العقاب أولى .

فسبحان الحكيم العليم في خلقه وأمره ، وتدبيره وتصريفه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [يونس: ٣-٤] .

لهذا أول واجب على الإنسان أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، حتى يتوجه إليه ، ولا يلتفت لأحدٍ سواه : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩] .
وقال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

والواجب الثاني ، أن يعمل بما علمه من هذا العلم العظيم ، ويعبد ربه وحده لا شريك له ، ويدعو الناس إلى الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۗ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

ماذا خلق الله بين السماء والأرض ؟ .

خلق الله بين السماء والأرض آياتٌ عظيمة ، ومخلوقاتٌ عجيبة، وهي الشمس والقمر ، والنجوم والسحب والرياح وغيرها مما لا يعلمه ولا يحصيه إلا الله .

فالشمس آيةٌ من آيات الله العظيمة ، ومخلوقاته العجيبة ، فبطلوع الشمس وغروبها يصلح أمر العالم ، فإذا طلعت تحرك الناس في معاشهم ، ونضجت ثمار أشجارهم ، وإذا غربت هدأ الكون ، واستراح الناس من التعب والعمل ، ولو لم تغرب لكان الحرص على المعاش يحمل الناس على المداومة على العمل ، فقد أثنى الله على نفسه بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۗ ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۗ ﴿١١﴾ ﴾ [النبا: ١٠-١١] .

ولولا الغروب لحميت الأرض بدوام شروق الشمس ، واحترق كل ما عليها من إنسانٍ أو حيوانٍ أو نبات، فمن رحمة الله بعباده أن جعلها تطلع في وقت، وتغيب في وقت ؛ ليحصل العمل ، ويحصل الهدوء بعد العمل : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۗ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس: ٥-٦] .

وارتفاع الشمس وانخفاضها آيةٌ من آيات الله العظيمة ، جعله الله سبباً لإقامة الفصول الأربعة ، التي تتم بها مصالح النبات ، والإنسان ، والحيوان ، وهي :

الشتاء ، والربيع ، والصيف ، والخريف .

أما حركة الشمس فيها ينشر الله النور والحرارة في العالم ، ولو كانت واقفةً في مكانٍ واحد أبداً ، لاشتد الحر في ذلك الموضع ، واشتد البرد في سائر المواضع ، فاحترق من في الموضع الأول ، وتجمد من في الموضع الثاني ، ولكن الحكيم العليم الرحيم بعباده جعلها تجري من جهةٍ إلى جهة ، فلا يبقى موضعٌ مكشوفٌ إلا أخذ حظه من الإنارة والحرارة : ﴿

وَأَيُّهُ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس : ٣٧-٤٠] .

وأما منافع ميلها في حركتها عن خط الاستواء ؛ فلاجل أن تحصل منافعها للمخلوقات في كل بقعة من الأرض .

فسبحان الخلاق العليم الحكيم في خلقه وتديره : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ [الحجر : ٨٦] .

وأما القمر فقد جعله الله للتوقيت الشهري ، كما أن الشمس للتوقيت اليومي ، والقمر آية الليل ، والشمس آية النهار : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ فَحَصَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [الإسراء : ١٢-١٤] .

وجعل سبحانه في طلوع القمر مصالح ، وفي غروبه مصالح .

ففي طلوعه نفعٌ لمن ضل الطريق ، ونفعٌ لبعض الحيوانات والحشرات التي تطلب رزقها ليلاً لا نهاراً .

وفي غروبه نفعٌ لمن هرب من عدو ، وراحةٌ للإنسان والحيوان من التعب والكد في النهار : ﴿ وَمَنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [٥] إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ [يونس: ٥-٦] .

فسبحان من خلق هذا القمر الجميل ، وصوره ونوره ، وعلى البروج دوره ، فإذا شاء نوره ، وإذا شاء كوره .

حكمة خلق النجوم والكواكب ، والرياح والسحب :
النجوم التي خلقها الله ﷻ خلقها لثلاث :

علاماتٍ يهتدى بها .. ورجوماً للشياطين .. وزينةً للسماء .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ٣] ﴿١٦﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وَقَدْ زِينَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٥] .

والنجوم ثلاثة أقسام :

غاربةٌ لا تطلع ، كالكواكب الجنوبية .. وطالعةٌ لا تغرب كالكواكب الشمالية .. ومنها ما يغرب تارة ، ويطلع أخرى .

ومنها ثوابت ، ومنها سيارات ، ومنها بيضاء ، ومنها حمراء ، ومنها كبير ،

ومنها صغير : ﴿ وَعَلَّمَتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ٣] ﴿١٦﴾

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق كل شيءٍ فقدره تقديراً : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝٥٠ ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠] .

وأما الرياح والسحب فهي من المخلوقات العظيمة التي سخرها الله ﷻ لنفع عباده : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِرُ بِهَا السَّحَابَ فَتُنْفِثُ فِيهَا مَاءً فَتَسْقِيهِ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ۝٩ ﴾ [فاطر: ٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۗ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝٥٨ ﴾ [الأعراف: ٥٧-٥٨] .

فقه رحمة الرب جل جلاله :

الله جل جلاله له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ [طه: ٨] .

هو الرحمن الرحيم الذي هو أرحم بخلقه من الأم الشفيقة على ولدها : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝١١٣ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝٢٢ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

وأنزل الله برحمته إلى أهل الأرض ما يرحمهم به أعظم رحمة ، وهما :

الماء ، والوحي .

فأنزل الله الماء من السماء ؛ ليحيي به الأرض بعد موتها ، ويُنبِت به النباتات والزروع والثمار ، ويُسقي به الإنسان والحيوان : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّتٍ وَحَبِّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾
 رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴿ق: ٩-١١﴾
 وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ
 نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُشْفِيَهُ، مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأَنَا سَيِّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴿الفرقان: ٤٧-٥٠﴾
 . [٥٠]

وأنزل الله سبحانه الوحي وهو القرآن على قلوب البشر: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ
 الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١].

أنزله لتحيها به قلوب البشر ، وتثمر أحسن الثمرات من الإيمان بالله والتقوى
 والخشية ، وطاعة الله ورسوله: ﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا
 يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ
 لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والقرآن الكريم هدى ونور ، أكرم الله به هذه الأمة: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ
 مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
 رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

فإذا أصاب ماء السماء أرضاً طيبة أثر فيها ، فأنبت الزروع والحبوب
 والأشجار والثمار ، وصارت ترفل في حُلل زيتها وأزهارها وثمارها
 وخيراتها: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ
 مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج: ٥].

وإذا نزل ذلك الماء على أرضاً سبخة خبيثة لا تقبل النبات ؛ كلما ازداد نزول الغيث عليها ، ازدادت خبثاً ، فلا تمسك ماءً عذباً يُشرب منه ، ولا تُنبت مرعى يُرتع فيه ، ولا ثماراً ولا زروعاً تؤكل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَأَلْبَدُ الطِّيبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ [الأعراف: ٥٧-٥٨] .

فقلب المؤمن بالقرآن يثمر كل خير كالأرض الطيبة تُثمر بالماء من كل زوج بهيج : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج: ٥] .

وقلب الكافر كالأرض السبخة ، القرآن لا يزيده إلا كفرًا ، كالأرض السبخة لا يزيدها الماء إلا بلاءً وملوحة : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۗ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ [التغابن: ٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ ۗ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦] .

والقلوب إذا عرفت ربها بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرفت عظمة ملكه وسلطانه ، وعرفت عظيم نعمه وإحسانه ، وعرفت دينه وشرعه ، وعظمة وعده ووعيده ، آمنت به ، وكبرته وعظمته ، وحمدته ، وشكرته ، وأحبتة

وخشعت له : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾
[المؤمنون: ١-٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾
[فاطر: ٢٨] .

والخشوع هو الخضوع لمن ترى أنه فوقك بلا منازع ، والناس متفاوتون في المواهب ، وقد يستكبر الإنسان رجلاً كان أو امرأة بما عنده من علم أو قوة ، أو مالٍ أو جمالٍ وغيرها من المواهب التي وهبها الله له : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْبَاعٍ ﴿٦﴾ أَن رَّأَاهُ اسْتَعْتَبَ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق: ٦-٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ أَلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار: ٦-٨] .

ومن رحمة الله ﷻ أن جعل الله للمؤمنين بيئةً في الدنيا ، لتدريتهم على الخشوع لكبرياء الله ﷻ ، وأعطى بعض الناس أشياء تميزهم عن غيرهم ؛ ليخضع هذا لهذا ، فيخضع العبد لسيدته ، ويتطامن الجاهل للعالم ، والفقير للغني ، ويذل الضعيف للقوي ، والصغير للكبير .

كل واحد من هؤلاء يخضع لمن فوقه ، حتى يحصل حاجته تربية له ؛ لكي لا يستكبر على من له إليه حاجة ، ولو اعترز واستكبر على من له إليه حاجة فسدت الدنيا : ﴿ أَهْمٌ يَقْسَمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

فإذا تطامن كبرياء الإنسان إلى من يرى فيه حاجة لا يجدها في نفسه ، حصلت له الفائدة التي يطلبها ، فهذا بين البشر .

وإذا خضع الإنسان لمن يملك تلك المواهب العظيمة ، وتصاغر له ، ليستفيد منه ، فيجب أن يخضع للملك الحق العزيز الجبار ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، الملك الحق الذي أعطاه هذه المواهب .

فمن أراد أن يخشع قلبه لربه ، فليستحضر عظمة ربه ، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله ، وجميل إحسانه وإنعامه ، ويعلم أن بيده وحده كل شيء ، فيخضع له ، ويتذلل له ؛ ليستفيد مما عنده : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأففال: ٢-٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١-١١] .

فسبح اسم ربك العلى ، وسبح باسم ربك العظيم ، وكبره وعظمه ، وألجأ إلى واهب النعم ، ليعطيك من فضله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد: ٩] وقال الله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٣﴾ يَخْنَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤] .

فاستقم كما أمرت ، وتقرب إلى ربك بما يحبه ويرضاه، تفوز يوم القيامة بجنته ورضوانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠] .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، يا حي يا قيوم .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الجزء الخامس	٥
٢٧- خزائن القرآن الكريم:	٧
القسم الأول: ويشتمل على:	٧
١. الخزانة الأولى	٨
٢. الخزانة الثانية	١٥
٣. الخزانة الثالثة	٢٣
٤. الخزانة الرابعة	٣٧
٥. الخزانة الخامسة	٤٦
٦. الخزانة السادسة	٥٥
٧. الخزانة السابعة	٦٨
٨. الخزانة الثامنة	٧٦
٩. الخزانة التاسعة	٨٥
١٠. الخزانة العاشرة	٩٤

القسم الثاني: ويشتمل على: ١٠٧.....

١. الخزانة الأولى..... ١٠٨

٢. الخزانة الثانية..... ١٣٢

٣. الخزانة الثالثة..... ١٤٦

٤. الخزانة الرابعة..... ١٥٣

٥. الخزانة الخامسة..... ١٦٢

٦. الخزانة السادسة..... ١٧٥

٧. الخزانة السابعة..... ١٨٦

٨. الخزانة الثامنة..... ٢٠٠

٩. الخزانة التاسعة..... ٢١٠

١٠. الخزانة العاشرة..... ٢٢٠

٢٨- خزائن السيرة النبوية: ٢٣٥

القسم الأول: ويشتمل على: ٢٣٥

١. الخزانة الأولى..... ٢٣٦

٢. الخزانة الثانية..... ٢٥٠

٣. الخزانة الثالثة..... ٢٦٧

٢٨٠ الخزانة الرابعة. ٤

٢٩٥ الخزانة الخامسة. ٥

٣٠٧ الخزانة السادسة. ٦

٣٢١ الخزانة السابعة. ٧

٣٣٨ الخزانة الثامنة. ٨

٣٥١ الخزانة التاسعة. ٩

٣٦٨ الخزانة العاشرة. ١٠

٣٧٧ القسم الثاني: ويشتمل على:

٣٧٨ الخزانة الأولى. ١

٣٨٨ الخزانة الثانية. ٢

٤٠٠ الخزانة الثالثة. ٣

٤٠٨ الخزانة الرابعة. ٤

٤١٧ الخزانة الخامسة. ٥

٤٣٤ الخزانة السادسة. ٦

٤٤٦ الخزانة السابعة. ٧

٤٥٦ الخزانة الثامنة. ٨

- ٤٦٦.....٩. الخزانة التاسعة
- ٤٧٢.....١٠. الخزانة العاشرة
- ٤٧٩.....٢٩- خزائن الأعمال الصالحة:
- ٤٧٩.....القسم الأول: ويشتمل على:
- ٤٨٠.....١. الخزانة الأولى
- ٤٩٣.....٢. الخزانة الثانية
- ٥٠٢.....٣. الخزانة الثالثة
- ٥١٠.....٤. الخزانة الرابعة
- ٥١٩.....٥. الخزانة الخامسة
- ٥٢٦.....٦. الخزانة السادسة
- ٥٣٣.....٧. الخزانة السابعة
- ٥٤١.....٨. الخزانة الثامنة
- ٥٥٠.....٩. الخزانة التاسعة
- ٥٥٨.....١٠. الخزانة العاشرة
- ٥٧١.....القسم الثاني: ويشتمل على:
- ٥٧٢.....١. الخزانة الأولى

٢. الخزانة الثانية..... ٥٧٩
٣. الخزانة الثالثة..... ٥٨٦
٤. الخزانة الرابعة..... ٥٩١
٥. الخزانة الخامسة..... ٥٩٩
٦. الخزانة السادسة..... ٦٠٥
٧. الخزانة السابعة..... ٦١٢
٨. الخزانة الثامنة..... ٦١٩
٩. الخزانة التاسعة..... ٦٢٤
١٠. الخزانة العاشرة..... ٦٣٠
- ٣٠- خزائن الأحكام العامة:..... ٦٤١**
- القسم الأول: ويشتمل على:..... ٦٤١**
١. الخزانة الأولى..... ٦٤٢
٢. الخزانة الثانية..... ٦٥٣
٣. الخزانة الثالثة..... ٦٦١
٤. الخزانة الرابعة..... ٦٨٣
٥. الخزانة الخامسة..... ٧٢٢

٧٣٩	٦. الخزانة السادسة
٧٥٠	٧. الخزانة السابعة
٧٥٩	٨. الخزانة الثامنة
٧٦٧	٩. الخزانة التاسعة
٧٧٦	١٠. الخزانة العاشرة
٧٨٧	القسم الثاني: ويشتمل على:
٧٨٨	١. الخزانة الأولى
٧٩٩	٢. الخزانة الثانية
٨١٢	٣. الخزانة الثالثة
٨٢١	٤. الخزانة الرابعة
٨٣٠	٥. الخزانة الخامسة
٨٣٩	٦. الخزانة السادسة
٨٥٠	٧. الخزانة السابعة
٨٥٩	٨. الخزانة الثامنة
٨٦٦	٩. الخزانة التاسعة
٨٧٦	١٠. الخزانة العاشرة

٨٨٧	القسم الثالث: ويشتمل على:
٨٨٨	١. الخزانة الأولى
٨٩٧	٢. الخزانة الثانية
٩٠٧	٣. الخزانة الثالثة
٩١٥	٤. الخزانة الرابعة
٩٢٨	٥. الخزانة الخامسة
٩٤٣	٦. الخزانة السادسة
٩٥٦	٧. الخزانة السابعة
٩٧٢	٨. الخزانة الثامنة
٩٨٤	٩. الخزانة التاسعة
٩٩٥	١٠. الخزانة العاشرة
١٠١٣	فهرس الموضوعات